دور العرب والمسلمين

في العلوم العصبية

(٥٠٠-١٥١٦ م)

أ.د. أشرف الكردي

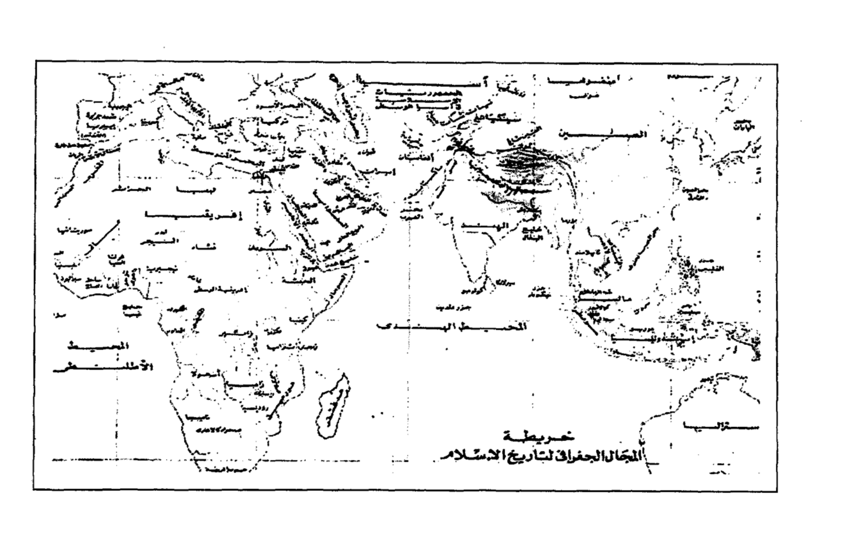
أهداءات ٢٠٠٤

/ أشرف الكردى
سلطنة عمان

دور العرب والمسلمين

في العلوم العصبية

أ. د. أشرف الكردي



خريطة
المجال الجغرافي لتاريخ الاسلام

إهداء

إلى زوجتي وأولادي عمر وخالد ولؤي وطلال
وإلى روح والدي ووالدتي

شكر وامتنان

أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان إلى ...

مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث

ممثلا بـ
الأستاذ الدكتور سلطان بن تركي السديري المدير التنفيذي
لمركز الأبحاث

والدكتور فتوان المهنا نائب المدير التنفيذي
لمركز الأبحاث

على دعمهما لإخراج هذا الكتاب إلى حيز النور.

شكر وتقدير

الشكر الجزيل
الى جميع من ساهم في إخراج هذا الكتاب

محتويات الكتاب

دور العرب والمسلمين في العلوم العصبية

قصة هذا الكتاب

إضافة إلى اهتمامي الطبيعي بتراث العرب والمسلمين الطبي، بدأ اهتمامي الجدي بموضوع العلوم العصبية عند الأطباء العرب والمسلمين، عندما دعيت لإلقاء محاضرة [١] بعنوان:

"التبادل الحضاري بين العرب والغرب في مجال العلوم العصبية"

في المؤتمر الطبي العربي الخامس للعلوم العصبية الذي عقد في القاهرة في شباط ١٩٩٥.

ونظراً للصدى الذي أحدثته المحاضرة بين الزملاء المشاركين بالمؤتمر، وغيرهم من الأطباء والباحثين، أشار زملاء أعزاء إلى أن موضوع المحاضرة يستحق أن يكون كتابا، وطلبوا مني التعمق في الموضوع، والمضي قدما في كتابة هذا الكتاب .

لذلك، ولأسباب أخرى، تتصل ببواعث الإحباط لدى الكثير من شعوبنا، أردت أن أبين أن العلم ليس حكراً على أحد، وأننا نستطيع اللحاق بالركب، بشروط معينة، بل والتقدم في الركب ونكون السباقين، ويأخذ الغير عنا، كما حدث في عصور ازدهار حضارتنا .

ومع عرفاني بالجميل، لمن سبقوني بجهود عظيمة في دارسة التراث الطبي العربي الإسلامي وتحقيقه، واستفادتي الخاصة في هذا المصنف مما كتبوه حول العلوم العصبية، إلا أنه لم يصل إلى علمي أن أحدا خصص كتاباً كاملاً لموضوع علوم الدماغ والأعصاب عند العرب والمسلمين، هذا الموضوع الذي غالبا ما كان ساحة مشتركة بين العلماء والأطباء من جهة، وبين المشعوذين والسحرة وبعض رجال الدين – من مختلف الديانات – من جهة أخرى، وربما حتى وقتنا الحاضر، في كثير من بقاع الدنيا، وبين مختلف فئات المجتمعات .

ويستطيع القارئ ان يتلمس، كيف كان هذا الموضوع حكراً على السحرة، والمشعوذين في بدايات الطب، ثم بدأ انحسارهم رويداً رويداً مع تقدم الطب في عصور ازدهار الحضارة العربية والإسلامية، وفي عصور الانحطاط تتراجع مكانة هذا العلم إلى مصلحة الشعوذة مرة أخرى .

---

١ نشرت المحاضرة في أماكن عدة منها: مجلة آفاق الإسلام، الدار المتحدة للنشر السنة الثالثة، أيلول ١٩٩٥ – عمان

كذلك قلما تجد طبيباً مختصاً بالأعصاب يرجع في دراساته إلى ما قاله الأطباء العرب والمسلمون قديما في هذا المجال، في حين يذكر بعض الباحثين الغربيين دور العرب والمسلمين في بعض الأمراض العصبية .

وفي هذا المقام اقترح تضمين الخطط الدراسية لطلبة الطب، بعضاً من تراث العرب والمسلمين الطبي، حتى يعرف الطلبة تراث أجدادهم، ويعرفوا تطور العلم الطبي ونظريات الأمس واليوم، وأن التقدم العلمي ليس حصراً على أمة بذاتها أو شعبا بمفرده، إنما هذا هو التلاقح الحضاري.

وهناك سبب آخر دفعني إلى كتابة هذا المصنف وهو "تثمين وتقييم دور هؤلاء الرواد في مجال العلوم العصبية"، حيث أن كثيراً مما ابتكروه لا يزال قائما حتى الآن، ولا سيما التاريخ المرضي والفحص السريري، ويرجع لهم الفضل في كثير من المعلومات العلمية مثل التشريح والكيمياء والأدوية والجراحة "العمل باليد" وتطور سير المرض.

كما أشعر أن هناك واجبا عليَّ، تجاه من سبقوني من زملائي في كتابة جواهر في العلوم العصبية وفي إقامة المستشفيات، وفي التدريس الطبي والأبحاث والعناية بالمرضى والمثل الأخلاقية العالية التي كانوا يتمتعون بها في الأوقات الماضية .

وعندما عزمت على الكتابة وتوكلت على الله، رجعت إلى التاريخ وخزائن الكتب، فوجدت كمّاً هائلا من المخطوطات ذات العلاقة، المحققة والمنشورة وغير المنشورة والتي تتوزع في مختلف مكتبات العالم.

وكانت أفضل طريقة للبدء في الموضوع، هي التسلسل التاريخي، والبدء قبل الإسلام لمعرفة القيمة المضافة التي قدمتها كل طبقة من الأطباء إلى ما قبلها، فهذه التراكمية في العلم هي التي تعنينا وتبين لنا مدى اعتبار التراث العربي والإسلامي أكثر من مجرد ثلاجة أودع بها تراث الأمم السابقة، حيث حاول بعض غير المنصفين التقليل من قيمة مساهمة الأطباء العرب والمسلمين .

وقد رجعت إلى مئات المراجع والمصادر والمخطوطات (وبعضها لم ير النور حتى الآن مع الأسف) وكان زميل البحث يحيى أسعد شقير، يساعد بجمع المادة التاريخية فيما أقوم بفحصها من وجهة نظر طبية معاصرة مع الإشارة إلى صواب ما توصلوا إليه أو جانبوا الصواب فيه بدون تكرار.

ومن المخطوطات التي رجعت إليها ما تحويه الخزانة الحسنية [1] بالقصر الملكي العامر في الرباط، والتي تضم أكثر من ١٦ ألف مخطوط، وفيها عشرات المخطوطات النادرة التي لا توجد إلا فيها.

ولأن الأطباء العرب والمسلمين كانوا موسوعيين، ولم يكتبوا في الطب فقط، ولا في تخصص معين منه، لذلك شعرت أن العلوم العصبية في هذه المؤلفات والمخطوطات لا يجوز أن تبقى متناثرة أو بالأحرى مطمورة، فقمت بجمع هذا

---

١ قام محمد العربي الخطابي بفهرسة ٣٠٠ من مخطوطات الخزانة الحسنية من مصنفات الطب والصيدلة والعلوم. أنظر "فهارس الخزانة الملكية"، المجلد الثاني – الرباط ١٩٨٢

الشتات وهذه الإشارات ابتداءً من عصور ما قبل الإسلام وحتى القرنين الخامس والسادس عشر الميلاديين .

كما قمت بتنقية ما تكرر، وأشرت اليه، وما أضافه كل طبيب إلى من سبقوه، وليتبين كيف تطورت هذه العلوم، وغالباً ما أشرت وعلقت على تشخيصهم فبينت أن كثيراً مما توصلوا إليه كان صالحاً من وجهة نظر طبية معاصرة حتى اليوم. وبينت بإشارات كثيرة – مع الابتعاد عن الإطالة والتكرار – أين جانبهم الصواب.

إن الطب العربي والإسلامي وما ركزت عليه من العلوم العصبية في هذا المصنف هو حصيلة لمعارف مشتركة وموروثة لدى العرب والمسلمين والوافدين لهذه الحضارة، وما أخذوه عن غيرهم ومن حولهم وخاصة من حضارة اليونان والرومان، وما أضافوه أنفسهم في عملية الحوار والتبادل والتلاقح الحضاري لكن في وعاء كبير مؤهل لاحتضان هذا التفاعل وهو الإسلام.

ويتبين من الكتاب كيف أن التطور في الغرب بدأ من حيث وصل الأطباء العرب والمسلمون وبنوا عليه وأضافوا له وطوروه، في الوقت الذي بدأت الحضارة العربية والإسلامية تنحدر، فانحدرت معها كل العلوم ومن ضمنها الطب. كانت لغة العلم في ذلك الوقت اللغة العربية، وكان العلماء والأطباء في كل أرجاء الإمبراطورية الإسلامية يعلّمون ويكتبون باللغة العربية، وكل كتاباتهم ترجمت فيما بعد إلى اللاتينية من خلال علماء الأندلس ومن هناك دخلت أوروبا عند بدء عصر النهضة. وكثير من العلماء ولدوا في مختلف أرجاء الإمبراطورية الإسلامية من آسيا الوسطى إلى الأندلس وكانوا من أصول عرقية مختلفة وخلفيات دينية متعددة. ولكن الذي وحَّدهم جميعا كان اللغة العربية التي كانت اللغة المستعملة في أعمالهم العلمية والطبية. وهي أيضاً اللغة التي صمدت أمام لغات الأغلبية من الأمم المستعمرة حتى إذا ذهب الاستعمار عادت إلى ألسنة أبنائهم قوية نضرة.

وهي أيضاً اللغة التي أعطت مئات من ألفاظها إلى مختلف اللغات التي احتك أهلها بالعرب.

فهي بهذا لغة مؤهلة تاريخياً لمتابعة حمل رسالة العلم إلى أمتنا العربية [1].

وقد أدّى الاستقرار السياسي والثقافي مع التسامح الديني بدرجة كبيرة إلى جعل أعمالهم تزدهر. ولا يجوز لأي كان أن يَقصُر مصطلح "الطب العربي" على أولئك الذين ولدوا فيما يعرف الآن بالقُطر العربي، بل يجب أن يُعطى المصطلح مساحة عامة أكثر دون قيود عرقية أو دينية أو اجتماعية.

---

١ أ.د. محمد عماد فضلي، من محاضرة بعنوان "الأسس النفسية والفكرية واللغوية لتعريب الطب". د. فضلي – أستاذ الأمراض العصبية والنفسية بكلية الطب في جامعة عين شمس، أمين عام اتحاد الأطباء العرب للعلوم العصبية ١٩٩١–١٩٩٧

ويمكننا أن نُحَدِّد عدة فترات متعاقبة لنشاط الطب العربي:

١- الفترة السابقة للإسلام والفترة المبكرة للطب الإسلامي الممتدة بين عام ٥٠٠ م حتى ٧٥٠ م، عند انتهاء خلافة الأمويين في دمشق.

٢- توسع الطب العربي عندما فتح العرب سوريا والعراق (ما بين النهرين) وإيران ومصر، ذلك أن العرب اتصلوا بعلم طبي مؤسس وله تقاليد. وقد بدأت هذه الفترة بالخلافة العباسية من عام ٧٥٠م حتى عام ٩٠٠ م، ونشطت فيها موجة الترجمة من الطب اليوناني الروماني إلى العربية مع إضافات للأطباء المترجمين وتعليقات نقدية على ما تمت ترجمته.

٣- فترة الازدهار للطب العربي النقي الذي ابتدعه العلماء والأطباء العرب وقد بدأت هذه الفترة أثناء الخلافة العباسية حول سنة ٩٠٠ م، وامتدت إلى العصر الأندلسي الذي استمر حتى عام ١٣٠٠م.

٤- الفترة الرابعة من عام ١٣٠٠ م حتى عام ١٥١٦ م وتميزت هذه الفترة بانعكاس الترجمة، إذ أصبحت من العربية إلى اللاتينية، وقد بدأت هذه الفترة في البلاد الغربية التي كانت تحت الحكم العربي. وفيها انتشر الطب العربي من مدارس في جنوب إيطاليا ومن إسبانيا شمالاً إلى شمال إيطاليا وفرنسا وألمانيا بشكل خاص.. ومع أن هناك في الوقت ذاته ترجمة مباشرة أخرى من اليونانية إلى اللاتينية قام بتنفيذها أطباء أوروبيون ولكن الكتب الطبية العربية لكثرة ما فيها من معلومات أضيفت على ما في الأصول اليونانية من الأطباء العرب والمسلمون. وكانت الكتب باللغة العربية هي المفضلة وهي المثير الرئيسي لميلاد عصر جديد من الطب الحديث في العالم.

فترة ما قبل الإسلام وخلال فترة الإسلام المبكرة

يمكن تقسيم هذه الفترة إلى فترتين لكل منها خصائصها وهما :

١- فترة ما قبل الإسلام وتمتد من (٥٠٠ م حتى ٦٢١م) وتشمل الفترات اليونانية والرومانية السابقة.

٢- الفترة الإسلامية المبكرة التي تشمل على قيام الإسلام (من سنة ٦٢١م وحتى ٦٦١م) وتشمل فترة رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين والدولة الأموية من (٦٦١م - ٧٥٠م).

أثناء الفترة الإسلامية المبكرة وقبل فتح بلاد فارس ومصر كان هناك في هذين البلدين مدارس طبية معروفة جيداً واحدة في جونديسابور يتزعمها أطباء سريانيون Syriac والثانية في الإسكندرية وكانت معروفة جيدا بمكتبتها الطبية المشهورة التي كانت تحتوي على معظم ما كتب في الطب زمن اليونان والرومان.

وقد أسس جونديسابور الملك شابور الأول الذي حكم من ٢٤١م - ٢٧٢ م عندما احتل إنطاكية المدينة الساحلية في شمال سوريا. وكانت في إنطاكية مدرسة طبية مشهورة جداً وكانت هذه المدرسة تنافس مدرسة طب الإسكندرية.

وقد أغلق الملك شابور المدرسة في إنطاكية ونقل المعلمين والطلاب إلى إيران حاملين معهم كل الكتب والتجارب الطبية الخاصة بالطب اليوناني والروماني.

وعندما استقر هؤلاء في جونديسابور بدءوا بالعمل في الطب وأسسوا مستشفى هناك وجعلوا التطبيب بكل تفاصيله مستنداً إلى التحليل العملي حسب التقاليد الأبوقراطية الحقيقية.

ومنذ البداية سيطر على المدرسة الطبية في جونديسابور الآشوريون الذين تفهموا جيدا التقاليد الطبية الفارسية والهندية.

ولما لمع اسم هذه المدرسة الطبية كمركز متميز تحولت جونديسابور إلى مغناطيس يجذب الأطباء العرب. ومن ضمن الأطباء المشهورين الذين درسوا في هذه المدرسة الحارث بن كلدة الذي كان طبيب النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ونالت جونديسابور دفعة أخرى عندما فتح الخليفة الراشد عمر بن الخطاب إمبراطورية الساسانيين في العراق عام ٦٣٨م. وقد دعم الخليفة عمر جونديسابور بالسماح للنسطوريين حرية العبادة حسب دينهم وحقهم في تعليم الطب وممارسته.

وقد عرَّفت الفتوحات الإسلامية فيما بين ٦٣٨م - ٦٤٢م الخلفاء المسلمين على حضارات قائمة في سوريا والعراق وفارس ومصر. وزاد هذا الكم في ثروة الإسلام طبياً بانضمام مدرسة طب الإسكندرية والمكتبة الملأى بالكتب المُحافظ عليها جيداً في مكتبة قبرص. وفي كلا المكانين مدرسة طب الإسكندرية ومكتبة قبرص كانت هناك مجموعة هائلة من الكتب اليونانية. ونتيجة ذلك شعر الخلفاء بضرورة تفهم الآراء والإجراءات الطبية اليونانية الرومانية والحضارة البيزنطية

إضافة إلى الإجراءات الطبية في بلاد فارس والهند ومن كل هذا بدأت حركة الترجمة.
وكان هناك أطباء مشهورون في ذلك العصر، ويشمل هؤلاء ابن أبي رمثا الذي كان يعمل جراحاً وزينب التي عرفت بعملياتها الجراحية ومعالجة أمراض العيون.
وأثناء السنوات الأولى لحكم الأمويين في دمشق ورد في الأخبار أن ابن عثال الدمشقي كان الطبيب الشخصي للخليفة معاوية. وقد أعطى علمه لابنه (الحكم الدمشقي) وقد عمل الابن مثل ما علمه أبوه بأن علم الطب ابنه وكان اسمه عيسى بن الحكم. وقد كتب عيسى هذا كتاباً في الطب باسم (كيناش).
وهناك طبيب معروف جيداً في العصر الأموي المبكر كان اسمه تيادوك وقد علم فرات بن شاهناته الطب الذي أصبح فيما بعد طبيب الحجاج بن منصور.
وكانت أول ترجمة لكتاب طبي إلى العربية في عهد الأمويين، فقد كان أحد أحفاد معاوية وهو خالد بن الوليد بن يزيد (ت عام ٧٠٤ م) هو أول أمير يأمر بترجمة الكتب اليونانية إلى العربية وقد درس الطب وجمع عدة كتب في هذا الميدان ولكنه توفي قبل أن تصل إليه الخلافة.
وقد دعم عبد الملك بن مروان ماسرجيس السرياني (في أواخر القرن الثامن الميلادي) لترجمة كتاب في الطب عنوانه "كناش أهارون" من اللغة السريانية إلى العربية وقد ألفه البطريرك (bishop) آرون قبل قرن من الزمن في الإسكندرية. ومن المحتمل أن يكون هذا الكتاب هو أول كتاب في الطب جرت ترجمته إلى العربية .

لقد حاولت واجتهدت في هذا الكتاب بشكل تاريخي وطبي أن أبين العبرة التي يمكن استخلاصها، وأن بالإمكان أن نعود إلى ما كنا عليه من الريادة، وأن ما ينقصنا هو إعادة ترتيب بيتنا وصفوفنا والعمل بشكل جماعي وبروح الفريق لتجميع الجهود المشتتة وأخذ دورنا الذي نستحقه .

د. أشرف الكردي – عمان في ٢٠٠٢/٧/١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

أن أكتب مقدمة لكتاب عادي وأنا الذي لم يحظ بموهبة التعبير الكتابي أمر في غاية الصعوبة فكيف بي الآن ومحاولتي أن اقدم هذا السِفر التاريخي علماً بأن الكاتب لم يُظهر لي في يوم من الأيام رغبة بالكتابة ولم يدع بموهبته في هذا الفن.

لقد وجدت من تصفحي لهذا السِفر تجاوباً وترديداً لظاهرة اطلعت عليها خلال مسيرتي الحياتية وتعاملي مع الشباب الناهض القادم من جميع أنحاء المعمورة بعد أن حصل على الدرجات العلمية المرموقة، ذلك بأنهم يعتقدون أن التاريخ يبدأ بهم وهم بعيدون كل البعد عن تقدير الخبرة التي سبقتهم. وكأني بهم لا يرون من الشجرة المثمرة إلا ثمرها الجميل المنظر والحلو المذاق. لا يأبهون بمن زرع ومن جذر، ويبدو لهم التفاضل بأن من يجري العمل الجراحي بالأدوات والتكنولوجيا المتطورة هو الأعلى على من قام بالعمل بالأدوات البدائية دون سابقه.

إن الجذور الرواسي والمداميك التي بناها الأجداد هي التي أوصلتنا إلى ما نحن فيه. فهذه الجذور تداولتها الأجيال وتقدمت بها لتزيدها نوراً ولمعة.

إن ما جاء به الدكتور أشرف الكردي بالجهد المتواصل للوصول إلى الكتب والمخطوطات من كل حدب وصوب وصياغة موجوداتها كقصة يحلو للإنسان حتى من غير الأطباء ان يقرأها متمتعاً بالتجوال بين الشعوب وعلمائها، ممن صنعوا التاريخ بعرقهم وجدهم.

وأمر آخر لا بد لي من التنويه إليه أن عنوان الكتاب لا يفي ما فيه حقه. فقد أوضح الدكتور أشرف الأجواء العامة الاجتماعية والعلمية التي احتضنت هذا الفرع من المعرفة لتؤكد الترابط بين أطراف المعرفة فما، يصيب عضو أو جهاز من جسم الإنسان تتداعى له بقية الأعضاء دفاعاً أو هجوماً.

أهنئ الأخ الزميل على هذا الإنجاز ولو لم يكن له غيره لكفاه فخراً.

وأهنئ القارئ الذي يتيح الفرصة لنفسه للاطلاع على ما قام به أجداده والآخرون وليضيف لبنة إلى تاريخ الطب والعلم.

الدكتور عبد السلام المجالي

معالي الأخ الكريم الدكتور أشرف الكردي سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فقد سُعِدْتُ بالغ السعادة بمطالعة كتـابكم القيِّم الذي شرفتموني بالاطّلاع عليه. وهو في حقيقة الأمر كتابان لا كتاب واحد. أحدهما يتناول فصولاً في تاريخ الطب في العالم دون تركيز على طـب الجهـاز العصبي بل دونما إشارة اليه في كثير من الأحيان، في حين يشتمل الثاني علـى نصوص مستوفاة مما له صلة بطب الجهاز العصبي في كتـب علمـاء وأطبـاء الحضارة العربية الإسلامية بالإضافة إلى ما نقلوه عن أطباء الإغريق.

وقد رجعتُ في هذا الجزء الثاني إلى ما لديّ وما أمكنني التوصـل إليـه مـن مخطوطات ومطبوعات للتحقق من النصوص واجتهـدت فـي إصـلاح بعـض المواضع التي رأيت أنها تحتاج إلى إصلاح.

والذي أراه في هذا الجزء المتعلق بطب الجهاز العصـبي، أن لا يكتفـي بسـرد النصوص دون ربط بينها أو تعليق بل أقترح أن تُحلّوها بتعليقات منكم تجمع بينها وتناقش النظريات التي يمكن استنباطها من خلال ذلك. وربمـا رأيـتم مـثلاً أن تناقشوها واحدة واحدة، فتتطرقوا إلى الصداع بأنواعه واحداً واحداً عند الـرازي وابن سينا وعلي بن العباس إلخ.. ثم الصرع، ثم السكتة ... وهكذا عند كل منهم فذلك يعطي للكتاب أو يضفي عليه شخصية متميزة.

وأنا بَعْدُ أعتذر إلى معاليكم للتأخر، فقد حاولت – كما ذكرت لكم – مراجعة كـل نص في مَظَانِّه الأصلية، شاكرا لكم مرة أخرى تفضلكم بإطلاعي على هذا السِّفر وحامداً لكم ثقتكم الغالية، وراجياً أن يكون في بعض ملاحظاتي ما يفيد، والـرأي لكم على كل حال.

مع خالص التقدير وصادق المودّة

أخوكم / الدكتور محمد هيثم الخياط

عضو مجامع اللغة العربية بدمشق وبغداد وعمان والقاهرة وعليكرة

الإسكندرية وأكاديمية نيويورك للعلوم ٢٣رجب ١٤٢٠هـ

نائب المدير الإقليمي لمنظمة الصحة ١٩٩٩/١١/١ العالمية لشرق المتوسط

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير للأستاذ الدكتور عز الدين شكارة

طلب العلم شيء غريب حقا، فهو يحمل بين طياته نقائض عجيبة: يحمل التعب والإرهاق والمشقة، ويحمل في نفس الوقت الطمع في الاستزادة من هذا العلم رغم ما يتبعه من المزيد من المعاناة. فالطالب الحقيقي لأي خط علمي، والذي ينهكه الركض وراء هذا الكتاب أو ذاك، والتفتيش عن معلومة اختفت بين أكوام المصادر والمراجع ... كثيراً ما يشعر بلذة غريبة وهو في قمة تعبه، يتصبب عرقا ولا يكاد يجد أنفاسه.

والعجيب أنه كلما زاد علمه وارتفع في مرتبته، وبدلا من أن يلجأ إلى الراحة التي طالما تمّناها .. نراه يتطلّع إلى المزيد من المعرفة في حقل اختصاصه ... لا يضيع فرصة لزيادة علمه، والتعمق فيه إلا اغتنمها.. فهو بذلك أشبه بالمتسابق الفائز في قطع المسافات الطويلة ركضا، يبلغ أقصى سعادته في لحظة فوزه، وهو في الوقت نفسه، يلهث تعباً ويتصبب عرقاً، وتراه في ذلك الموقف بالذات يفكر في السباق القادم، والتحضير الجاد للفوز فيه ... وهكذا...

والطبيب المتميز يأتي في مقدمة طالبي العلم ... وذلك لما نعرفه عن هذا العلم من الصعوبة، وعلاقته بحياة الإنسان وتباين جوانب ما يجب أن يعرفه خلال دراسته الأولية، وسرعة تقدّم كلّ جانب منها، وتداخل الاختصاصات فيه ... نراه في غمرة تعبه وشعوره بالإرهاق بعد امتحان التخرج، يتطلّع إلى الاختصاص ويعود إلى الكتاب والتتبّع... فإذا بلغ غايته في نيل هذه الشهادة العليا أو تلك .. اتجه إلى التي تعلوها مرتبة وما بعدها، فإذا ما فرغ من ذلك بدأ بالتنقيب عما وراء هذه الظاهرة وتلك النظرية، وعن تفسير هذا العرض المرضي أو تلك العلامة السريرية ... وفي الوقت الذي ينغمس فيه بتدريس طلبته، وعلاج مرضاه، تراه يلاحق ما يستجد من حقائق في حقل اختصاصه وعندها لا بد وأن يكتشف الفرق الشاسع بين ما قد درسه في مرحلته الأولية لدراسة الطب قبل بضع حقب من الزمن، وما استجد من الحقائق خلال هذه الفترة . عند ذلك يلمس بوضوح حركة المعرفة المستمرة، وكثيرا ما تجول في نفسه خواطر وأسئلة كثيرة عما كانت عليه الحال لهذه النقطة أو تلك، قبل مائة عام ... أو ألف عام ... أو الآلاف من الأعوام ... ذلك لأن صناعة الطب تقف بلا شك كأقدم خطوط المعرفة في حياة الإنسان...

إن هذه الخواطر... ، وتلك الأسئلة ... لا بد أن تقود الكثير من العلماء الأطباء إلى التعمق في هذا الاتجاه الفكري الصعب، فيبدءون بالتنقيب في الماضي في نفس الوقت الذي يفتشون فيه عن الجديد في الحاضر، وسرعان ما يكتشف الواحد منهم الحقيقة التي قد تكون خافية عنه وعن الكثير من زملائه ... حقيقة العلاقة الوثيقة بين الماضي ... والحاضر ...والمستقبل. وهذا - على ما أتصور

– هو ما حدث لمؤلف هذا الكتاب النفيس، أخي الأستاذ الدكتور أشرف الكردي، الذي لم يكتف بمعرفة هذه الحقيقة بل تخطاها إلى نقل محتواهـا فـي صـورة مبسطة جذابة، فقرّر كتابة سفره العلميّ الضخم الذي بين أيدينا الآن، مع ما كان يعلمه حتما، عما تتطلبه هذه الكتابة من مشقة، وتعب، وإرهاق.. وما تحمله مـن مسؤولية ضخمة أمام قرائه، كان يمكنه بسهولة أن يعفي نفسه منها كلهـا بعـدم الخوض في هذا البحر الخضمّ، ولكنه أبى إلا أن ينفذ رسالته ويخوض هذا اليّم.
أنني مؤمن بأن دراسة التراث لأي من العلوم – علاوة على ما تجلبه للدارس من متعة وفخر – ... إن هذه الدراسة تحمل أكثر من ذلك بكثير، لأنها تشكل نقطـة البدء في مسيرة أي من الخطوط العلمية والحضارية التي سارت عليها الإنسانية ... إذ إننا دون علمنا من أين بدأ أسلافنا ... وكيـف سـاروا ... وفكـروا ... وتدرجوا ... وكيف تطورت مفاهيمهم، لن نتمكن من معرفة موطئ أقدامنا فـي يومنا الحاضر .. ولا خط سيرنا ... ولا نتصور مسيرة من سيلينا من الأجيال.
إن كل خط علمي في الحضارة الإنسانية، إنما هو شيء متحـرك (دينـاميكي) يعتمد على ما سبق من المعرفة ضمن مجاله في الماضي، ويتواصل في الحاضر ويخطط للمستقبل.
وهذا هو مفهومي (الشخصي على الأقل) لأهمية معرفـة التـراث، ودراسـته، والتعمق في هذه الدراسة، بالنسبة لطبيب (أو لأي اختصاصي في موضوع آخر) يهتم باختصاصه، ويمارسه، ويدرسه لتلامذته.
والحقيقة أنني لمست بصورة واضحة عند قراءتي لمسودة هذا الكتاب أنه يجسـد مفهومي عن أهمية دراسة التراث للعالم ضمن حقل اختصاصه، وشعرت بـأن الدكتور أشرف الكردي، يشاركني، كلاً أو جزءاً، شعورياً أو لا شعورياً، في هذا المفهوم، وأنه حاول بجد في جهده الكبير هذا، وصلّ الماضي بالحاضر، ثم تقديم ما توصلنا إليه في حاضرنا إلى من سيلينا في المستقبل، بطريقة سلسة، وسهلة، ما وسعه ذلك، لتستمر المسيرة العلمية إلى ما شاء الله تعالى لها أن تستمر.
وحركة الوصل هذه ليست بالسهلة ولا باليسيرة، لأنها تتطلـب معرفـة جيـدة بالماضي السحيق والقريب، وهيمنة واسعة على ما نحن عليـه مـن المعرفـة وتطورها، ورؤيا صائبة لما يمكن أن يستجد في المستقبل. ولن يسـتطيع عمـل ذلك إلا عالمٌ وصل إلى درجة عالية من البروز في حقل اختصاصه، وفي تنقيبه عن الماضي، وتصوره للمستقبل. ولا ريب في أن المؤلف قد نجح في ذلك كـل النجاح متسلحاً بغزارة علمه، وبإيمانه بنبل الرسالة التي يؤديها بعمله هذا.
ان كل من سار في درب الكتابة والأحاديث العلمية، يدرك ولا شك بأن من أوائل الأمور التي يجب أن يقررها بوضوح قبل البدء بكتابته أو بتحضيره لحديثه، هو طبيعة من سيقرأ ما سيكتبه، أو سيستمع إلى ما سيتحدث به.
وعلى هذا القرار سيتوقف وضع هيكلية، ومحتوى ما سيكتب، والعمـق العلمـي الذي يمكنه الوصول اليه، فالكتابة لمجتمع متعدد الاختصاصات والاتجاهات هي غير تلك التي توجه إلى مختصين في موضوع الكتاب أو المقالة. ولا شك في أن المؤلف قد درس هذا الأمر بعناية قبل البدء بالكتابة، وأحسن تصور قارئي كتابه

من أطباء وغيرهم، والخلفية الزمنية والاجتماعية التي تحيط بهم في عصرنا هذا.

اننا نعيش في عصر اتصف بالسرعة في كل شيء، وانغمس فيه الناس في أشياء كثيرة جعلتهم يركضون لاهين لقضاء هذه الحاجة أو ذلك الواجب، فلم يعد عندهم الوقت الكافي لاستقصاء الحقائق بالطريقة العلمية التي نعرفها، ولا بمراجعة هذا المصدر أو ذاك بين رفوف المكتبات...

انهم يريدون أن تأتيهم الحقيقة أو المعلومة على طبق جاهز، يأخذ صورة كتب أو مجلات إيجاز البحوث العلمية والتي كثرت في السنوات الأخيرة، أو أشرطة التسجيل الحاوية على مختصرات الكتب والمجلات العلمية، أو بعض ما يذاع وما يرى في المذياع والتلفاز، وأخيرا باكتساب المعلومات العلمية بصورة فورية أو آنية جاهزة خلال شبكات الاتصال الإلكتروني العالمية (الانترنيت INTERNET) وعلى ذلك أصبح عدد القارئين للكتب العلمية المفصلة ذات الهوامش العديدة وتلك التي تتطلب من القارئ اللجوء إلى هذا المصدر أو ذاك لمعرفة درجة أمانة الكاتب العلمية أو لمعرفة تفاصيل أكثر عن بعض النقاط..

أقول، أصبح عدد مثل هؤلاء القارئين قليلاً جداً ينحصر فيمن نذر نفسه للبحث والتقصي في حقل اختصاصه.

أما قرّاء الكتب الباقون، فهم عجلون في قراءتهم، لا يكادون يلمّون ببعض ما يقرأونه حتى ينصرفوا عن الكتاب ضائقين بخصال فيه قد لا تلائم العصر الحديث وما يحتاج إليه أهله من التيسير والتقريب، لأنهم محتاجون إلى السرعة، ولأن وقت كثير منهم محسوب عليهم، ولأن جهد غيرهم لا يثبت لما تحتاج إليه القراءة في هذا الكتاب، أو تلك المقالة، من الأناة والصبر وفراغ البال.

ومرة أخرى، أحسب أن هذه الحقيقة لم تغب عن الدكتور الكردي فعمد على تخطي هذه الصعوبات، وإلى تسهيل وتيسير مهمة القارئ إلى أقصى درجة ليضمن استمرار القارئ بقراءة كتابه ومتابعته دون ضجر أو سأم. فنحن نراه يذيل كل حقيقة أو معلومة تأتي في الكتاب باسم المصدر الذي اعتمد عليه عند ذكر تلك المعلومة وما يتبع ذلك من ذكر اسم المؤلف ورقم المجلد أو عدد المجلة العلمية والصفحة ودار النشر حسب ما هو متفق عليه في الكتابات العلمية – في مجال كيفية ذكر المصادر. ويصل به الأمر – عند الحاجة – إلى ذكر الكثير من التفاصيل عن المصدر، أو مؤلفاته ... والظروف التي أحاطت بكتابته إلى غير ذلك!!.

كل هذا يبين مدى حرص المؤلف على أن لا يكلف القارئ حتى النظر في قائمة المصادر الثرية التي وضعها في آخر كتابه، وكان يمكنه أن يشير إلى ذلك برقم المصدر حسب وروده في القائمة، ويكتفي بذلك كما يفعل أكثر المؤلفين. لكنه آثر هذه الطريقة للسبب الذي ذكرته – على ما أعتقد – وأنا أقره على ذلك.

من ناحية أخرى نرى المؤلف في أماكن كثيرة يعطي مجالاً واسعاً قد يمتد إلى صفحات عديدة يدون فيها نص ما جاء في بعض الكتب البارزة في التراث الطبي العربي والإسلامي. فهو يفرد مجالاً واسعاً لنصوص طويلة من كتاب

(الحاوي) للرازي، و(كامل الصناعة الطبية) للمجوسي و (القانون في الطب) لابن سينا وغيرها الكثير وخاصة في مجال العلوم العصبية، كل ذلك شفقة بالقارئ من الذهاب إلى المكتبات ليراجع هذا المصدر أو ذلك. وفوق هذا وذاك، نجده يخصص فصولاً خاصة يسرد سير العلماء الأفذاذ من الأجداد عندما يرى الأمر يستحق ذلك. ولتخفيف الجفاف الذي قد يبدو في بعض المواضيع يعمد المؤلف إلى تطعيم كتابه بالقصص الطريفة وبأبيات عذبة من الشعر والأرجوازات والتواشيح ذات العلاقة بالموضوع، ويبرز ما كان يتصف به بعض الأطباء الأعلام من مواهب غير الطب كالفلسفة والآداب والبيان والموسيقى وغيرها بطريقة تجدد نشاط القارئ.

ان هذا الأسلوب في الكتابة جعل موضوع الكتاب سهلاً وقراءته يسيرة جداً، فكل شيء حاضر أمام القارئ مما سيزيد حتما في التصاقه بالكتاب بل شوقه إلى إعادة قراءة بعض فصوله على الأقل.

ومع أن فكرة الكتاب كما علمت من المؤلف هي التركيز على العلوم العصبية وتراثها، أكثر من غيرها، إلا أنه لم يغفل أهمية الاختصاصات الطبية الأخرى، عندما تدعو الحاجة إليها، أو الأمور المختلفة التي تحمل أهمية خاصة ضمن ممارسة الطب وتعليمه، كأخلاق الطبيب، والقسم الطبي، والمستشفيات، وعلاقة الأطباء بالحكام في تلك العصور، وذكر تفاصيل وأنساب بعض العائلات الطبية المشهورة في التاريخ ... وأشياء كثيرة تثير الإعجاب.

ولأجل ربط الماضي بالحاضر والمستقبل، لا ينسى المؤلف الإشارة إلى واقع معرفتنا الطبية في الوقت الحاضر، وما يجب على الأطباء من أساتذة وممارسين لتطوير تعليم الطب وممارسته بأسلوب صريح وعملي شمل تهيئة مراكز علمية متكاملة للدارسة والبحث والعلاج في مجال العلوم العصبية، وقد أعجبني ما أورده أي إعجاب لاقترابه الشديد بما أفكر به، وما عرضته منذ أكثر من حقبتين من الزمن على الجهات المختصة الجامعة ووزارة الصحة ولا زلت أتطلع إلى تحقيقه.

ان كل ما ذكرت من صفات برزت في هذا الكتاب جعلت منه سفرا ضخما يقترب من دائرة معارف طبية ضمن اختصاص الكتاب الذي برزت خلال صفحاته مقدرة كاتبه الكبيرة في التعبير، وسلاسة أسلوبه، وعظم ملكاته العلمية وحرصه الشديد على إظهار مؤلفه بهذا الثوب القشيب المتكامل. وإنني أكاد أحس بلهفة المكتبة الطبية العربية لضم هذا الكتاب إلى رفوفها، ويتلهف الأساتذة والمهتمون بصناعة الطب وتراثه للاستفادة منه، إضافة إلى ذلك أرجو أن يساعد هذا المؤلف اللطيف إلى تنفيذ بعض ما نأمل فيه من إدخال بعض الحقائق التاريخية ضمن دراسات كليات الطب الأولية والعليا وعلى لسان نفس الأساتذة الذين يدرسون هذا الاختصاص أو ذلك، الأمر الذي فاتحنا به الجهات المختصة ونرجو ان يتحقق تدريجيا.

إنني لن أجد في إجمال وصف هذا الكتاب أحسن من أن أعيد ما كتبه الـدكتور طه حسين رحمه الله عن أحد الكتب التي راجعها فأقول:
"هذا الكتاب رائع كأروع ما تكون الكتب، وقيم كأقوم ما يكون البحـث، وممتـع بأوسع معاني الإمتاع، ونافع كأدق معاني النفع".
وأضيف إلى ذلك بأنني قد أفدت منه الكثير الكثير.
اخيرا، انني أبارك للأخ الأستاذ الدكتور أشرف الكردي هذا المجهـود الكبيـر، وأهميته على جميل ما كتب وعظيم ما صنع، أتطلع بشوق إلى كتاباتـه القادمـة وأدعو له بكل توفيق ... وكل نجاح... وكل سؤدد.

الدكتور عز الدين شكارة

أستاذ الأمراض العصبية في جامعتي
الموصل وبغداد (سابقا)
رئيس الجمعية العراقية لتاريخ الطب
(في العاشر من تشرين الأول ١٩٩٧)

أخي الأستاذ الدكتور سعيد الجوخدار

رئيس مجلس الاختصاصات الطبية العربية

لقد أسعدني أن تطلبوا مني مراجعة كتاب الأستاذ الدكتور أشرف الكردي عن دور العرب والمسلمين في مجال العلوم العصبية. وإني شاكر لكم هذه الثقة في إبداء رأيي المتواضع في هذا الكتاب العظيم الذي حاول الأستاذ الكردي أن يبرز للقارئ في تاريخ الطب العربي الإسلامي صورة شيقة عما قام به المؤلفون العرب المسلمون في مجال العلوم العصبية.
لقد هالني هذا الكم الهائل من المعلومات التي ساقها الأستاذ الكردي منقبا في هذا العدد الكبير من المصادر والمعلولات بدءاً بالطب الصيني والطب الهندي والطب الإغريقي والطب الروماني، حتى الطب العربي في الجاهلية وصدر الإسلام ثم الدولة الأموية فالعباسية وحتى العصر الحديث منقبا عن العلوم العصبية عند العرب والمسلمين، مقدما لنا خلال هذه الرحلة الممتعة من تاريخ المعرفة عبر العصور ولبس سهلا إزاحة هذا الركام السحري من التاريخ. ولقد تملكني العجب وأخذتني الدهشة لهذا الجهد الكبير ولهذا الصبر ولهذه القدرة الهائلة على الانتقاء وابراز المعلومات المناسبة.
لقد وصل الأستاذ أشرف الكردي إلى بيت قصيده في كتابي "الحاوي، والمنصوري" لأبي بكر الرازي وفي كتاب "القانون في الطب" لابن سينا، وكتاب "كامل الصناعة" لعلي بن العباس المجوسي من المشرق العربي، وكتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" لأبي القاسم الزهراوي وكتاب "التيسير" لعبد الملك بن زهر في المغرب العربي. وأن طبيب القرن العشرين ليعجب أشد العجب لما جاء في هذه الكتب عن الأعراض والأمراض العصبية ومعالجاتها الطبية والجراحية.
فلو ركز الأستاذ الكردي على هذه الحقبة من تاريخ الطب العربي وفسر ما جاء في هذه الكتب مما يخص الجملة العصبية من تشريح وفيزيولوجيا وتقريب المفاهيم القديمة إلى المفاهيم الحديثة لحصل على طلبه.
وحبذا لو تطرق إلى بعض الأبحاث التي أثارت جدلاً ولا تزال، وهي في الدرجة الأولى قضية التشريح في الطب العربي والإسلامي التي ينكرها على أدبنا الطبي الكثيرون من المؤلفين الغربيين على اعتبار أن تشريح الجثث محرم في الإسلام، وهو في الحقيقة ليس محرماً، لأن الوصف الذي يقدمه هؤلاء المؤلفون القدامى الأجلاء لا يمكن أن يتم بدون تشريح.

وأخيرا أكرر أن قراءة كتاب الأستاذ الدكتور أشرف الذي أرسل إليَّ للاطـــلاع عليه قد أسعدتني جداً وأفادتني جداً، وأرجو ألا يعتبر ما قلته نقداً وإنما أبغي بهذه التوصيات الوصول إلى الكمال والله من وراء القصد .

الدكتور فيصل الصباغ

دمشق في ١٩٩٧/٥/٢٠

بدايات الطب

كان الطب، من أوائل المعارف التي مارسها الإنسان الأول، فإذا اعتبرنا الاتقاء من الحر والبرد، أو الاستراحة من التعب، أو عند الإصابة بكسر في أحد أعضاء الجسم، أو أكل نبات معين استساغه وترك ما لم يستسغه، لحكمنا أن ذلك ما هو إلا ممارسة لوسائل طبية وقائية أو علاجية، دون علم منه منذ أوائل مراحل تاريخه القديم .

وقد لعبت الغرائز الطبيعية للإنسان وكذلك التجربة والتقليد والملاحظة دوراً هاماً في الحفاظ على صحة الإنسان وشفائه من بعض الأمراض .

وليس هناك – كما أثبتت دراسات علماء السلالات البشرية – شعب مهما كان موغلاً في البدائية والتخلف، فاته أن يستخدم، إن قليلاً أو كثيراً، ما أوتي من مقدرة على الملاحظة والتفكير في دراسة الظواهر الطبيعية، دراسة لم تكن مجردة ومقتصرة على ما يؤثر في حياة البشر، وإنما – وهو الأغلب – تناولت أيضاً البحث عمّا في عالم الجماد والنبات وإمكانيات حقيقية أو وهمية لمن يريد مؤاساة الآلام وعلاج الأمراض[١].

ويستطيع أي واحد منا أن يتخيل ما يمكن أن يفعله الإنسان الأول حينما كان يصاب بألم أو مرض. ولا شك أن الماء كان أول دواء استعمله الإنسان لتخفيف آلامه ثم بدأ يجرب النباتات والحشائش التي يصادفها، ثم إلى مواد الطبيعة الأخرى. وقد مر هذا الإنسان دون شك بتجارب سيئة حتى اهتدى إلى بعض النتائج الحسنة.

واحتفظ هذا الإنسان بمجموعة من المعلومات التي اكتسبها فوصفها لأهله وعشيرته، وبهذه الصورة التخيلية تناقل الخلف عن السلف خلاصة تجاربهم في هذا الشأن[٢].

وإلى جانب الأعشاب الطبية نجد بين الأساليب الصيدلية الكثيرة التي كان يلجأ إليها الإنسان البدائي، صنوفاً من المخدرات المنومة التي أريد بها أن تخفف الألم وتهوّن الجراحات، كسموم الكورار Curare الذي كثيراً ما يضعونه على أطراف سهامهم، ومخدرات مثل نبات القنّب والأفيون والكافور، هي أقدم تاريخا من التاريخ [٣].

ويرجح كثيرون من المؤرخين وعلى رأسهم جورج سارتون و "ول ديورانت" أن النساء كن أول من تعاطى صناعة الطب وفن العلاج، وذلك بحكم اتصالهن بالأرض ومباشرتهن لأعمال الفلاحة والزراعة أكثر من الرجال، فأتاح لهن ذلك

---

١ د. شارل كوينتز، مدير أسبق للمعهد الفرنسي للآثار الشرقية، في تقديمه لكتاب الحضارة الطبية في مصر القديمة، تأليف د. بول غليونجي وزينب الدواخلي، دار المعارف بمصر ١٩٦٥ ص ١

٢ تاريخ الصيدلة، أحلام استيتية ص١٣

٣ ول ديورانت، قصة الحضارة، ج١ مجلد ١، ترجمة د. زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والنشر في جامعة الدول العربية ص ١٣٨ و ١٣٩

علما أوسع بالنبات فضلا عن أنهن كنّ الممرضات الطبيعيات للرجال، وكن بفطرتهن يتقنَّ فن التوليد أقدم المهن الطبية على الإطلاق[1].

أتاح فحص عظام الناس المتحجرين اكتشاف وجود بعض الأمراض. نحن نجهل ما كان عليه فن الطب في عصور ما قبل التاريخ، ولكننا نعرف وجود جراحين بارعين منذ العصر الحجري الجديد، إذ وجدت جماجم مجبَّرة وملتئمة الجروح [2] مما يدل على أن العملية كانت تجرى على الحي ... مثل هذه الجماجم تعود إلى العصر الحجري الجديد وهي محفوظة في مجموعات متحف الإنسان في باريس وقد وجد منها البارون بايي (Baye) في كهوف المقابر في وادي بيتي موران (Petit Morin). وقد درس مجملها من قبل الدكتور لوكاس شامبيونيير (Lucas Championniere) . وأشار هذا إلى التشابه بين التجبير ما قبل التاريخ والتجبير الذي كان يمارسه الأمريكيون قبل عصور كولومبوس، وجماعة "القبائل" في صحراء الجزائر [3].

وقد تمكن الإنسان البدائي من أن يعالج نفسه من الجروح والكسور التي كانت تصيبه، لكنه احتار في أمر الأمراض التي تصيبه بدون سبب ظاهر له. وربما جال وأطال النظر فيما حوله من ظواهر طبيعية كالنجوم والشمس والقمر والبرق والرعد والمطر فبهرته قوتها العظيمة. وربما اعتقد أن لهذه القوى تأثيرات على حياته، فراح يتوسل إليها ويقدم لها الأضاحي والتعاويذ لاسترضائها أو يقرع لها الطبول لطردها . وفي مثل هذه الأجواء ظهر "الطبيب الساحر" الذي يستعين بقوى الخير ويطرد قوى الشر [4].

كان الجميع يشاركون في أول الأمر في حفلات الطقوس، إلا أن هناك من الدلائل ما يشير إلى بدء نوع من التخصص عند نهاية العصر الحجري القديم فالرسم على جدران الكهوف البعيدة والتي يصعب الوصول إليها لم يكن يقدر عليه سوى فنانون مدربون، وهم، فضلا عن ذلك، لا بد قد أسهموا في عملية مطاردة الحيوانات بقدر كاف يتيح لهم الحصول على نماذج لرسومهم ودراستها على الطبيعة. وقد تعثر أحيانا بين هذه الرسوم على صور أشخاص يرتدون أزياء تمثل بعض الحيوانات، ولا بد أن لهم مكانة خاصة، ففي معظم القبائل البدائية المعاصرة نجد رجال الطب الذين يظن أن لهم صلات معينة بالقوى التي يحسبون أنها تسيطر على النواحي العامة من الكون – وفي مقدمتها الطعام- إلا أنها تشمل أيضا الصحة والحظ. كان هؤلاء الناس يعفون إلى حد ما من العمل الدائم في مجال الطعام أو صناعة الأدوات، وكانوا في المقابل يزاولون فنونهم السحرية لخدمة الصالح العام.

---

١ ول ديورانت، قصة الحضارة، المرجع السابق ص ١٣٧

٢ الحضارة الطبية في مصر القديمة، د. بول غليونجي وزينب الدواخلي، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥، شكل ٨٣ و ٨٥

٣ رنيه تاتون، تاريخ العلوم العام، المجلد الأول، ترجمة علي مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ص ٢١

٤ د. سامي حمارنة، تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين، المجلد ١، منشورات جامعة اليرموك ١٩٨٦ ص ١٩

وكانوا أيضاً مسؤولين عن الحفاظ على التعليم التقليدي، ومن ثم عن تطويره في مجتمع نام. وعلى هذا فإن هؤلاء الرواد القدامى هم السلالة المنحدرة من صلب الملوك والقساوسة والفلاسفة والعلماء المقدسين[١].

وتاريخ الصناعة الطبية ليس بالأمر السهل للبت فيه، وذلك أن هذه الصناعة محاطة بالكثير من التقاليد والغموض، ومتأثرة بحضارات عديدة سحيقة في القدم، حتى بات العلماء الثقات يختلفون في أمر نشأتها وتطورها ومكان ظهورها، وذلك حسب رأي ابن أبي أصيبعة (١١٩٩ – ١٢٧٠ م) والذي يعد مؤرخ الصناعة الطبية في الإسلام[٢].

وابن أبي أصيبعة، هو موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة السعدي الخزرجي، ولد في دمشق عام ٦٠٠ هـ، وكان أبوه يسمى بالكاحل أي المختص بمعالجة العيون، فأخذ العلم عن والده ثم سافر للقاهرة والتحق في المارستان الناصري الذي أنشأه الملك الناصر صلاح الدين، وألف هذا كتاباً لأمين الدولة وزير الملك الصالح، "كمال الدين شرف الملة أبي الحسن بن غزال بن أبي سعيد" .

وعن صناعة الطب يقول ابن أبي أصيبعة في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" أن : "صناعة الطب من أشرف الصنائع وأربح البضائع، وقد ورد ذكرها في الكتب الإلهية والأوامر الشرعية، حتى جعل علم الأبدان قرينا لعلم الأديان" (يشير ابن أبي أصيبعة في الجملة الأخيرة إلى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله "العلم علمان، علم الأبدان وعلم الأديان") [٣].

ويذكر ابن أبي أصيبعة أنه يعسر الكلام في كيفية وجود صناعة الطب وأول حدوثها، وينقل مؤيدا رأي جالينوس – في تفسيره لكتاب الإيمان لأبقراط – إن البحث فيما بين القدماء عن أول من وجد صناعة الطب لم يكن بحثاً يسيراً.

ويورد الآراء المختلفة لمن قال بأن صناعة الطب قديمة ومحدثة، أو أن الله تعالى ألهمها الناس، وأصحاب هذا الرأي على ما يقوله جالينوس وأبقراط وجميع أصحاب القياس وشعراء اليونان. ومنهم من يقول أن الناس استخرجوها وهؤلاء قوم من أصحاب التجربة، وهم أيضاً مختلفون في ذلك، فبعضهم يقول إن أهل

---

١ جون برنال، العلم في التاريخ، ترجمة د. علي ناصف، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، ١٩٨١ ص ٩٤

٢ د. سامي حمارنة، تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين، المجلد الأول، منشورات جامعة اليرموك ١٩٨٦ ص ١٩

٣ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، دار الثقافة – بيروت ج١ ص ٧ وسيشار إلى هذا المرجع فيما بعد هكذا "ابن أبي أصيبعة"

مصر استخرجوها، وبعضهم يقول ان هرمس [١] استخرج سائر الصنائع والفلسفة والطب وبعضهم يقول إنها خرجت من اليونان، وأن أهل موسيا وافروجيا استخرجوها، فمنهم أول من استخرج الزمر – الموسيقى–، فكانوا يشفون بتلك الألحان والإيقاعات آلام النفس والبدن.

كما يذكر أن البعض يعتقد بخروج هذه الصناعة من سحرة أهل اليمن، أو سحرة فارس أو بابل أو من الكلدانيين، أو الهند [٢].

أما الفلاسفة اليونان ومنهم الطبيبان جالينوس وأبقراط فيريان أن الله خلق صناعة الطب، واحتجوا في ذلك بأنه لا يمكن في هذا العلم الجليل أن يستخرجه عقل إنسان، لأن الطب ليس أقل من الفلسفة التي يرون أن استخراجها كان من عند الله.

وينقل ابن أبي أصيبعة رأي الشيخ موفق الدين أسعد بن إلياس بن المطران عن كتابه "بستان الأطباء وروضة الألباء" الذي يقول فيه : "أن تبعيد حصول هذه الصناعة باستنباط العقول خطأ، وتضعيف العقول التي استنبطت أجلَّ من صناعة الطب" ويرى أن الإنسان الأول اكتسب خبرات طبية مما كان يحدث معه من حوادث، حتى استخرجت العجائب واستنبطت البدائع، وأتى الثاني فوجد الأول وقد استخرج شيئا جربه فوجده حقاً فاحتفظ به وقاس عليه.. وإذا غلط متقدم سَدَّد متأخر وإذا قصَّر قديم تمَّم محدث، وهكذا في جميع الصناعات [٣].

وتفسير ابن المطران هذا يتفق مع العلم الحديث في مبدأ حصول التقدم في العلوم بالتراكمية "Accumulation".

وهذه التراكمية ربما هي التي عناها الرازي "طبيب المسلمين غير مُدافع" كما لقبه القفطي، حيث يقول الرازي : "إن هذه الصناعة – الطبية – أطول من مقدار عمر الإنسان بكثير.. فإنما أدرك من هذه الصناعة إلى هذه الغاية في ألوف السنين ألوف من الرجال. فإذا اقتفى أثرهم صار ما أدركهم كلهم في زمان قصير وصار كمن عُمِّر تلك السنين وعني بتلك الغايات وان لم يكن ينظر في كتبهم، فكم عسى تراه يمكن أن يشاهد في عمره وكم مقدار ما يبلغ تجربته واستخراجه ولو كان من أعقل الناس وأذكاهم على أن من لم ينظر في الكتب ولم يفهم صورة العلل في نفسه قبل مشاهدتها. فهو وإن شاهدها مرات كثيرة أغفلها ومر بها صفحاً ولم يعرفها البتة" [٤].

ومع أن اهتمام ابن أبي أصيبعة في كتابه كان منصباً في أساسه على الأطباء وليس الطب، فإننا نستطيع أن نتبين تطور التفكير الطبي في مجال الطب من

---

١ هرمس المقصود به النبي ادريس

٢ ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ص ١٠ – ١١؛ ابن النديم ٣٤٥ – ٣٤٦

٣ ابن أبي أصيبعة ج١ ص ١٤

٤ الرازي، المنصوري في الطب، شرح وتحقيق د. حازم البكري الصديقي، منشورات معهد المخطوطات العربية – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت ١٩٨٧ ص ٢٣٥ و ٢٣٦؛ القفطي ص ١٧٨

كتابته خصوصاً في الباب الأول الذي يتحدث فيه عن كيفية وجود صناعة الطب وأول حدوثها.

فهناك إشارة عابرة إلى ارتباط بدء الطب بالسحر في اليمن وبابل وفارس. ثم تأتي مرحلة الارتباط بالفكر الديني، فهو يروي عن أبي عباس أن سليمان بن داوود عليهما السلام كان إذا صلى فرأى شجرة نابتة سألها عن اسمها وعما إذا كانت دواء لمرض ما فتخبره.

ويذكر أن اليهود ذكروا أن موسى عليه السلام أوحي إليه سفر الأشفيه، وأن هرمس عاش بين النبطيين والسريانيين الذي اكتشفوا مبادئ الطب، فنقله إلى مصر .

وكل هذا يشير إلى مرحلة الكهانة في التفكير الطبي التي كان الطبيب فيها من الكهنة وكان العلاج يعتمد على الصلوات وتقديم القرابين إلى الآلهة القادرة على تخليص المريض من مرضه .

أما ما هو مشهور من بقايا هذه المرحلة، وما ظل يمارس وقتاً طويلاً عند الإغريق، فهو الرؤيا الصادقة التي كانت تتجلى للمداوين في الهياكل اليونانية بمدينتي قوس (قو) وقرغامس، فقد روي عن جالينوس أنه كان كثيراً ما يوحى إليه عن طريق الرؤيا لعلاج الأمراض [1].

ويقول د. محمد عماد فضلي : إن المرحلة الإمبريقية في مجال الطب بدأت بالخبرة الشخصية التي يمر بها المشتغلون بالطب بالاتفاق والمصادفة ثم تصقل فيما بعد، وترق حواشيها. ومن أشهر أمثلة هذه المرحلة أن المريض الذي يثقل جسمه وتحمر عيناه وتصيبه علامات الامتلاء الدموي، كان يشفى مما ألم به إذا أصابه الرعاف، ومن هنا عرف الفصد. ومثل هذا حدث مع القيء والإسهال .

وهناك مصدر آخر لهذه الخبرة الشخصية وهو مشاهدة التصرف الفطري عند الحيوانات التي تلجأ إلى أكل أعشاب معينة أو مواد في الأحجار والطين لتشفى من أمراضها.

ثم نجد إرهاصات بالمنهج التجريبي المقصود والذي تمثل في أن الطبيب إذا ما ظن أن أدوية تنفع في العلاج فإنه يجربها في الحيوانات واحداً بعد آخر حتى يقع على الدواء الناجح [2].

ويقول القفطي أن إدريس النبي صلى الله عليه وسلم "هو أول من استخرج الحكمة وعلم النجوم، فإن الله عز وجل أفهمه سر الفلك وتركيبه" [3].

وينقل ابن النديم والقفطي عن محمد بن اسحق قوله : "اختلف في أول من استنبط، ومن أول الأطباء كان. فقال اسحق بن حنين في تاريخه : قال قوم إن أهل مصر

---

١ من محاضرة بعنوان "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" للدكتور عماد فضلي، الأمين العام للاتحاد العربي لأطباء العلوم العصبية، آذار ١٩٩٥

٢ المرجع السابق

٣ القفطي ص ٣

استخرجوا الطب، والسبب في ذلك أن امرأة كانت بمصر، وكانت شديدة الحزن والهم، مبتلاة بالغيظ، ضعيفة المعدة، وصدرها مملوء أخلاطاً رديّه. وكان حيضها محتبساً، فاتفق أن أكلت الراسن شهوة منها، فذهب جميع ما كان بها، ورجعت إلى صحتها، وجميع من كان به شيء مما كان بها استعمله فبرىء به.

وبعض يقول إن أهل "قو" ويقال قوس (باليونان) استخرجوها ويحتجون على ذلك من الأدوية التي ألفتها لزوجة الملك الذي كان بها. وبعض يقول المستخرج لها السحرة. وقيل أهل بابل وفارس والهند واليمن وقيل الصقالبة [1].

وتروي كتب القدماء من العرب وغيرهم قصصا عن معرفة الأمراض ووسائل علاجها بالإلهام أو صدق الأحلام والرؤيا. وينقل ابن أبي أصيبعة عن جالينوس قوله في كتابه في الفصد: إني أمرت في منامي بفصد العرق الضارب الذي بين السبابة والإبهام من اليد اليمنى، فلما أصبحت فصدت هذا العرق وتركت الدم يجري إلى أن انقطع من تلقاء نفسه، لأني كذلك أمرت في منامي فسكن بذلك عني وجع كنت أجده قديماً [2].

وقيمة مثل هذه القصص محصورة في الإشارة إلى مستوى الأفكار الطبية فيها في تلك الفترة، والعلم الحديث يفسرها بأن ما حصل لهم من فرط الاهتمام بمثل هذه المسائل فيناموا مشغولي البال بها فتظهر لهم الرؤيا بأشكال جديدة من العلاج كانت هي نفسها تدور في أفكارهم .

ويقول الباحث د. كمال السامرائي كان الدين والسحر والطب من أوائل المعارف التي مارسها الإنسان الأول، وقد ترابطت فيما بينها، فلا يخلو طرف منها من لمحات أحد الطرفين الآخرين[3].

ويضيف د. السامرائي لقد كان الإنسان منذ أقدم العصور يعتقد أن الأمراض كغيرها من الظواهر الطبيعية التي قاتلت الإنسان الأول من صنع الأرواح الشريرة فتحايل على إبطال فعلتها بالشعوذة.

ولما ظهر الدين في عقيدة الإنسان صار هذا يعتقد أن الأمراض من غضب الآلهة، وأن هذه إذا ما استرضيت بالصلوات والقرابين فإنها تشفي المريض.

فنصب سدنة المعابد أنفسهم وسطاء بين الآلهة والمرضى، وصاروا يمارسون طقوس التعبد كطريقة لعلاج الحالات المرضية[4].

---

١ الفهرست لابن النديم ص ٢٤٥؛ القفطي ص ٦٥

٢ ابن أبي أصيبعة، ج١، ص١٨

٣ د. كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، دار النضال – بيروت ١٩٨٩، ج ١، ص ٢١ وسيشار إلى هذا المرجع فيما بعد هكذا: د. السامرائي، مختصر تاريخ ...

٤ د. السامرائي، مختصر تاريخ ...، ص ٢٤

وفي أحيان أخرى تم "اللجوء إلى استعمال الآلات الموسيقية لعلاج الأمراض وشفائها بواسطة الألحان والغناء" [١].

ولم يقف نشاط أطباء عصور ما قبل التاريخ عند حد التمائم [٢] والخرافات، فقد عرفوا طائفة متنوعة من الجراحات والأدوات الجراحية، وكانوا يشرطون الأنسجة بمُدى من الحجر الزجاجي الأسود أو الصوان المرهف.

وعرف بعضهم غرس الإبر أو الدبابيس في القذال [٣] للتخفيف من ضغوط الآلام العصبية على الدماغ.

ومارس بعضهم تَرْبَنَة (أو ثقب) الجمجمة Trepanation منذ أيام هنود البيرو، ليخففوا من وقع الصرع في الحالات التي تبدو النجاة فيها شبه مستحيلة. وكانوا ينجحون في تسع حالات من كل عشر حالات (حسب رأي المؤرخ المشهور ول ديورانت)، بينما كانت هذه الجراحة نفسها عام ١٧٨٦م تنتهي بالموت في جميع الحالات في مستشفى اوتيل – ديو في باريس [٤].

وإلى الكهنة يرجع الفضل (برأي باحث آخر) في إدخال كثير من الوصفات الصحية بحجة الدين، مثل تحريم لحم الخنزير والصيام والنظافة [٥].

وعلى ذلك يتبين أن معرفة الإنسان بالأعشاب والعقاقير هي برأي المؤرخ سارتون: "معرفة تجمعت من تجارب عملية منذ آماد بعيدة، ومن محاولات وأخطاء استمرت مئات وآلافاً من السنين. ومن المستحيل علينا أن نفهم كيف – وإلى أي مدى – تكررّت تلك التجارب الغامضة العرضية، وكيف لوحظت نتائجها، ونقلت من جيل إلى آخر، ولكن الحقيقة الواقعة، أن أسلافنا فيما قبل التاريخ دأبوا كدأب الأقوام البدائيين، وتمكنوا من أن يجربوا كثيراً من أنواع النبات والأشياء الأخرى وأن يصنفوها في مجموعات متنوعة، تبعاً لمنفعتها أو خطرها. فالرعاة لا بدّ أن يكونوا تعلموا طرقا بسيطة لتجبير العظام المكسورة أو المخلوعة، وبالضرورة استخدام التوليد، واستطاعت المولدات الذكيات أن يدخلن تحسينات في وسائلهن، ويعلمنها للصغار من مساعداتهن. وفي كل هذه الحالات كان المعلم الجيد الصارم حاضراً على الدوام، وذلك هو ضرورة، فإذا تهشمت ذراع رجل من عضة حيوان مفترس، أو صدمة حجر ساقط، وإذا انكسرت ساق إنسان، وإذا زاد التعب على امرأة في أثناء مخاضها، كان لا بدّ في كل هذه الأحوال من اتخاذ إجراء سريع. وكذلك استلزمت المتاعب المرضية الأخرى

---

١ د. سامي حمارنة، تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين، منشورات جامعة اليرموك، المجلد الأول ١٩٨٦ ص ٢٠ وسيشار إلى هذا المرجع هكذا د. حمارنة، تاريخ تراث ...

٢ جمع تميمة وهي الحجاب – بلغة العامة، وماأُعلّق في العنق لدفع العين – المعجم الوسيط-

٣ ما بين الأذنين من مؤخر الرأس

٤ ول ديورانت، قصة الحضارة، مرجع سابق ص ١٣٩

٥ د. عامر النجار، في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، دار المعارف، ط٢، ١٩٨٧ ص ١٨، وسيشار إلى هذا المرجع فيما بعد هكذا: د. النجار، في تاريخ الطب ...

حلولاً عاجلة، وربما يكون العلاج من أوائل المهن التي احترفها الإنسان. وربما ينجح القائم على العلاج في بعض الأحيان – وتكون فرص نجاحه أكثر احتمالاً أن تذكر من فرص الفشل – فيذيع اسمه ويقلده غيره. ونستطيع أن نكوّن فكرة عن طب ما قبل التاريخ إذا وازناه بعمل نصفه تجريبي ونصفه سحري، وهو ما درج عليه رجال الأدوية البدائية .

كل هذا ظنيٌّ بالضرورة، ولكن عندنا – في حالة واحدة على الأقل – شواهد مباشرة وفيرة دالة على نوع جريء من عملية جراحية. وذلك أن كثيراً من الجماجم التي وصلت إلينا مما قبل التاريخ بها آثار تربنة (ثقب)، وربما يسأل القارئ : "كيف عرفتم أن العملية جرت على رجال أحياء، وأنها لم تجر على جماجم فارغة لأغراض دينية؟"، وجوابنا أننا نعرف ذلك جيداً، فإن الخرق الذي يثقب في جمجمة رجل حيّ يميل إلى الالتئام بذاته، وفي الجماجم التي وصلتنا نستطيع أن نرى في وضوح نمو عظمة جديدة. وبعد، فلماذا ثقبت الجمجمة ؟ ذلك سؤال لا نستطيع الإجابة عنه. من الجائز أن الجراح أراد تخفيف ضغط غير محتمل، ناتج من ارتجاج في المخ. وهناك سؤال آخر : "كيف أجريت العملية؟" الجواب أن بعض أنواع المثاقب كانت معروفة ومستعملة لدى صناع العصر الحجري القديم، بدليل وجود أحجار مثقوبة، فضلا عن وجود مثاقب في مواضع أثرية قديمة. الواقع أن ثقب حجر بمثقب من حجر لا بد أن كان عملا طويلاً جداً، وأن ثقب جمجمة لا بدّ أن كان – على الأقل – سهلا نسبيا على الجراح وإن لم يكون سهلاً على المريض"[1].

---

١ جورج سارتون، تاريخ العلم، دار المعارف بمصر، ١٩٥٧ ص ٥٠ – ٥٢

الطب في مصر القديمة "الطب الفرعوني"

يعتبر الطب المصري الفرعوني من أقدم الطب العالمي، فمثلا عرف المصريون الختان منذ أكثر من ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد. وبالرغم من أن الطب ارتبط بالدين المصري القديم وبالكهانة أحياناً وبالسحر والتنجيم فإن ذلك لم يمنع من تطور الطب عند المصريين.

وقد عرفت العصور المصرية القديمة الكثير من الأطباء المهرة، فقد كان "أمنحتب"[1] طبيباً مشهوراً وبسبب شهرته أصبح معبوداً مصرياً، ورفعه المصريون إلى مصاف الآلهة وجعلوه "رب الشفاء"[2].

ويبدو عند كثير من الشعوب، أنه يتم وضع هالة قداسة على الأطباء المهرة، كما تم ذلك أيضا مع اسقيلبيوس وأبقراط "وما كان عليه من التأييد الإلهي" على حد قول ابن أبي أصيبعة وكذلك مع ابن سينا[3].

وتخبرنا دراسة "المصريات" أن الطب عند قدماء المصريين كان حرفة محترمة، وجعلوا تعليمه في معاهد ملحقة بدور العبادة تقديراً واحتراماً مع أن تاريخ الطب يؤكد ارتباطه في البدايات المبكرة مع الدين والسحر، حيث كان "الساحر والكاهن يقوم بطقوسه التقليدية كجزء من معالجته للمريض"[4].

وكان الطبيب في مصر الفرعونية يحظى بمكانة رفيعة وتقدير عظيم، ليس أدل منه على الألقاب التي أطلقت عليه مثل "طبيب القصر، سمير (نديم) فرعون، رئيس بيت المال، مقدم القرابين، إله السحر، عميد أطباء القصر، مفسر الفن السري، حامل أختام الملك، المبجل لدى الإله الطبيب (الملك)، المشرف على هرم تيتي"[5].

كما أن بعض ملوك الفراعنة مارسوا هذه الصناعة وبرعوا فيها حسب الروايات التاريخية. وكانت لجميع الآلهة المعروفة في مصر القديمة علاقة من قريب أو بعيد بالصحة والمرض، وتعتبر "إيزيس" أشهرها وإليها يعزى الشفاء، وتوت Thot إله الطب والمعرفة.

---

١ وزير الملك زوسر في القرن الثلاثين ق. م.

٢ تاريخ العلوم عند العرب، د. عمر فروخ وشركاؤه، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٥٨؛ سارتون، ٣ تاريخ العلم، مرجع سابق ص ١١٢ و ١١٣

٣ ابن أبي أصيبعة، ج ١، ص ٢٧ و ٤١؛ تراث الإسلام، تأليف مجموعة من المستشرقين ، دار الطليعة، بيروت ط٣، ١٩٧٨، ص ٤٧٢؛ القفطي ٨

٤ د. السامرائي، مختصر تاريخ...، ص ٣٥

٥ الألقاب مأخوذة من شروحات وردت مع تماثيل ومكتشفات فرعونية في كتاب "الحضارة الطبية في مصر القديمة، د. بول غليونجي وزينب الدواخلي، دارالمعارف بمصر، شكل ١٣ وما بعده

وقد أقاموا لتلك الآلهة معابد وجعلوا بها مدارس للطب وتعليم الدين وأطلقوا عليها "بيوت الحياة" وألحقت بها أماكن مخصصة لإقامة المرضى والنساء العقيمات.

وقد اختص بصناعة الطب رجال الدين غالباً لأن التطبيب في نظرهم لا يتم إلا عن طريق العبادة[1].

وان لفظ "الهيروغليفية" نفسه معناه "كتابة الكهنة".

كما مارست المرأة في مصر الفرعونية الطب ووصل بعضهن إلى مراتب عليا ومنهن من وصلت رئيسة الطبيبات، ومن ألقاب رئيسة الطبيبات هذه : "المشرفة على شؤون الملك، رئيسة كهنة الروح لأم الملك"[2].

ويذكر هيرودوت (أبو التاريخ) أن بعض الأطباء في مصر في القرن الخامس قبل الميلاد جعلوا لأنفسهم اختصاصاً في بعض الأمراض يتفرغون للبراعة فيه. فمنهم من كان للأمراض الباطنية ومنهم من كان للرأس[3].

كانت مصر القديمة مركز الطب في العالم القديم، وفي زيارته عام ٤٤٨ ق. م. وصف هيرودوت مصر القديمة بأنها بلد التخصص في الأطباء، وأن كل طبيب يعالج مرضا لا يتعداه، ومن أطبائها من تخصص في الرأس.

كما كان المصريون سادة العلم في الأدوية والعقاقير وقد تغنى هوميروس الإغريقي بمصر الزاخرة بالعقاقير[4].

وكانت للطقوس السحرية والدينية دور رئيسي في معالجة المرضى، وكان على المريض والطبيب أن يتلو الصلوات عند المعالجة، واستعملوا أيضا الأدوية والعقاقير، وقاموا بتدخلات جراحية عندما تطلب الأمر ذلك.

وقد ربط المصريون الكثير من علومهم بالفلك وحركة النجوم، ويبدو أن عرب الجزيرة العربية، أخذوا عنهم بعض ذلك فربطوا الكثير من الأمراض بالكواكب والنجوم.

وحقق قدماء المصريين نجاحات طبية بارزة سبقوا غيرهم فيها، وما فنُّ التحنيط عندهم إلا أحد قرائن هذا التقدم الطبي.

---

١ من تاريخ الصيدلة، أحلام استيتية، ص ٢٠

٢ أنظر الحضارة الطبية في مصر القديمة، د. بول غليونجي وزينب الدواخلي، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥، شكل رقم ١٠

٣ الطب والتحنيط في عهد الفراعنة، د. يوليوس جيار و د. لويس رويتر، تعريب انطون زكري، ص ٢٩

٤ الدكتورة ابتسام الدلال، تاريخ الطب في الحضارة المصرية، مجلة الجمعية الطبية البحرينية، مجلد ٣، عدد ٢، آب ١٩٩١ ص ص ١١٩ – ١٢١

كمـــا كان "اللبان" يجذب المصريـيــن إلى جنوبي الجزيرة العربية [١] وقد كانــــوا يقدرونه كثيراً، إذ كانوا يحرقونه في هياكلهم، عند التعبد ومعالجة المرضى، ويستعملونه في تحنيط موتاهم[٢].

وقد وصف أحد أطباء قدماء المصريين "المخ وأغشيته والسائل النخاعي المخي، وتعاريج المخ وشبهها بالنحاس المصهور، ووصف كسر الفقرات، وأن إحداها تنغرز في الفقرة التالية كما تنغرز القدم في الأرض المنزرعة.

وكان يعلم أسباب كسر السلسلة الفقرية وما يصحبها من شلل، وأعراض الضغط على المخ وما يتبعه من فقد الوعي والشلل أو موته يتوقف على النبض داخل الجمجمة أهو موجود أم غير موجود.

ويصف تصلب الرقبة والنزيف تحت الملتحمة من المنخرين والأذنين ويعلم بالضبط قيمة ذلك في التشخيص والعلاج وهو يذكر الشلل النصفي والكلي"[٣].

وقد وصل إلينا كتاب في الجراحة، من نحو عام ٢٠٠٠ ق. م. فيه ذكر للدماغ وأنه يسيطر على أطراف البدن فإذا أصيب الدماغ بأذى في مغرز متصل بأحد الأطراف لحق بذلك الطرف ضرر[٤].

---

١ تشتهر سلطنة عُمان بشجر اللبان هذا، حيث تعتبر اكبر منتج لهذه المادة في العالم حتى يومنا هذا، وما زالوا يستعملونه كالبخور في مناسباتهم

٢ تاريخ العرب، د. فيليب حتي، دار غندور، بيروت، ط ٥ ١٩٧٤، ص ٦٣

٣ د. النجار، في تاريخ الطب ...، ص٢٠

٤ المرجع السابق ص ٢٢

عملية ثقب الجمجمة

الغريب، أن الإنسان وهو في تلك المعيشة والبدائية، كان يمارس عملية جراحية من العمليات الصعبة والدقيقة في الطب الحديث، تلك هي عملية ثقب الجمجمة Craniotomy "التربنة" – أو حجّ القحف –.

واستعمل لإجرائها شظايا الصوان الحادة. وأكثر الاحتمال أنه أجرى العملية المذكورة لمعالجة بعض الأمراض العصبية والنفسية. وكان يومئذ يعزو هذين المرضين إلى دخول روح خبيثة في رأس المريض، فيفتح الطبيب في "قحفه" نافذة دائرية أو مربعة ليُخرج منها تلك الروح[1].

ولقد أثبتت الاكتشافات الأثرية سواء في بلدان المشرق أو المغرب أن العديد من الجماجم الإنسانية قد أجريت فيها عمليات جراحية، بسبب الثقوب الموجودة في هذه الجماجم.. ووجود مثاقب في أماكن أثرية عديدة تعود للعصر الحجري القديم، وذلك في كل من مصر واليونان وبعض البلدان العربية[2].

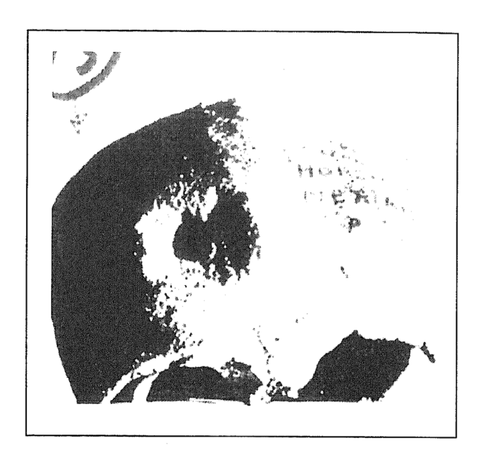
ونشر د. بول غليونجي وزينب الدواخلي في كتابهما "الحضارة الطبية في مصر القديمة" عدة صور لجماجم ظهرت فيها عمليات التَّرْبَنَة، ومنها ثلاث جماجم من العصر الفرعوني بها ثقوب مستديرة ذوات حواف ملساء يحتمل أن تكون نتيجة لعمليات التَّرْبَنَة ومنها شكل (ص ٢٧و٢٩) وهو عظمة جمجمة لطفل بها ثقب ومحفوظة في محف كلية الطب بجامعة القاهرة.

١د. السامرائي، مختصر تاريخ..، ص ٢٧

٢أنظر تاريخ العلوم عند العرب، د. عمر فروخ وشركاؤه، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٠ ص ١٥٧



صورة تبين عملية التربنة في مصر القديمة
الجمجمة من معروضات متحف التشريح بكلية طب جامعة القاهرة
(تلطف د. محمد الطماوي بإرسالها مع الشكر)



صورة أخرى قد تكون عملية التربنة

وبلغ من سمو مكانة الأطباء أن طار صيتهم خارج مصر فلجأ أمراء سورية وأباطرة فارس إلى أخصائيين من وادي النيل، بل إن اليونانيين كانوا يحيطون أطباء مصر بهالة من التمجيد والإجلال. وتشير (ملحمة) الأوديسة إلى دواء معجز لعله كان سلف المهدئات الحالية، تلقته هيلانة من بوليداما زوجة ثون الذي كان ملكاً أسطورياً على مصر "تلك الأرض التي أطباؤها أعلم من أطباء غيرها من الأرضين لأنهم من أرومة بيون طبيب الآلهة"[1].

وفي جامعة الاسكندرية، التي أنشئت في أوائل القرن الثالث قبل الميلاد، في عهد بطليموس الأول، اجتمع علماء الإغريق وعلماء المشرق حيث كانت أكاديمية تدرس فيها مختلف أنواع العلوم والمعارف. وفيها نبغ عدد من أساتذتها في علوم الطب وخاصة في التشريح، فاستطاع علماؤها سبق غيرهم في وصف بعض أجزاء الدماغ، كما عرفوا الأعصاب بنوعيها الحسي والحركي، وميزوا بينها وبين الأوتار العضلية[2].

ومن علماء الإسكندرية آنذاك بولس الإيجنطي (٦٢٥ – ٦٩٠ م) وأعماله الجراحية المشهورة فهو الذي وصف ثقب الجمجمة.

وقد وجدت برديات مصرية تعود للقرنين السابع عشر والسادس عشر قبل الميلاد تشير إلى تقدم الطب المصري ومنها "بردية إيبرز" التي حوت على وصفات طبية لأنواع متعددة من الأمراض أو أعراضها منها أمراض الرأس والأمراض الجراحية.

كما حوت "بردية سميث" على حالات مرضية عن أمراض الرأس والجمجمة والعمود الفقري، كما وردت فيها كيفية المعالجة والتشخيص[3].

وكان الفراعنة يدونون أعمالهم على ورق البردى بينما كانت بلاد ما بين النهرين تدون أعمالها على ألواح صغيرة من الطين المشوي سميت الرقم[4].

وهذا يعني أن كثيراً من الآثار الطبية لبلاد ما بين النهرين قد ضاعت أو تلاشت بسبب تلف هذه الرقم مع أحوال العاديات – الطبيعية والبيئية – فيما بقيت آثار ومخلفات المصريين القدماء لأنها نقشت على الحجر وكتبت على أوراق البردى.

وفي كتابه الموسوعي "قصة الحضارة" يقول: "ول ديورانت" إن أكبر مفخرة علمية للمصريين هي علم الطب. ويقول عن بردية "إدوين سميث" أنها تظل أقدم وثيقة علمية معروفة في التاريخ. وما أشاره مؤلفها في وضوح لا نجد له مثيلاً

---

١ د. شارك كوينتز، مدير أسبق للمعهد الفرنسي للآثار الشرقية في تقديمه لكتاب "الحضارة الطبية في مصر القديمة"، د. بول غليونجي وزينب الدواخلي، دار المعارف بمصر ١٩٦٥ ص ٢

٢ د. عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم، دار المعارف، ط٤، ١٩٧١، ص ١٢٢

٣ تاريخ العلوم عند العرب، مرجع سابق ص ص ١٥٨ – ١٥٩

٤ د. السامرائي، مختصر تاريخ...، ص ٤٢ "مرجع سابق"

قبل القرن الثامن عشر الميلادي "إلى أن المركز المسيطر على الطرفين السفليين في أطراف الجسم كان في المخ"[1].

١ قصة الحضارة، ول ديورانت، ج٢ ترجمة محمد بدران، ص ١٢٤

بردية إدوين سميث في الجراحة

تعد بردية إدوين سميث في الجراحة أقدم رسالة علمية في العالم، وضعها طبيب مصري قديم لم يعرف اسمه، ولعل تاريخ البردية يرجع إلى الفترة (٣٠٠٠ – ٢٥٠٠ ق. م.) وهي تبين مدى تقدم الجراحة عند المصريين القدماء. وقد عثر على هذه البردية عالم الآثار الأمريكي إدوين سميث في إحدى المقابر الفرعونية بمصر عام ١٨٦٢ وترجمها من الهيروغليفية إلى الإنجليزية "بريستد" ثم ترجمها إلى العربية ونشرها د. محمد كامل حسين مع شرح لها في كتابه متنوعات.
وفي البردية وصف لثمان وأربعين حالة طبية يبدأها مؤلفها بجروح الرأس، ثم شروحات د. محمد كامل حسين[1].

الحالة الأولى :

إرشادات خاصة بجرح في رأسه نافذ إلى عظمة جمجمته.
إذا فحصت رجلاً عنده جرح في رأسه إلى عظم جمجمته دون قطع فيجب أن تضع يدك عليه فإذا وجدت جمجمته سليمة دون نفاذ أو كسر أو شق فيجب أن تقول عنه رجل عنده جرح في رأسه وجرحه ليست له شفتان وليس به شق مع أنه نافذ إلى عظم رأسه، مرض سأعالجه.
يجب أن تربط عليه لحماً طرياً في اليوم الأول، وعالجه بعد ذلك بالدهن والعسل والكتان كل يوم حتى يبرأ.

شرح ١ :
** قوله إذا "فحصت" رجلاً يعني العَدّ كأنك تعد أشياء بالكيل أما عن الفحص (حرفياً العَدّ) فهو مثل عد كمية معينة. بالكيل أو عد شيء على الأصابع لتعلم ... عد شيء بالكيل هو مثل قياس عد المرأة وقياس مرض رجل هو لأجل أن تعلم علم القلب لأن هناك قنوات أو (عروق) فيه (القلب) لكل عضو وإذا وضع كان سخمت أو أي طبيب يديه أو أصابعه على الرأس أو مؤخر الرأس على اليدين أو على النبض أو على القدمين فانه يقيس القلب لأن نبضه في كل عرق في كل عضو. وقوله يقيس قلبه يعني من أجل الأوعية.*

---

١ أعاد د. عامر النجار نشر نص البردية الكامل عن كتاب متنوعات للدكتور محمد كامل حسين، في تاريخ الطب..، مرجع سابق ص ٢٣٤ – ٢٣٦

ويقول العالم الكبير الدكتور محمد كامل حسين :

** هذا الشرح على أهميتة غامض لنقص بعض أجزائه الهامة ولـم أحـاول أن أجعله أوضح ولم أشأ أن أجعل عبارته أكثر استقامة خوفا من تشويه الأصل على أن ما بقي من هذا الشرح يدل على علم العروق والقلب وعد النبض لمعرفة عمل القلب[1].*

التي تذهب إلى رأسه ومؤخرة رأسه وقدميه.. قلبه حتى يعرف العلامات التـي نشأت هناك يعني يقيسه ليعرف ما حدث له.

شرح ٢ : وجرحه ليست له شفتان يعني أن جرحه ضيق دون انفراج شفته عن الأخرى.

شرح ٣ : نافذ إلى عظمة جمجمته دون شق يعني أن اللحم به جرح ولـو أن... فوق عظمة جمجمته دون انفراج شفة عن الأخرى أي ضيق غير واسع.

الحالة الثانية :

إرشادات خاصة بجرح منفرج في رأسه نافذ إلى العظم.

إذا فحصت رجلاً عنده جرح منفرج في رأسه نافذ إلى العظم فيجـب أن تضـع يدك عليه ويجب أن تفحص بأصابعك (جرحه) فإذا وجدت جمجمته سليمة لـيس بها نفاذ. فيجب أن تقول عنه رجل عنده جرح منفرج في رأسه، مرض سأعالجه يجب عليك أن تربط عليه لحماً طرياً من اليوم الأول وأن تضع عليه قطعتين من الكتان وتعالجه بعد ذلك بالدهن والعسل والكتان حتى يبرأ.

شرح ١ : عن (جرح منفرج في رأسه نافذ إلى العظم) يعني... جرحه.

شرح ٢ : قوله قطعتان من الكتان يعني رباطين من الكتان يضعهما على شفتي الجرح المنفرج ليجعل إحداهما تقرب الأخرى.

شرح ٣ : قوله ليس به شق أو نفاذ أول فيه كسر يعني ...

الحالة الثالثة :

إرشادات خاصة بجرح منفرج في رأسه إلى العظم خارق لجمجمته.

إذا فحصت رجلاً عنده جرح منفرج في رأسه نافذ إلى العظم خارق لجمجمتـه فيجب أن تجس جرحه فإذا وجدته لا يستطيع أن ينظر إلى كتفيه وصدره وهـو يشكو تصلباً في رقبته فيجب أن تقول عنه رجل عنده جرح منفرج في رأسه إلى العظم خارق لجمجمته وهو يشكو تصلباً في رقبته مرض سأعالجه. الآن بعد أن تخيط الجرح يجب أن تضع على جرحه لحماً طرياً في اليوم الأول ويجب أن لا تربطه ويجب أن تشد المريض إلى عصى مرساة حتى تنتهي مدة إصـابته وأن تعالجه بعد ذلك بالدهن والعسل والكتان كل يوم حتى يبرأ.

---

١ محمد كامل حسين

شرح ١ : *قوله لا يستطيع أن ينظر إلى كتفيه وصدره يعني ليس من السهل عليه أن ينظر إلى كتفيه وليس من السهل عليه أن ينظر إلى صدره.*

شرح ٢ : *قوله نافذ إلى جمجمته يعني... جمجمته مكسورة من جراء حدوث كسر لها كما يكسر الإناء من الفخار... الذي حدث له.*

شرح ٣ : *قوله يشكو تصلبا في رقبته يعني أن رقبته مرفوعة نتيجة حدوث الإصابة التي انتقلت إلى رقبته حتى أن رقبته تأثرت.*

شرح ٤ : *قوله اشدده إلى عصى مرساة يعني أعطه غذاءه العادي دون إعطائه دواء.*

الحالة الرابعة :

إرشادات خاصة بجرح منفرج في رأسه نافذ إلى العظم كاسر لجمجمته : إذا فحصت رجلاً به جرح منفرج في رأسه نافذ إلى العظم كاسر لجمجمته فيجب أن تحس جرحه فإذا وجدت داخله شيئاً يتحرك تحت أصابعك وهو يرتعش بشدة والورم فوقه بارز والدم يخرج من منخريه ومن أذنيه ويشكو تصلبا في رقبته حتى أنه لا يستطيع أن ينظر إلى كتفيه وإلى صدره. فيجب أن تقول عنه رجل به جرح منفرج في رأسه نافذ إلى العظم كاسر لجمجمته والدم يسيل من منخريه وأذنيه وهو يشكو تصلباً في رقبته، مرض سأجاهد فيه الآن عندما تجد جمجمته مكسورة يجب أن لا تربطه بل أشدده إلى عصى مرساة حتى تنتهي مدة إصابته وعلاجه جالساً واجعل مسندين من اللبن حتى تعلم أنه وصل إلى نقطة حاسمة ويجب أن تضع على رأسه الدهن ورطب رقبته به وكذلك كتفيه ويجب أن تعمل ذلك بكل مصاب بكسر في جمجمته.

شرح ١ : *قوله كاسر لجمجمته يعني انفصال شقفة في جمجمته وتبقى القطع لاصقة باللحم دون انفصال.*

شرح ٢ : *قوله الورم فوقع بارز يعني الورم فوق الكسر كبير وعال.*

شرح ٣ : *حتى يبلغ نقطة حاسمة يعني تعلم أنه سيموت أو سيعيش لأنها حالة سأجاهد فيها.*

الحالة الخامسة:

إرشادات خاصة بجرح منفرج في رأسه كاسر لجمجمته :

إذا فحصت رجلاً به جرح منفرج في رأسه نافذ إلى العظم كاسر لجمجمته فيجب أن تجس جرحه فإذا وجدت الكسر الذي في جمجمته عميقاً غائراً تحت أصابعك

والورم فوقه بارزا والدم يسيل من منخريه وأذنيه وهو يشكو تصلباً في رقبته وهو لذلك لا يستطيع أن ينظر إلى كتفيه وصدره.
فيجب أن تقول عنه رجل عنده جرح منفرج في رأسه نافذ إلى العظم كاسر لجمجمته وهو يشكو تصلبا في رقبته، مرض لا يعالج. يجب أن لا تربط جرحه بل يجب أن تشده إلى عصى مرساة. حتى تنتهي مدة إصابته.

شرح ١ : *قوله كاسر لجمجمته يعني أن تَكسَّر جمجمته جعل العظام تختفي داخل جمجمته جاء في (رسالة عن ما يتعلق بجروحه) أن هذا يعني أن هذا الكسر أحدث قطعا كثيرة داخلة في جمجمته.*

الحالة السادسة :

إرشادات خاصة بجرح منفرج في رأسه نافذ إلى العظم كاسر لجمجمته فاتح مخ جمجمته.
إذا فحصت رجلاً به جرح منفرج في رأسه نافد إلى العظم كاسر لجمجمته فاتح مخ جمجمته:
فيجب أن تجس جرحه فإذا وجدت الكسر الذي في جمجمته مثل التموجات التي تتكون فوق النحاس المصهور وأن شيئا ينبض في داخله يرجف تحت أصابعك مثل الجزء الضعيف في أعلى رأس الطفل قبل أن يصبح كاملاً – إذا حدث فلا نبض ولا حركة تحت أصابعك حتى تفتح مخ جمجمته – والدم يسيل من منخريه وهو يشكو من تصلب في عنقه. فيجب أن تقول عنه مرض لا يعالج. ويجب أن تضع على الجرح الدهن ولا تربطه ولا تضع عليه قطعتي الكتان حتى تعلم أنه وصل إلى نقطة حاسمة.

شرح ١: *قوله كاسر لجمجمته فاتح لمخ جمجمته يعني أن الكسر كبير فاتح لداخل الجمجمة واصل إلى الغشاء المحيط بمخه حتى أنه ليخرج منه السائل الذي هو داخل رأسه.*

شرح ٢ : *قوله مثل التموجات التي تتكون فوق النحاس المصهور يعني النحاس الذي يرمى به قبل الصب في القالب تكون فوقه من شيء غريب عنه كالتجاعيد يقال فيه أنه يشبه الصديد المتموج.*

الحالة السابعة :

إرشادات خاصة بجرح منفرج في رأسه نافذ إلى العظم خارق تضاريس جمجمته: إذا فحصت رجلاً به جرح منفرج في رأسه نافذ إلى العظم خارق تضاريس جمجمته فيجب أن تجس جرحه وإن ارتعش بشدة فيجب أن تجعله

يرفع وجهه فإذا وجدت فمه مؤلماً له وقلبه يدق ضعيفاً ووجدت لعابه معلقاً بين شفتيه لا يسقط والدم يسيل من منخريه وأذنيه وبه تصلب في عنقه ولا يستطيع أن ينظر إلى كتفيه وصدره.

فيجب أن تقول عنه رجل عنده جرح في رأسه نافذ إلى العظم خارق تضاريس جمجمته وحبل فكه الأسفل متقلصاً، والدم يسيل من منخريه وأذنيه وبه تصلب في عنقه مرض أجاهد فيه.

والآن متى وجدت حبل فكه الأسفل متقلصاً فيجب أن تكون قد عملت له شيئاً ساخناً حتى يستريح فيفتح فمه ويجب أن تضع عليه الدهن والعسل والكتان حتى تعلم أنه قد وصل إلى نقطة حاسمة.

فإذا وجدت أن هذا الرجل قد أصابته حُمَّى من هذا الجرح الذي فيه تضاريس جمجمته وأنه قد عرض له (تي) من جرحه فضع يديك فوقه فإذا وجدت وجهه يندي عرقاً وأربطة رقبته متوترة ووجهه محتقناً وظهره.. ورائحة صندوق رأسه كبول الغنم وفمه مطبقاً وحاجبيه مشدودين ووجهه كأنه يبكي. فيجب أن تقول عنه رجل به جرح منفرج في رأسه نافذ إلى العظم خارق تضاريس جمجمته وأصابه (تي) وفمه مطبق وبه تصلب برقبته، مرض لا يعالج – فإذا وجدت هذا الرجل قد امتقع وهو منهوك القوة فيجب أن تكون قد أعددت له خشبة حولها كتان تضعها في فمه ويجب أن تكون قد أعددت له جرابا من فاكهة (ويع) وعلاجه جالساً مسنداً بين قائمين من اللّبن حتى تعلم أنه وصل إلى نقطة حاسمة.

شرح ١ : *قوله خارق تضاريس جمجمته يعني ما بين شقفة جمجمته وأخرى وإن التضاريس من الجلد من غشاء سميك من الجلد.*

شرح ٢ : *قوله حبل فكه متقلص يعني تصلباً في الأربطة التي في طرف فرع الفك التي تربطه بعظمة الصدغ في آخر فكه، دون تحرك في الناحية الأخرى، حتى إنه ليس من السهل عليه أن يفتح فمه من الألم.*

شرح ٣ : *قوله حبل فكه الأسفل يعني الأربطة التي تربط طرف فكه كما لو سمى الإنسان شيئاً كالجبيرة حبلاً.*

شرح ٤ : *قوله جبينه يندي عرقاً يعني أن رأسه به عرق قليل كما تقول شيء (مبلول).*

شرح ٥ : *قوله أربطة رقبته متوترة يعني أن أربطة رقبته متصلبة من أثر الإصابة.*

شرح ٦ : *قوله وجهه محتقن (تمش) يعني أن لونه أحمر كلون صبغة (التمش).*

شرح ٧ : *قوله رائحة صندوق رأسه مثل (بكن) الغنم أي أن قمة رأسه لها رائحة بول الغنم.*

شرح ٨ : *قوله صندوق رأسه يعني منتصف قمة رأسه بجوار المخ شبهها بالصندوق.*

شرح ٩ : *قوله فمه مطبق وحاجباه مشدودان ووجهه كأنه يبكي يعني أنه لا يفتح فمه ليتكلم وحاجباه غير مستويين أحدهما مرتفع والآخر منخفض كالذي يرمق بعينه وهو يبكي.*

شرح ١٠ : *قوله امتقع وهو منهوك القوى يعني أنه أصْفَرّ لونه وهي حالة نتولاها ولا تتركها وإن كان منهوك القوة.*

الحالة الثامنة :

إرشادات خاصة بكسر في جمجمة تحت جلد رأسه :

إذا فحصت رجلاً به كسر في جمجمة رأسه تحت جلد رأسه وليس فيه شيء ظاهر فوقه فيجب أن نجس موضع إصابته فإذا وجدت ورماً بارزاً فوق كسر جمجمته وعينه منحرفة من أثر ذلك في الجهة التي بها الإصابة في جمجمته وهو يمشي يجر قدمه في الجهة التي بها الإصابة في جمجمته.

فيجب أن تعده رجلاً أصابه شيء من الخارج فهو لا يستطيع أن يبعد كتفه ولا تقع أصابعه وسط كفه ويسيل الدم من منخريه وأذنيه ورقبته متصلبة مرض لا يعالج.

علاجه جالساً حتى يعود إليه لونه وحتى تعلم أنه وصل إلى نقطة حاسمة. فمتى وجدت كسر جمجمته مثل التموجات التي توجد فوق النحاس المصهور ووجدت داخله شيئاً – إذا حدث فلا يكون نبض ولا تكون هناك حركة تحت أصابعك حتى يفتح مخ جمجمته – والدم يسيل من منخريه وأذنيه وبه تصلب في رقبته فيجب أن تقول عنه مرض لا يعالج .

شرح ١ : *قوله كسر في جمجمته تحت جلد رأسه دون أن يكون فوقه جرح أبداً يعني كسراً في شقفة جمجمته دون أن يصاب جلد رأسه.*

شرح ٢ : *قوله يمشي يجر قدمه يعني أنه يمشي وقدمه تحك في الأرض وبذلك يصعب عليه المشي لأن قدمه ضعيفة وملتوية وأطراف أصابع قدمه منكمشة تجاه الكعب وأنها تتخبط عند المشي وهو معنى قوله يجر.*

شرح ٣ : *قوله رجل أصابه شيء من الخارج في الجهة التي فيها الإصابة. يعني أن شيئاً من الخارج ضغط على الجهة التي وقعت فيها الإصابة.*

شرح ٤ : *قوله شيء دخل من الخارج يعني ريحاً من الخارج جاءه من إله خارجي أي من الموت لا شيئاً من داخل جسمه.*

شرح ٥ : *قوله رجلاً لا يبعد كتفه ولا تقع أصابعه وسط كفه يعني أن رأس كتفه لا يتحرك ولا تقع أصابعه وسط كفه.*

الحالة التاسعة :

إرشادات خاصة بجرح في جبهته كاسر شقفة رأسه :

إذا فحصت رجلاً عنده جرح في جبهته كاسر شقفة رأسه فيجب أن تعد له بيضة نعامة مسحوقة مع دهن وضعها في فتحة جرحه وبعد ذلك أعد له بيضة نعامة واسحقها واعملها لبخة لتجفيف الجرح ويجب أن تضع عليه غطاء مما يستعمله الطبيب وتكشفه في اليوم الثالث فإنك تجد الشقفة قد التأمت ولونها مثل بيضة النعامة.

* واقرأ عليه تعويذة:

ليصد العدو الذي في الجرح، وليطرد الشر الذي في الدم، عدو حوروس على جانبي فم ايزيس، فهذا الهيكل لن يتهدم، وليس هناك عدو للوعاء داخله، فإنني تحت حماية إيزيس، ومنقذي ابن أوزوريس.

ويجب أن تربط الجرح بالتين والدهن والعسل تطبخها وتتركها تبرد وتضعها عليه.

شرح ١ : *غطاء يستعمله الطبيب يعني رباطًا مما عند المحنطين وهو (الطبيب) يربط به الدواء الذي يضعه على الجرح الذي في جبهته.*

الحالة العاشرة:

إرشادات خاصة بجرح فوق حاجبيه:

إذا فحصت رجلاً عنده جرح فوق حاجبه نافذ إلى العظم فيجب أن تجس الجرح وتقرب حافتي الجرح بالخياطة – يجب أن تقول عنه رجل عنده جرح في حاجبه، مرض سأعالجه والآن بعد خياطته يجب أن تربط لحماً طرياً عليه أول يوم فإذا وجدت خياطة الجرح قد أصبحت مفككة فقرب الحافتين بقطعتي كتان وعالجه بالدهن والعسل كل يوم حتى يبرأ.

شرح ١ : *قطعتا كتان يعني قطعتي الكتان اللتين توضعان على حافتي الجرح المنفرج لتقرب إحداهما من الأخرى*[1].

١ د. عامر النجار، في تاريخ الطب...، مرجع سابق ص ٢٣٤-٢٤٣

وفي الحالة الحادية والثلاثين يصف المؤلف حالة خلع فقرة في الرقبة مع عـدم إحساس في الذراعين والأرجل وبوله يسيل من عضوه ويقول : فهذا مـرض لا يعالج.

وتدلنا هذه البردية على معلومات فائقة عرفها قدماء المصريين عـن الجراحـة وخياطة الجروح والعلاج بالمراهم وعلاقة المخ والأعصاب بحركات الأطراف.

كما تدلنا على استعمالهم التعاويذ "لطرد الشر" من الجسم، وأنهم كانوا يستعملون ذلك كعامل مساعد في الشفاء.

وكان الرأي السائد أن مؤلف هذه البردية حصل على معلومـات مـن إحـدى الحروب، بل كان هناك ميل إلى أن هذه الحرب كانت حرب طرد الهكسوس من مصر، ولكن هناك رأياً آخر تقدم به العالم المصري الدكتور محمد كامل حسين جراح العظام الشهير، وهو يرجح أن مؤلفها كان يشرف على معالجـة العمـال الذين كانوا يقومون بتشييد أحد الأهرامات والذين كانوا يتعرضون بحكم عملهـم للإصابات المختلفة[1].

---

١ الفراعنة والطب الحديث، محمد بسيوني، دار المعارف، ص ٤٣

الصّيْدلـــــة

كانت الأدوية في بداياتها عبارة عن الأعشاب والنباتات التي عرفها الإنسان الأول، في بحثة عن غذائة بين الأشجار والحشائش، ولا بد أنه تحاشى منها ما لم يستسغه وما ضره، وهكذا بدأت تتكون لديه المعلومات عن فوائدها الطبية أو مضارها.

ويعتبر بعض البحّاثة أن مصر كانت مهد الصيدلة وفيها نشأ العَشّاب الأولّ، والذي بدوره كان يصف العلاجات للمرضى قبل نشوء الأطباء.

وفي برديات يعود تاريخها إلى القرن العشرين قبل الميلاد وجدت وصفات طبية للعديد من الأمراض بل إنه كان يتم تحسين مذاق الأدوية غير المستساغة بإضافة العسل واللبن والنبيذ لها[١].

وكان لقدماء المصريين فضل كبير في اكتشاف بعض النباتات الطبية التي ساهمت في تخفيف الآلام وأهمها "الخشخاش" الذي استخرجوا منه الأفيون، وكذلك اليبروح والسيكران والحشيش، وكانوا أول من عرف "البيرة" وتأثيرها المخدر.

ليس هذا فحسب بل إنهم أول من اكتشف مخدراً موضعياً للجروح والعمليات، يتكون من مسحوق حجر منفيس المذاب في الخل[٢].

ومن أكبر المؤيدات لوجود صيدلة متقدمة في مصر القديمة، ما جاء في بردية ايبرز التي تحوي أسماء سبعمائة دواء وكيفية استعمالها في علاج الأمراض، مع اختلاط الوصفات الطبية بين الطب والسحر.

ويبدو أن كثرة الأطباء وتقدم الصيدلة جعلت "المصريين أصح شعوب العالم أجساماً حسب المؤرخ هيرودوت[٣].

ونظرا لاعتقاد المصريين القدماء أن الموت ليس نهاية الإنسان، وأنه سيعود حياً مرّة أخرى، فقد تقدم الطب بهذا الاتجاه لحفظ أجساد الموتى، حتى وصلوا إلى نتائج مذهلة في التحنيط.

ولدى الفحص الحديث للموميائيات تم الوقوف على بعض الأمراض التي أصابت هذه الموميائيات مثل التصاق الجمجمة بأعلى العمود الفقري، وغيرها من الأمراض التي تقع ضمن علوم الدماغ والأعصاب حديثاً.

وقد وصف هيرودوت التحنيط الذي كان يقوم به المصريون[٤].

---

١ الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، د. محمد كامل حسين، ص ص ٢٧٤ – ٢٧٥

٢ د. محمد السمري، التخدير عبر التاريخ، مقال بمجلة العربي، الكويت، عدد ٤٠٢ مايو ١٩٩٢ ص ١٤٠

٣ وِل ديورانت، قصة الحضارة، ج ٢ مجلد ١، مرجع سابق ص ص ٩ – ١٠

٤ الدكتور الأب ج. شحاته قنواتي، تاريخ الصيدلة والعقاقير، دار المعارف بمصر ص ص ٢٦ – ٢٧

وسواء تعلق الأمر بالصيدلة أم بالطب فالقليل الذي كان يعرفه المصريون كانوا يستحقون عليه الثناء لأنهم عثروا عليه منذ ثلاثين قرنا قبل عصرنا، فعند هؤلاء كان كل شيء يثير الدهشة والإعجاب، الحس السليم، الأسلوب، البراعة. وكانوا مثل النحاتين قد وصلوا إلى ذروة فنهم وخاصة في جراحة العظم، أما الأطبـاء فكانوا، كما قال موليير Moliere الفرنسي عن أطباء عصره، متعلقـين كثيـرا ،آراء الأقدمين. حتى إنهم تناسوا أن يتثقفوا، وذلك لنقصان الشجاعة والفضـول ـ ندهم، ولكنهم فتحوا الطريق واسعة أمام الطب الإغريقي[1].

١ تاتون، تاريخ العلوم العام، مجلد ١، مرجع سابق، ص ٧٧

الطب في بلاد ما بين النهرين

دلت الأبحاث الأثرية على أن بلاد ما بين النهرين (الرافدين) كانت مقراً لظهور الإنسان منذ آلاف السنين. وكانت مأهولة من السومريين والأكاديين، وكان الشعب السومري أول من اخترع الكتابة (المسمارية ٣٥٠٠ ق. م.) وكانت اللغة السومرية تكتب على ألواح صغيرة من الطين المشوي دعيت "الرُقُم"[١].

وقد علا شأن الطب عند السومريين، لكنه ظل يختلط بالدين ويرى أنه لا يمكن شفاء المريض إلا بطرد الشياطين منه[٢].

وعثر على رقيم يرجع تاريخه إلى ٤٢٠٠ ق.م. وقوالب منقوش عليهما نصوص طبية. كما عثر على خاتم طبيب عليه رسم المعبود "إيرو" إله المرض والوباء.

ووجد لوح يرجع تاريخه إلى ١٧٥٠ ق.م. فيه ترتيلة إلى الآلهة "فنسنا" التي وصفت بـ "الطبيبة العظمى لذوي الرؤوس السود" أي السومريين، وتعزى الأمراض في هذه الترتيلة إلى الشياطين.

وعبد السومريون إله الحكمة والشفاء "ايا"، كما عبده الأكديون والبابليون والآشوريون. وتردد اسم هذه الآلهة في نصوص السحر والأساطير والصلوات والرقي والتعاويذ وكان يُبتهل لتدخله لطرد الأرواح الخبيثة من المريض ومساعدة المرضى.

وكان الإله "ايا" أيضاً مسؤولاً عن "ماء الحياة" الذي يطهر المرضى من الخبائث، ويعتق الذين يصيبهم الجنون ومن تتقمصهم الأرواح الخبيثة، وكان الكهنة المختصون بعمليات التعاويذ يساعدونه وينوبون عنه، وكان يؤجرهم لكي يقوموا باسمه ولوحدهم بمهمة الطبابة عن طريق التعاويذ[٣].

ولهذا السبب ولأنهم استعملوا المياه في الطب فقد سموا الطبيب بكلمة معناها العارف بالماء (وباللغة السومرية "آزو" ومنها الكلمة البابلية "آسو"، التي استعملت في معظم اللغات السامية ومنها الكلمة العربية "الآسي"). ومن الآلهة التي خصّوها بالطب والأطباء أيضا الإله المسمى "ننازو" (ومعنى اسمه سيد الحكماء والأطباء) وله ابن خاص كذلك بالطب هو الإله "ننجشزيدا". ومن الطريف في أمر هذا الإله بعض الرموز المقدسة الخاصة به وهي العصا الملتفة عليها حية أو ثعبانان. وهذه هي الشارة المتخذة عند الأطباء في العصور

---

١ د. السامرائي، مختصر تاريخ...، ص ٤٢

٢ ول ديورانت، قصة الحضارة، ج٢ مجلد ١ ص ٢٥-٢٦

٣ تاريخ الطب العراقي، د. عبد الحميد العلوجي، مطبعة أسعد – بغداد ١٩٦٧، ص ص ٥ – ٦

الحديثة ومنشأ هذه الشارة اعتقادهم أن الثعبان رمز الحياة الدائمة لأنها لا تموت وإنما تخلع جلدها كل عام فيعود إليها الشباب[1].

وفي بلاد ما بين النهرين كانوا يعتقدون أن المرض من غضب الآلهة على المذنبين من البشر، أو من صنع الأرواح الشريرة، وأن هذه الأرواح تدفع الإنسان إلى الخطيئة فتنزل الآلهة عقابها على المذنب بشكل أعراض وعلامات مرضية[2].

ولهذا كان يلجأ الأطباء إلى العِرَافة Divination لاكتشاف الذنب المرتكب من قبل المريض قبل المعالجة. وهذا ما كان يحدث في أوروبا في العصور الوسطى، فقد كانت الكنيسة تمنع معالجة المرضى قبل "الاعتراف".

والذنوب التي تسبب غضب الإله وتؤدي بالتالي إلى المرض في نظر البابليين كثيرة ومنها : السرقة، القتل والبصق في ماء النهر الذي يرتوي منه الناس، وتناول الطعام من ماعون وسخ، والكذب، وعدم احترام دور العبادة وسدنتها.

ويبدو واضحاً أن القصد الضمني من اعتبار تلك الأفعال ذنوباً تستحق العقاب هو الوقاية الصحية العامة وأن تلك الأفعال لا تتفق مع التصرفات المقبولة.

وكانوا يعتقدون أن العقاب بالمرض على الأفعال السابقة قد لا يظهر في الشخص المذنب نفسه، بل في واحد أو أكثر من أفراد عائلته، أي بمفهوم المرض الوراثي أو العدوى حالياً[3].

كما لعبت الشياطين حسب الأساطير البابلية دوراً هاماً في انتشار الأمراض ومنها أسطورة تيو "Tio" الذي ينشر مرض الشقيقة. وكان هنالك سبعة أبالسة يتعقبون الغافلين، لذلك كان يخشاهم الناس، كما أن الأطباء بسببهم كانوا يحجمون عن معالجة المرضى في اليوم السابع أو مضاعفاته من بدء المرض.

وكانت طقوس المعالجة بالرقى والتعاويذ والصلوات وتقديم الأضاحي تمارس جنباً إلى جنب مع استعمال الأدوية لشفاء المرضى. وكانت الأدوية تعطى حسب ساعات معينة حينما تكون الكواكب والنجوم في أوضاع معينة[4].

ولعل البابليين حين يقولون إن المرض ينشأ من غزو الشياطين جسم المريض عقاباً له على ما يرتكبه من الذنوب، لا يقصدون بقولهم هذا شيئاً أبعد عن المعقول من قولنا نحن إن المرض ينشأ من غزو البكتيريا لجسم المريض بسبب إهماله أو عدم نظافته أو نهمه. وقصارى القول إن من واجبنا ألا نكون واثقين كل الثقة من جهل أسلافنا[5].

---

١ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، القسم الأول، ط٢، ١٩٥٥، ص ٣٦٦

٢ د. السامرائي، مختصر تاريخ...، ص ٤٦

٣ المصدر نفسه..، ص ٤٦

٤ من تاريخ الصيدلة في أحلام اسثيته ص ١٦

٥ ول ديورانت، قصة الحضارة، ج٢، مجلد١، ص ٢٥٤

ولأنهم كانوا يعتقدون بتأثير العين الشريرة في إحداث المرض، كانوا يلجأون إلى السحرة ليبطلوا عمل الأرواح الشريرة، ويسترضون الآلهة بالضحايا لتقيهم من غوائل الأمراض. وكانت ممارسة السحر مشروعة وتعتبر تعاوناً مع هذه الأطراف لحماية المواطنين كما كان الناس يحملون التعاويذ لنفس الغرض[١].

ويتوجب أن نكون شديدي الحذر عندما نحاول أن نعرِّف ماذا يقصد الأكاديون بسبب المرض. لا شك إنهم يقرنون بعض الدلائل ببعض الظواهر فوق الطبيعية: مثل الغضب الإلهي أو فعل الشيطان أو أباطيل السحرة أو مخالفة المقدسات .. إنما يجب أن لا تظن أن هذه الملاحظات تعبر دائماً عن علاقة كعلاقة السبب بالمسبب أو النتيجة. إذ إن هذه الملاحظات تشير ببساطة إلى فكرة الوسط المساعد، وإلى الشروط الحاسمة، وإلى الاستعداد للمرض، هذا إذا لم تكن مجرد تأملات لا معنى لها. ويبرز هذا بشكل خاص في التعابير المتعددة مثل "يد الله أو يد الآلهة"، والتي نعثر عليها خصوصا في "كتاب أوصاف الأمراض". هذه الأيدي الإلهية وأكثرها يد عشتار Ishtar، تدل على مؤشرات خاصة أكثر مما تحدد ماهية الأمراض. وهي تدل على علاقة مفترضة بين الآلهة من جهة، وبين مكان ولون، ومظهر، الإشارة العيادية.

ويختلف الأمر على ما يبدو فيما يتعلق بالشياطين. فهي تضرب وتمسك وتمس الإنسان الذي يتعرض لها بصورة عرضية. ولكن يمكن التساؤل : أليست هذه التسميات وهذه الكلمات مجرد تعابير في اللغة الدارجة. وعندما نحاول التدقيق عن قرب في النصوص، لجهة ما له علاقة بالأصل "فوق الطبيعي" للأمراض فإننا نصطدم بالغموض الكبير وبالعديد من التناقضات. وعلى كل حال، إن مثل هذه الملاحظات هي أبعد ما تكون عن أن تشكل نظرية عامة حول الأمراض. ويكون من الأسهل علينا، أن نحدد، في الأدب الطبي ما هو فوق الطبيعي : مثل الصداع الشديد، ومثل الأوجاع في قفا القذال، ومثل الطنين في الأذنين ومثل العوارض العصبية، ومثل بعض أنواع الشلل[٢].

وبشكل عام فإن الطب كان يعتمد على ثلاثة أشخاص هم :

العرَّاف: ويطلق عليه اسم بارو Baru ووظيفته الإنذار والتشخيص وكان يسعى لمعرفة أسباب حدوث المصائب بمختلف أنواعها.

الراقي: ويعرف باسم اشيبو Ashipu ووظيفته طرد الشياطين من المنزل ومن الشخص المريض.

الآسي: ويطلق عليه اسم Asu، وهو الطبيب الحقيقي الذي يداوي المرضى بالأدوية كما كان يقوم بالعمليات الجراحية، وكان يلجأ أيضا إلى العرافة والسحر.

وكان الكهنة الأطباء يتعلمون بمدارس ملحقة بالمعابد ويتعلمون من الرقم، ومن يشتهر من هؤلاء كان يقدم خدماته للعائلة المالكة وطبقة الأغنياء. وكان يوجد في

---

١ د. السامرائي، مختصر تاريخ..، ص ٤٧

٢ تاتون، تاريخ العلوم العام، مجلد١، ص ص ١٠٠ — ١٠١

قصر الملك أشخاص وظيفتهم كحيوانات التجارب في الطب، وعليهم أن يتذوقوا كل دواء وأن يختبروا فعاليته عن طريق التجربة[1].

وقد عرف البابليون تشريح الجثث الإنسانية والحيوانية، وقاموا بتشريح الجثث الإنسانية لبعض من يقتلون من الجند في أثناء الحروب. ولم تعمل شعوب ما بين النهرين على تشريح جسم الإنسان بهدف طبي، إلا أن هذه المعلومات انكشفت لهم بصورة عفوية، فعرفوا أن الضربة في عضو ما تعتبر قاتلة وأنها غير ذلك لو أصابت جزءاً آخر[2].

وقد عثر المنقبون على خاتم أول طبيب سومري في حفائر عاصمة الحضارة السومرية (اور) ويعود إلى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد[3].

وقد عرف الآشوريون دراسة الفلك بشكل جيد، ووجدوا علاقات بين الأبراج والحياة الإنسانية وأعطوا الأرقام صفات سحرية[4].

واعتقد البابليون أن لحركات الشمس والقمر والنجوم تأثيرا على حياة بني الإنسان، وأن الشمس هي المسيطرة على الرأس، والقمر هو المسيطر على المخ .. وأن للمغناطيس تأثيرا في معالجة الأمراض[5].

كما أن هنالك عدداً كبيراً من الوثائق الآشورية والبابلية الخاصة بالطب، وهي كما ذكرنا منقوشة على ألواح الطين ومكتوبة بحروف مسمارية، وهي تشتمل على ثلاثة أنواع من البيانات:

القسم الأول خاص بقوائم من الأعشاب الطبية.

القسم الثاني مجموعة من الوصفات العلاجية المختلفة مرتبة حسب العضو المريض.

والقسم الثالث خاص بمناقشة تشخيص الأمراض والتنبؤ بسيرها.

وقد كشف في عام ١٩٠٢ في مدينة السوس (Suse)، أسطوانة كبيرة من حجر الديوريت منقوش عليها "قانون حمورابي" نقشاً جميلاً وحمورابي ملك حكم بابل. واشتهر بعدله واهتمامه بشؤون الشعب.

ويبلغ عدد فقرات هذا القانون ٢٨٢ رتِّبت ترتيباً يكاد يكون هو الترتيب العلمي الحديث. فقسمت إلى قوانين خاصة بالأملاك المنقولة، وبالأملاك العقارية وبالتجارة والصناعة وبالأسرة وبالأضرار الجسمية وبالعمل. وقد ذكر قانون حمورابي الأطباء كما حدد الرسوم التي يجب أن تُدْفع لهم، والغرامات التي يجب

---

١ من تاريخ الصيدلة، أحلام استيتية ص ١٦

٢ د. السامرائي، مختصر تاريخ..، ص ٤٩

٣ د. محمد مرحبا، مرجع سابق، ص ٨٩

٤ سلمان قطاية، مقال "الطب العربي" مجلة عالم الفكر، مجلد ١٠ عدد ٢ / ١٩٧٩ الكويت؛

د. السامرائي، مختصر تاريخ ..، ص ٥٠

٥ د. عامر النجار، في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، دار المعارف، الطبعة الثانية ١٩٨٧، ص ٢٦

أن يدفعوها في حالة موت المريض الناتج من سوء العلاج. وحدَّد أيضاً بدقة الأمراض المختلفة التي تفسخ عقد شراء العبد[1].

وقد خرج الطب أيام حمورابي إلى حدٍ ما عن اختصاص الكهنة وسيطرتهم، ونشأت مهنة منتظمة للأطباء ذات أجور وعقوبات يحددها القانون – قانون حمورابي – فكان المريض إذا استدعى طبيباً يعرف كم من المال يجب عليه أن يؤديه نظير العلاج، أو الجراحة، وإذا كان المريض فقيرا نقصت أجرة الطبيب، وكان الطبيب يتحمل المسؤولية إذا أخطأ في العلاج، وذلك بتعويض المريض، أما إذا كان الخطأ فادحاً فتقطع أصابع الطبيب.

ويرى د. علي كمال، في كتابه "الصرع" بأن أول إشارة لمرض الصرع وردت في قانون حمورابي الذي أفرد مادة خاصة به – ٢٧٨ – والتي تنص على : "إذا اشترى أحد عبداً (أو عبدة) أو (أمة)، وحدث أن أصيب العبد بنوبة صرعية قبل أن ينقضي شهر على شرائه، فللمشتري أن يرده إلى بائعه وأن يسترد الثمن الذي دفعه"[2]. [3]

"ويمكن أن نستخلص من المادة السابقة بأن إصابة الفرد بالصرع في ذلك العصر كانت منتشرة وإلى الحد الذي اقتضى تنظيم التعامل بحالات الصرع طبقاً لقانون خاص، كما لها أن تفيد بأن الإصابة بالصرع قد نظر إليها في ذلك الحين بأنها حالة تثير الهواجس أو الخوف من المصابين بها"[4].

ومن بين تشريع حمورابي (وضعه حوالي ١٩٥٠ ق. م.) المكون من ٢٨٢ مادة هناك إحدى عشرة مادة تتعلق بأعمال الأطباء والبيطريين ومنها :

المادة ٢١٨ : إذا أجرى طبيب عملية كبيرة لسيد بآلة برونزية وسبب وفاته، أو إذا فتح محجر عين سيد وسبب فقده بصره، فإن عقاب ذلك الطبيب قطع يده.

المادة ٢١٩ : إذا أجرى طبيب عملية كبيرة لمملوك بآلة برونزية وسبب وفاته، فعليه دفع تعويض مملوك بمملوك.

المادة ٢٢١ : إذا جبَّر طبيب عظماً مكسوراً لسيد أو شفاه من مرض مؤلم فعلى المريض أن يدفع للطبيب (خمسة) شياقل من الفضة[5].

وعُثِر على مكتبة لأحد ملوك الآشوريين (آشور بانيبال ٦٦٨ – ٦٢٥ ق. م.) بخرائب نينوى، وبها ٣٠ ألف رقم طيني منها ٦٦٠ رقماً في الطب وتطبيقاته، وفيها معلومات وفيرة في الأمراض وتشخيصها وعلاجها والتوقعات المرضية التي تتحكم فيها الأجواء والنجوم[6].

---

١ د. شحاته قنواتي، تاريخ الصيدلة والعقاقير، دار المعارف، ص ١٨ و ١٩

٢ د. علي كمال، حالات الصرع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٤، ص ٢٠

٣ ويرى د. السامرائي أن هذه المادة تتعلق بالجذام

٤ حالات الصرع، د. علي كمال، مرجع سابق، ص ٢٠

٥ د. كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، مرجع سابق، ص ٥٣

٦ د. السامرائي، مختصر تاريخ..، ص ٤٥

وقد كان لاكتشاف Sir Henry Layard عام ١٨٤٩ لخرائب مدينة نينوى وعثوره على لوحات الطين التي تتألف منها مكتبة الملك آشور بانبال فضل عظيم في معرفتنا لحالة الطب في العصور البابلية الآشورية ومن بين هذه اللوحات عدد كبير يختص بذكر الوصفات الطبية السائدة في ذلك العصر وقد تبين منها أن الكهنة كانوا إذا أرادوا أن يعرفوا حال مرضاهم وما يضمره لهم الغيب عمدوا إلى طريقة تسمى بقراءة الكبد وهي طريقة للتنبؤ عن الغيب أشبه بقراءة الكف، ويقوم القارئون للكبد بفحص أكباد الأغنام التي تُقدم قرباناً في الهياكل باسم المرضى ويقولون إن القربان إذا تقبله الإله تقمص فيه واحتلّه. ولما كانت الكبد في عرفهم هي مركز الحياة والروح في الإنسان والحيوان فإنها تكون محطا لروح الإله وموضعاً لقدرته عندما يتقمص القربان المقدم له فإذا ما ذبحت الشاة وكشف عن الكبد استطاع الكهنة أن يقرأوا فيها ما يكنه الاله لصاحب القربان. وقد وصلت قراءة الكبد إلى درجة كبيرة جدا من التعقيد وأصبحوا يقومون بها في حالة المرض وقبل الشروع في الزواج أو السفر أو الحروب، وقد خلف البابليون نماذج للكبد من الصلصال يرجع تاريخها إلى سنة ٢٠٠٠ ق. م. وتمتاز هذه النماذج بدقتها من الناحية التشريحية. وبهذه المناسبة يلاحظ أن العرب قد أكثروا من ذكر الكبد في آدابهم وأشعارهم واعتبروها مركزا للعواطف والأحاسيس المختلفة ولربما كانوا قد نقلوا هذه الفكرة عن البابليين. وقد جاء في اللوحات الطينية السالفة الذكر اسم عدد كبير من العقاقير التي يستعملونها وكانوا يقدمون للمرضى بعض الأدوية التي تعاف النفس طعمها ورائحتها وذلك لاعتقادهم أنها وسيلة لطرد الأرواح الشريرة من جسد المريض. وأشارت هذه اللوحات إلى أمراض عديدة منها السيلان والشلل والجرب والصرع وحموضة المعدة وأمراض المفاصل وغيرها[1].

وقد عرف الإنسان قديماً كيف يبطل الشعور بالألم في بعض التدخلات الجراحية. وكانت أغرب وسيلة للتخدير تلك التي استعملها الآشوريون عند ختان أطفالهم، حيث كانوا يعطلون الدورة الدموية للمخ بالضغط على الشريانين السباتيين الموجودين بالرقبة، مما يؤدي إلى حدوث الإغماء[2].

والشريان السباتي Carotid Artery معناه باللغة اليونانية القديمة "شريان النوم". وهذه الطريقة القديمة في التاريخ، رغم خطورتها فإنها كانت أفضل كثيرا من الطرق الأخرى كضرب المريض على رأسه حتى يفقد الوعي وذلك عند إجراء جراحة له.

وقد اكتشفت جماجم يرجع تاريخها إلى ما قبل التاريخ المعروف، فيها فتحات دائرية الشكل أو مربعة (عملية التربنة) وعلى حوافها ندبة الالتئام مما يدل على أن العملية لم تسبب وفاة المريض في أثناء أجرائها، وأن المريض قد عاش حتماً لفترةٍ – ما بعد العملية – كافية لتكوين ندبة الاندمال.

---

١ د. التجاني الماحي، مقدمة في تاريخ الطب العربي، الخرطوم ١٩٥٩ ص ١٥-١٦

٢ د. محمد السمري، التخدير عبر التاريخ، مقال بمجلة العربي، عدد ٤٠٢، مايو ١٩٩٢، ص ١٣٩ – ١٤٠

لكن يعتقد أن هذه العملية لم تمارس في العهود البابلية، خاصة أيام حمــورابي، خشية الأطباء في ذلك العهد من العقاب إذا تسببوا بهلاك المريض[1].

وطبقاً لما يمكن أن نتخيله من قصور الطب آنذاك كان المرض يحصد المرضى، إلا ما ندر، فإذا عجز الطبيب عن معالجة المريض، كان يوضع المرضى فــي الساحات العامة ليقدم لهم المارة النصح والوصفات حسب مــا قالــه المــؤرخ اليوناني هيرودوت (القرن الخامس ق. م.)[2].

---

١ أنظر مراجعة د. ابتسام الدلال لبحوث د. كمال السامرائي حول الطب الجراحي قبل الاسلام

– الندوة القومية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب – بغداد – فبراير ١٩٨٩، نشرت بمجلة جمعية أطباء البحرين، عدد ١، آب ١٩٨٩

٢ د. السامرائي، مختصر تاريخ..، ص ٥١

الطب عند الصينيين

يستند الطب التقليدي في الصين إلى مؤلفات تنسب إلى ثلاثة من الأباطرة الأسطوريين وهم:

– الإمبراطور فو– هي (Fou - Hi) صاحب نظرية (Pa-Koua) ٢٩٠٠ ق.م. التي تقول بوجود مسارات في جسم الإنسان يسير بموجبها العنصر المذكر والمؤنث.

– الإمبراطور الأحمر (شن نونغ) ٢٨٠٠ ق. م. والذي وضع أول مؤلف في علم المادة الطبية المعروف باسم مجموعة الأعشاب (Pen - Tsao) ويضم ٣٦٥ عقاراً قام بتجربتها شخصياً، وإليه يعزى وضع أسس العلاج بوخز الأبر.

– الإمبراطور الأصفر (يو – هيونغ You - Heoung) ٢٦٠٠ ق. م. وله عدة مؤلفات أضخمها قانون الطب الذي يحوي باباً كاملاً عن العلاج بوخز الأبر[1].

وقد اشتهر "تشانغ تشونغ" تشين في القرن الثاني الميلادي وسمي جالينوس الصين وكتب كتابين عن الأطعمة وعن الحمى وكان لهما تأثير كبير في اليابان. وهنالك طبيب جراح أسمه هوا تو في القرن الثالث وانتج نوعاً من المخدر (البنج) باستعمال نوع من الخمر. وفي أواخر القرن السابع يقوم ملك اسمه كاوتسونغ من أسرة تانغ ويأمر بتنقيح كتاب الأدوية في ٥٢ جزءاً. وظهر أطباء في قرون أخرى كتبوا في الطب والأمراض العقلية. وكان لأحد الأمراء من أسرة منغ في ١٤٠٦ م حديقة للتجارب النباتية ووضع كتاباً عن مجموعة النبات. ويظهر أنهم كانوا يلقحون ضد الجدري في القرن الحادي عشر في الصين [2].

ويبدو أن نظرية الأخلاط الأربعة اليونانية وصلت إلى الصينيين لكن أخلاطهم خمسة وهي الدم، البلغم، الألوان، الحواس والأحشاء.

وقد لعب الرقم خمسة دوراً كبيراً في حياتهم – كرقم أربعة عند اليونانيين – حتى إن وصفات الأطباء كانت خمسة عقاقير تعطى لمدة خمسة أيام.

وتذكر الأساطير أن الإمبراطور الصيني (Shen Nung) ٢٢٠٠ ق.م.، يعتبر مؤسس الصيدلة في الصين، حيث كان يجرب الأعشاب الطبية على نفسه ليعرف تأثيرها، وكانت له عند الصينيين منزلة خاصة، وصلت إلى حد العبادة أحياناً، وما زال الصيادلة في الصين حتى الآن يتخذونه رمزاً لهم، ويعتبرونه الإله الحامي لهم.

---

١ من تاريخ الصيدلة لـ أحلام استيتية، ص ٢٦

٢ د. جورج حداد، المدخل الى تاريخ الحضارة، مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥٨ ص ١٥٢

والنظرية الطبية التي كانت سائدة في هذه الحقبة نجدها في "مصنف الأمـراض الداخلية" : "ني كنغ" الذي يعطي وصفا تشريحياً للجسم البشـري مـع الحجـم الوسطي للأعضاء. أما الجمجمة فليست إلا خزاناً يحتوي النخاع الشوكي.

ويعتبر الجسم كدولة رئيسها القلب، والرئتان الوزراء، والكبد القائد الخ.

أما وسائل التشخيص الأربع فهي الملاحظة والفحص السريري والاستجواب والنبض.

وأدى نمو الكنفوشيوسية إلى سيادة الموجب الأخلاقي القاضي ببقاء الجسد كاملاً غير منقوص كما وصل من الأهل، مما أدى إلى تراجع علم الجراحة. وفي القرن الثالث كتب "هوانغ فو مي" كتابه "كيايي كنغ"، وعالج فيه الطبابة بالإبر وبالموكسا (الكي بالنار)، وهي المعالجات التي تميز بها الطب الصيني [١].

وقد تأثرت الفلسفة الكنفوشيوسية (٥٥١ – ٤٧٩ ق.م.) كثيراً على مفهوم المرض، وهي تنص على أن الصحة ناتجة عن توازن قوتين في الجسم وهما، الأولى موجبة وتمثل الحرارة والقوة والرجولة وتسيطر عليها الشمس ويقابلها من العناصر الذهب والنحاس. والثانية سالبة وتمثل البرودة والليونة والأنوثة ويسيطر عليها القمر ويقابلها الفضة.

وتنطلق القوتان في مسارات في الجسم وعند تقاطعهما تتعطلان، وإن وخز الإبر في نقاط التقاطع هذه يؤدي إلى الشفاء.

وفي القرن الثالث الميلادي ظهر الطبيب الجراح (Hua Chu) وكتب حول وظائف الأعضاء والتشريح، وعرف أهمية الأدوية المخدرة ولا سيما في العمليات الجراحية.

وبدأت العلوم الطبية في التقدم حتى ألف أحد الأطباء وهو (Ch'ao Yuan Fang) (٥٥٠-٦٣٠م)، دائرة المعارف الطبية [٢].

ولم تزدهر الجراحة في الصين القديمة، ولعل ذلك يرجع إلى معتقداتهم التي تباعد بينهم وبين إراقة الدماء، وقد استعاضوا عن الرعاف (الفصد) بغرز الإبر، كما أنهم عنوا عناية خاصة بالتدليك، وقد كان من صناعة مكفوفي البصر [٣].

وقد اخترع الصينيون نوعاً من النبيذ يخدر المريض تخديراً تماماً [٤].

---

١ تاتون، مرجع سابق، ص ١٩٢ – ١٩٤

٢ تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين د. سامي حمارنة، مرجع سابق ص ٢٦-٢٧)

٣ د. آمنة مراد، مرجع سابق، ص ١٨٣-١٨٥

٤ د. محمد مرحبا، مرجع سابق ص ٩٣

ومما لا شك فيه أن طريقة علاج الأمراض بوخز الإبر التي استعملها الصينيون منذ أكثر من ألفي عام والتي ما زالوا يستعملونها إلى اليوم، تدل على دراية أولئك القوم لفن التشريح منذ زمن قديم. وحددت تلك الطريقة ما بين ٣٠٠ – ٨٠٠ نقطة (على حسب المؤلفين المختلفين).

وقديماً كانت تصنع الإبر من الحجارة المدببة ثم من الخشب فالنحـــاس، وهـــي تصنع حديثاً من الذهب والفضة أو الصلب الذي لا يصدأ. ويستعمل غرز الإبـــر في علاج عديد من الأمراض المختلفة والمتباينة الأسباب، كالشـــلل والأمـــراض الروماتيزمية، والصداع المستمر، الآلام الأخرى [١].

١ د. أمنة مراد، مرجع سابق ص ١٨١-١٨٣

الطب في الحضارة الهندية

كانت الهند القديمة تشمل في خرائط اليوم الهند والباكستان وبنغلادش وماليزيا. ونهضت في تلك الديار حضارات منذ الألف الثالث ق.م. منها حضارة وادي السند التي تبادلت الخبرات مع الحضارة اليونانية، حيث أن الاسكندر الأكبر وصل إلى أطرافها الشمالية حوالي ٣٢٧ ق.م.

وكان الطب من المعالم البارزة في حضارة الهند القديمة، فوجدت آثار لمستشفيات أقيمت منذ القرن الخامس ق. م[١].

وكان الطب والجراحة يمارسان منذ القرن السادس ق.م. ويدرسان. وكانت توجد جامعتان في الهند في عهد بوذا الأولى جامعة Kasi أو بنارس في وادي الغانج والثانية جامعة تكسيلا في وادي الهند. وكان الطبيب آثريا Atreya يدرس في هذه الأخيرة بينما معاصره سوسروتا يدرس في الأولى. وكان سوسروتا طبيبا وعالماً يقرن الملاحظة بالتجربة ويصف عمليات تتعلق بالفتق وأمراض العين والجراحة التجميلية، كما أنه كان يصف الآلات الجراحية المستعملة. و بعض مبادئ التشريح والفزيولوجيا وأمراض النساء والأطفال وتشخيص المرض والنباتات الطبية المعروفة[٢].

ويبدو أن نظرية الأخلاط الأربعة عرفت في الحضارة الهندية، وإن كانوا قد أضافوا لها الريح فأصبحت خمسة كما عند الصينيين.

وكانوا يسمون الأخلاط "المهابوت" أي الطبائع، ويقول الطبري عن بعض كتبهم "انه لما دخل الحسد" بدأت الطبائع تتغير فدخل الكذب ففشت الذنوب ودخلت الأسقام – الأمراض– فاجتمع العلماء والصلحاء إلى ناسكهم وسألوه التضرع إلى الله، فصعد إلى الجبل وابتهل طويلاً إلى الله أن يرتاح خلقه، فعلمه الطب.

وقسموا الطب إلى ثمانية أجزاء لعلاج الأطفال والأمهات، وعلاج العين، وسائر البدن، والعضل والمراهم، وعلاج السموم بالترقيات والرقى، وزيادة العلاج في الباه وحفظ الشباب وقوته، وأخيراً إخراج الجن بالرقى[٣].

وينقل الطبري ما وصله عن الأمراض التي تسببها الأرواح التي تعرض للناس حسب قول الهنود، ويتحرز من رواياته تلك ويقول: "إن مذهبي فيما أكتب من قول الهند .. ليس مذهب المتقلد له بل مذهب الحاكي"، ويقول قالت الهند إن هذه الرياح تدخل الأبدان كما تدخل أشعة الشمس في البلور، وقالوا إن إخراجها من الأجسام يكون بالفداء والتبخير، وتعاويذ تعلق على المجنون.

---

١ د. كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، مرجع سابق ص. ٥٧

٢ د. جورج حداد، مرجع سابق، ص ٩٣

٣ فردوس الحكمة للطبري، ص ٥٥٧

وتتمكن هذه الأرواح من الناس إذا صاروا في وحدة أو ظلمة أو في بيت عبادة قد خرب، أو مقبرة، وتتسلط على الإنسان إذا لم ينظف نفسه أو عند ارتكاب المحارم، وتعرض للناس في وقت امتلاء القمر أو في أوله، وصنف منها في وقت المساء أو في ثمانية أيام من الشهر[١].

وفي بلادهم الواسعة، درس الهنود، العدد الضخم من النباتات الطبية، وعرفوا تأثيرها واستعمالاتها في العلاج. وكانوا يعتنون بالطب الوقائي خاصة ما يتعلق بالأغذية.

ومن أهم مصادر تاريخ العلوم الطبية عند الهنود كتاب "علم الحياة" Ayurvedas الذي يحتوي على صيغ سحرية لطرد الشياطين وممثليها من البشر.

ومن أهم مراجعهم الطبية (Susruta) والذي يرجع تاريخه إلى أوائل العهد المسيحي أو أقدم من ذلك، وبه معلومات عن الجراحة والتشريح و ٧٠٠ عقار نباتي منها الحشيش، والمسعفات التي كانون يعتقدون أنها تنقي الدماغ.

وتم تطوير الأيورفيدا كنمط من المعالجة يمارسه الكثيرون في الغرب الآن وليس مجرد صيغ سحرية لطرد الشياطين[٢].

وعنيت المادة الطبية في الكتاب بالسموم وبمقويات الباه وبمضادات سم الثعبان، وقد استعمل الهنود القنب الهندي والهيوسيامس للتخدير في العمليات الجراحية من زمن قديم، ولا شك أن كثيراً من النباتات الطبية التي استعملها الهنود بناء على تجاربهم كانت ذات فائدة، ولعل أكبر دليل على ذلك نبات الراولفيا الذي استعمل في علاج ارتفاع ضغط الدم والذي يستعمل حديثا في جميع بلاد العالم[٣].

وكباقي الحضارات القديمة، كان يعتقد الهنود بأن المرض هو عقاب إلهي ناتج عن خطيئة ارتكبها المريض، لذلك من السهل تبرير ربطهم بين الصحة والأمور الأخلاقية والصلوات، فلقد "تعاون الدين والتصوف لديهم فأوجدوا نموذجاً من الطب الأصيل المبني على عقلانية، لكن لا يخلو من السحر والتدين"[٤].

وقد وقع أطباء الهند في نفس الخطأ الذي وقع فيه أرسطو حين كان يذهب إلى أن القلب هو مركز الشعور وأداته، وكانوا يظنون بأن الأعصاب تصعد من القلب وتهبط إليه[٥].

---

١ فردوس الحكمة، ص ٥٨٨

٢ الموجز من تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، د. محمد كامل حسين، ص ٣٠١

٣ د. آمنة مراد، ص ١٧٢

٤ تاريخ الصيدلة، أحلام استينية .. ص ٢٩

٥ د. محمد مرحبا، مرجع سابق ص ٩٤

وجاء في أحد تشريعاتهم تحذير من عقد الزواج بين شخصين مصابين بالصرع[1].

ولأطباء الهند شهرة عالمية في صنع أنواع من الترياق تمنع تأثير السموم في البدن، ولا يزالون يصفون أدوية فاعلة في علاج عضة الثعبان.

وعرف الهنود بدايات من التنويم المغناطيسي كوسيلة علاج وذلك بحكم اتصالهم بالمرضى في المعابد، ومعالجتهم بالإيحاء التنويمي أو بما يسمى "نعاس المعابد"[2].

واشتهر الأطباء الهنود منذ القدم بنجاحهم في علاج المتسممين بلدغ الأفاعي والحشرات السامة. ويمتاز طبهم عن بقية الشعوب بوجود فرع روحي فلسفي فيه وأن بإمكان البشر التغلب على الألم والمرض والشهوات بالإيمان العميق والرياضة النفسية والجسدية وهو ما يعرف باليوغا[3].

---

١ المرجع السابق ٩٥

٢ المرجع السابق ص ٩٦

٣ تاريخ الصيدلة لـ أحلام استيتية ص ٣٠

الطب في فارس القديمة

بدأ تاريخ الفرس وحكمهم بعد سقوط دولة الكلدانيين (من حــوالي ٦١٢ – ٥٣٩ ق.م.)، فهذه المملكة وصلت إلى أوج المجد والعظمة لا سيما زمن الملك نبوخذ نصر الذي نال مملكة واقتداراً وسلطاناً وفخراً، ولكن سرعان ما انقضــى هــذا العهد بقيام مملكة أخرى هي دولة مملكة مادي وفارس. وكان ذلك بظهور الملك كورش (King Cyrus the Great) الذي يسمى أحشويرش الكبير لانتصاراته، واتساع ملكه. وملك ابنه قمبيز من بعــده (٥٣٩ – ٥٢٢ ق. م.) حيــث امتــد سلطانه من شرق إيران حتى بلاد النيل، وتبعــه بعــده الملــك داريــوس الأول (٥١٢–٤٨٦ ق. م.) وقد بلغت مملكته آنذاك أوج القوة والسؤدد واحتــل بابــل، وسبق أن ظهر المصلح الديني زرواستر أوزراطشت (زرادشت فــي البهلويــة المتوفى حوالي ٥٨٣ ق.م.) وقد ولد قرب أذربيجان وعاش فــي ميــديا (بلــخ) بشمال غربي إيران ونادي بمذهب فلسفي وأنشد مــع قومــه تــرانيم الكاتــاس المحفوظة في الافستا (Avestas) وهي تعتبر مجموعة الديانة المزدية، وكانــت مذهب الدولة الساسانية حتى الفتح العربي الإسلامي. وبجانــب ذلــك تطــورت بالبلاد الإيرانية حضارة علمية اشتملت الصناعة الطبية وما يتبعها، واستمرت في التقدم حتى عاصرت الحضارة في أثينا وكوس وغيرها مــن الجــزر اليونانيــة عامة، ولا بد أنها تأثرت كثيرا بمجموعة الكتابات الإبقراطية المشــهورة (The Hippocratic Corpus) وفي هذه الأثناء راجت الأخبار بــأن ملــك الفــرس استدعى أبقراط (٤٦٠ – ٣٧٧ ق. م.) وتلاميذه لمعالجة الوباء والأمراض فيها، فأبى كما سنرى.

وبعد انقضاء فترة من الزمن كادت تتفوق حضارة الفرس على اليونان حين جاء الحدث التاريخي بظهور الاسكندر المقدوني الكبير (٣٥٦ – ٣٢٣ ق.م.) الملقب بذي القرنين والذي انتصر على مملكة الفرس في معركة إيسوس الحاسمة فــي ٣٣٣ ق. م.)[1].

جاء في أساطير الفرس أن الطب بدأ في عصر جمشيد فهو الذي أخرج أنــواع الطيب من مستودعاتها كالسمك والكافور والعنبر، ثم صعَّد أنوار الورد والزهور حتى حصل منها أمواهاً تتنفس عن روائــح تفعــم الخياشــيم وتــنعش الأرواح والنفوس وأظهر علوم الصناعة الطبية، وتصرف في أفانينها وتقلب في أساليبها، ووقف على أسرارها الغامضة ودقائقها الخفية، وتعرَّف خواص الأدوية، فشاعت هذه الصناعة بين الناس من ذلك الزمان.

---

١ د. سامي حمارنة، تاريخ تراث، مرجع سابق ص ٤٩

وذكر ابن أبي أصيبعة أن الاسكندر لما تملك دارا واحتوى على فارس أحرق كتب دين المجوسية وعمد إلى كتب النجوم والطب والفلسفة فنقلها إلى اللسان اليوناني وأنفذها إلى بلاده وأحرق أصولها.

وفي عام ٣٧٣م أنشئت في الرها Edessa مدرسة للطب أنشأها القديس أفرام، وكان يومها الطلاب من الفرس والسريان واليهود وغيرهم، وبلغت شهرة عظيمة حتى عام ٤٨٩ م حينما أقفلها الإمبراطور Zeno وشرَّد رجالها الذين ينتمون لطائفة النساطرة، فالتجأوا لمدينة جنديسابور ببلاد فارس، وهنالك وجدوا من عطف الأكاسرة مما شجعهم على بناء البيمارستانات وتعليم الطب فبلغوا في ذلك شأناً بعيداً، واستمر شأنهم هذا إلى حين ظهور الإسلام[١].

وكان الطب في بادئ الأمر من أعمال الكهنة وكانوا يمارسونه على أساس أن الشيطان خلق الأمراض والتي يجب أن تعالج بمزيج من السحر ومراعاة قواعد الصحة العامة، وكانوا يعتمدون في علاج المرضى على الرُّقَى أكثر من اعتمادهم على العقاقير، وحجتهم في هذا أن الرقى إن لم تشف من المرض لا تقتل المريض، وهو ما لا يستطاع قوله عن العقاقير، إلا أن الطب مع ذلك قد نشأ بين غير رجال الدين حينما زادت ثروة الفرس زيادة مطردة، حتى إذا كان عهد أرت خشتر الثاني تكونت في البلاد نقابة للأطباء والجراحين وحدد القانون أجورهم – كما حددها قانون حمورابي – وفقاً لمنزلة المريض الاجتماعية.

وقد نص القانون على أن يعالج الكهنة من غير أجر، وكان يطلب إلى الطبيب الناشئ عند الفرس أن يبدأ حياته الطبية بعلاج الكفرة والأجانب[٢].

إن طرق نقل التراث التي بدأت في اليونان ومرت من خلال الإمبراطورية الفارسية في طريقها إلى العرب، كانت أيضا شبيهة بتلك الطرق التي انتقلت فيها العلوم من السريان ففي عهد الإمبراطورية الأخمينية (Achaemenian empire) كان البلاط يجزل العطاء للأطباء اليونان والمصريين ممن كانوا يفضلون على الأطباء الفرس، الذين كانوا يمارسون طباً هو عبارة عن مزيج من السحر والدين.

ويمكن الاستدلال بوضوح في الكتب الطبية لذلك العهد على التأثير اليوناني عليها: فأفكار البرودة والحرارة والجفاف والرطوبة استعيرت من الإغريق ولكنها بعد ذلك استقطبت بمقتضى التعاليم الثنوية (Dualist) للزرادشتيين (Zoroastrians) التي تعتبر البرودة والجفاف شرَّيْن يتحتم على الطبيب أن يكافحهما بواسطة الأدوية والأغذية الحارة والرطبة، ومع أن المرء يعوزه الدليل القاطع لكنه يستطيع أن يفترض جازماً أنه على الأقل قد جرى نقل أعمال يونانية بكاملها إلى اللغة الفهلوية في عهد كسرى الأول، وهذا الاستنتاج واضح

١ د. التجاني الماحي، مرجع سابق ص ٣٢-٣٤

٢ وِل ديورانت، قصة الحضارة، ج٢ مجلد ١، ص ٤٤٥ – ٤٤٦

من جميع القرائن الثقافية، وقد تأثر الفن الساساني وتشكل على صور متعـددة بأشكال الفن البيزنطي[1].

١ مانفريد اولمان، الطب الإسلامي، ترجمة د. يوسف الكيلاني ص ٥٢ – ٥٣

الطب اليوناني

يجمع عدد من مؤرخي الطب "أن اليونانيين أخذوا كثيراً عن المصريين"، كما أخذوا عن الحضارة البابلية وأضافوا للطب الشيء الكثير[١].

وقد كانت علاقات اليونان مع مصر وسورية وبلاد فارس قوية قبل الميلاد وتشهد بذلك كتابات هيرودوت وهوميروس وغيرهما من المؤرخين.

وثمة شواهد عديدة على تأثير الحضارات التي سادت في هذه المناطق على الحضارة اليونانية، فقد عرف عن الآشوريين أنهم درسوا الفلك وتأثيرات الأبراج على الحياة الإنسانية وأعطوا الأرقام صفات سحرية، الشيء الذي نجده في المفهوم البقراطي للطب.

كما أن هناك تشابهاً غريباً بين الطب الفرعوني وبعض تعاليم أبقراط، كوصف الرضوض القحفية ومرض الكُزاز، وأن مركز الاستمناء في النخاع الفقري، مما يعزز الاعتقاد بتأثير الطب الفرعوني عليه.

كذلك لا بد أن قسماً من التشريح الجالينوسي يعود إلى الطب الفرعوني، لأن الديانات قديماً كانت تُحَرِّم فتح الجثث، ما عدا الديانات الفرعونية، وصحيح أنَّ من كان يفتح الجثث لم يكن محبوباً لكن ذلك لم يمنع من فتحها يومياً[٢].

ودراسة النصوص الأكادية والمصرية تدل لدى شعوبها على وجود فن شفائي لم يكن عارياً عن الملاحظات الدقيقة، إلا أنه بذات الوقت كان يستخدم وبصورة منتظمة أدوية وإشارات من نوع آخر تماماً (هي السحر والتشخيص السحري)[٣].

وبالإضافة إلى الخبرات الطبية اليونانية المحلية، من الثابت أن للطب المصري تأثيراً على الطب اليوناني، ويذكر المؤرخ هيرودوت الذي يعد أبا التاريخ "إن صناعة الطب موزعة بين المصريين إلى حد أن كل طبيب يداوي مرضاً معيناً واحداً لا أكثر، والبلاد مملوءة بالأطباء بعضهم للعين، وبعضهم للأسنان وبعضهم لأمراض البطن، وبعضهم للأمراض الخفيفة "وقد تأثر اليونان بهذا التصنيف الطبي المصري، كما أن أطباءهم وكهانهم انتقلوا فترة إلى معابد مصر فتأثروا بوسائل أطباء وكهان مصر في تلك الفترة.[٤]

---

١ د. محمد كامل حسين، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ص ٢٨٠-٢٨١

٢ أنظر: سليمان قطاية، الطب العربي، مقال بمجلة عالم الفكر، المجلد ١٠ عدد ٢، ١٩٧٩، ص ٢٨٣-٢٨٤

٣ رنيه تاتون، تاريخ العلوم العام، مجلد١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ص ٢٨٤

٤ د. فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، مرجع سابق، ص ١٦٠

ومن المؤكد تماماً أيضاً أن تعددية الاتصالات والمبادلات في يونان ذلك الـزمن كانت توسع مساحة المعارف وتفتح آفاقاً جديدة وبدون هذا المصدر الإغنائي كان يمكن لهذا التفتح الفخم في الطب الوضعي أن يلاقي المصاعب وربما الاستحالة[١].

---

١ تانون، ص ٢٨٥

الطب عند هوميروس

لقد اختلفت الآراء حول تاريخ نظم الإلياذة، فقد تساءل البعض هل كان ذلك زمن حرب طروادة التي تتألف من بعض قصصها النواة التاريخية للإلياذة، وهذه الحروب قد اختلف المؤلفون اليونان في تعيين تاريخها فجعلها بعضهم حوالي سنة ١٢٨٠ ق.م. وأرجعها البعض الآخر إلى سنة ١١٨٠ ق. م. ولكن في النهاية تم الاتفاق على أنه تقريباً كان ذلك التاريخ هو القرن التاسع ق.م. لأن ذلك التاريخ يوافق جيداً الأحداث السابقة المتأخرة.

تشتمل الإلياذة على ٩٨٩٥ بيتاً وهي عبارة عن قصة حروب، أما الأوديسا فتشمل على ١٢١١٠ أبيات وهي عبارة عن قصة سلام مليئة بالحب والخيال، كما هي مليئة بالسحر والخرافة، وتمتاز بالهدوء وهي نوع من القصة.

كما أن هناك مرحلة زمنية واضحة بين القصيدتين تقدر بحوالي قرن من الزمان.

لقد ذكر هوميروس الطب في الإلياذة فبيَّن أنه طب باطني وطب جراحي، وذكر أن ولدَيْ اسقلبيوس بودالير وماشاون كانا طبيبين عسكريين كان أحدهما طبيباً جراحاً والثاني كان طبيباً باطنياً.

لقد مارس اليونانيون حرفة الجراحة في عهد موغل في القدم وقد كشفت قصائد هوميروس عن الكثير من المعلومات الجراحية، فقد ورد في الإلياذة وصف لنحو ١٤٧جرحاً، وجاء هذا الوصف على درجة من الوضوح بحيث يستطيع الجراح أن يميز بينها تمييزاً واضحاً صحيحاً.

إن الإلياذة قد أظهرت حياة الطبيب وطريقة عمله اليومية في السلم والحرب في المدن اليونانية.

وتحتوي الملحمة على أوصاف واضحة كثيرة لعدد من الحالات الناجمة عن جروح معينة، أو معرفة خواص الإغماء وأعراض التشنج التي تصيب الإنسان عند الاحتضار كما استخدموا العقاقير من مختلف الأنواع Untroi olypharmacoi[1].

---

١ د. شادية حافظ، السريان وتاريخ الطب، نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٣ ص ١٤٢-١٤٣

نصبت أساطير اليونان أبولو Apollo إلها للشفاء وطبيبا لآلهة الأولمب يضمد جراحهم ويشفيهم مما يلم بهم من أمراض بعقاره المتخذ من جذور الفاونيا Pheony.

وكان لأبولو حديقة يزرع فيها أعشابه التي يعالج بها المرضى وفيها من نبت السحر والخشخاش Poppy واليبروح Mandragora وخانق الذئب Aconita والعشبة Smilax وغيرها شيء كثير. وعندما يطلق أبولو سهما من ثنية قوسه الفضي كان ذلك إيذانا منه بنزول الأوبئة وحلول الأمراض الفاتكة بين البشر.

اسقيبيلوس

اتفق كثير من قدماء الفلاسفة والأطباء والمؤرخين على ان اسقيبيلوس اليوناني هو أول من ذكر من الأطباء وأول من تكلم عن الطب وأنه "مخترع الطب"، وبلغ فيه مبلغاً عظيماً.

اسقيبيلوس معناها بالعربية "منع اليبس" وقيل أن أصل هذا الاسم في لغة اليونانيين مشتق من البهاء والنور، وأنه أخذ هذا العلم بالإلهام من الله، وحتى بعد مماته كان اليونان يستشفون بقبره.

وتقول الأسطورة اليونانية ان بلوتو إله الموت اشتكى اسقيبيلوس إلى آلهة الأولمب واحتج على قلة الوافدين للدار الآخرة زاعماً أن اسقيبيلوس كان ينتزع الموتى من بين مخالبه فغضب عليه زيوس كبير الآلهة فأرسل عليه صاعقة من السماء قضت عليه، وبعد موته نصب اليونانيين باسمه الهياكل وشيدوا له المعابد وأطلقوا عليها اسم الأسقولابي Asclipieia وكثر عددها حتى بلغت المئات. وقام أهم هذه الهياكل الأسقولابية في Pergamus, Cnidius, Apidauris من مدن اليونان كما اشتهرت طائفة من الكهنة اختصت بعبادته واقتفاء أثره، أطلق عليها اسم Asclepiads.

وخلّف أسقيبيلوس من زوجته أبيون Epione بنتين هما Hygiei و Panacea وكانتا تقومان بإطعام الأفاعي وخلّف أسقيبيلوس أيضا إبنين كانا طبيبين أحدهما Machaon والآخر Podalirius. وذكر في الإلياذة أن نسطور لما أسر ابن أسقيبيلوس امتنع عن قتله وقال لا أقتل من نستطيع ان ننتفع به في علاج جرحان[1].

وقال البعض إنه أخذ علم الطب عن هرمس (النبي إدريس) فقد كان تلميذه ويسافر معه.

وينقل ابن أبي أصيبعة قول يحيى النحوي أن أسقيبيلوس خلّف إبنين ماهرين في الطب، وعهد إليهما أن لا يعلّما الطب إلا لأولادهما وأهل بيته وأن لا يدخلا في صناعة الطب غريباً[2].

وينقل الكثيرون ما ذكره يحيى النحوي: "أن الأطباء المشهورين الذي كان يقتدى بهم في صناعة الطب من اليونانيين على ما تناهى إلينا ثمانية وهم: أسقيبيلوس الأول وغورس ومينس وبرمانيدس وأفلاطون الطبيب واسقيبيولس الثاني وأبقراط وجالينوس[3].

---

١ د. التجاني الماحي، مرجع سابق ص ٢١ – ٢٢

٢ ابن أبي أصيبعة، مرجع سابق ج١ ص ٢٧ – ٣١؛ القفطي ٨؛ ابن النديم ٣٤٦

٣ ابن النديم ص ٣٤٦؛ ابن أبي أصيبعة ج١ ص ٣٧؛ القفطي ص ١٠

أبقراط

ولا شك أن أشهر أطباء اليونان أبقراط (٤٧٠ – ٣٩٩ ق.م.) واضع القسم المشهور باسمه، الذي ما زال يؤديه خريجو الطب كل عام حتى يومنا هذا.

وأبقراط أول من نادى بعزل الطب عن السحر والدين وأول من اتخذ مكاناً خاصاً يدخل إليه المرضى للمعالجة من بستانه المجاور لبيته – أي أول مستشفى في التاريخ.

كما يعتبر أبقراط أول من كسر طوق "الاحتكار" عن العلوم الطبية، حيث كانت المهنة تنقل بالوراثة من الآباء للأبناء وهو "أول من علّم الغرباء الطب، وجعلهم شبيهاً بأولاده، كما خاف على الطب أن يفنى من العالم" [١].

ومن أقواله في كتابه "الفصول" وهو أشهر مؤلفاته: "من المستحيل شفاء حالات الجُلط الدماغية، وليس من السهل شفاء الحالات الخفيفة منها".

ومما قلّ فدلّ من كلام أبقراط قوله: الجسد يُعالج جملة على خمسة أضرُب، ما في الرأس بالغرغرة، وما في المعدة بالقيء، وما في البدن بإسهال البطن، وما بين الجلدين بالعرق، وما في العمق وداخل العروق بإرسال الدم [٢].

وفي كتابه "جراحات الرأس" وصف دقيق لعملية ثقب الجمجمة، ويقول فيه: "لا تثقب العظم إلى الأغشية "ديورا" Dura Mater لكي لا تتعرض هذه الأنسجة للتخريب، واغمس المثقب بين وقت وآخر بماء بارد وإلا احترق العظم من شدة الاحتكاك [٣].

ويدلنا هذا الوصف أنهم استعملوا مثاقب سريعة الدوران حتى إنها تستطيع أن تحرق من شدة احتكاكها به نتيجة دورانها.

ونظراً لقلة الوارثين في تعلم صناعة الطب، كما عهد اسقيبيلوس لابنيه بأن لا يعلّما صناعة الطب إلا لأولادهما وأهل بيته وأن لا يدخلا في صناعة الطب غريباً، فقد رأى أبقراط أن يذيع هذه الصناعة في جميع الأرض، وينقلها إلى سائر الناس ويعلمها المستحقين لها حتى لا تبيد.

وقال إن الجود بالخير يجب أن يكون على أحد يستحقه قريباً كان أو عبداً، واتخذ الغرباء وعلمهم هذه الصناعة الجليلة وعهد إليهم العهد الذي كتبه وأحلفهم بالإيمان المذكورة فيه، وأن لا يخالفوا ما شرطه عليهم.

---

١ ابن النديم ص ٣٤٦؛ القفطي ٦٦

٢ ابن أبي أصيبعة، ج١ ص ٥٠

٣ د. السامرائي، مختصر تاريخ..، ص ٩٦

وينقل ابن أبي أصيبعة عن أبي الحسن على بن رضوان قوله: كانت صناعة الطب قبل أبقراط كنزاً وذخيرة يكنزها الآباء ويدخرونها للأبناء [1].

وأقر أبقراط "بأن الصناعة الطبية هي من أشرف المهن وأجلها، وأنه لا عيب فيها سوى جهل بعض ممارسيها، ونقص فهم أو غش منتحليها ممن هم ليسوا أهلا للتسمّي بها، فكان ذلك سببا في سلب كرامتها والحط من قيمتها في نظر الناس. واعترف قائلاً بأن الأطباء بالاسم كثيرون وبالفعل قليلون [2].

وقد كتب أبقراط عدداً من المقالات الطبية، كما نسب إليه تلاميذه عدداً أكبر من ذلك، كتبوها باستيحاء من مبادئ أستاذهم، وجمعت هذه المقالات فيما عرف بالمجموعة الأبقراطية "Corpus Hippocraticum" .

وكانت لهذه المجموعة مكانة كبيرة عند الأطباء العرب، فترجموا معظمها وخصص ابن أبي أصيبعة في طبقاته ترجمة طويلة لأبقراط بل لم يتردد في أن يشير إلى ما كان عليه أبقراط من التأييد الإلهي [3].

وصنف أبقراط (٤٧٠ – ٣٩٩ ق.م.) الذي يلقب بأبي الطب كتاباً حول مرض الصرع أسماه الداء المقدس The Sacred Disease or Epilepsy نافيا فيه ورافضاً تسمية هذا المرض "بداء مُقدَّس" وأنه ليس مرضاً معجزياً سحري المنشأ يفوق الإدراك الطبيعي بل إنه طبيعي المنشأ والجذور ويمكن تحديده وتشخيصه ثم معالجته بأسلوب علمي صحيح.

ويصف أبقراط في كتابه هذا بطريقة علمية مرض الصرع ويبعد أسبابه عن التكهنات اللاطبيعية كسُكنى الأرواح الشريرة بل يقول إن منشأها في الدماغ ويمكن تعليله تشريحياً ومرضياً، وإنه ينشأ من الصغر أو الولادة نتيجة ما يمكن تسميته بحالة نفسية لا شعورية وعصبية دماغية. وتحصل على أثرها غيبوبة المريض بفقدان الشعور لا إرادياً مع التقلص العضلي [4].

---

١ ابن أبي أصيبعة ج١ ص ٤٢

٢ أنظر د. سامي حمارنة، محقق كتاب جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض، لابن القف الكركي، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٨٩ ص ٤٦٥

٣ ابن أبي أصيبعة ج١ ص ٤١

٤ د. سامي حمارنة، تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين، منشورات جامعة اليرموك ١٩٨٦ ص ٧٤

والصرع "إبليبسيا" Epilepsy باليونانية معناه أصلاً أخذ الحواس.
وكان كتاب أبقراط عن "المرض المقدَّس" الذي ينفي فيه القداسة عن الصرع خطوة رائدة وأولى في تحويل النظر حول هذا المرض وغيره من مجال الأساطير والسحر والشعوذة إلى مجال العلم.
وأدرك أبقراط أن هناك علاقة بين مرض الصرع والسوائل واعتبر الصرع مسبباً إلى حد ما عن رطوبة الدماغ، ولهذا اتجه إلى العلاجات التي تقلل هذه الرطوبة.
وقد تبين في العصر الحالي بأن الحركة الكهربائية للدماغ تضطرب نتيجة تناول مقادير كبيرة من السوائل والاحتفاظ بها (ما يعرف بالانسمام المائي)، ومثل ذلك زيادة احتمال إصابة المريض بالصرع بالنوبات الصرعية في حالات تجميع السوائل في الجسم في حالات عجز القلب والكلى [١].
ومن المُثُل التي دعا إليها أبقراط وضمَّنها في قسَمِه المشهور "لا أعطي إذا طلب مني دواء قتالاً ولا أشير بمثل هذه المشورة، وكذلك لا أدني من النسوة فرزجة (دواء نسائي) تسقط الجنين، وأحفظ نفسي في تدبيري وصناعتي على الزكاة والطهارة، ولا أشق أيضاً عمن في مثانته حجارة، ولكن أترك ذلك إلى من كانت حرفته هذا العمل، وكل المنازل التي أدخلها لمنفعة المرضى وأنا بحال خارجة عن كل جور وظلم وفساد إرادي".
ويذكر ابن النديم أسماء عشرة كتب لأبقراط مع شروحها وتفاسيرها موجودة بلغة العرب [٢].
ويقول أبقراط في كتاب الفصول: [٣]

- النوم والأرق إذا جاوز كل منها القياس فتلك علامة ردية.
- متى سكن النوم اختلاط الذهن فتلك علامة صالحة [٤].
- أن تكون الحمى بعد التشنج خير من أن يكون التشنج بعد الحمى [٥].
- من اعتراه تشنج أو تمدد ثم أصابه حمى انحلَّ مرضه [٦].
- السكتة إن كانت قوية لا يبرأ صاحبها وإن كانت ضعيفة لم يسهل برؤه [٧].

---

١ د. علي كمال، حالات الصرع، مرجع سابق، ص ٢٤٥

٢ ابن النديم، الفهرست ص ٣٤٧

٣ طبع في مطبعة المقتطف بمصر، بدون سنة الطباعة

٤ ص ٨

٥ ص ١٢

٦ ص ٣٦

٧ ص ١٥

- صاحب الصرع إذا كان حدثاً فبرؤه يكون خاصة بانتقاله في السن والمكان والتدبير [1].
- من الأمراض التي تحدث عند كثرة المطر.. صرع وسكات [2].
- الأمراض كلها تحدث في فصول السنة كلها إلاّ أن بعضها أحرى بأن يحدث ويهيج في بعض الفصول.. وقد يعرض في الربيع الجنون والصرع وكذلك في الخريف.. وأما الشتاء فيعرض فيه الصداع والسدر والسكات [3].
- التنفس المنقطع في الحمى رديء لأنه يدل على تشنج [4].
- التشنج الذي يكون من جرح خطر [5].
- صاحب الصرع إذا كان حدثاً قد يبرأ، وإلا فإن كان قد بلغ الخمس والعشرين سنة من سنّه فصرعه لا يفارقه ما دام حياً [6].
- البارد ضار للعصب والدماغ والنخاع الشوكي وأما الحار فنافع لها [7].
- اللبن رديء لأصحاب الصداع [8].
- من أصابه وجع في مؤخر رأسه فقطع له العرق المنتصب الذي في الجبهة انتفع بقطعه [9].
- التشنج يكون من الامتلاء (ارتفاع ضغط الدم) أو من الاستفراغ (الإسهال أو القيء الشديدين)[10].
- السكتة والفالج يعرضان خاصة لمن كان سنّه فيما بين الأربعين والستين[11].
- من أصابه في دماغه العلة التي يقال لها سفاقلوس (وهو الالتهاب المخي) فإنه يهلك في ثلاثة أيام فإن جاوزها فإنه يبرأ [12].

---

١ أبقراط ، كتاب الفصول، ص ١٥

٢ المصدر نفسه ، ص ٢٣

٣ ص ٢٤ - ٢٥

٤ ص ٣٧

٥ ص ٤٠

٦ ص ٤٠

٧ ص ٤٢

٨ ص ٥٠

٩ ص ٥١

١٠ ص ٥٦

١١ ص ٥٩

١٢ ص ٦٥

- العُطاس من الرأس إذا سخن الدماغ أو رطب الموضع الخالي من الـرأس، عند ذلك يدفع الهواء الباطن إلى الظاهر، ويسمع له صـوت لأن الموضـع الذي يخرج منه ضيق[1].
- من تزعزع دماغه فإنه يصيبه في وقته سكات[2].

ويقول أبقراط في كتابه العلامات:[3]

إن صرير الأسنان من دون عادة منذ الطفولة ربما أنذر بجنون وذلك خطر، وإن اجتمع صرير الأسنان واختلاط الذهن فدليلهما على الخطر مـن اجتماعهما،فـإن عرض الصرير في اختلاط الذهن فالحالة في أشد الخوف[4].

ويضيف: آلام في الرأس شديدة ومستمرة مع حُمَّى فهي علامة رديئة، لكن إن لم تكن علامات رديئة وتجاوز الصداع عشرين يوماً مع بقاء الحُمَّى فتوقع نزفاً من المنخرين .. والرُعاف فأحرى في من كان تحت سن خمس وثلاثين سنة[5].

ومن المصنفات الأبقراطية بحث "الجروح في الرأس" وينسب إجمالاً إلى أبقـراط ويشتمل على أوصاف لأنواع الجماجم المختلفة ولنظرية الكسر بالصدمة المعاكسة Contrecoup وفيه منهج في كيفية ثقب الجمجمة بالتُّرْبَنَة، ومناقشة للحالات التي يشار فيها بإجراء هذه الجراحة العظيمة وتلك التي تفضل فيها لامتناع عن ذلك[6].

---

١ أبقراط ، كتاب الفصول ، ص ٦٥

٢ المصدر نفسه ، ص ٦٦

٣ طبع في مطبعة المقتطف بمصر

٤ ص ١٧٥

٥ ص ٨٨

٦ جورج سارتون، تاريخ العلم، دار المعارف، القاهرة، ج٢ ط٢ ص ٢٧٣ – ٢٧٤

أرسطو

لعل أعظم علماء الإغريق بعد أبقراط هو أرسطو (٣٧٤ – ٣٢٢ ق.م.) تلميذ أفلاطون، ويلقب بسيد العلماء، ويُنْسَب إليه أنه بدأ في الطب بدراسة علوم النبات والحيوان والتشريح والأجنة والفسيولوجيا، وكان يُدَرِّس تشريح الحيوان علمياً [١].

اشتهر أرسطو (أو أرسطوطاليس ومعناه تام الفضيلة أو محب الحكمة) عند العرب كفيلسوف أكثر منه طبيباً، وكان يعتبر القلب مصدر الذكاء، أما الدماغ فهو عضو لتبريد القلب، وكان يعتقد أن الطبيعة مكونة من أربعة أشياء، اليبوسة، والرطوبة، والبرودة والحرارة. وهذه تلاقت مع شيء من الاختلاف مع فكرة أبقراط عن سوائل الجسم "أخلاطه الأربعة" وهي الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء.

وأي اضطراب في توازن هذه الأخلاط يؤدي إلى المرض.

ويقول أرسطو: ويكثر خلط المرة السوداء وهي باردة وجافة في فصل الصيف فإن تركز هذا الخلط في الدماغ سبَّب مرض المالينخوليا وإذا توضع في الأعضاء الأخرى من الجسم سبب السرطان [٢].

وعام ٣٠٠ ق. م. ظهر طبيب يوناني أسمه هيروفيلوس، وكان عالماً في التشريح ووظائف الأعضاء وأقام علمه على المشاهدة والترجمة. وكان أول من فهم وظيفة الأعصاب وميَّز بين وظيفة كل من أعصاب الحس وأعصاب الحركة[٣].

وفي منتصف القرن الأول قبل الميلاد ظهر طبيب أسمه "اسكليبادس" فدعا إلى معاملة المرضى العقليين بإنسانية ولم يوافق على حجزهم في حجرات مظلمة [٤].

١ د. أمنة مراد، مرجع سابق ص ٢٠١

٢ د. السامرائي، ص ١١٤

٣ العلم في التاريخ، برنال، مرجع سابق ص ٢٤٦

٤ د. مصطفى فهمي، علم النفس الاكلنيكي، مكتبة مصر ١٩٦٧ ص ٧

مدرسة الإسكندرية الطبية

لا شك ان الإسكندرية كانت من أهم البلاد ثقافة وإشعاعاً للتراث القـديم. ولهـا تاريخ حافل بالأحداث منذ أسسها اسكندر الكبير ٣٣١ ق.م. وكان قصده إدخـال الثقافة الهلينية في مصر وبطريقة أوسع في الشرق. والذي حدث هو أن الهلينية نفسها قد أخذت من الشرق ما أعطاها صيغة خاصة [1].

إن مدرسة الإسكندرية هي التي جعلت من الممكن ولأول مرة إجـراء فحـص شامل لبناء الجسم البشري، فلقد سبق أن قام أبقراط وتلاميذه وغيرهم من الأطباء ببحوث تشريحية،إلاّ أن بحوثهم لم تكن أبداً على مثل تلك الدرجة من الترابط ولا طرقهم بمثل تلك الجودة.

كانت مدرسة الإسكندرية تعتبر مدرسة تجريبية وكانت تذهب إلى أن الطـب لا يختص بالبحث في أسباب المرض وإنما يختص بعلاجه فحسـب عـن طريـق التجربة وملاحظة الحالات المتشابهة.

وتشتهر مدرسة الإسكندرية بوضعها أسـاس علـم التشـريح رغـم تحفظـات المصريين واليونان على تشريح الجسم البشري.

وبقيت هذه المدرسة مركز الطب والثقافة عدة قرون ومنها تخـرج جـالينوس، وكانت أول منهل علمي لجأ إليه العرب في عصر الأمويين.

ونبع في مدرسة الإسكندرية عدد من الأطباء جعلوا بأبحاثهم العلميـة مدرسـة الطب في الإسكندرية تفوق ما كانت عليه المدرسة الأبقراطية، ولقـد زاد تلـك المدرسة ازدهاراً وتألقاً رجلان عبقريان هما هيروفيلوس وارازستراتوس اللذان كان لكل منهما مذهبه الخاص في الطب والعلاج.

وكان هيروفيلوس أحد مؤسسي النهضة اليونانية كما أنه اشتهر بعلـم التشـريح والجراحة، وكانت أبحاثه التشريحية تدور حول المخ، وتوصل إلى أن المخ هـو مركز التفكير وأنه متصل بالجهاز العصبي، وفرّق بين المخ والمخيخ وميّز بين أوتار العضلات والأعصاب ووَصف أعصاب الإبصار.

لقد كانت واحدة من أسوأ أخطاء أرسطو أنه جعل الذكاء في القلـب بـدلاً مـن الدماغ. فرفض هيروفيلوس ذلك الخطأ.

وإذا أسمينا هيروفيلوس مؤسس علـم التشـريح فربمـا جـاز لنـا أن نسـمي ارازستراتوس مؤسس علم الفسيولوجيا، وقد سُمِّيَ أيضاً مؤسس علـم التشـريح المقارن وعلم التشريح المرضي.

كان علم التشريح المقارن طبيعياً لأن الأطباء القدامى كانوا مضطرين لتشـريح الحيوان، كما كانوا في حاجة إلى تشريح الإنسان.

---

١ الأب د. جورج قنواتي، المسيحية والحضارة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص ٦٦

ولقد أطلق عليه: المُشَرِّح المرضي، ذلك لأنه أجرى عمليات تشريح بعد الموت، أي أنه شرّح جثث أشخاص بعد موتهم مباشرة، وكان تاريخهم الطبي معروفـاً، ولذلك استطاع أن يعرف الإصابات التي كانت سبباً في وفاتهم. وتتعلق الكشوف التشريحية الرئيسية له بالدماغ والقلب والجهازين العصبي والوعائي.

ومن أشهر أطباء وعلماء مدرسة الإسكندرية الطبية:

الاسكندر الإفروديسي الدمشقي: كان فيلسوفا متقنا للعلوم الحكمية وله مجلس عام يُدَرِّس فيه الحكمة، كما شرح من كتب أرسطو الكثير.

لقد رأى جالينوس واجتمع معه أي عاصره ويقال أنه هو الذي لقبه برأس البغـل لعناده وكانت بينهما مخاصمات ومشاحنات.

ألف الاسكندر الإفروديسي كتباً كثيرة ضمنها مقالات عديدة منها مقال في السوداء (مالينخوليا) ومقالة في الرد على جالينوس.

هيراقليدس: النصف الأول من القرن الأول ق.م. كان جراحاً بارعاً ووضع كتاباً ممتازاً عن العقاقير الطبية Materia Medica مؤكداً أنه لم يذكر فيه شـيئاً لـم يجرِّبه بنفسه، وقد مهَّد الطريق إلى كشف الأدوية المخدِّرة Anaesthetics حتى وصلت إلى استخدامها كمسكنات استخداما صحيحاً.

يحيى النحوي: كان في أول أمره أسقفاً، وقد أكرمه عمرو بن العاص عند فتحـه لمصر، ويعتبر يحيى النحوي من أبرز علماء المدرسة حيث قام بشرح عدد كبير من كتب جالينوس الطبية، كما قام بوضع عدد كبير من المؤلفـات فـي الطـب وغيره من العلوم مما منحه شهرة واسعة داخل الإسكندرية وخارجهـا، وعُـرف يحيى النحوي باسم "يوحنا فيلوبونس" وهي الكلمة التي ترجمها العـرب بمعنـى "المحب للتعب أو المحيط بالاجتهاد" ولعل هذه التسمية نسبة إلى جماعة مسـيحية هي جماعة محبي الاجتهاد.

بولس الأجيني: برز أيضاً في مدرسة الإسكندرية، وقد وضع عدداً مـن الكتـب الطبية تعرف باسم كتب الطب السبعة، وقد كانت بمثابة الأساس في التعليم الطبي بالعربية واللاتينية في ذلك الوقت، كما ظلت تُدَرَّس كمراجع ذات قيمـة كبيـرة وذلك لمدة طويلة[1].

---

١ د. شادية حافظ، مرجع سابق ص ١٦٣ - ١٦٩

ويظهر النشاط الإيجابي لمدرسة الإسكندرية في تكوين تلاميذ مشهورين كالطبيب الفيلسوف سرجيوس الرأس عيني، والطبيب آيتيوس الأمدي، وفي أوائل القرن السابع الميلادي كان هناك من الأطباء بولس الأجانيطي وأهرن، وكان لكتب هؤلاء العلماء تأثير كبير في دراسات العرب الأولى [1].

بعد تدمير كورنث Corinth عام ١٤٦ ق.م. انتقلت حركة الطب من بلاد اليونان إلى روما على أيدي النازحين من الأطباء وكان الطب الروماني حينذاك في أبسط حالته. وأشهر الأطباء الذين كانوا من معاصري ذلك العهد الطبيب اليوناني أسكليبياديس Asclepiades الذي انتقل إلى روما حوالي عام ١٢٤ ق.م. ، ومارس مهنته بين الرومان وكان أول من بحث في علاج الأمراض العقلية، وجرَّب فيها أثر الرياضة البدنية، واستعان بالخمر والموسيقى لمعالجة الحالات المصحوبة بالأرق، واستطاع تشخيص الحالات الجنونية الناشئة عن التسمم الاستقلابي أو الأيضي Metabolic Toxaemia.

واشتهر بين رجال ذلك العصر المؤلف الروماني سيلزوس Celsus وقد وضع كتابه المشهور: De Re Medica عام ٣٠ م وهو أول مؤلَّف طبي ظهر باللاتينية نقل فيه ما وصل إليه علم الجراحة في العصر الإسكندري. وقد هاجم سيلزوس أساليب علاج المرضى العقلين المتصفة بالعنف [2].

وفي القرن الأول الميلادي .. استعمل الطبيب اليوناني ديسقوريدس طبيب نيرون وكان عالماً بطب الأعشاب نباتاً عشبياً اسمه اللفاح "Mandragora" كمخدر في عملياته الجراحية ووصف طريقة تحضيره وذلك بغلي جذور هذا النبات في النبيذ إلى أن يتبخر ثلثه.

ويبدو أن شراب اللفاح كان شائعاً إلى وقت قريب، حيث أشار إلى مفعوله شكسبير في روايته "انطونيو وكليوبترا" فجاء على لسان كليوبترا: "اسقني شراب الماندراجورا لأنام هذه الفترة الطويلة التي يتغيبها عني انطونيو" [3].

واللفاح نبات يقطينيٌ من الفصيلة الباذنجانية، أصفر اللون، طيب الرائحة وله سمية، لذلك عرف بتفاح المجانين، وبالسريانية يبروح أي ناقص الروح، وجذوره تشبه شكل شخصين متعانقين لا ينقصهما سوى الروح، مما كثرت بسبب ذلك الظنون حول هذا النبات وتأثيره. وعرف عن تأثيراته المنومة فقد كان يأكله الرعاة فينامون أو تذهب عقولهم [4].

---

١ الأب جورج قنواتي، مرجع سابق، ص ٦٩

٢ د. مصطفى فهمي، علم النفس الاكلينيكي، مكتبة مصر ١٩٦٧ ص ٧

٣ د. محمد السمري، التخدير عبر التاريخ، مقال بمجلة العربي، الكويت العدد ٤٠٢ -- مايو ١٩٩٢ ص ١٤٠

٤انظر د. سامي حما رنة، محقق كتاب جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض، لابن القف الكركي، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٨٩ ص ٦٢٠

ونبات اللفاح أو اليبروح عرف عنه الصينيون أيضا كعلاج [1].

ولا نختتم هذه العجالة دون أن نذكر ديوسقوريدس Dioscorides أبا الصيدلة. كان ديوسقوريدس يوناني الأصل دخل في خدمة الإمبراطور نيرون بين عامي ٥٤ و ٦٨م، والتحق طبيباً في سفنه التي تمخر البحار للتجارة والغزو، وكتب موسوعة نباتية حوت وصف ستمائة من أجناس النباتات، ونُقلت هذه الموسوعة إلى العربية وسُمِّيَت كتاب الحشائش. وأشار ابن النديم إليه فقال: (ويقال له السائح في البلاد ويحيى النحوي يمدحه في كتابه في التاريخ ويقال: تفديه الأنفس، صاحب النفس الزكية، النافع للناس، المنفعة الجليلة، المتعوب المنصوب، السائح في البلاد والمقتبس لعلوم الأدوية المفردة من البراري والجزائر والبحار والمصور لها .. الخ) [2].

١ الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، د. محمد كامل حسين ٣٠٦

٢ د. التجاني الماحي، مرجع سابق ٢٩ - ٣١

جالينوس

جالينوس (١٣٠-٢٠١م) وأصله يوناني وهو طبيب اكتسب شهرة فائقة وألف العديد من الكتب الطبية ومنها "كتاب في العصب" مقالة واحدة إلى المتعلمين، ذكر فيها أن أزواج الأعصاب تنبت من الدماغ والنخاع، وفروعها، كما ذكر عمل كل واحد منها.

ويذكر ابن النديم أنه انتهت لجالينوس في عصره رئاسة الطب، وهو الثامن من الرؤساء الذين أولهم أسقليباس (أسقليبوس) مخترع الطب.

ويذكر القفطي أنه "كان إمام الأطباء في عصره ومؤلف الكتب الجليلة في صناعة الطب".

ويضيف أنه "مفتاح الطب وباسطه وشارحه بعد المتقدمين له" [١].

ولجالينوس حوالي خمسين كتاباً مترجماً إلى العربية ذكرها القفطي بالإضافة إلى ستة عشر كتاباً شرحها جالينوس من كتب أبقراط [٢].

وقد تلقى جالينوس علومه الطبية في جامعة الإسكندرية وعاد إلى بلده برجاموم اليونانية فحقق نجاحاً منقطع النظير.

ومن تجاربه أنه قطع بعض أعصاب الرقبة فحل الشلل بالكتف، تماما كما قال بذلك قبل أن يجري التجربة. كما أثبت أن الأعصاب تأتي من الدماغ وليس من القلب، كما اعتقد الأطباء في زمانه [٣].

وجالينوس أحد آباء الفزيولوجيا، إذ كان أول من اكتشف دور المخ في الحركة الإرادية، وأول من وصف سبعة أعصاب قحفية، كما عرف بعض خصائص الأعصاب والعضلات[٤].

ومن فلسفات جالينوس أن روح الإنسان ثلاثة وهي الروح الحيوانية ومركزها الدماغ، وهي سر الدماغ، وتسري عبر الأعصاب، والروح الكونية ومركزها القلب وهي سر العاطفة وتدخل مع النفس، والروح الطبيعية ومركزها الكبد وهي سر النمو وتدخل مع الطعام.

ومن الأخطاء التي وقع فيها جالينوس قوله أن الأعصاب ما هي إلا أنابيب جوفاء لنقل الروح الحيوانية، وبعد الموت تتصلب وتنسد.. وأن وظيفة الرأس هي حمل العينين فقط.

وقد انتقد جالينوس أرسطو فقال عنه: "لقد زعمت يا أرسطو أن الأعصاب تنبت في القلب فلماذا اكتفيتَ بهذا القول، دون أن تبين لنا كيف تتشعب فيه".

---

١ القفطي ص ٨٦

٢ القفطي ٩٠ -٩١؛ ابن النديم ص ٣٤٧

٣ د. حسن أبو غزالة، جالينوس أشهر أطباء التاريخ، مجلة العربي رقم ٣٤٨ نوفمبر ١٩٨٧ الكويت

٤ د. منصف المرزوقي، الطب الإسلامي وجالينوس، المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١، ط٢ ص ١٠٤

وقد أثبت جالينوس فيما بعد في تجاربه العلمية أن الأعصاب إنما تأتي من الدماغ، لا من القلب [١].

وقد اهتم جالينوس بالتجارب العملية فأجرى اختبارات للوقوف على طريقة عمل بعض أعضاء الجسم مثل صلة الحبل الشوكي Spinal Cord بحركات الجسم[٢].

وينقل ابن أبي أصيبعة عن بعض كتب جالينوس التي يصف بها كيف كان يعالج الأمراض ومنها قول جالينوس: "وإني أعرف رجلاً سقط عن دابته فتهشم ثم عولج فبرأ خلا إصبعين من أصابع كفه وهما الخنصر والبنصر بقيا خدرين ولا يملك حركتهما .. فلما أتاني سألته عن الموقع الذي قرع الأرض من بدنه، فقال إنه ما بين كتفيه، وكنت قد علمت من التشريح أن مخرج العصبة (العصب) التي تأتي الإصبعين أول خرزة (فقرة) فيما بين الكتفين، علمت أن أصل البلية هو

الموضع الذي تنبت منه تلك العصبة من النخاع، فوضعت على ذلك الموضع الأدوية وأمرت أن لا تستعمل الأدوية التي وصفها له الأطباء التي كانت توضع على أصابعه باطلاً فلم يلبث حتى برئ [٣].

وكان جالينوس يُحَرِّم دفن الميت قبل مرور أربع وعشرين ساعة على وفاته ليتم التأكد من موته فقد يكون المريض ليس ميتاً فعلاً [٤].

وقد مدح الشاعر العربي أبو العلاء المعري كتب جالينوس وأبقراط بقوله:

سقياً ورعياً لجالينوس من رجل ... ورهط بقراط غاضوا بعد أو زادوا

فكل ما أصّلوه غير منتقض ... به استغاث ألو سقم وعواد

كتب لطاف عليهم خف محملها ... لكنها في شفاء الداء أطواد [٥]

وأجرى جالينوس تجارب على الخنازير الحية ، وجد فيها أنه عندما يضغط على الدماغ ينتج عنه حركات لا شعورية كما يؤدي إلى الشلل [٦].

ويقول جالينوس في كتاب "الصناعة الصغيرة" الذي ترجمه حنين بن اسحق العبادي:

"وأصناف الأعضاء كلها أربعة، وذلك أن منها أصولاً ومنها فروعاً تنبت من تلك الأصول، ومنها ما ليست مستولية على تدبير غيرها، ولا غيرها مستولياً على تدبيرها، لأن القوى التي يكون بها تدبيرها غريزية فيها، ومنها ما لها قوى غريزية فيها، وقوى تجري إليها من تلك الأصول".

---

١ د. حسن أبو غزالة، جالينوس أشهر أطباء التاريخ، مقال في مجلة العربي، الكويت، العدد ٣٤٨ نوفمبر ١٩٨٧ ص ٧٥

٢ الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، د. محمد كامل حسين ص ٢٩٦

٣ ابن أبي أصيبعة ج١ ص ١٢٣

٤ ابن أبي أصيبعة، ج٢، ص ٢١٤

٥ ابن أبي أصيبعة، ج١، ص ١٣٣

٦ د. مصطفى فهمي، علم النفس الإكلينكي، مكتبة مصر ١٩٦٧، ص ٧

والأصول هي: الدماغ والقلب والكبد والانثيان (الخصيتان) والفروع التي تنبت من هذه الأصول وتؤدي عنها، أما التي تنبت في الدماغ وتؤدي عنه: فالعصب والنخاع.. وسائر الأعضاء تحتاج إلى.. العروق الضوارب وغير الضوارب والعصب [1].

ويذكر جالينوس ما يسميه العلامات الدالة على مزاج الدماغ ومنها قوله: "فالرأس الصغير علامة خاصية لرداءة هيئة الدماغ" [2].

والرأس الكبير ليس يدل بالضرورة على جودة هيئة الدماغ. فقد ينبغي أن نفرق بينهما بالشكل وبالأشياء التي تنبت من الرأس.

أما بالشكل فننظر هل هو مُشاكِلٌ (متناسق) أم لا. فإن التشاكل علامة جيدة دائماً.. والشكل الذي خُصَّ به الرأس هو كأنك توهمت كرة شمع صحيحة الاستدارة قد غُمِزَتْ من جنبيها قليلاً، فإنك إذا توهمتَ الرأس كذلك، علمتَ أنه لا محالة لا بد من أن يصير مقدمه ومؤخره أخرج من حد استدارة الكرة [3].

وانظر مع ذلك في العصب والرقبة وسائر العظام.. فإن كانت هذه الأشياء على أخس من الحال الطبيعية فاعلم أن الأصل (الدماغ) ضعيف. وفي أكثر الحالات يتبع نقصان مؤخر الرأس ضعف هذه الأشياء التي وصفناها ولا يكاد الأمر يقع بخلاف ذلك إلا في الندرة.

وقد سمَّى قوم الأطباء هذا الجزء من الدماغ دماغاً "خلفياً" ويحده الشأن (suture) الذي يشبه باللام في كتابة اليونانيين [4].

وهذا الجزء من الدماغ هو الأصل الذي ينبت منه الدماغ.. وهو أصل أيضاً لجميع العصب الذي تكون به الحركة الإرادية في بدن الحيوان كله، وأما هو نفسه فإنما ينبت منه عصب يسير العدد من عصب الحس. كما أن الجزء الآخر الذي يلي المقدَّم ينبت منه عصب كثير العدد جداً من عصب الحس، وعصب قليل العدد من عصب الحركة [5].

---

١ تحقيق د. محمد سليم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨، ص ٣٢-٣٤

٢ ص ١٩

٣ ص ٣٧

٤ ص ٣٨

٥ ص ٣٩

وحسب نظرية الأخلاط (حار، بارد، رطب، جاف) يتحدث جالينوس عن جوهر الدماغ فيقول: إن إبطاء التعلم يدل على أن جوهره عسر القبول لتصور الأشياء فيه، والنسيان يدل على أن جوهره جوهر سيال له ثبات، وكثرة النزوات والتنقل في الأهواء تدل على أن جوهره حار، وثبات الرأي يدل على أن جوهره بارد.. وأن الدماغ إذا كان معتدلاً في الكيفيات الأربع فجميع الأشياء التي ذكرنا تكون فيه على اعتدال[1].

وبموت جالينوس بدأت العصور المظلمة في تاريخ الطب في أوروبا والتي استمرت حتى العصور الوسطى، فتم التعامل مع المرضى العقليين بالرعب والقسوة وبالقتل والرجم بالحجارة أحياناً بسبب الاعتقاد أن الشياطين والأرواح النجسة تسكنهم[2].

أما في العصر البيزنطي (٤٧٦ – ٧٣٢م) فقد اشتهر عدد وافر من الأطباء منهم اوريباسيوس (٢٢٥ – ٤٠٢م) وقد نقلت بعض كتبه أيام النهضة العباسية منها كتاب الأدوية المستعملة وكتاب السبعين مقالة وكتاب إلى ابنه أسطاث وكتاب إلى أبيه أرناميس. ومنهم روفوس الإفسُسي وقد نقل له العرب نحو العشرين كتابا.

وايطس أميدي (٥٠٢-٥٧٣م) وكان طبيباً للإمبراطور جوستنيان والاسكندر الطرولي (٥٢٥-٥٧٣م) وقد وصف أمراض الديدان وصفاً دقيقاً حسناً في كتابه المُسَمَّى (كتاب الصُّفْر والحيات والديدان التي تتولد في البطن) ويعزى له أنه أول من استخدم الراوند للمعالجة. وأشار ابن النديم إلى كتبه الثلاثة التي نقلت إلى العربية وهي كتاب الديدان الذي سبق ذكره وكتاب علل العين وكتاب البرسام، وقد اقتبس من أصولها اليونانية يحيى بن سرافيون في كنَّاشه الكبير وكنَّاشه الصغير اللذين وضعهما بالسريانية ومنهم بولس الإيجانيطي (٦٢٥-٦٩٠م) وكان بولس آخر المؤلفين اليونانيين وأعماله الجراحية مشهورة وقد وصف عملية ثقب الجمجمة[3].

وألف روفس الأفسُسي وهو طبيب يوناني (القرن الثاني م) كتاب الماليخوليا وفيه معلومات عن مداواة المصاب بهذا المرض بالطعام والشراب والهواء النقي مما (يعينه) على شهوة الطعام لتتحسن صحته.

ومما جاء فيه أيضاً أن "الضرب على الرأس يقيء المرار لتخفف مرض الماليخوليا"[4].

---

١ ص ٤١

٢ د. مصطفى فهمي، علم النفس الاكلينيكي، مرجع سابق، ص ٨

٣ د. التجاني الماحي، مرجع سابق ص ٣١

٤ د. السامرائي، ص ١٤

ونقل العديد من الأطباء العرب القدامى عن روفس ومنهم الرازي واسحق بن عمران طبيب زيادة الله الأغلبي الذي قال: "لم أجد أحداً من الأطباء كتب في موضوع الماليخوليا ووفاه حقه من الشمول والشرح إلا عالماً يونانياً اسمه روفس الأفسُسي[1].

إن أكثر الضرر الذي استمر ملازماً للممارسة العملية والنظرية للطب كان مبعثه نظرية الأخلاط الأربعة للجسد[2].

كما أن تَمَسُّك القدماء بالأرواح في تفسير الظواهر الطبيعية، أعاق تقدم العلم والطب كثيراً، وبالسبب نفسه أحجموا عن التدخل حتى لا يثيروا غضب هذه الأرواح، لأن تدخلهم ربما يعتبر اعتداء على حقوقها. وربما كانت مثل هذه المحاولات تمثل تهديداً أيضاً لأرزاق الكهنة الذين كانوا يستثمرون نظرية الأرواح السحرية في خدمة مصالحهم، وأن بطلانها يفقدهم الهيبة والعمل والدخل أيضاً.

وكما كان الطبيب في الحضارات القديمة، كان الطبيب في اليونان واحداً من الأرستقراطيين إلى حد ما يتعامل أساساً مع الأثرياء. أما العامة فقد بقي علاجهم في أيدي الزوجات والعجائز والمشعوذين الذين يستخدمون العلاجات التقليدية والسحرية [3].

---

١ . السامرائي، ص ١٤٥

٢ العلم في التاريخ، برنال، ص ٢٠٩

٣ العلم في التاريخ، جون ديزموند برنال، ترجمة د. علي ناصف، المؤسسة العربية للدراسات العربية للدراسات والنشر بيروت ط١، ١٩٨١، ج١، ص ٢٠٥

الطب العربي
في العصر الجاهلي وصدر الإسلام

- العرب قبل الإسلام
- اليهودية والنصرانية في الجزيرة العربية
- الطبيب العربي الحارث بن كلدة
- فجر الإسلام والطب النبوي

العرب قبل الإسلام

كانت كلمة العرب قبل الإسلام تطلق على الأقوام الذين سكنوا في البُقعة الممتــدة في الجزيرة العربية وشرق نهر النيل وغرب الفرات [1].

إن معظم سطح الجزيرة العربية صحراء تحيط بها حافة ضيقة من الأرض التــي تصلح للسكن، فإذا زاد عدد السكان عن طاقة الأرض لاحتمــالهم، كــان علــى الفائضين أن يبحثوا عن أماكن أخرى، عبر مخرجين هما سلوك الساحل الغربــي نحو الشمال وبلاد الشام ومصر، وقد سلك هذا الطريق ساميون مهاجرون حوالي ٣٥٠٠ ق.م واستقروا في مصر واختلطوا مع سكانها، وفريق آخر سلك الطريــق الشرقي واستقر في وادي الرافدين حيث كان السومريون، ومن هذين الشعبين نتج الشعب البابلي الذي شاطر المصريين الفخر في وضع الأسس لميراثنا الثقافي.[2]

وحوالي ٢٥٠٠ ق.م، حدثت هجرة سامية أخرى إلى غربي الشام وفلسطين، ومع مجيء الإسلام، فاضت الجزيرة العربية بحملة "الإسلام"، فــي وضــح التــاريخ، فكانت حجة يعتمد عليها المؤرخون في كيفية حدوث "الموجات" السابقة.

ونظراً لموقعهم هذا في العالم القديم كانت تجارتهم واقتصادياتهم ناجحة، فأسســوا حضارات بلغت شأناً عظيماً، وكان الرحَّالة والتجار يضربون في الأرض ضرباً بعيداً فيصلون إلى أقصى ما كان يعرف في عالمهم آنذاك.

فقد كان هاشم يتاجر إلى الشام فتوفي في غزة، وعبد شمس كــان يتــاجر إلــى الحبشة، والمُطّلب يتاجر إلى اليمن ونوفل إلى العراق. وهم أصحاب الايلاف التي يذكرها القرآن الكريم (لإيلاف قريش إلافهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبــدوا رب هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) [3].

وحياة العرب في الجاهلية، بعيدة كل البعد عما يتوهمه بعض الواهمين .. فيذهبون إلى أن عرب الجاهلية لم يكونوا سوى قوماً بدائيين، يحيون حياة بدائية في معزل عن غيرهم من أمم الأرض [4].

ولأن أكثر العرب كانوا يترحلون طلباً للماء والكلأ، فلم يخلفوا حضــارة ماديــة كالرومان، وإنما اعتمدوا على الحفظ في تاريخهم وأنسابهم وأيامهم – حروبهم – ودونوا أغلب ذلك في دواوينهم أي الشعر.

---

١ انظر دي لاسي أوليري، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة المرحوم موسى الغول، منشورات وزارة الثقافة ١٩٩٠ ص ص ١٩-٢٤ Arabia Before Muhammad.

٢ تاريخ العرب، د. فيليب حتي، دار غندور، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٧٤، ص ٣٦

٣ سورة قريش

٤ د. ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، دارالمعارف، الطبعة الخامسة ١٩٧٨، ص١٨

ومع أن بعضهم عرف الكتابة، إلا أنهم كانوا يحجمون عن الأخذ من الكتب والصحف ويعتبرون ذلك مثلبة، لهذا ضاعت العديد من مآثرهم وخبراتهم في مختلف أصناف المعرفة ومنها علومهم الطبية.

وكانت للعرب قبل الإسلام ثقافة غنية متنوعة عاش فيها الحضر والرحل جنباً إلى جنب.

ونظراً لتأثرهم بمن حولهم، تعددت معتقدات العرب الدينية قبل الاسلام، فقد عبدوا الشمس والقمر والزهرة والتي سموها عشتار [١]. كما عبدوا الأصنام كاللات والعزى وهي آلهة اعتبروها بنات الإله الأكبر. والعزى تطابق كوكب الزهرة، في حين تمثل اللات الشمس [٢].

أما مناة فكانت صخرة لهذيل وخزاعة، وفيها ما يشير إلى أنهم قدسوا بعض الأحجار .. وبعض الشجر مثل ذات أنواط التي كان "يحج إليها المكيون سنوياً". [٣]وقيل أن عمر بن لحي أحضر معه من مآب من أرض البلقاء صنماً من الأصنام التي كان يعبدها العماليق، وقيل إن بني إسماعيل عندما ضاقت عليهم أحوالهم في مكة والتمسوا الفسح في البلاد حملوا بعض حجارة الحرم معهم، وعبدوها، وقد اتخذت قريش صنماً على بئر في جوف الكعبة "هبل" .. واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه .. وكانت اللات لثقيف بالطائف وهي صخرة مربعة .. لها سدنتها وحجابها.

وكان لطيء صنم يقال له "الفلس" كانوا يعبدونه ولا يأتيه خائف إلا أمن عنده، وكان ذو الكعبات صنماً لقبائل بكر وتغلب وإياد وكان بناءً مربعاً وكل بناء يبنى مربعاً فهو كعبة [٤].

وقد عرف العرب الأجرام السماوية، وحركاتها، لأن سماء بلادهم مؤهلة لتمكينهم من ذلك نظراً لصفائها وموقع بلادهم في منطقة تطل عليها القبة السماوية من جميع أركانها [٥].

ويقول الشاعر تأبط شراً :

يرى الوحشة الإنس الأنيس ويهتدي

بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك

أي كان يهتدي لوجهته في الليل باعتمادة على اتجاه المجرة .

---

١ Encyclopedia Britanica, Macropedia, volume ١ ١٩٧٥ P ١٠٥٨

٢ دي لا سي اوليري، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى الغول، منشورات وزارة الثقافة عمان، ١٩٩٠، ص ٢١٢

٣ د. شوقي شيف، الشعر والغناء في المدينة ومكة، دار المعارف، ط ٤، ص ١٥٣

٤ سيرة النبي، إبن هشام، مكتبة دار التراث، القاهرة ص ص ٥٠-٩٤

٥ مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٤٦ كانون ثاني – حزيران ١٩٩٤، مقال للدكتور يحيى جبر بعنوان التكون التاريخي لاصطلاحات البيئة الطبيعية والفلك ص ٣٥

كما ربطوا بين هذه النجوم وبعض أوقات تلقيح الشجر حيث يقول الكميت بن زيد:

تصل النتاج إلى اللقاح مربة

لخفوق كوكبها وإن لم يخفق

ومن ذلك الحديث الشريف: (إذا طلع النجم رفعت العاهة، وفي رواية أخرى "العاهات")، والمقصود عاهات النخل أي لا يظل منها شيء بعد طلوع الثريا [1].

وكان العرب أو بعضهم يؤمن بأن القمر يختن المواليد، ومن ذلك قول امرئ القيس يهجو قيصر الروم:

إني حلفت يمينا غير كاذبة إنك أقلف [2] إلا ما جنى القمر [3]

وللعرب أسجاع ربطوا فيها بين النجوم والكواكب السيارة وبين حوادث الطبيعة وجعلوها مواقيت لهم، فنسبوا بعض الأفعال والظواهر لها، كالحر والبرد، والجفاف أو كثرة الأمطار، ومن نحس وسعد وفي حدوث أمراض وأوبئة وغير ذلك.

ونستطيع أن نتصور مدى إيمان القدماء بتأثير الأجرام السماوية على الإنسان والحيوان على الأرض، إذا علمنا أنه مازال البعض حتى يومنا هذا يؤمن بذلك [4].

كما كرّم العرب بعض أنواع الحجارة "كالحجر الأسود" والحجارة البازلتية السوداء وخاصة التي تتخذ شكل المثلث، حيث كانوا يعتقدون بأنها مكان سكنى بعض الآلهة أو "بيت أيل" [5].

---

١ د. يحيى حبر، الأجرام السماوية – دراسة في الموروث اللغوي، مقال في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٢٧، كانون ثاني – حزيران ١٩٨٥ ص ص ٣١ – ٤٨)

٢ قلف: لم يختن، المنجد

٣ ديوان امرؤ القيس، دار كرم بدمشق، ص ٦٧

٤ للتدليل على ذلك أنظر حديث عماد مجاهد، الراصد الفلكي الأردني، لجريدة الدستور الأردنية، ١٩٩٥/٥/٢٩) " أما عن تأثير الأجرام السماوية، فقد أوضح الراصد الفلكي عماد مجاهد أن الشمس والقمر يؤثران بشكل واضح على سلوك الإنسان والحيوانات على الأرض، فعندما يحدث المد والجزر في البحار نتيجة جذب القمر تتأثر بعض الحيوانات البحرية بذلك وعندما يحدث المد يفتح "المحار" صدفته لتناول طعامه، وعندما يحدث الجزر يغلق "المحار" صدفته خوفاً من الجفاف، والغريب أن المحار يعرف بالضبط متى يحدث المد والجزر كما أن بعض الأسماك لا تقترب من الشاطئ إلا عندما يكون القمر مكتملاً أيضاً، ووجد الفلكيون أيضاً أن الطيور المهاجرة تغير اتّجاه سيرها عندما تزداد البقع الشمسية على سطح الأرض، وهذا يعني أنها تتأثر بالنشاطات المغناطيسية الشمسية، كما وجد العلماء أن نسبة المواليد بالنسبة للبشر تزداد بشكل واضح عندما يكون القمر هلالاً، ويزداد معدل الولادة عند الأشخاص الذين يعيشون على شواطئ البحار عندما يكون البحر في حالة المد وتقل نسبة الولادة عندما يكون البحر في حالة الجزر، هذا بالإضافة إلى العديد من التأثيرات الأخرى من الأجرام السماوية على الإنسان والحيوان.

وأخيرا أكد السيد مجاهد "أن هذه التأثيرات تعد طبيعية ولا خلاف عليها كون الإنسان جزءاً من هذا الكون، ولكن من المستحيل الكشف عن مستقبل الإنسان من خلال الأجرام السماوية".

٥ Encolopedia Britanica, P ١٠٥٨

وكان الأثرياء من العرب يضعون مجسمات لهذه الأصنام في بيوتهم، لاعتقادهم بأنها تجلب البركة وتمنع الشر ومن غير المستغرب أن يطلبوا إغاثتها في شفاء المرضى.
وربما تعود فكرة تكريم وتقديس الحجارة التي تتخذ شكل المثلث المخروطي، إلى تأثيرات الفراعنة، وما زالت بعض الشعوب في أمريكا اللاتينية حتى اليوم تضع مجسمات للأهرامات مصنوعة من الحجارة الرخامية المصقولة أو النحاس في بيوتها اعتقاداً منهم بتأثيرها على حياتهم .
وقيل إن أشتاتاً من العرب عبدت النار، سرى إليها ذلك من الفرس المجوس [١].
وربما أوقدوا النار بخشب الصندل والمندلي وما شابه من الأخشاب العطرية، وأضافوا إليها البخور واللبان لطرد الشياطين والشر والقوى الخفية.
واعتقدوا في النيران قوى سحرية قادرة على شفاء المرضى، ومن بقايا هذا الاعتقاد "نار السليم" التي توقد للملدوغ والمجروح، ومن عضة الكلب(أي المصاب بداء الكَلَبْ)، وقد يعلقون عليه حلي النساء [٢].
واعتقد الجاهليون بالهاتف، وهي أصوات تصدر من مصدر غير مرئي، فزعم الشعراء والموسيقيون بأن الجن توحي لهم، ويقول ذو الرمة:
للجن بالليل في حافاتها زجل   كما تجوب يوم الريح عيشوم [٣]

وقالوا ان لكل شاعر فحل شيطانه يلهمه الشعر، وأن شيطان امرأ القيس أسمه لاحظ، وهبيد شيطان عبيد بن الأبرص، وهاذر شيطان النابغة، ومسحل شيطان الأعشى.
والشاعر كما تدل الكلمة في العربية، هو في الأصل رجل وُهب معرفة ما ستر عن العامة وذلك بواسطة شعور خفي يوحيه إليه شيطان خاص، إذن فالشاعر من أحلاف قوى غير مرئية تؤثر في هناء الإنسان وشقائه، وبإمكانه أن ينزل البلايا على خصمه، ولذا كان للهجاء منزلة قديمة في الشعر العربي [٤].
والربط بين المرض العقلي والإبداع والعبقرية قديم، حيث كان الإنسان القديم ينظر لهذا المريض بخشية وخوف وأحياناً باحترام وتعظيم لقدر المريض الذي خص بلمسه من القوى الخارقة، وأنه يستطيع الاتصال مع عالم آخر.
وهذه النظرة جعلت المريض العقلي في مأمن من الأذى، وحتى في اللغة العربية، "فمجنون" لها ارتباط بالجن وهي كائنات اعتبرها القدامى في مرتبة وسطى بين الإنس والملائكة، ومصطلح "عبقري" يعني من يتمتع بقدرات فوق ما

١د. أنور أبو سويلم، النار في الشعر الجاهلي، "مجلة دراسات" الجامعة الأردنية، العدد الثالث، ١٩٨٨ ص ٨١

٢ د. أنور أبو سويلم، مرجع سابق ص ١٠٨-١٠٩

٣ الزجل : الأصوات المختلطة. عيشوم : نوع من النبت يتخشخش اذا هب عليه الريح

٤ تاريخ العرب، د. فيليب حتي، دار غندور ، بيروت، ط ٥ سنة ١٩٧٤، ص ١٣٩

هو مألوف، و"عبقر" هو موضع زعمت العرب أنه من أرض الجن، فكان يزعم الشعراء أن لهم جنيات من هذا الوادي.

ويبدو أن كلمة عبقري انتقلت إلى لغات أخرى بنفس المعنى، ومنها في الإنجليزية (Genius) وفي الإسبانية (Ingenioso, Genio) .

ونعت العرب قيس بن الملوح بالجنون وسموه "مجنون ليلى" العامرية، لا لأنه يحبها، وإنما لأن مصدر جنونه وشاعريته واحد وهو الجان [1].

وقد ربط أرسطو بين العبقرية والجنون فقال : "ليس هناك من عبقري بدون جنون".

والربط بين العبقرية والجنون ربط مبرر فكلاهما يأتي بأقوال وأفعال غير مألوفة وغير مسبوقة.

وعندما جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم نعته البعض بالجنون فجاءت الآية "وما صاحبكم بمجنون" [2]، وفي ذلك نفي قاطع بأن يكون ما جاء به النبي ولو أنه فوق خبرتهم، له علاقة بالجنون.

ونسب الجاهليون إلى الجن الأمراض والأوبئة والجنون، وعالجوها بالتقرب إليها بالهدايا، وكانت إذا طالت علة الواحد منهم وظنوا أن به مساً من الجن، لأنه قتل جنية، عملوا جمالاً من طين وجعلوا عليها حنطة وشعيراً وتمراً، وباتوا ليلتهم عندها، فإذا أصبحوا نظروا إلى الجمال والطين، فإذا كانت على حالها اعتقدوا أن الجن لم تقبل الدية فزادوا عليها من حنطة وتمر وقالوا قبلت الدية، واستدلوا على شفاء المريض وفرحوا وضربوا بالدف. قال الشاعر:

قالوا وقد طال عنائي والسقم   أحمل إلى الجن حمالات وضم

واعتقد بعضهم أن حالات الإغماء هي ضربة من الجن، فذكر أن رجلاً من بني سهم كان في نخل له ومعه جاريته، فصرعت قدامه، فأدرك أن الجن صرعها فخاطبهم قائلاً : "يا معشر الجن، أنا رجل من بني سهم، وعلمتم أن بيننا العهد والميثاق لا يغدر بعضنا بعض، فإن غدرتم عدنا إلى ما تعرفون. فخافت الجن وأفاقت الجارية".

فقد كانوا يعتقدون أن للجن قبائل تراعي حرمة الجوار وتحفظ الذمم والعقود وتعقد الأحلاف [3].

وكثيراً ما دخلت الخرافة إلى علمهم، فاعتقدوا أن سبب "الجنون" هو دخول الأرواح الخبيثة إلى داخل الرأس، فكانوا يضربون المجنون ويعذبونه لإخراج تلك الأرواح – وللأسف ما تزال بعض هذه الممارسات تحدث حتى الآن.ونموذج

---

١ د. علي كمال، فصام العقل ص ٣٧٧

٢ التكوير ٢٢

٣جزيرة العرب قبل الإسلام، برهان الدين دلو، ج٢، ص ١٤٨

القوى الخارقة، يعد من أقدم النماذج التي فسر بها الإنسان المرض العقلي، ومن هذا النموذج في فهم المرض توجه الاهتمام إلى محاولة استعطاف هذه القوى أو طردها مستعينين بالسحر والأدعية، أو التفاوض معها.

وقد ساد هذا النموذج التفسيري للمرض في حياة كثير من الأمم في العصور القديمة وحتى زمن ليس ببعيد في العصور الحديثة، بالإضافة إلى أنه ما زال النموذج الذي يلاقي رواجاً في المجتمعات البدائية والمتخلفة حتى وقتنا هذا.[1]

وكثيراً ما كان العرب يقدِّمون القرابين إلى أصنامهم علها تحن على مرضاهم، وكذلك كانوا يفعلون بعد شفائهم.

ومن الخرافات التي آمنوا بها أن "دم السادة يشفي من مرض الكَلَب، وأن عظام الميت تشفي من الجنون" [2].

وكرَّم العرب أسلافهم من الأبطال ومن رأوا فيهم قوى غير طبيعية، حباً وتقديراً لهم وأملاً في استمرار دفاعهم عنهم وحمايتهم، وكانوا يأخذون مرضاهم إلى قبور هؤلاء وأضرحتهم يتوسلون تدخلها لشفائهم.

وكان العرب ينذرون النذور للآلهة إن أجابت طلباً لهم، وغالباً ما تكون النذور القرابين والذبائح، ويمكن أن تكون النذور مصوغات أو غيرها. وكانت تلحق بمعابدهم مواضع وتسمى "الجب" – البئر – على شكل حفرة تلقى فيها النذور وهدايا العباد.

وكان الجاهليون لا يحلون لأنفسهم التملص من الوفاء بنذورهم لاعتقادهم أنهم إن لم يفوا بها غضبت الآلهة عليهم، وعاقبتهم، وكثرت لمعابد العرب الأملاك والأموال وكلها اندرجت تحت ما كان يسمى الحبوس. وكان الكهنة يشرفون على إدارة هذه الممتلكات والأموال[3].

وكان التوسل للأصنام عادة شائعة لدى العرب إلا ما ندر، يلجأون إليها عند وقوع مرض أو مصيبة، ويقدمون لها القرابين والأضحية، وكان الكهنة والعرَّافون والمنجِّمون والسحرة يتولون أمور المعالجة فيقدمون الحُجُب ويعلقون التمائم وينشدون الأناشيد لطرد الشياطين التي تسبب المرض.

وكانون يعلقون التمائم ، وهي أحجار طبيعية اعتقدوا لها قوة في الشفاء في العنق أو تحت الإبط أو تحت الرأس عند النوم، ولكل نوع من هذه الأحجار مدلول خاص عندهم، فالعقيق واسطة للشفاء، أما الحجب فهي رقاع تدوَّن فيها كتابات ورموز، تعلق في مكان خفي من جسم المريض، أو توضع في ماء يشرب منه المريض.

١د. علي كمال، فصام العقل، مرجع سابق ص ٢٩

٢ د. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، الطبعة ١٤، ص٨٤

٣جزيرة العرب قبل الإسلام، برهان الدين دلو، مرجع سابق، ج٢، ٢٥٦

وكان الكهنة والسدنة والعرّافون والسحرة بالإضافة لأعمالهم المعروفة، يقومون بأعمال التطبيب، والقضاء بين المتخاصمين، والاستقسام بالأزلام والتوسط لـدى الآلهة في تلبية طلبات الناس بدفع المرض عنهم والاستمطار في سني القحط.
وربما رقصت عذارى الجاهلية حول الأصنام رقصة "الدوار" لنيل رضى الآلهة واستعطافها لإبعاد المرض والأذى عن الشخص المعني، وقد ورد ذكر "الـدوار" في الشعر الجاهلي كقول امرئ القيس:

فعن لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار في ملاء مذيل[1]

وكان أغلب السحرة في الجاهلية من اليهود [2].
وبالإضافة لعمل الكهان والعرافين الديني كانوا يتولون معالجة المرضى، ويقول الشاعر العاشق "عروة بن حزام":

فقلت لعراف اليمامة داوني فإنك إن داويتني لطبيب

كما كان العطار يعد بمثابة الصيدلي في أيامنا هذه، ويستهزئ الشاعر من امرأة تقدمت بها السن تريد العودة شابة ويقول:

تروح إلى العطار تبغي شبابها وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر ؟!

وكان للكهان أسلوب خاص في تعاملهم، حيث يعمدون إلى الغمـوض، ليفسـر السائل الإجابة حسب ما يريد، كما كانوا يستعملون كلمـات هـم ينحتونهـا ولا يعرفها الناس حتى يعطوا لأنفسهم مزيداً من الهيبة عند سائلهم، ولتوطيد نفوذهم والحصول على مزيد من الأموال، وكان الكهان يشيعون في أوساط الناس كثيراً من الخرافات حول قدراتهم الطبية.
واشتهر في جزيرة العرب طائفة من الكهان والكاهنـات ومـن أشـهرهم شـق وسطيح، وذكر بأن سطيحاً كان كتلة من لحم لا عظم فيه إلا الجمجمة.[3]
وقد تجمعت لدى العرب قبل الإسلام خبرات طبية وليدة تجـاربهم أو اتصـالهم بغيرهم من الأمم، فعرفوا علاج طوارئ القتال واستعملوا شعر البنـات وشـعر الخيول في خياطة الجروح، كما استعملوا العسل ولطوخ الشمع لضمدها [4].

---

١ ديوان امرئ القيس، دار بيروت، ١٩٥٨ ص ٥٧

٢ أنظر جزيرة العرب قبل الإسلام، برهان الدين دلو، مرجع سابق نقلاً عن د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢، ص ٧٤٤

٣ جزيرة العرب قبل الإسلام، برهان الدين دلو، مرجع سابق ص ٣٤٩

٤ انظر مراجعة الدكتورة ابتسام الدلال لبحوث الدكتور كمال السامرائي حول الطب الجراحي قبل الإسلام عند العرب – بغداد – فبراير ١٩٨٩، ونشرت المراجعة في مجلة جمعية أطباء البحرين عدد ٢ ، كانون الأول ١٩٨٩

ويبدوا أن طبيباً اشتهر قبل الإسلام يدعى ابن حذيم الذي قيل فيه مثل مشــــهور "أطبُ من ابن حذيم" [1].

وابن حذيم رجل من قبيلة تيم الرباب ، قيل إنه من أحذق من مارس الطب بـــين العرب قبل الإسلام .

قال أوس بن حجر يذكره :

فهل لكم فيها إليَّ فإنني   بصير بما أعيا النطاسيَّ حذيما ؟

وكان الطب عند عرب الجاهلية يعتمد على تجارب بسيطة وكان للعادة والتقليـد تأثير في تداول بعض الوصفات البدائية، وغالباً مـــا يلاحــظ عنــد معـــالجتهم للأمراض عدم الربط بين العلة والمعلول "السببية".

ويرى ابن خلدون أنه كان : "للبادية .. طب يبنونه في غالب الأمر على تجربـــة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثاً عن مشايخ الحي وعجائزه وربما يصـــح منه البعض إلا أنه ليس على قانون طبيعي ولا على موافقة المزاج، وكان عنـــد العرب من هذا الطب كثير، وكان فيهم أطباء معروفون [2].

ويعلل ابن خلدون قلة الأطباء في البادية، وضرورة وجود الصناعة الطبية فـــي الحواضر والأمصار بقوله إن وقوع الأمراض في أهل الحضر والأمصار أكثر بسبب تنوع أكلهم، وإن الأغذية تفسد في الأهراء [3] بمخالطة الأبخرة العفنة مـــن كثرة الفضلات، ثم أن الرياضة مفقودة لأهل الأمصار إذ هم في الغالب وادعون ساكنون، فكان وقوع الأمراض كثيراً وعلى قدر ذلك كانت حـــاجتهم لصـــناعة الطب.

أما أهل البدو فمأكولهم قليل، وأغذيتهم بسيطة وبعيدة عما يخالطهـــا، وأهـــويتهم قليلة العفن والرياضة موجودة عندهم لكثرة الحركة، فتكون أمزجتهم أصلح وأبعد عن الأمراض، فتقل حاجتهم إلى الطب، ولهذا لا يوجد الطبيب في البادية [4].

والبداوة شكل منسق من أشكال الحياة التي استطاعت التأقلم مع بيئة الصـــحراء، حيث قلة الماء وشدة الحر ومشقة السفر وندرة الكلأ. وللصحراء أثرها الواضح في جسم البدوي فليس "جسمه لدى التشريح سوى حزمة من الأعصاب الحساسة والعظام والعضلات. فكأنه مثال لجذب الأرض وقحطها" [5].

---

١ أنظر الميداني، مجمع الأمثال: ٤٤١/١، رقم ٢٣٤٠، طبعة محيي الدين عبد الحميد، ط ٣، دار الفكر ١٩٧٢ بيروت.

٢مقدمة إبن خلدون، دار القلم، بيروت، ط د، ١٩٨٤، ص٤٩٣

٣المستودعات

٤مقدمة إبن خلدون، مرجع سابق، ص ٤١٦-٤١٧

٥أنظر تاريخ العرب، د. فيليب حتي، دار غندور، بيروت، ١٩٧٤، ط د، ص٣٥

وطبَّ في لغة العرب: داوى، وتأنّى للأمور وتلطّف. والطّبّ: العالِمُ بالطِبّ، الحاذق الماهر بعمله [1].

وفي لسان العرب لابن منظور فمن معاني الطب في اللغة : السحر، والمطبوب المسحور والطاب السحر يستخدم طبه في الشفاء.

واختلطت عند أطباء العرب القدامى أعراض المرض بالمرض نفسه، فوضعوا لكل مرض اسماً مشتقاً من أعراضه، فسموا ألم الرأس صداعاً، لأن المصاب به يحس وكأن رأسه "يصدع" أي يفلق إلى قطعتين من شدة الألم، وسموا الصداع النصفي "الشقيقة" لأنها تصيب أحد شقي الرأس.

وبيت عنترة العبسي مشهور :

وسيفي كان في الهيجاء طبيباً يداوي رأس من يشكو الصداعا

ومن الأدوية التي استعملها قدماء العرب للصداع "الحنّاء" بدهنها على الرأس بعد عجنه وروي عن ابن ماجة في سننه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان إذا صدع، غلف رأسه بالحناء، ويقول إنه نافع بإذن الله [2].

ومن الأمراض التي سموها بعوارضها الصرع.

وقد عرف العرب الصرع مبكراً، ودلالات اللغة تحمل في ثناياها أوصاف هذا المرض، فيقال صَرَعَهُ : طرحه على الأرض، إنْصَرَعَ: صُرِعَ وسقط، الصُرَعَة: الحلم عند الغضب، لأن حلمه يصرع غضبه، الصريع: جمع صَرْعي: المَصْرُوع. تقول: باتَ صَرِيعَ الكأس "أي أن الشراب صرعه وطرحه أرضاً". [3]

وقيل عن أحد الشعراء: مسلم بن الوليد الأنصاري "صريع الغواني"، أي النساء الفاتنات يصرعنه أرضا، وهو شاعر عباسي، وإن الرشيد – هارون الخليفة – سماه "صريع الغواني" لبيت قال فيه :

هل العيش إلا أن تروح مع الصبا تغدو صريع الكأس والأعين النجل [4]

واستعمل العرب نفس التسمية اليونانية "الملينخوليا" لمرض فصام العقل أو الشيزوفرينيا كما هو حديثاً، وزادوا عليها مصطلحات مثل الجنون والخبال والسوداء، ووصفوا المصاب أحياناً بمصطلحات تنوه إلى السبب مثل "الملزوم" والمسكون. [5]

١المنجد، دار المشرق، بيروت، مادة طب، الطبعة ٢٣، ١٩٧٥، ص ٤٥٩

٢ ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص ٦٦

٣ المنجد، دار المشرق، ط٢١، ص٤٢٢

٤ أنظر مصارع العشاق، تأليف الشيخ أبي محمد جعفر الحسين السراج القارئ، دار بيروت، ١٩٥٨، ص٣٨

٥د. علي كمال، فصام العقل أو الشيزوفرينيا، الموسسة العربية للدارسات والنشر، بيروت ١٩٨٦، ص١٠

كما استعملوا وصف "إمنجم" لبعض من يعانون من فقدان الإحساس بالاتجاهات، وخاصة للتائه ليلاً، الذي يستدل على الاتجاه بالنجوم. و "إم" في لهجة حِمْيَر تعادل أل التعريف في الفصحى، وما زالت تستعمل بقايا هذه اللهجة في مناطق فلسطين والأردن.

وقد استعمل النبي محمد صلى الله عليه وسلم هذه اللهجة في مخاطبة أحد الوفود التي وفدت من اليمن بقوله: "ليس من إمبر إم صيام إم سفر" عندما سئل عن الصيام في السفر فرد عليهم بلهجتهم.

واستعمل الأوروبيون في القرون الحديثة وصف "القمرية" (Lunacy) كدلالة على العلاقة التي افترضوها بين القمر والجنون [١].

وقد عالج العرب "الخرافات بمثلها" فكانوا إذا خافوا على الرجل الجنون أو تعرض الأرواح الخبيثة له نَجَّسوه بتعليق الأقذار عليه كخرقة الحيض وعظام الموتى [٢].

وفي ذلك يقول الشاعر :

فلو أن عندي جارتَيْن وراقيا وعلّق أنجاسا عليَّ المعلّق

كما استعملوا الفصد والحجامة – هدر قدر معين من الدم – لأوجاع الرأس وأمراض العين، والعلق لتمص الدم من الجلد الذي تعلق به وقالوا "خير الدواء العلق والحجامة".

وأشهر الأدوية عند العرب ثلاثة : شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وهي مأخوذة من حديث للرسول صلى الله عليه وسلم. وآخر الدواء الكي، وهو مثل مشهور بقي حتى يومنا هذا، منسوب إلى لقمان بن عاد "لقمان الحكيم أحد المعمرين في العصر الجاهلي وفي القرآن الكريم سورة باسمه (لقمان: ٣١، الآية ١٣ ما بعدها) يوصي فيها ابنه بطاعة الله واحترام الأبوين [٣].

وكان لقمان عبداً حبشياً، شاع ذكره بين العرب كحكيم أكثر منه طبيبا، وله عدة أقوال ذهبت كأمثال طبية منها : "ليس مال كصحة" و "لا تقلق نفسك بالهموم".

وقيل إن لقمان الحكيم عاش في زمن داود النبي عليه السلام، وممن أخذ الحكمة عنه بندقليس الذي انصرف إلى بلاد اليونان [٤].

وفي الجاهلية لم يوجد عُرْف خاص يشير إلى ثواب الطبيب أوعقابه وإنما كانت سمعته تحدد ذلك .

١د. علي كمال، مرجع سابق، ص١٠

٢د. عامر النجار، مرجع سابق، ص٥٣

٣أنظر: د.جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨ ص٣٢٢ و ٣٩٠

٤ ابن أبي أصيبعة، ج١، ص٥٩

ويصف الشاعر طرفة بن العبد طبيباً اسمه نعمان يعجّل فـــي مـــوت مرضــــاه ويقول:

أقول لنعمان وقد ساق طبـــــه   نفوساً نفيسات إلى داخـــــل الأرض
أبا منذر، أفنيت، فاستبق بعضنا   حنانيك بعض الشر أهون من بعض [1]

إن اشتغال العرب الطويل في رعي الماشية، قد قربهم خطوة من الطب وباعدهم أخرى عن الخرافات، لأنهم راقبوا حمل وولادة ونمو مواشيهم، ولاحظوا أجزاء الحيوان عند ذبحه، ففي وصف طرفة بن العبد للناقة ما يوحي لـــيس بمشـــاهدة عارضة، وإنما بملاحظة عاقلة لأمور كثيرة من تشريح الحيوان، فقـــد أدرك أن الجمجمة مؤلفة من العظام يمسك بعضها ببعض لأن أطرافها مســـننة متداخلـــة، ووصف القلب بأنه أخذُ "ضامر" "مُلَملَم"، مصمد في صفيح (في ســـماء معلـــق) وذلك بقوله بمذهبته :

وجمجمة مثل العلاة كأنما   وعى الملتقى منها حرف مبرد
وأروع نباض أخذ مُلَمْلَـــم   كمرادة صخر في صفيح مصمد [2]

ووصلوا إلى معرفة بعض الأمراض المشتركة بين الإنســـان والحيـــوان، ولـــم يتورعوا عن إعطاء الحيوان نفس الأدوية التي عالجوا بها أنفسهم بجرع مختلفة.
وكان العرب يستعملون الفصد للإنسان والحيوان، وعرفوا الجراحة مبكراً كدواء للعديد من أمراض الحيوان.
"ومنه معرفة العروق التي يفصدها، وهي في المواشي واحد وعشرون عرقـــاً، وعرفوا "البازرنكان" حيث يفصد الحيوان في عرقي النواط عوضا عن الصدغين في الإنسان وموضعهما جانبا الدماغ مما يلي الأذنين وفصدهما قوي النفع فـــي الجنون والغلة وتحريك الرأس وثقل الحركة" [3].

---

١ العلوجي، تاريخ الطب العراقي، مرجع سابق، ص١٠٦

٢ جزيرة العرب قبل الإسلام، برهان الدين دلو، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٩ ج١، ص ٣١١

٣ د. طه الشبيب، الطب البيطري عند العرب، دار الجاحظ، بغداد ١٩٨٠ ص ٢٩

اليهودية والنصرانية في الجزيرة العربية

تفسر المعتقدات التوراتية القديمة المرض العقلي بأنه تعبير عقاب يقع على الفرد بسبب انتهاكه للوصايا، والعقاب طبقاً لهذا النموذج هو أن "روح الرب قد تخلت عن شاؤول وروح شريرة أرسلها الرب تملكته برعب مفاجئ".

وفي وقت لاحق أضيفت إلى الأرواح الشريرة أسباب أخرى كالوراثة والفسق، العلاقات الجنسية المحرمة والقذارة والكسل [١].

وقد أثبتت الدراسات المعاصرة أن للوارثة سبباً في بعض الأمراض، وتزداد إذا كان الوالدان مصابين به .

إن العهد القديم لا يفرق بين الكاهن والطبيب، فكان الكاهن يقوم بفحص الأبرص لتحديد حالته الصحية، وذلك على خلاف مع العقيدة الإسلامية التي تضع حداً واضحاً بين الطبيب وعالم الدين [٢].

وطبقاً للعهد القديم فالمرض رمز للذنب وفي نفس الوقت رمز للعقاب .

عرفت في الجزيرة العربية الديانة اليهودية والتي اعتنقها قليل من العرب ، وقد أنشأ اليهود تجمعات شبه مغلقة لهم في الجزيرة العربية وعملوا في الزراعة واشتهرت منهم ثلاث قبائل هي : بنو قينقاع، بنو النضير وبنو قريضة وكان أكثر وجود اليهود في يثرب حتى مجيء الإسلام.

اشتهر اليهود في جزيرة العرب بالكهانة والعرافة التي كان يمارسها أحبارهم ومن المؤكد أن هؤلاء مارسوا الطب بشكل من الأشكال وخاصة معالجة المرضى العقليين.

كان لظهور الديانة المسيحية، وما رافقها من معجزات تتعلق بشفاء المرضى، أثر كبير في نفوس الناس وبالتالي الأطباء، فشاع الاعتقاد بأن شفاء الأمراض وعلى الأخص النفسية والعصبية أمر ممكن أن يتم عن طريق الإيمان وقوة رجال الدين والأتقياء والصالحين، والأولياء والقديسين.

كان العرب، على حافة الصحراء السورية، على اتصال دائم بالنصرانية، وكانت "تنوخ" في المرتبة الأولى بين عرب البادية الذين عرفوا النصرانية قبل الإسلام بزمن طويل ... وكانت النصرانية واسعة الانتشار على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، في قبائل قضاعة وربيعة وتميم وطيء، كما كانت معروفة على الأقل في الحجاز ونجد، وكان ذكر الراهب النصراني ووصفه يتردد كثيراً في الشعر، وهذا يدل على أن النصرانية كان لها نصيبها من التأثير الخفي في الثقافة العقلية التي مثلها الشعر [٣].

---

١ د. علي كمال "فصام العقل" مرجع سابق ص ٣٠

٢ د. ناجي مدرسي، المفهوم الإسلامي للشفاء، المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط، ص.٦٥١

٣ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ط٥، ج١ ص ص ١٢٣-١٢٧

ويروي ابن هشام في "سيرة النبي" كيف وصلت النصرانية إلى جزيرة العرب حينما وصل إلى نجران رجل نصراني يقال له (فيميون) اختطفه بعض السيارة من الشام وابتاعه رجل من أشرافهم، فكان فيميون يتهجد في الليل فيضيء البيت نوراً من غير مصباح، فسأله عن دينه وكان أهل نجران يعبدون نخلة طويلة، فقال له (فيميون) إنكم تعبدون نخلة لا تضر ولا تنفع، فتطهر وصلى ثم دعا عليها فجاءت ريح فاقتلعتها فاتبعه أهل نجران على دينه.

وكان فيميون هذا إذا جاءه العبد به الضر دعا له فشفي، فقد عرض عليه رجل ابنه الصبي فدعا له (فيميون) فقام الصبي ليس به بأس، وقد كان مجنوناً.

وقد تعلم من فيميون هذا عبد الله بن الثامر، وكان يداوي المرضى حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه ودعا له فعوفي [١].

وربما تأثر العرب بطب الحبشة التي اتبعت دين المسيح، فقد كانت لهم معها علاقات تجارية وسياسية، ومن المعروف أن معجزة السيد المسيح في معظمها كانت في الطب والعلاج .

كان المسيح طبيباً للروح والجسد حسب المسيحية، فكان يعالج المرضى للتدليل على مكانته وقوته وكان "يشفي كل مريض".. فذاع خبره في جميع سورية، فأحضروا إليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة والمجانين والمصروعين والمفلوجين فشفاهم. فتبعته جموع كثيرة من الجليل والمدن العشر وأورشليم واليهودية ومن عبر الأردن" [٢].

"ولما صار المساء قدموا إليه مجانين كثيرين، فأخرج الأرواح بكلمة وجميع المرضى شفاهم" [٣].

والخطايا هي السبب في الأمراض ومنها الفالج، لذلك فالشفاء يتطلب غفران الخطايا فيعود المريض معافى "وإذا مفلوج يقدمونه إليه مطروحا على فراش. فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج ثق يا بني. مغفورة لك خطاياك.. قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك، فقام ومضى إلى بيته. فلما رأى الجموع تعجبوا ومجدوا الله الذي أعطى الإنسان سلطاناً مثل هذا" [٤].

"وكان في المجمع رجل به روح شيطان نجس.. فانتهره يسوع قائلا اخرس وأخرج منه الشيطان في الوسط وخرج منه ولم يضره شيئا..لأنه بسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة فتخرج" [٥].

---

١ سيرة النبي (ص)، لابن هشام، دار التراث – القاهرة، ج ١ ص ٣٠-٤٠

٢ انجيل متى، الاصحاح الرابع، الآيات ٢٣، ٢٥

٣ انجيل متى، الاصحاح الثامن ص ١٦

٤ انجيل متى، الأصحاح التاسع

٥ انجيل لوقا ٢٣- ٢٧

"ثم دخل أيضاً إلى المجمع، وكان هناك رجل يده يابسة، فصاروا يراقبونـــه هـــل يشفيه في السبت، لكي يشتكوا عليه.. فقال لهم هل يحل في السبت فعل الخير أو فعل الشر.. فسكتوا، وقال للرجل مد يدك، فمدها فعادت صحيحة كالأخرى" [1].

"ودعا الإثني عشر وابتدأ يرسلهم اثنين اثنين، وأعطاهم ســلطاناً علـــى الأرواح النجسة، فخرجوا، وأخرجوا شياطين كثيرة ودهنـــوا بزيـــت مرضـــى كثيـــرين فشفوهم"[2].

ولا شك أن رجال الكنيسة حاولوا الربط بين معجزة عيسى عليه السلام في شفاء المرضى وحقهم في علاج المرضى.

وكان رجال الدين النصارى يستخدمون بعض الزيـــوت والأدعيـــة فـــي عـــلاج المجانين، ويقول أبو القاسم مدرك بن محمد الشيباني في عمرو النصراني (القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي)

"بحق ما في قلة الميرون [3] من نافع الأدواء للمجنون"[4].

---

١ .إنجيل مرقس ٣

٢ مرقس ٦

٣ جرة يوضع بها زيت مقدس يستعمل في بعض أعمال الكنيسة

٤ مصارع العشاق، للشيخ أبي محمد السراج القارئ، ٤١٧ - ٥٠٠ هـ /١٠٢٦-١١٠٦م، دار صادر – بيروت ١٩٥٨ مجلد ص ١٧٠

الطبيب العربي الحارث بن كلدة

يعد "ابن عمر بن علاج الحارث بن كلده" الثقفي من قبيلة ثقيف بالطائف، أشـــهر الأطباء العرب في صدر الإسلام. وكان الحارث بن كلده قد تعلم الصناعة الطبية في جنديسابور في بلاد فارس.

وقال عنه النبي صلى الله عليه وسلم "إن ابن ثقيف من أطب العرب في زمانـــه" وكان يأمر من كانت به علة أن يأتيه فيسأل عن علته".

وقد تعلم الحارث في صناعة الطب "وطبب بأرض فارس وعالج بعض أجلائهم فبرأ وأعطاه مالاً وفيراً وجارية اسماها سمية وهي أم زياد ابن أبيه" [١].

عندما غزا الفرس مصر، يقال أن داريوس ملك الفرس، نقـل بعـض العلمـاء المصريين إلى مدينة الرها (Edessa) والتي أصبحت مركزاً ثقافياً وعلمياً حتى القرن الخامس الميلادي والاضطهاد البيزنطي الذي جعل علماءها يفـرون إلـى فارس ، وهنا بدأت جنديسابور تبزغ كمدينة للعلم والطب حيث درس فيها الطب الحارث بن كلده الذي عاصر بزوغ الإسلام [٢].

والرها هي تحريف لاسمها السرياني "اورهاي" واحتفظت باسمها حتى اســتولى العثمانيون عليها في مطلع القرن التاسع الهجري فسموها أورفة، وموقعها الحالي قرب الحدود العراقية السورية التركية.

وقد عاصر الحارث بن كلده الخلفاء الراشدين واستمر إلى عصر معاوية بن أبي سفيان حسب ابن أبي أصيبعة[٣].

ونقل عن الطبري : أن اليهود سموا أبا بكر الصديق في طعام قدم له، أكل معه الحارث بن كلده، ثم كف وقال لأبي بكر : أكلت طعاماً مسموماً، سم سنة، فمات بعد سنة، وقبلها مرض خمسة عشر يوماً، فقيل له : أوَأرسلت إلى الطبيب فقال: قد رآني [٤].

ومن أشهر ما وصل إلينا عن الحارث محاورته لكسرى أنو شروان، أعظم ملوك الساسانيين، والذي شجع العلم والعلماء آنذاك، وأمر بنقل المؤلفـات الســريانية والإغريقية للفارسية .

---

١ القفطي ١١٢، إبن أبي أصيبعة ج٢ ص ١٣

٢ الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، د. محمد كامل حسين، ص ٣٠٠

٣ إبن أبي أصيبعة، ج٢، ص ١٣

٤ تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، د. فرج محمد الهوني، الدار الجماهيرية للنشر، مصراته – ليبيا ١٩٨٦، ص ٣٠

ويورد ابن أبي أصيبعة نص المحاورة الطبية بين كسرى والحارث الثقفي الذي أجاب على أسئلة كسرى فأعجبت الإجابات الملك فأحسن صلته وأمر بتدوين ما نطق به [1].

ومن المحاورة نقتطف ما يلي :

كسرى : ما أصل الطب ؟

قال الحارث الأزم .. ضبط الشفتين والرفق باليدين [2].

قال : فما الداء الدوي ؟ قال : إدخال الطعام على طعام.

قال : فما الجمرة التي تصطلم منها الأدواء ؟

قال : هي التخمة، إن بقيت في الجوف قتلت وإن تحللت أسقمت.

قال : فما تقول في الحجامة ؟

قال : في نقصان الهلال في يوم صحو لا غيم فيه.

قال : فما تقول في الحمام ؟

قال : لا تدخله شبعاناً، ولا تغش أهلك سكراناً، ولا تقم بالليل عرياناً، ولا تقعد على الطعام غضباناً، وقلل من طعامك يكن أهنأ لنومك.

قال : فما تقول في الدواء ؟

قال : ما لزمتك الصحة فأجتنبه، فإن هاج داء فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه.

قال : فما تقول في الشراب ؟

قال : لا تشربه صرفاً فيورثك صداعاً وتثير عليك من الأدواء أنواعاً .

قال : فعلى كم جُبِل وطُبع البدن؟ .

قال : على أربعة : المرة السوداء، وهي باردة يابسة، المرة الصفراء وهي حارة يابسة والدم وهو حار رطب، والبلغم وهو بارد رطب.

وتدلنا هذه المحاورة الطبية المختصرة المكثفة عن الطب عند العرب، وأن الوقاية لها الأولوية عندهم، كما أن الطعام والإكثار منه أو التنويع منه يؤدي إلى المرض .

كما تدل من إجابة الحارث عن الحجامة أنهم كانوا يقرنونها بحركات النجوم.

كما تدل على تأثر هذا الطبيب العربي بالطب اليوناني ويظهر ذلك في إجابته على "أخلاط الجسم" الأربعة.

وينقل ابن أبي أصيبعة، أنه لما احتضر الحارث اجتمع إليه الناس طالبين نصيحته فقال : "لا تأكلوا الفاكهة إلا في أوان نضجها، ولا يعالجن أحد منكم ما

---

١ نص المحاورة في كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" ج٢، ص ص ١٣ – ١٧

٢قيل: أن الأزم معناها الحمية، والامساك عن الشيء والجوع. وفي المنجد الأزم: الامتناع عما يضر

احتمل بدنه الداء ، وعليكم بالنورة [1] في كل شهر، فإنها مذيبة للبلغم مهلكة للمِرّة، وإذا تغدّى أحدكم فلينم على أثر غذائه، وإذا تعشى فليَخْطُ أربعين خطوة[2].

كما ورد ذكر ابن أبي رمثة التميمي، فكان طبيبا على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، مزاولاً لأعمال اليد وصناعة الجراح، ولم يذكروا عنه شيئا غير هذا المذكور .

ويظهر من كتب الحديث والأخبار والتراجم، أن هناك نفراً آخرين مارسوا التطبيب في أيام النبي صلى الله عليه وسلم، فقد أشير إلى نفر من قبيلة أنمار زاولوا الطب في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم. وذكر أن النبي بعث إلى أبي بن كعب طبيباً فقطع له عرقا وكواه عليه .

ولا يستبعد تعلم هؤلاء الأطباء في جنديسابور مركز الطب والعلوم في الإمبراطورية الساسانية، أو في أماكن من بلاد الشام، فقد كان الطبيب الحاذق محتاجاً في هذا اليوم إلى تعلم هذا العلم في أماكن متعددة للاستفادة من تجارب الأطباء. وقد كان السفر متصلا غير منقطع، فلا يستبعد قدوم الأطباء وطلاب الطب من جزيرة العرب إلى هذه الأماكن للتعلم فيها[3].

١حجر الكلس – للمنجد

٢إبن أبي أصيبعة : ج٢ /١٨ ط ٧

٣د جواد علي، للفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٨ دار العلم للملايين – بيروت ص ٣٨٦ – ٣٨٧

فجر الإسلام والطب النبوي

"اقرأ"، كانت أول كلمة تتنزل من الله على نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى : "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم" [1].

وفي هذه الآيات تبدو كرامة الإنسان بالحياة والعلم، إذ إن كلمة "اقرأ" تعني القراءة من كتاب وكلمة القلم هي أول أداة كرمها القرآن، وهي من أهم وسائل الكتابة وحفظ العلم.

"إن الإسلام نقل حالة الأمة العربية من الشفاهية إلى الكتابية، فقد كان العرب يصوغون آدابهم ويتناقلون تراثهم عن طريق الرواية الشفهية، وليس معنى ذلك أن الكتابة لم تكن معروفة بينهم.. لكنها لم تكن من الشيوع بحيث تصبح نمط حياة وأسلوب تعامل، فلما جاء الإسلام بدأ القرآن الكريم يلح على الكتابة.

والكتابية حالة أو ظاهرة لغوية وفكرية، تستتبع بالضرورة نشر الوعي العقلي، وإن اعتماد الكتابة واعتماد العقل، حين يصبحان نمط حياة وأسلوب تعامل وتفكير، هما أساس الحضارة والعلم .

ولذلك فتكوين العقل وبناؤه لم يقتصر عند العلماء على قراءة الأقدمين والتسليم بصحة ما فيها وتكراره، بل لا بد من النظر فيها بعين الفحص والتمحيص لتثبيت صوابها أو بطلانها بالحجة والبرهان، وبأسلوب التجربة والتحليل والاختبار" [2].

وهذا المنهج يتضح تمام الاتضاح فيما عُرف بالطب العربي الإسلامي، وقد أصبح هذا المنهج من خصائص الثقافة العربية التي انطلقت إلى العالم، وملأت الدنيا، وكانت من أهم روافد عصر النهضة الأوروبية ثم من أهم روافد الثقافة الإنسانية الحديثة .

رأينا كيف أن صناعة الطب، كانت معروفة عند العرب في العصر الجاهلي، ولم يختلف الطب في صدر الإسلام كثيراً عما كان عليه في الجاهلية، إلا أن الإسلام جاء بمبادئ صحيحة ترتبط بالطب الوقائي وحفظ الصحة، فتعد بعض الفروض والواجبات وغيرها من سنن متصلة بالصحة وترمي إلى إصابة هدفين في آن واحد، غاية دينية وتحقيق غاية صحية، وقد عني الإسلام بطهارة المسلم ونظافته، حتى أدى إلى اشتهار المسلمين بأنهم من أنظف أهل الأرض [3].

---

١ العلق ١ – ٥

٢ من دراسة بعنوان "الإسلام والثقافة العربية في عالم جديد" للدكتور ناصر الدين الأسد، صحيفة اللواء ١٩٩٥/١/٢٥

٣ د. محمد الحوني، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، الدار الجماهيرية للنشر، مصراته – ليبيا ١٩٨٦ ص ٣٦-٣٧

القرآن الكريم

وجد المسلمون الشفاء والراحة في القرآن الكريم، حيث وردت عدة آيـات فـي ذلك: "فيه شفاء للناس" [1]، " قل هي للذين آمنوا هدى وشفاء" [2].

ويقول الإمام الفخر الرازي في تفسيره "مفاتيح الغيب": " لما اعترف الجمهور من الفلاسفة وأصحاب الطلسمات بأن لقراءة الرقى والعزائم التي لا يفهم منها شيء آثاراً عظيمة في تحصيل المنافع ودفع المفاسد، فلأن تكون قراءة القرآن العظيم المشتمل على ذكر جلال الله وكبريائه وتعظيمه الملائكة المقربين وتحقير المردة والشياطين سبباً لحصول النفع في الدين والدنيا من باب أولى. ويتأكد ما ذكرناه ما روي عن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله تعالى" [3].

إن المفهوم الإسلامي للمرض والشفاء فريد بين تعاليم الديانات الأخـرى، فهـو يعتبر المرض شكلاً من أشكال الجهل. ونرى وصف المنافقين في القرآن الكريم بقوله تعالى : "في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بمـا كـانوا يكذبون" [4].

---

١ النحل ٦٩

٢ فصلت ٤٤

٣ د. عامر النجار، في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، مرجع سابق ص ٥٦

٤ البقرة آية ١٠



الطب النبوي

في بداية فجر الاسلام حدث شيء مهم للطب، ذلك أن الرسول الكريم تحدث في أحاديث كثيرة عن الطب الوقائي كالنظافة، وكذلك تحدث عن الطب العلاجي فدعا سعد بن أبي وقاص عندما أصابه مرض إلى التداوي عند الحارث بن كلده، لأنه "أطبّ العرب".

وإذا صح ما ذُكر من أن الحارث آنذاك لم يكن مسلماً، يكون المغزى أكبر، في أهمية استشارة الأطباء، إذ إن الرسول صلى الله عليه وسلم، لم يلتفت إلا إلى علم الرجل .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم نفسه إذا مرض يستدعي الأطباء.

ويروي هشام بن عروة قال كان عروة يقول لعائشة رضي الله عنها: يا أمتاه لا أعجب من فهمك، أقول زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبنت أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس، أقول ابنة أبي بكر وكان أعلم أو من أعلم الناس ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو وأين هو، قال فضربت على منكبه وقالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يسقم عند آخر عمره أو في آخر عمره، فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه، فتنعت له الأنعات وكنت أعالجها فمن ثم [1]. (اسناد أحمد).

وقد تجمعت للرواة عشرات الأحاديث الشريفة تتناول الطب والصحة وفضائل الأطباء، سميت فيما بعد "الطب النبوي"، ووضعت كتب عديدة حولها، منها كتاب لابن قيم الجوزية.

وفي الحديث الشريف : "العلم علمان، علم الأبدان وعلم الأديان"، لم يترك محمد صلى الله عليه وسلم، مجالا للشك في فضل العلوم الطبية التي قدمها على علوم الشريعة، فهناك قاعدة فقهية مفادها أن حفظ النفس قبل حفظ الدين [2].

كما جاء الحديث الشريف : "ما أنزل الله داء إلا له شفاء" [3]. (صحيح البخاري)

وفي ذلك حث على السعي للعثور على أسباب المعالجة وعقاقير الشفاء.

وينقل ابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ) في كتابة "الطب النبوي" حديثاً ورد في صحيح البخاري يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "الشفاء في ثلاث: شربة العسل، وشرطة محجم، وكية نار. وأنا أنهى أمتي عن الكي" [4].

---

١ سلوى الطاهر، بدايات الكتابة التاريخية عند العرب، أول سيرة في الإسلام، عروة بن الزبير بن العوام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص ٢٧٤

٢ د. كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، مرجع سابق ٢٣٢

٣ ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، دار الفكر، بيروت ص ٨

٤ ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، ص ٣٨

وفي الصحيحين عن ابن عباس : "احتجم النبي صلى الله عليه وسلم، وأعطى الحجّام أجره"[1].

وينقل أيضا " ما رواه الترمذي في جامعه – من حديث ابن عباس، يرفعه – : "إن خير ما تحتجمون فيه يوم سبع عشرة أو تسع عشرة، ويوم إحدى وعشرين" وهو حديث ضعيف [2].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصابه الصداع غلف رأسه بالحناء، وكان يصدع إذا نزل الوحي عليه[3].

قالت عائشة: "رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع فوجدني وأنا أجد صداعا في رأسي .." (إسناد سنن ابن ماجة)

عن أبي هريرة قال: "دخل أعرابي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أخذتك أم ملدم قط، وما أم ملدم؟ قال: حر بين الجلد واللحم قال ما وجد هذا قط، قال: فهل أخذك هذا الصداع قط، قال: وما هذا الصداع، قال: عرق يضرب على الإنسان في رأسه، قال: ما وجدت هذا قط، فلما ولى قال: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا. (إسناد أحمد).

ويقول ابن قيم الجوزية أن الأطباء اختلفوا في الحجامة على نقرة القفا وفي القمحدوة، وممن كرهها صاحب القانون – ابن سينا – وقال "إنها تورث النسيان حقا".

وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من عدوى الأمراض ومخالطة ذوي الأمراض المُعْدِيَة وأمر باجتنابهم فقال صلى الله عليه وسلم: "لا يوردن مُمْرِض على مصح" (إسناد أحمد). وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً: "كلّم المجذوم وبينك وبينه قيد رمح"(إسناد أحمد). كما قال صلى الله عليه وسلم: "وفر من المجذوم كما تفر من الأسد" (صحيح مسلم)[4].

وقد غلّب صلى الله عليه وسلم العقل على العاطفة حرصاً على الصحة العامة، عندما جاء رجل مجذوم مع وفد لمبايعته فلم يسمح له بالدخول وقبل مبايعته [5].

وينقل ابن قيم الجوزية ما روي عن ابن عباس من حديث عطاء بن أبي رباح قال: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ . قلت : بلى. قال : هذه المرأة السوداء، أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي. فقال إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله لك أن يعافيك. فقالت :

---

١ ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، ص ٤٨

٢ المرجع السابق، ص ٤٥

٣ المرجع السابق، ص ٦٦

٤ ابن قيم الجوزية، الطب النبوي ص ١٠٥

٥ د. فرج الهوني، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، الدار الجماهيرية للنشر ، مصراته – ليبيا ١٩٨٦ ص ٢١٤

أصبر. قالت: فإنني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف. فدعا لها" (صحيح البخاري)[1].

وحول مرض الصرع يقول ابن قيم الجوزية : الصرع صرعان : صرع في الأرواح الخبيثة الأرضية، وصرع في الأخلاط الرديئة والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء، في سببه وعلاجه .

ويضيف أن "جهلة الأطباء وسقطهم وسفلتهم – ومن يعتقد بالزندقة فضيلة – فأولئك ينكرون صرع الأرواح ولا يقرون بأنها تؤثر في بدن المصروع.

ويقول إن أكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أهلة تكون من جهة قلة دينهم وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر والتعاويذ، والتحصنات النبوية والإيمانية، فتلقى الروح الخبيثة الرجل أعزل لا سلاح معه، وربما كان عرياناً فيؤثر فيه هذا [2].

وعن ابن عباس قال : "خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عصب رأسه بعصابة" (صحيح البخاري) [3].

ويرى ابن خلدون أن "الطب المنقول في الشرعيات ليس من الوحي في شيء". ويقول عنه "أنه من قبيل طب البادية"، "وإنما هو أمر كان عادياً للعرب .. وأن النبي صلى الله عليه وسلم " إنما بعث ليعلمنا الشرائع ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات، وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع فقال أنتم أعلم بأمور دنياكم، فلا ينبغي أن يحمل شيء من الطب الذي وقع في الأحاديث المنقولة على أنه مشروع [4]، فليس هناك ما يدل عليه، اللهم إلا إذا استعمل على جهة التبرك وصدق العقد الإيماني فيكون له أثر عظيم في النفع، وليس ذلك في الطب المزاجي، وإنما هو من آثار الكلمة الإيمانية كما وقع في مداواة المبطون بالعسل[5].

ولما جاء الإسلام حرر العلم وخاصة الطب من نفوذ الكهنة والسحرة، فلم يُسْمَع بكاهن، واختفى السحر وما شابه لأن الإسلام حرمها. وفي الحديث الشريف: "من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد" (سند أبو داوود وإسناد أحمد). وعن أبي هريرة قال: "من أتي كاهناً أو عرافاً فصدّقه فيما يقول.. فقد كفر مما نزل على محمد" (إسناد أحمد)[6].

---

١ ابن قيم الجوزية، مرجع سابق ص ٥١

٢ الطب البنوي، ٥١ – ٥٣

٣ الطب النبوي – ص ٦٦

٤ من أصول الشريعة

٥ مقدمة ابن خلدون، مرجغ سابق، ص ٤٩٤

٦ المستطرف، ص ٣٢٩

وعندما حرم الإسلام السحر وأبان عن كذبه وضرره، تم إزاحة قطاع كبير ممن استغلوا الشعوذة والدجل والسحر في المعالجة الطبية. ورأينا كيف كان للسحر وما يناظره من مكانة واسعة في عقول الناس قبل الإسلام.

ولما كان الكي يستعمل بكثرة، وبلا مبرر أحياناً، فقد قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، ما جعله يقل في التطبيق، وعد ممارسيه من منتحلي الصنعة. كما قال صلى الله عليه وسلم عن المتطفلين في الطب : "من تطبَّب ولم يُعلم منه طب قبل ذلك فهو ضامن" (إسناد النسائي)[1].

أي أن من يتعاطى الطب ويخطئ، ولم يكن من ممتهينه فعليه ضمان نتائج أفعاله.

ونستطيع أن نستخلص من الحديث الشريف السابق ما نسميه اليوم بالمسؤولية الطبية الناتجة عن خطأ طبي أو إهمال .

وكان سعد الأسلمي كاهن قبيلة أسلم وعرافها وطبيبها، يأخذ منهم النذور باسم الآلهة وكان ماهراً في استجلاب العطايا والهدايا .

وكانت ابنته تعرف الطبابة، وما إن ظهر النبي الكريم في مكة حتى أسرعت للإسلام، وما إن علمت بإعلانه الجهاد في معركة بدر حتى استأذنته في المشاركة مع الجيش .

وهذه هي رفيدة الأسلمية أول ممرضة في الإسلام التي نصبت أول خيمة لها في الإسلام لمداواة الجرحى [2].

---

١ ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص ١٠٧

٢ الدكتورة سعاد حسين، ممرضة الإسلام، المؤتمر العملي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت، ١٩٨١ ط٢ ص ٣٢٨

الطب في العصر الأموي

لم يكن معروفاً من الطب إلا أقل من القليل في صدر الإسلام والعهد الأموي (٦٦١-٧٥٠م)، وهناك ثلاثة أطباء قيل إنهم عاشوا في ذلك العهد، والأرجح فيما يُظَنّ أنهم مارسوا نوعاً من الطب الهيليني؛ الأول منهم (تياذوق) الذي قيل إنه كان طبيب الحَجَّاج بن يوسف، والثاني ماسرجويه ويقال إنه كان من أصل فارسي – يهودي وقد عاش في البصرة، أما الثالث فهو إسرائيل الذي كان طبيب الخليفة سليمان بن عبد الملك (٧١٥-٧١٧ م)، وأما أخبار هؤلاء الرجال فهي غير واضحة ومملوءة بالمتناقضات بحيث لا يستطيع المرء أن يأخذ منها أي شيء أخذ اليقين. إنه من الواضح أن الأطباء العلميين في ذلك العهد كانوا يونانيين أو فرساً أو سرياناً أو يهوداً، وبالإضافة إلى ذلك كان هنالك طب شعبي[١].

وقد كثرت في ولاية زياد بن أبيه (٥٤هـ/٦٧٣م) الكلاب السعِّيرة في البصرة، فكتب زياد دواء للكَلَب في صحيفة وعلقها على باب المسجد الأعظم ليعرف جميع الناس[٢].

وتمتد أوائل المُصنَّفات في علم الطب إلى عصر بني أميّة ومن ذلك قصيدة لتياذوق طبيب الحجاج قالها في حفظ الصحة، وترجمها ابن سينا إلى الفارسية[٣].

وفي أول دولة بني أمية اشتهر تياذوق (٩٠هـ/٧٠٨م) وكان طبيباً فاضلاً وله نوادر وألفاظ مستحسنة في صناعة الطب، وصحب الحجاج بن يوسف الثقفي وكان يعتمد عليه ويثق بمداواته، وكان له منه الجامكية (راتب معروف) الوافرة والافتقاد الكثير[٤].

فقد شكا الحجاج يوماً من الصداع، فأشار عليه تياذوق بغمس قدميه في ماء حار، فقال الحجاج: "والله ما رأيت طبيباً أقل معرفة بالطب منك يا تياذوق ! يشكو الأمير الصداع في رأسه فتصف له دواء لقدميه، وكان خصيٌّ للحجاج قائماً آنذاك على خدمة الحجاج، فانتهز تياذوق الفرصة فقال للحجاج : علامة ما فيك بيّنة – مشيراً إلى الخصيّ – نزعت خصياته فذهب شعر لحيته" [٥].

ومن نوادره التي قد تُفسَّر على استخدامه علم النفس في العلاج ما كان عندما سأله الحجاج : أي شيء دواء آكل الطين ؟ (ويبدو أن الحجاج كان يأكل الطين، وهذه عادة معروفة، وربما وجدت إلى الوقت الحاضر عند بعض

---

١ مانفرد اولمان، مرجع سابق، ص ٣٤ - ٣٦

٢ د. النجار، في تاريخ الطب.. ، ص ٥٩

٣ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ط٥ ج١ ص ص ٢٦٢ - ٢٦٤

٤ إبن أبي أصيبعة، ج ٢ ص ٣٤، إبن النديم ص ٣٦٠، القفطي ص ٧٤

٥ عيون الأنباء في طبقاء الأطباء، ابن أبي أصيبعة، ج ٢ ص ٣٣

الأطفال والنساء الحوامل وقت الوحام)، فأجابه تياذوق: "عزيمة مثلك أيها الأمير"، فرمى الحجاج من يده الطين ولم يعد إليه أبدا.

ومن نصائح تياذوق لأحد سائليه قبيل موته : "لا تكثر الجماع، ولا تجامع عجوزاً فإنه يورث الموت فجأة".

وعندما قتل الحجاج سعيد بن جبير، خرج منه دم كثير فسأل طبيبه تياذوق عن ذلك فأجابه: "لاجتماع نفسه وإنه لم يجزع من الموت، فغيره يخاف فيقل دمه".

ولتياذوق من الكتب كناش[1] كبير ألفه لابنه، كتاب إبدال الأدوية وكيفية دقها وإيقاعها وإذابتها وشيء من تفسير أسماء الأدوية[2].

ولتياذوق تلاميذ أجلّة تقدموا بعده ومنهم كفرات بن سحناثا[3].

واشتغل الأمير الأموي خالد بن يزيد (المتوفى ٧٠٤م / ٧٥هـ) بصنعة الكيمياء والطب، وأخذ الصنعة عن رجل من الرهبان يقال له ماريانوس الرومي، وله في ذلك أشعار كثيرة مطولات ومقطوعات دالة على حسن تصرفه وسعة علمه.

وكان خالد بن يزيد بن معاوية يُسَمَّى حكيم آل مروان، وكان فاضلاً في نفسه وله همة ومحبة للعلوم، خطر بباله الصنعة فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصَّح بالعربية، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة[4].

ويذكر الجاحظ أن خالد بن يزيد بن معاوية كان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء[5].

وذكر ابن عساكر قولاً لخالد : "إن شئت أعذب لكم ماء البحر، فأتى بقلال من ماء، ثم وصف كيف يصنع به حتى يعذب" ، أي أن تحلية مياه البحر كانت معروفة في ذلك الوقت[6].

وفي عهد عمر بن عبد العزيز (المتوفى سنة (١٠١هـ/٧١٩م) أسلم طبيب إسكندراني هو عبد الملك بن أبجر الكناني واعتمد عليه عمر بن عبد العزيز في الطب.

---

١ كتاب طبي والجمع كنانيش أو كناشات

٢ إبن أبي أصيبعة، ج٢، ص ٣٤ – ٣٥

٣ القفطي ص ٧٤

٤ كتاب الفهرست للندم – تحقيق رضا – تجدد ص ٣٠٣

٥ البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١ ص ١٧٨

٦ د. يوسف غوانمة، الحياة العلمية في بلاد الشام، مجلة آفاق الإسلام، الدار المتحدة للنشر، عمان، العدد ٢، حزيران ١٩٩٣ ص ١٥٣

ويقول القفطي إن ماسرجويه[1] وكان عالماً بالطب تولى لعمر بن عبد العزيز ترجمة كتاب أهرن في الطب وهو كناش فاضل من أفضل الكنانيش القديمة[2].

وفي أواخر عهد الأمويين اشتهرت "زينبُ" طبيبة بني أود، وكانت عارفة بالأعمال الطبية خبيرة بالعلاج ومداواة آلام العين والجراحات، مشهورة بين العرب بذلك.

وينقل ابن أبي أصيبعة : أن رجلاً أتى امرأة من بني أود لتكحله من رمد أصابه، فكحلته ثم قالت له: اضطجع قليلاً حتى يدور الدواء في عينيك، فاضطجع وتمثل قول الشاعر :

أمخترمي ريب المنون ولم أزر طبيب بني أود على النأي زينبا

فضحكت ثم قالت: أتدري فيمن قيل هذا الشعر؟ قال: لا ! قالت: فيَّ والله قيل، وأنا زينب التي عناها عمك الشاعر أبو سماك الأسدي[3].

١ وربما قيل في اسمه ماسرجيس

٢ القفطي ٢١٣

٣ إبن أبي أصيبعة، ج ٢، ص ٣٥-٣٦

العصر العباسي

حافظ الخلفاء الأمويون على النظام الإداري والمؤسسات الأخرى في البلاد المفتوحة، وأبقوها كما تسلموها ولم يكلفوا أنفسهم عناء الأخذ بالحضارة الهلينية لأن اهتمامهم كان موجها في الداخل لتقوية الإمبراطورية وفي الخارج للفتوحات. أما بعد أن استولى العباسيون على الحكم وأسسوا مدينة بغداد فإن هذه الحالة قد تغيرت كلياً، إذ إن عملية اكتساب العالم الإسلامي للحضارة الهلينية بدأت في العصر العباسي بدافع من علم الكلام الإسلامي حيث أن علماء الكلام المسلمين قد انتفعوا من سلاح الجدل اليوناني ومنطقه لكي يعطوا الدين الإسلامي قاعدة عقائدية (Dogmatic basis) لقد استعمل المهندسون والبناءون الرياضيات والميكانيكا اليونانية ومثلهم الجغرافيون الذي استخدموا جغرافية بطليموس (Geographic Hyphegesis of Potolemy) وبالمثل فإن الضرورات العملية قد أثارت الاهتمام بعلم التنجيم والفلك والسماء كما أن الطب أيضاً ينضوي تحت هذا المقام[1].

عندما تولى الخليفة، العباسي الثاني، أبو جعفر المنصور، الحكم بعد أخيه عبد الله السفاح، أولى الأطباء والمنجمين والشعراء اهتماماً خاصاً باعتبارهم من مستلزمات الحكم .

وقد أثر المنجم الفارسي "ابن نوبخت" عام ٧٦٠م على الخليفة المنصور عندما أراد بناء بغداد "مدينة السلام" فطلب من الخليفة أن يدرس موضع النجوم، قبل البناء ، حتى يحول دون التأثيرات الشريرة، ويحسب الوقت ليعرف أنسب ساعة للشروع في البناء، فانصرف هذا مع يهودي فارسي كان قد دخل في الإسلام واسمه "ما شاء الله" إلى استنطاق النجوم أسرارها وسؤالها عن موعد الولادة المناسب لهذه المدينة[2].

إن إعطاء النجوم معان ورموزاً وتصويراً لظواهر الطبيعة الخارقة على أنها قوى شر أو خير تسعى إلى مكافأة الإنسان أو إنزال العقاب به، هو فكر فارسي صرف أدخل إلى العالم الإسلامي.

وأن الحكيم الفارسي "زرادشت" هو الذي أدخل الفكرة القائلة بأن للنجوم تأثيراً مباشراً في الخير أو الشر على الكون، وأن لها دوراً فعالاً في حياة البشر[3].

---

١ مانفريد اولمان، الطب الاسلامي، ص ٣٩)

٢ زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، دار الآفاق، ط ٦، ١٩٨١ ص ١٦٨)

٣ زيغريد هونكه، مرجع سابق، ص ١٦٧)

وقيل إن مرضاً أصاب المنصور (سنة ١٤٨هـ – ٧٦٥م) وفسدت معدته، وانقطعت شهوته، وكلما عالجه الأطباء ازداد مرضه، فطلب من الأطباء أن يدلوه على طبيب ماهر، فذكروا الطبيب النسطوري جورجيوس بن جبرائيل، رئيس أطباء مستشفى جنديسابور بفارس فدعا إلى إحضاره، فداواه وبقي هناك عدة سنوات حتى مرض فعاد إلى أهله [١].

وينقل ابن أبي أصيبعة أن المهدي هتف بزوجته بلسان متغير أنكرته، فصارت إليه وهو مستلق على القفا فأمرها بالجلوس، فلما جلست عانقها ثم عبرها إلى صدره وزال عنه عقله فجهد جميع من حضرها بأن يخلص يديه من عنقها فما وصلوا إلى ذلك. وحضر المتطببون.فأجمعوا على أن به فالجاً، فقال عيسى أبو قريش (الطبيب) : المهدي يضربه فالج، لا والله لا يضرب أحداً من هؤلاء ولا نسلهم فالج أبداً إلا أن يبذروا بذورهم في الروميات وما أشبههن فيعرض الفالج لمن ولده الروميات وأشباههن من نسلهم. ثم دعا بالحجام فحجمه، فوالله أن خرج من دمه إلا محجمة واحدة حتى رد إليه يديه. ثم تكلم مع المحجم في الثانية، ثم ثاب إليه عقله قبل فراغ الحجام من حجامته.

كما ينقل أنه اشتدت بإبراهيم بن المهدي علته التي توفى فيها استرخى لحيه وغلظ لسانه في فيه (فمه)، فصعب عليه الكلام، وكان إذا تكلم توهمه سامعه مفلوجاً [٢].

ونقل ابن أبي أصيبعة أن أبا منصور صاعد بن بشر بن عبدوس كان فاصداً في البيمارستان ببغداد وأنه خالف مسطور القدماء في علاج الفالج واللقوة والاسترخاء التي كانت تعالج قديماً بالأدوية الحارة إلى التدبير المبرد .

وعالج صاعد الطبيب لسع العقرب، بأن ضمد المكان بكافور فسكن الألم عن المريض كما عالج السكتة الدموية بالفصد حيث يروى أنه كان للوزير علي بن بلبل ببغداد ابن أخت لحقته سكتة دموية، وخفي حاله على أطباء بغداد الذين أقروا بموته، وكان صاعد بن بشر حاضرا، وتقدم الوزير في تجهيز الميت واجتمع الخلق للعزاء والنساء في اللطم والنياح، ولم يبرح صاعد مجلس الوزير، فطلب منه إرسال مبضع في يد الميت لأنه أصيب بسكتة دموية حسب رأيه، فإن نجح كان المراد، وإن سكن ومات فلا مضرة فيه، فأبعد الوزير النساء، فقام الطبيب بشد عضد المريض وأقعده في حضن بعض الحاضرين وأرسل المبضع فخرج الدم فانفتحت العين ولم ينطق بعد، فشد اليد الأخرى ونشقه ما وجب تنشيقه ثم فصده ثانياً فتكلم وبرئ [٣].

وعندما مرض هارون الرشيد بسبب صداع لحقه (١٧١هـ – ٧٨٨م) دعا إلى إحضار بختيشوع – عبد المسيح بالسريانية – بن جورجيوس لكن قبل أن يدعه يداويه طلب من الخدم إحضار بول دابة لفحص الطبيب، فلما رأى الطبيب

١ (د. سامي حمارنة، تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين، مجلد ١ ١٩٨٦ ، ص ١٢٥)

٢ (عيون الأنباء، مرجع سابق، ج٢ ص ٨١)

٣ عيون الأنباء، ج٢، ص ٢٢١ – ٢٢٣

القارورة قال: ليس هذا بول إنسان.. فسأله الخليفة: ما ترى أن نطعم صاحب هذا البول ؟ فقال: شعير جيد، فضحك الخليفة، وأمر بأن يكون بختيشوع رئيس الأطباء كلهم[١].

وحدث أن اعتل الرشيد يوما، فتم استدعاء طبيب هندي مشهور له اسمه "منكه" فقدم على الرشيد وعالجه وبرأ من مرضه بعد أن عجز غيره عن ذلك .

وبينما كان "منكه" يتجول في المدينة يوما رأى رجلاً يبسط كساءه وألقى عليه عقاقير وينادي: هذا لوجع الصداع والشقيقة والفالج والارتعاش، ولم يدع علة في البدن إلا وذكرها. فقال "منكه" إذا كان ما يدعي هذا البائع صحيحاً فلماذا استدعاني الخليفة وإذا كان غير صحيح فإن الشريعة تبيح قتل من يتلاعب بحياة الناس، فإن ترك وهذا الجهل، قتل في كل يوم نفساً أو أكثر وهذا فساد في الدين ووهن في المملكة[٢].

وحدث أن مرض الرشيد بعلة لم يستطع الأطباء شفاءه منها وكان من بينهم أبو الحسن عيسى بن حكم الدمشقي ويوحنا بن ماسويه، فأرسل الخليفة إلى صاحب الهند أن يبعث له طبيباً، فبعث له "إمغيث" وفي ثلاثة أيام تعافى الخليفة ونال الشفاء، وبعد عودة "إمغيث" إلى بلاده (بعد أن أسلم في زيارته) سافر معه الدمشقي وبقي في الهند ثلاث سنين لتعلم أصول الطب الهندي والتميز فيه [٣].

وربما كانت هذه العلة التي أصابت الرشيد من الأمراض العقلية ذلك أن عيسى بن الحكم في "رسالته الهارونية" وصف دواء "المغيث الهاروني" وقال عنه أنه ينفع ومجرب لوجع الرأس واختلاط العقل والصرع والدوار. ومما يؤكد ذلك أن أخلاط هذا الدواء لها خاصية التخدير فهو مكون من : "الاهليلج والبليلج والأملج مع الخردل والزنجبيل والدارصيني أو السليخة والكمون الكرماني والكرفس والحنظل" [٤].

---

١ إبن أبي أصيبعة، ج ٢ ص ٤٢

٢ إبن أبي أصيبعة، ج٣، ص ٥٢

٣ د. سامي حمارنة، الطبيب عيسى بن حكم الدمشقي ورسالته الهارونية، بلاد الشام في العصر العباسي، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان ١٩٩٢، ص ٥٤٥

٤ المرجع السابق ص ٥٥٧، لمزيد من المعلومات حول هذه الأنواع من الأدوية أنظر القاموس في نهاية الكتاب

وكان الطبيب أبو الحسن عيسى بن حكم الدمشقي (حوالي ١٢٢-٢٢٧ هـ / ٧٣٩ - ٨٤١م) يعتبر أنه "متى حدث في الدماغ فساد فسدت الحواس". وللبصل خاصية في إحداث فساد في الدماغ، وعلى ذلك بنى تعليله ليوسف بن إبراهيم مولى ابراهيم بن المهدي عندما أكل البصل وشرب بعده الماء المالح فكان يجد الماء أقل ملوحة، وقال له : إن أكلك للبصل قلل حسك بملوحة الماء بسبب ما أحدثه البصل في دماغك من الفساد[١].

ويذكر ابن النديم في الفهرست أسماء اثني عشر كتابا من كتب الهند في الطب الموجودة بلغة العرب[٢].

وأنشأ الخليفة هارون الرشيد "بيت الحكمة" وولى عليه الطبيب يوحنا بن ماسويه. وكان بيت الحكمة أول مجمع علمي ذي شأن في العالم الإسلامي أنفقت عليه الدولة العباسية بسخاء، وظل كذلك تقريباً حتى جاء المغول ودمروا بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م [٣].

ودعا "الأفشين" أحد قادة المعتصم (ت ٢٢٩ هـ / ٨٤٣م) طبيبه زكريا الطيفوري "لامتحان الصيادلة حتى يعرف منهم مَن الناصح ومَن غير الناصح" فذكر له الطيفوري قصة المأمون مع يوسف الكيميائي الذي ذكر له أنه لا يطلب شيئاً من الصيدلاني كان عنده أو لم يكن إلا أخبر بأنه عنده، فوضع المأمون اسماً وبعث لإحضاره من الصيادلة فجاء الرسل ومع كل واحد منهم دواء، فاستحسن المأمون نصح يوسف، ذلك أنه وضع اسم ضيعة من الضياع قرب مدينة السلام لامتحان الصيادلة.

وقام الأفشين بفحص الصيادلة في معسكره بعشرين اسماً (لأدوية وهمية) فمن أنكر معرفتها أذن له بالبقاء ونفى الباقين عن معسكره وكتب إلى المعتصم يلتمس إليه بصيادلة لهم أديان (عندهم تقوى) ومتطببين مثل ذلك فاستحسن المعتصم فعله ووجه إليه بمن سأل[٤].

ويذكر ابن النديم في الفهرست أن المأمون رأى في منامه رجلاً ذا هيبة فسأله من يكون فأجاب: أنا ارسطاليس وسأله عدة أسئلة عن الحكمة. فكان هذا المنام من أوكد الأسباب في إخراج الكتب. فكتب المأمون إلى ملك الروم يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة ببلد الروم، فأجاب بعد امتناع. فأخرج المأمون جماعة، منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلما صاحب بيت الحكمة وغيرهم. فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا، فلما عادوا أمرهم بنقله فنقل [٥].

---

١ القفطي، ١٦٦، ابن أبي أصيبعة، ج ٢ ص ٣٢

٢ص ٣٦٠

٣ د. محمد مرحبا، مرجع سابق ص ٢١٥

٤القفطي، ص ١٢٩؛ ابن أبي أصيبعة، ج ٢ ص ٩٢

٥الفهرست، ص ٣٠٤

وقد قيل أن يوحنا بن ماسويه ممن نفذ إلى بلد الروم، وأحضر المأمون أيضا حنين بن اسحق وكان فتي السن، وأمره بنقل ما يقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين إلى العربي وإصلاح ما ينقله غيره فامتثل لأمره.

ومما يحكى أن المأمون كان يعطي حنيناً من الذهب زنة ما ينقله من الكتب إلى العربي مثلاً بمثل[1].

وعندما فتح المسلمون أنقرة وعمورية وبلاد الروم في آسيا الصغرى تم إحضار الكتب الطبية القديمة من مخطوطات ورقوق إلى بغداد، تولى ترجمتها عدد من المترجمين برئاسة أبي زكريا يوحنا (يحيى) بن ماسويه .

وفي عام ٨٣٠م/٢١٥هـ جعله المأمون رئيسا "لبيت الحكمة" [2].

وكان المأمون يبعث الرسل إلى الملوك في الدول المجاورة لطلب الكتب، أو يجعل ذلك شرطاً عند عقد اتفاقيات الهدنة، فحين هادن ملك قبرص طلب منه خزانة كتب اليونان التي بحوزته، فأرسلها إليه الملك وكان فرح المأمون بهذا الكسب شديداً.

وهناك شبه اتفاق بين المؤرخين على أن عصر المأمون (١٩٨ – ٢١٨ هـ / ٨١٣ – ٨٣٣م) هو أزهى عصور النهضة العلمية في تاريخ الاسلام [3].

ولم يكن الخلفاء يجزلون العطاء للمترجمين فقط، بل فعل ذلك بعض الأغنياء.

وينقل ابن النديم عن محمد بن اسحق: ممن عنى بإخراج الكتب من بلاد الروم، محمد وأحمد والحسن بنو شاكر المنجم، وبذلوا الغرائب، وأنفذوا حنين بن اسحق وغيره إلى بلاد الروم. فجاءوهم بطرائف الكتب وغرائب المصنفات وفي الطب.

كما ينقل عن ابن أبي سليمان السجستاني قوله : أن بني المنجم كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحق وحبيش بن الحسن، وثابت بن قرة وغيرهم في الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة[4].

كما أن محمداً بن موسى نفسه قام بزيارة إلى اليونان وآسيا الصغرى، بحثاً عن المخطوطات القديمة. وفي إيابه مر بحران والتقى صدفة في كفر توما الفتى ثابت بن قرة فاصطحبه معه إلى بغداد بعد أن وجده بارعاً في الحساب والترجمة [5].

وسافر حنين بن اسحق إلى بلاد كثيرة، ووصل إلى أقصى بلاد الروم لطلب الكتب التي قصد نقلها[6].

وقد قسم "سنتلانا" تاريخ الترجمة في عهد بني العباس إلى ثلاثة أدوار: الدور الأول من خلافة أبي جعفر المنصور إلى وفاة هارون الرشيد أي من عام ١٣٦

---

١ ابن أبي أصيبعة ج١ ص ١٤٣

٢ بن أبي أصيبعة، ج١ ص ١٢٤

٣ د. محمد مرحبا، مرجع سابق ص ٢١٥

٤ الفهرست ص ٣٠٤ ؛ ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ١٤٣

٥ زيغريد هونكه، شمس العرب ..، مرجع سابق، ص ص ١٢٤ – ١٢٥

٦ ابن أبي أصيبعة، ج١ ص ١٤٣

– ١٩٣ هـ وقد نبغ في هذا العهد عدد من التراجمة نقتصر على ذكر من كانت لهم صلة بنقل كتب الطب وهم يحيى بن البطريق وجورجيس بن بختشيوع وعبد الله بن المقفع ويوحنا بن ماسويه وسلام الأبرش وباسيل الطريق. والدور الثاني يبتدئ من ولاية المأمون عام ١٩٨ وينتهي في عام ٣٠٠ هـ ونبه في هذا العهد الحجاج بن مطر وقسطا بن لوقا البعلبكي وحنين بن اسحق وابنه اسحق بن حنين وحبيش بن الأعسم وعيسى بن يحيى وثابت بن قرة الحراني.

أما تراجمة الدور الثالث الذي يبتدئ عام ٣٠٠ هـ (تاريخ وفاة حبيش) وينتهي في منتصف القرن الرابع الهجري فكانوا أكثر انشغالاً بنقل المنطق والطبيعة، منهم متى بن يونس وسنان بن ثابت بن قرة وقد اشتهر غير هؤلاء من التراجمة آل الكرخ وآل ماسرجويه وعائلة زهرون وغيرهم[١].

وقد اتسمت حركة الترجمة منذ بدايتها بسمة حبذا لو أخذت بها البلاد العربية والإسلامية في الوقت الحاضر ، ذلك بأن انصبت حركة الترجمة في الإسلام من البداية على نقل الكتب العلمية كالطب، بينما ظلت بعيدة عن الإنسانيات والإلهيات[٢].

تميزت الحضارة العربية الإسلامية – بشمولها الإبداعي لكافة نواحي الحياة، معتمدة الفكر والعمل كأساس جوهري لها، مما أكسبها حيوية متجددة واتصالاً وثيقاً بالتطور الطبيعي للبشرية في مراحل نموها.

كما تميزت هذه الحضارة، بانفتاحها الواعي على الحضارات الأخرى وتفاعلها الحيوي الخلاق معها، فلم يكن العرب والمسلمون مجرد متلقين لإبداعات الحضارات الأخرى، وإنما كانوا دارسين لها وناقدين لأسسها ومطورين لعطاءاتها ومساهمين في نتاجها، مما جعل حضارتنا التي هي أقل عمرا من الحضارات الأخرى المحيطة كالرومانية والفارسية واليونانية والهندية الخ .. تغدو في موقع الند لتلك الحضارات وتصبح كقوة في التفاعل معها والمؤهلة لإثرائها في شتى المجالات .

ويسجل تاريخنا الحضاري .. أن الإسلام الذي هو المصدر الأسمى والأغنى أيديولوجيا لحضارتنا، جاء ثورة حضارية بكل معنى الكلمة ضد المعتقدات السائدة في ذلك الزمان، فأعلنها حربا لا هوادة فيها على الشعوذة والوثنية فاتحا الآفاق أمام إبداع العقل والفكر فما أعظم الآية القرآنية الكريمة (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان). (سورة الرحمن، الآية ٣٣)، والسلطان هو العقل.

لقد جعل المبدعون المسلمون النص القرآني الخالد هذا أرضا يقفون عليها وينطلقون منها إلى إعمال العقل في كل ظواهر الكون والحياة، فأنبتت هذه الأرض الغنية كبار العلماء وكان مجال الطب هو الأوفر حظاً والأكثر تميـــزاً،

---

١ د. التجاني الماحي، مقدمة في تاريخ الطب العربي، الخرطوم، ١٩٥٩، ص ٦١ و ٦٢

٢ د. محمد مرحبا، مرجع سابق ص ٢١٣

وبوسعنا القول إن الإسلام أمر العقل بالعمل الحثيث لتأسيس علم الطب بكل جوانبه وفروعه فلمعت في سماء الحضارة العالمية أسماء مثل الرازي وابن سيناء والزهراوي وابن زهر الذين ما زالت مؤلفاتهم مرجعاً مرموقاً وجذراً حيا نبتت عليه وانطلقت منه معظم إبداعات الطب الحديث في عصرنا هذا [1].

كان المسلمون يضعون أسس الطب كعلم من الناحية النظرية، وكفن من ناحية الممارسة، بحيث اتبعوا المنهج العملي الدقيق في الطب بكل خطواته.

إن معرفة الأطباء في العالم الإسلامي بأصول علم الطب وببعض العلوم الأخرى المساعدة جعلهم يتفوقون ويبرعون في اكتشاف أنواع كثيرة من الأمراض والعلاج الناجح لها .

وفي كثير من كتب التراث التي وصلت إلينا نجد أنهم اتبعوا أصول المنهج العلمي التجريبي في تشخيص الأمراض، كما هو الحال في أيامنا هذه مع فارق التطور العلمي والأساليب الفنية وإدخال الوسائل التكنولوجية الحديثة .

انفتح المسلمون في عصرهم الأول على مدينة جنديسابور بإيران التي كانت مجمعاً علمياً وطبياً عاماً آنذاك، كما انفتحوا على الإسكندرية وكانت مركزاً أكاديمياً مشهوراً، ومن هنا وهناك جاءت عوامل وأساليب التطور .

كانت كتب الطب المشهورة موجودة في الإسكندرية، كما كان ممارسو الطب في جنديسابور، وبين هذين القطبين من العلم والمعرفة بدأ التفاعل العميق وبدأ العمل الدؤوب.

تشير إلى ذلك الكتابات التي وصلتنا من عهد الخليفة الأموي مروان متضمنة أول ترجمة باللغة العربية لنص طبي وهو (أهرون بن ماسرجويه).

ولما انتقلت حاضرة الخلافة إلى العباسيين وأصبحت بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية نزح إليها أعلام الطب والعلماء من جنديسابور، كانت بداية اللقاء في عصر أبي جعفر المنصور ثم بدأت الصلات تقوى في عهد الرشيد وتوثقت بعد ذلك في أيام المأمون، والذي استطاع أن يؤسس صرحاً علمياً مرموقاً عرفه العالم بأسره وهو (بيت الحكمة).

ولدى الحديث عن علم الطب (العربي الإسلامي) يجدر بنا أن نركز قليلاً على مسألة الترجمة وأهم الترجمات التي أثرت في تأسيس هذا العمل وتطويره .

والطب العربي بعد الإسلام مر بمرحلتين، الأولى الترجمة وتجميع حصيلة الحضارات المجاورة والسابقة، والثانية الإضافة إلى هذا العمل الإنساني .

وما إن جاء عام ٩٠٠م حتى كانت كتب أبقراط وجالينوس مترجمة إلى العربية، بالإضافة لغيرها.

---

١ من محاضرة للمولف حول التبادل الحضاري بين العرب والغرب في مجال العلوم العصبية، القاهرة، ١٩٩٥/٢/٢٥

وقد رعى الخلفاء العباسيون الترجمة، حتى إنهم كانوا يدفعون للمترجم ثقل الكتاب ذهباً.

ويقال أنه في منتصف القرن الثامن الميلادي أسر العرب بعض الصناع الصينيين، الذين أطلق سراحهم بعد أن تعلم منهم العرب صناعة الورق- وقد يكون إتباعاً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم عندما أطلق في معركة بدر أسرى قريش بعد تعليمهم لفتيان المسلمين الكتابة - وأسس يحيى البرمكي، وزير هارون الرشيد، أول مصنع للورق في بغداد حوالي ٨٠٠م، ثم انتقلت صناعة الورق غرباً إلى إسبانيا وأوروبا [١].

وكانت مزاولة الطب حتى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي لا تقتضي من صاحبها أكثر من قراءة كتب الطب على نفسه أو على غيره، فإذا وثق بنفسه بدأ بعلاج المرضى فإذا وثقوا به شاع أسمه. وقد شجع ذلك عدداً من المتطببين على الكسب السهل، لكن في سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م بلغ الخليفة المقتدر أن رجلاً من الأطباء غلط على رجل فمات فأمر بطيحة المحتسب بمنع جميع الأطباء إلا من امتحنه الطبيب سنان بن ثابت بن قرة الحراني وكتب له رقعة بما يطلق له التصرف فيه من الصناعة، وبلغ عددهم (من جانبي دجلة) في بغداد أكثر من ٨٦٠ طبيباً سوى من استغنى عن امتحانه باشتهاره بالتقدم في الصناعة ومن كان معه في خدمة السلطان [٢].

ودعا الخليفة المقتدر سنان بن ثابت إلى إيفاد الأطباء للسجون والاهتمام بأهل السواد (في البادية) وابتعاث أطباء إلى القرى والمواضع التي تكثر فيها الأمراض.

ثم أن "سنان" أشار إلى الخليفة بأن يُنسب بيمارستان إليه، ففعل وسمي البيمارستان المقتدري، وكان الخليفة ينفق عليه من ماله [٣].

وبقي الأطباء يستعملون الحجامة للعديد من الأمراض، فهذا الطبيب عيسى المعروف بأبي قريش، يعالج المهدي بالحجامة من الفالج الذي أصابه، وأذهب عقله [٤].

---

١ فضل الإسلام على الغرب، مرجع سابق، ص ٤٠

٢ القفطي، ص ١٣٠، ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص ٢٠٤

٣ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص ٢٠٢

٤ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص ٨١

الأطباء النصارى في الإسلام [١]

لعب الأطباء والمترجمون النصارى الذين كانت لهم صلة وثيقة بالعلوم اليونانية دوراً رياديًا في تقدم الطب العربي والإسلامي في بداياته خاصة.

وقد أشار ابن خلدون – ربما بشكل مبالغ فيه – إلى أن "العرب أبعد الناس عن الصنائع".

ويقول ابن خلدون إن حَمَلَة العلم في الإسلام أكثرهم من العجم إلا في القليل النادر، والسبب أن الملة الإسلامية في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى أحوال السذاجة والبداوة وإنما أحكام الشريعة، أما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا إليها عن البداوة فشغلتهم الرئاسة في الدولة وحاميتها وأولي سياستها.. والرؤساء أبدا يستنكفون عن الصنائع والمهن ودفعوا ذلك إلى من قام بها من العجم والمولدين [٢].

وإن كان تحليل ابن خلدون يصدق في بدايات نهوض الطب العربي والإسلامي، إلا أن للأطباء العرب دوراً مجلياً في هذا التطور فيما بعد، أضف إلى ذلك أن كتابات النصارى واليهود في الطب كانت في أغلبها باللغة العربية.

إنه ليس بالأمر السهل إيجاد تقييم متوازن للإنجازات الطبية لغير العرب أو لغير المسلمين في تقدم الطب العربي والإسلامي بل وحتى الإنجازات الطبية العربية والإسلامية في تقدم الطب العالمي.

لكن وبدون مبالغة أو تقليل من مساهمات الأطباء النصارى في هذا المجال، فقد كان دورهم في البدايات واضحاً لعدة أسباب منها اتصالهم المبكر بالحضارة اليونانية والرومانية، وتوطنهم – عكس الكثير من العرب الرحل – ووجود أسباب اقتصادية لتمكنهم من متابعة العلوم وتوفر هذه الأسباب في الأديرة خاصة، ذلك أن عدداً كبيراً من الأطباء النصارى قد سلك مسلك الرهبنة [٣].

ولم يكن الخلفاء المسلمون والأمراء يمارسون فعلاً أو قولاً أي إكراه على الأطباء النصارى لجعلهم مسلمين، وإن تمنوا – محبة لهم – أن يسلموا، لا بل إنهم كانوا يزدادون تقديراً لهم حين إظهار التزامهم بتعاليم دينهم، فعندما عالج جورجيس بن بختيشوع رئيس أطباء جنديسابور الخليفة المنصور قال له يوماً "من يخدمك؟" فقال: "تلامذتي". فقال الخليفة: "سمعت انه ليست لك امرأة"، قال: "لي زوجة كبيرة ضعيفة ولا تقدر على النهوض من موضعها"، وانصرف.

---

١ ألف الأب لويس شيخو كتاباً بعنوان "علماء النصرانية في الإسلام" حققه وزاد عليه وقدم له الأب كميل حشيمه اليسوعي، المكتبة البوليسية – جونية – لبنان والمعهد البابوي الشرقي – روما ١٩٨٣، ويترجم الكتاب لثلاثمائة من العلماء النصارى منهم ٢١٥ طبيباً. (وسيشار لهذا الكتاب فيما بعد : شيخو، علماء النصرانية ....)

٢ مقدمة ابن خلدون : دار القلم بيروت ١٩٨١ ط٤ ص٥٤٤

٣ أنظر شيخو، علماء النصرانية، ص ٢٢

فأمر المنصور خادمه أن يختار له من الجواري الحسان ثلاثاً ويحملن إلى جورجيس مع ثلاثة آلاف دينار .. فردهن. فلما اتصل الخبر بالمنصور أحضره وقال: لم رددت الجواري، قال: "لا يجوز أن يكون مثل هؤلاء في منزلي لأننا معشر النصارى لا نتزوج أكثر من امرأة واحدة ما دامت حية، لا نأخذ غيرها". فحسن موقع هذا من الخليفة وأمر في الوقت أن يدخل جورجيس إلى حظاياه وحرمه بلا إذن، وزاد موضعه عنده، وهذا ثمرة العفة كما يقول ابن القفطي[1].

وعندما مرض جورجيس مرضاً صعباً كان الخليفة يرسل إليه في كل يوم يتعرف خبره، ولما اشتد مرضه خرج إليه الخليفة ماشيا فطلب جورجيس من الخليفة أن يأذن له بالانصراف إلى بلده ليموت هناك فقال له المنصور: "اتق الله وأسلم وأنا أضمن لك الجنة"، فقال له: "رضيتُ حيث آبائي في الجنة أو في النار"، فضحك المنصور[2].

وقد كان الأطباء النصارى والمثقفون آنذاك يجيدون بالإضافة إلى لغتهم الأصلية السريانية، لغة الثقافة القديمة أي اليونانية، ثم أصبحت العربية لغة الفاتحين متطلباً لمن يريد صعود السلم الاجتماعي.

ونظراً للرعاية التي أولاها الخلفاء والأمراء للنقلة - المترجمين- والعلماء والأدباء تم الاستعانة بعلماء النصارى لنقل ثروات الثقافتين اليونانية والسريانية إلى اللغة العربية[3].

وفي هذا الإطار "لا يمكن دراسة الطب العربي دون التوقف عند مسألة الترجمة ، فكلا المجالين مترابطان، إذ كان العديد من الأطباء في تلك العصور من الملمين بالنقل، وقد انصرفوا إلى تأمين ترجمات عربية لمؤلفات جالينوس وبُقراط وأرسطو وسواهم"[4].

ومع نهاية القرن التاسع الميلادي، "وبعد انقضاء الطور الأول من الترجمة الذي تم فيه نقل أهم مؤلفات جالينوس وبُقراط إلى العربية، فقد المسيحيون احتكارهم لمهنة الطب، وبلغ العديد من المسلمين شأواً بعيداً في الإلمام بعلم الطب، لدرجة أنهم بزوا أسلافهم بمراحل، وباتوا في مستوى أعظم أطباء اليونان"[5].

وفي هذا المقام يجدر ذكر جهود حنين بن اسحق العِبَادي (١٩٤ - ٢٦٠هـ/٨٠٩ - ٨٧٤م) الذي عد أفضل المترجمين من اليونانية إلى العربية وأغزرهم إنتاجا، كما عد أيضا من أشهر الأطباء وهو مؤلف أول كتاب علمي في طب العيون "العشر مقالات في العين".

---

١ القفطي ص١١٠

٢ المرجع السابق ص١١١

٣ علماء النصرانية في الإسلام، المقدمة ص٢١

٤ المرجع السابق ص١٤

٥ مونتجمري وات، مرجع سابق ص٥٤

وعن اسحق بن حنين يقول ابن القفطي إنه "في منزلة أبيه في الفضل وصحة النقل من اللغة اليونانية والسريانية وكان فصيحاً يزيد على أبيه في ذلك، وخدم من خدم أبوه من الخلفاء والرؤساء.. وكان قد لحقه فالج ومات به"[1].

ومن النَّقلة الذين بعثهم المأمون لنقل كتب اليونان يحيى بن البطريق (القرن التاسع) الذي نقل من جملة ما نقل كتاب "البرسام" الإسكندر الافروديسي[2].

على أن أوضح مشاركة للنصارى في الطب العربي والإسلامي كانت بلا شك عبر جنديسابور بواسطة الأطباء النساطرة، فقد كانت جنديسابور تضم أشهر مدرسة وتعتبر مركزاً للعلماء الذين غادروا الإمبراطورية البيزنطية عندما اتهمتهم الكنيسة بالهرطقة، وذلك بعد أن قام مجمع "إفسوس" بعزل البطريك نسطوريوس عام ٤٣١م وقد نزل هؤلاء في الرها ونصيبين وجنديسابور[3].

وفي جنديسابور درس الطبيب العربي الحارث بن كلده الذي عاصر النبي صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم قد أحال بعض المرضى عليه (منهم سعد بن أبي وقاص الذي كان مفؤوداً -به مرض بقلبه- فشفي وعاش حتى سنة ٥٦هـ/٦٧٥م)[4].

وقد خرجت جنديسابور "أطباء البلاط في عهد هارون الرشيد والخلفاء بعده لأكثر من مائة عام"[5].

كما اشتهر في دولة بني أمية تياذوق (ثيادوق) طبيب الحجاج بن يوسف الثقفي (توفى ٩٥هـ/٧١٣م) وكان له تلاميذ أجلاء تقدموا بعده ومنهم من أدرك الدولة العباسية[6].

ومن أوائل الأطباء النصارى في الدولة الأموية ابن أثال الذي يقول عنه ابن أبي أصيبعة: "إنه كان طبيباً متقدماً من الأطباء المتميزين في دمشق، نصراني المذهب، ولما ملك معاوية دمشق (٤٢هـ/ ٦٦١م وحكم حتى ٦٠هـ/ ٦٧٩م) اصطفاه لنفسه وأحسن إليه، وكان كثير الافتقاد له والمحادثة معه ليلاً ونهاراً، وكان ابن أثال خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة وما فيها من سموم قاتلة، وكان معاوية يقربه لذلك كثيراً، ومات كثير من أكابر الناس والأمراء المسلمين بالسم".

ثم يروي كيف قتله خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد بسبب ما قيل أنه سمم عمه عبد الرحمن بن خالد لتحصل بموته المبايعة لابنه يزيد.

---

١ القفطي، ٥٧

٢ علماء النصرانية في الإسلام، ص٥٢

٣ تراث الإسلام، شاخت وبوزورث، ج٢ ط٢ ص٢١٩

٤ القفطي، ص١١١

٥ مونتجمري وات، مرجع سابق ص٤٧

٦ القفطي ص٧٤

وتجدر الإشارة إلى أنه كانت توجد مدرسة طبية في الإسكندرية لكنها كانت أقل شهرة من مدرسة جنديسابور، وقد انتقل منها بعض الأطباء تجاه بلاد الشام، ومن أوائل الأطباء الذين وفدوا من الإسكندرية عبد الملك بن ابجر الكناني ويقول ابن أبي أصيبعة: "أنه كان طبيباً عالماً ماهراً، وكان أول أمره مقيماً في الإسكندرية لأنه كان المتولي في التدريس بها. وذلك عندما كانت البلاد في ذلك الوقت لملوك النصارى، ثم أن المسلمين لما استولوا على البلاد وملكوا الإسكندرية أسلم عبد الملك بن ابجر على يد عمر بن عبد العزيز، وكان حينئذ أميراً قبل أن تصل إليه الخلافة وصحبه، ولما أفضت الخلافة إلى عمر وذلك سنة ٩٩هـ/٧١٧م نقل التدريس إلى إنطاكية وحران وتفرق في البلاد، وكان عمر بن عبد العزيز يستطب ابن أبجر ويعتمد عليه في صناعة الطب".

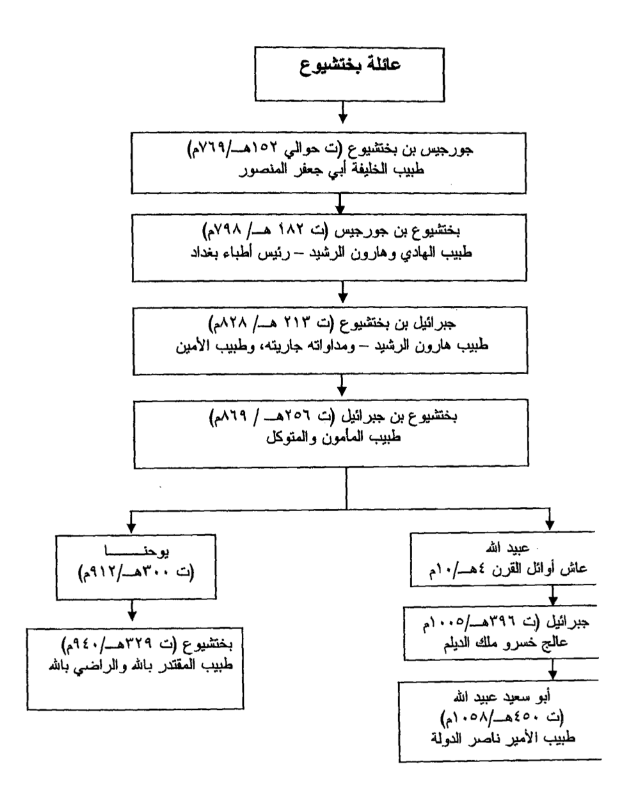
وكان الطبيب صاعد بن بشر بن عبدوس – القرن الحادي عشر –"أول من فطن إلى تدبير الأمراض بالأدوية المبردة التي كانت تعالج قديماً بالأدوية الحارة كالفالج واللقوة والاسترخاء ونبه عليها ببغداد .. فأظهر في المداواة عجائب"[١].

هذا الطبيب النصراني يحيى بن عيسى بن جزلة يلازم أبا علي بن الوليد شيخ المعتزلة لقراءة النطق عليه "فلم يزل ابن الوليد يدعوه إلى الإسلام ويشرح له الدلالات الواضحة ويبين له بالبراهين حتى استجاب وأسلم وعلم بإسلامه قاضي القضاة أبو عبد الله الدامغاني فسر بإسلامه فقربه وأدناه ورفع في محله بأن استخدمه في كتابته السجلات بين يديه، وكان مع اشتغاله بذلك يطبب أهل محلته وسائر معارفه بغير أجرة ولا جعالة بل احتساباً ومروءة ويحمل إليهم الأدوية بغير عوض، ولما مَرِضَ مَرَضَ موته وَقَفَ كتبه في مشهد الإمام أبي حنيفة[٢].

---

١ ابن أبي أصيبعة، ج٣

٢ القفطي ص ٢٤٠


عائلة بختشيوع
جورجيس بن بختشيوع (ت حوالي ١٥٢هـ/٧٦٩م)
طبيب الخليفة أبي جعفر المنصور
بختشيوع بن جورجيس (ت ١٨٢ هـ/ ٧٩٨م)
طبيب الهادي وهارون الرشيد – رئيس أطباء بغداد
جبرائيل بن بختشيوع (ت ٢١٣ هـ/ ٨٢٨م)
طبيب هارون الرشيد – ومداواته جاريته، وطبيب الأمين
بختشيوع بن جبرائيل (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)
طبيب المأمون والمتوكل
عبيد الله
عاش أوائل القرن ٤هـ/١٠م
جبرائيل (ت ٣٩٦هـ/١٠٠٥م
عالج خسرو ملك الديلم
أبو سعيد عبيد الله
(ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)
طبيب الأمير ناصر الدولة
يوحنـــــا
(ت ٣٠٠هـ/٩١٢م)
بختشيوع (ت ٣٢٩هـ/٩٤٠م)
طبيب المقتدر بالله والراضي بالله



صورة متخيلة للطبيب عبدالله بن بختيشوع
(المنظمة الأسلامية للعلوم الطبية – الكويت)

عرف عن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور عنايته بالعلوم والعمران على أوسع نطاق، وازدهرت دولة الحكمة عنده بتنامي أوائل النباهة والطموح في نواحي العلوم والمعارف.

وبعد أن قام الخليفة المنصور بوضع حجر الأساس لمدينة السلام بغداد، لتكون عاصمة ملكه عام ١٤٨هـ/٧٦٩م حدث أن أدرك المنصور ضعفاً في معدته وقلة شهوة، ورغم معالجة الأطباء له، فإن مرضه ازداد سوءاً فسعى مستشارو الخليفة لإحضار جورجيس بن بختيشوع رئيس أطباء البيمارستان المشهور في جنديسابور، فأوعز الخليفة بإحضاره، وعندما حضر سأله عن أمور كثيرة فأنس به وأخبره بابتداء علته وكيف جرى مرضه وتطور، فقام جورجيس بتدبير صحة الخليفة حتى برئ تماماً[١].

وبعد أربعة أعوام رجع إلى جنديسابور وأناب مكانه ابنه بختيشوع الذي بلغ شهرة واسعة فعالج هارون الرشيد وجعله الرشيد رئيساً لجميع أطباء بغداد.

ويروي القفطي قصة قدومه إلى بغداد لأول مرة ويقول "إن المهدي استدعاه عندما مرض ولده الهادي، فعز على أم الهادي الخيزران أنه استدعاه ولم يستطب طبيبها أبا قريش فأخذت هي وأبو قريش في مناكدة بختيشوع ومضاربته، وعلم المهدي بفعلها ذلك فأعاده مكرماً إلى جنديسابور فأقام على حالته في تدبير المارستان هناك، ولم يزل على ذلك إلى سنة١٧١هـ/٧٨٧م، حيث مرض الرشيد من صداع لحقه.. فأمر بإحضاره فأكرمه الرشيد وخلع عليه خلعة سنية ووهب له مالاً وافراً وقال له: تكون رئيس الأطباء ولك يسمعون ويطيعون"[٢].

وعلى العادة في توريث المهن فقد كان جبرائيل بن بختيشوع بن جورجيوس طبيباً كوالده وجده، وحدث أن كانت جارية لهارون الرشيد مريضة، إذ رفعت يدها فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها والأطباء يعالجونها بالتمريخ والأدهان ولا ينفع ذلك شيئاً.

فدعا الرشيد جبرائيل الطبيب، ثم شرح له حال الصبية فقال الطبيب: إن لم يسخط علي أمير المؤمنين فلها عندي حيلة، فحضرت الجارية وحين رآها جبرائيل عدا إليها ومسك ذيل ثوبها كأنه يريد أن يكشفها فمدت يدها للأسفل لمنعه، فقال جبرائيل: قد برئت. فقال الرشيد للجارية إبسطي يديك يمنة ويسرة ففعلت فتعجب، ولما سأله عن سبب العلة قال: هذه الجارية انصبَّ إلى أعضائها وقت المجامعة خِلْطٌ رقيق بالحركة وانتشار الحرارة، ولأجل أن سكون حركة الجماع تكون بغتة جمدت الفضلة في بطون الأعصاب، وما كان يحلها إلا حركة مثلها، فاحتلت حتى انبسطت حرارتها وانحلت الفضلة[٣].

---

١ عيون الأنباء،ج٢ ص٣٧

٢ القفطي ٧١

٣ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص١٤٤ القفطي ص٩٤

وبقي جبرائيل يخدم عند هارون الرشيد لمدة ٢٣ سنة [١].

وعن جبرائيل يقول القفطي: "إنه كان طبيباً فاضلاً حاذقاً نبيلاً له تآليف في الطب".

وعندما مُلك محمد الأمين أكرم جبرائيل ووهب له أموالاً جليلة أكثر مما كان أبوه يهبه، وكان الأمين لا يأكل ولا يشرب إلا بإذنه، ولما وُلّي المأمون، أمر بحبس جبرائيل في منزله وجعل ميخائيل المتطبب وهو صهر جبرائيل مكانه وأكرمه إكراماً وافراً كيداً بجبرائيل.

وبعد فترة مرض المأمون فلم يجد غير جبرائيل الذي عالجه فرد عليه سائر ما قبض عنه من الأملاك والضياع وصار إذا خاطبه كناه بأبي عيسى وأكرمه[٢].

ولما عزم المأمون على الخروج إلى بلد الروم، مرض جبرائيل مرضاً شديداً فلما رآه المأمون ضعيفاً التمس منه إنفاذ بختيشوع ابنه معه إلى بلد الروم فأحضره وكان مثل أبيه في الفهم والعقل[٣].

وكان بختيشوع نبيل القدر وبلغ من عظم المنزلة والحال وكثرة المال ما لم يبلغه أحد من سائر الأطباء الذين كانوا في عصره، وكان يضاهي المتوكل في اللباس والفراش[٤].

وخلّف بختيشوع ولدين هما عبيدالله ويوحنا، أما عبيدالله فولد في بغداد في أواخر القرن الرابع للهجرة والعاشر الميلادي وهناك درس الفلسفة والطب، وكان بينه وبين أبي الحسن المختار بن بطلان البغدادي صداقة ومودة وله "كتاب في مناقب الأطباء" و "تذكرة الحاضر وزاد المسافر" حول المعالجات والأدوية المألوفة المجربة والتي يمكن استعمالها في الحل والترحال وأيام الحج[٥].

أما يوحنا (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م) فقد كان طبيباً متميزاً خبيراً باللغة اليونانية والسريانية ونقل من اليوناني إلى السرياني كتباً كثيرة وخدم بصناعة الطب الموفق بالله طلحة بن جعفر المتوكل وكان يعتمد عليه ويسميه "مُفرِّج كَرْبي"[٦].

١ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص١٥٨ القفطي ٩٥

٢ القفطي ٩٩

٣ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص٥٨

٤ المرجع السابق ص٦٢

٥ د. حمارنه، تاريخ تراث..، ص١٣

٦ ابن أبي أصيبعة، ج٢

وخلّف يوحنا ولده بختيشوع الذي دعاه القفطي "بختيشوع بن يحيى" وقال عنه: "إنه طبيب حاذق خدم المقتدر الخليفة واختص به وارتفعت منزلته لديه"[1].

ويضيف على ذلك ابن أبي أصيبعة أنه كان "حظياً من الخلفاء وغيرهم.. وخدم الراضي بالله فأكرمه وأجراه على رسمه في أيام أبيه المقتدر بالله" [2].

أما عبيد الله فقد خلّف ولده جبرائيل فكان عالماً متقناً لصناعة الطب على أجداده .. وعندما مرض خسرو شاه بن مبادر ملك الديلم، كاتب عضد الدولة يسأله إرسال الطبيب أبي عيسى جبرائيل ، فعالجه وأقام عنده وسأله أن يعمل في صورة المرض مقالة يقف على حقيقته وتدبير يختاره ويعوّل عليه، فعمل له مقالة ترجمها من ألم الدماغ بمشاركة فم المعدة والحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات التنفس المسمى ديافرغما (diaphragma) [3].

وقد أدخله معه عضد الدولة إلى بغداد وجدد البيمارستان فصار (جبرائيل) يأخذ رزقين وهما برسم الخواص ثلاثمائة درهم وبرسم البيمارستان سوى الجراية وكانت نوبته في الأسبوع يومين وليلتين [4].

وقام جبرائيل بمعالجة خسرو شاه ملك الديلم وسافر إلى أرض القدس[5].

وكان أبو سعيد عبيدالله بن جبرائيل بن عبيدالله بن بختيشوع فاضلاً في صناعة الطب مشهوراً بجودة الأعمال فيها متقناً لأصولها وفروعها، ومن جملة المتميزين من أهلها والعريقين من أربابها وله مصنفات مشهورة فيها[6].

وولد أبو سعيد في بغداد حيث درس الفلسفة والطب، وبعد شهرته دعاه الأمير ناصر الدولة إلى ميافارقين بشمال العراق، واجتمع مع الطبيب المشهور ابن بطلان البغدادي حيث كانت صداقة ومودة تربطهما [7].

وعن أبي مخلد بن بختيشوع (توفي ٤١٧هـ/١٠٢٦م) يقول القفطي: "إنه طبيب من البيت المذكور، طب وتصرف في هذه الصناعة ببغداد وعرف بهذا الشأن، وكان مبارك المباشرة وعُمّر طويلاً وهو محمود الطريقة سالم الجانب" [8].

وعن الشهرة التي حققها آل بختيشوع عند الخلفاء العباسيين يرى الدكتور محمد كامل حسين أن ذكاءهم كان أكبر من عملهم وأن عنايتهم بممارسة الطب كانت أكثر من علمهم بالطب النظري، وأنهم يمثلون صنفاً من الأطباء كان

---

١ القفطي، ٧٣

٢ ابن أبي أصيبعة، ج٢

٣ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص٥٧

٤ القفطي ١٠٣

٥ المرجع السابق، ص١٠٤ – ١٠٥

٦ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص٧٨

٧ د. سامي حمارنة: تاريخ تراث .. مرجع سابق ص١٣٤

٨ القفطي ٢٨٣

معروفاً عند القدماء هم أطباء البلاط، والصفات الغالبة عليهم المهارة وحسن التصرف، وكثير من الدهاء في مقاومة الدسائس وبعض الدس يقومون به لحسابهم، وكان آل بختيشوع فيهم ذلك كله، لم يُغضبوا خليفة أبداً ونجوا من نكبة البرامكة مع صداقتهم لهم، واشترك أحدهم في نكبة حنين بن اسحق، بل إنهم لم يشاركوا كثيرا في التأليف، ومن أسباب شهرتهم أيضاً أنهم كانوا نصارى وهي ظاهرة معروفة في كل عصر ذلك أن كثيراً من الناس يحبون أن يثقوا بأطباء من غير ملّتهم[١].

ونظراً لكثرة وشهرة الأطباء من غير المسلمين في بغداد فقد كسدت طبابة أهل البلد من العرب فهذا الطبيب أبو الحارث أسد بن جاني سأله قائل : السنة وَبِئة والأمراض فاشية وأنت عالم فمن أين تؤتى في هذا الكساد؟

قال: "أما واحدة فإني عندهم مسلم، وقد اعتقد القوم قبل أن أتطبب لا بل قبل أن أخلق أن المسلمين لا يفلحون في الطب! واسمي أسد، وكان ينبغي أن يكون يوحنا أو جبرائيل.. ولفظي عربي، وكان ينبغي ان تكون لغتي لغة أهل جنديسابور"[٢].

ولا بد أن في هذه القصة مبالغة، ذلك أن الجاحظ رواها ضمن ما عرف عن هذا الطبيب من البخل، وله قول في نصيحة عياله بأكل الشحم شتاء لأنه يدفىء الجسم أفضل من النار، وعليهم بالتعوّد على أكل نوى التمر وقشر الفول.

---

١ أثر العرب والإسلام في النهضة الاوروبية، مقال للدكتور محمد كامل حسين، في الطب والاقرباذين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧، ص٢٤٥

٢ البخلاء للجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨ ج٢ ص٤

قسطا بن لوقا

ومن أشهر المترجمين قسطا بن لوقا البعلبكي (ت ٣٠٠هـ/٩١٢م) ويقول ابن النديم "إنه كان يجب أن يُقدَّم على حنين (بن اسحاق) لفضله ونبله وتقدمه في صناعة الطب، ولكن بعض الأخوان سأل أن يقدم حنين عليه، وكلا الرجلين فاضل" [١].

وسافر قسطا إلى بلاد الروم وحصَّل من تصانيفهم الكثير وعاد إلى الشام واستدعي إلى العراق ليترجم الكتب ويستخرجها من لسان اليونان إلى لسان العرب .. وكان ماهراً في صناعة الطب، وله تصانيف مختصرة بارعة فيها[٢].

ويقول عنه ابن أبي أصيبعة أنه "كان جيد النقل باللسان اليوناني والسرياني والعربي وكان حسن العبارة جيد القريحة. ويقول ابن النديم أنه كان بارعاً في علوم كثيرة منها الطب ولا يطعن عليه"[٣].

وله حوالي ستين كتاباً منها "كتاب في علة الموت فجأة" و"كتاب في معرفة الخدر وأنواعه وعلله وأسبابه وعلاجه" و "كتاب في دفع ضرر السموم" [٤].

ويبدو أنه بعد أن ذاع صيته "اجتذبه (الأمير) سنحاريب إلى أرمينية وأقام بها ومات هناك وبنى على قبره قبة إكراما له كإكرام قبور الملوك أو رؤساء الشرائع"[٥].

---

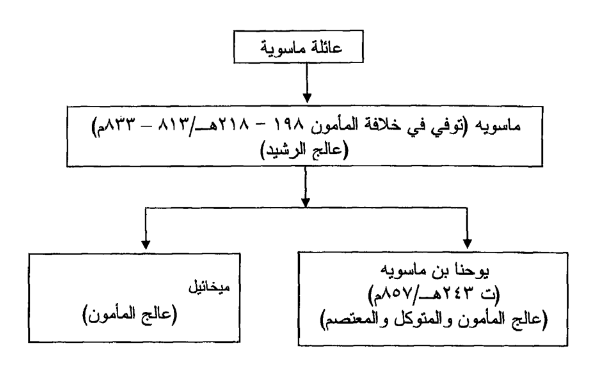
١ الفهرست، ٣٥٣

٢ القفطي، ١٧٣

٣ عيون الأنباء، ج٢ ص٢٤٤؛ الفهرست ص٣٥٣

٤ المرجع السابق، ص٢٤٥ - ٢٤٦؛ الفهرست، ص٣٥٣

٥ القفطي، ١٧٣


عائلة ماسوية
ماسويه (توفي في خلافة المأمون ١٩٨ - ٢١٨هـ/٨١٣ - ٨٣٣م)
(عالج الرشيد)
يوحنا بن ماسويه
(ت ٢٤٣هـ/٨٥٧م)
(عالج المأمون والمتوكل والمعتصم)
ميخائيل
(عالج المأمون)

تعد أسرة ماسويه الطبية أشهر أسرة عملت في الطب في العصر العباسي بعـد أسرة بختيشوع .

وكان ماسويه (لم يعرف له أب أو قرابة) يعمل في دق الأدوية فـي بيمارسـتان جنديسابور لمدة ثلاثين سنة وعرف الأمراض وعلاجها وصار بصيراً بانتقـاد الأدوية.

وحدث أن عجز الأطباء عن معالجة عين خادم للفضل بن الربيع وزير الرشيد واشتد وجع الخادم حتى عدم النوم، وصدف أن رأى هذا الخادم ماسويه ببـاب الحرم عند قصر الربيع، حيث كان يداوي المرضى، فسأله فوصـف لـه دواء وعالجه وبرأ الخادم على يديه.

وبعد أيام اشتكت عين الفضل فنفذ إليه جبرائيل والكحالين لكنه لم ينتفع بهم حتى أدخل الخادم ماسويه فعالجه فبرأ.

فما مضت أيام حتى اشتكت عين الرشيد فشرح له الفضل قصته وما كان مـن أمر خادمه وأمر نفسه، فأمر الرشيد بإحضاره فحجمه ماسويه على ساقيه وقطر في عينيه فبرأ بعد يومين فأحسن إليه الرشيد.

ثم أنه اعتلت بانو أخت الرشيد، فلم يزل جبرائيل يعالجها فلم تنتفع حتـى أمـر الرشيد يوماً بإحضار ماسويه لعل عنده فرجاً لها، فلما رآهـا ماسـويه وتأملهـا وجس عروقها بحضرة الرشيد فقال ماسويه للرشيد إنها تموت بعد غـد، فقـال جبرائيل: كذب يا أمير المؤمنين إنها تبرأ وتعيش فأمر الرشيد بحبس ماسـويه فلما جاء الوقت الذي حدده ماسويه توفيت فلم يكن للرشيد همة بعد دفنها إلا أن أحضر ماسويه، فسأله وأعجب بكلامه، فصيَّره نظيراً لجبرائيـل فـي الـرزق والنزل والمرتبة، وعني بإبنه يوحنا ووسع النفقة عليه، فبلغ المرتبة المشهورة[1].

وخلّف ماسويه يوحنا وميخائيل ، ويوحنا بن ماسويه المكنى بأبي زكريا أصبح من مشاهير أطباء بغداد وسامراء في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، ومن أكثرهم حظوة عند خلفائها حيث خدم كلاً من المأمون والمعتصم والواثـق والمتوكل.

وتزوج يوحنا ابنة الطبيب الطيفوري، وكان شديد التدين فصار شماساً في خدمة الكنيسة وعاتبه النصارى على اتخاذ الجواري فقال: "إنمـا أمرنـا أن لا نتخـذ امرأتين ولا ثوبين، فمن جعل الجاثليق[2] أولى أن يتخذ عشرين ثوبا مني في اتخاذ أربع جوار؟ فقولوا لجاثليقكم أن يلزم قانون دينه، حتى نلزمه معه وإن خـالف خالفناه"[3].

---

١ عيون الأنباء، ابن أبي أصيبعة، مرجع سابق ص ص١١٧ – ١٢٢

٢ رتبة كنسية عليا متقدم الاساقفه – يونانية – انظر المنجد في اللغة والاعلام : جثل

٣ وإذا صح ذلك، فهو مؤشر على حجم التأثر بالمحيط الذي يعيش فيه الإنسان

[1] وكان يوحنا بن ماسويه طبيباً خبيراً بصناعة الطب وله تصانيف مشهورة وكان مبجلاً عند الخلفاء والملوك، وكان ابن ماسويه مسيحي المذهب سريانياً قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة مما وجد بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم ووضعه أميناً على الترجمة، وخدم الرشيد والأمين والمأمون، وكان ملوك بني هاشم لا يتناولون شيئا من أطعمتهم إلا بحضرته [٢].

وكان ابن ماسويه حاضر البديهة طريفاً ظريفاً، وينقل ابن أبي أصيبعة بعض طرائفه ومنها أن قسيس الكنيسة التي يتقرب فيها يوحنا فسدت عليه معدته، فكلما وصف ابن ماسويه دواء للقسيس يجيبه : أكلت منه وشربت منه، حتى غضب ابن ماسويه وقال للقسيس: "إن أردت أن تبرأ فأسلم فإن الإسلام يصلح المعدة".

وقدم جرجه بن زكريا عظيم النوبة إلى سر من رأى "سامراء" وأهدى إلى المعتصم هدايا منها قردا ، وكان عند ابن ماسويه قردة، فأرسل المعتصم رسولاً ومعه القرد لابن ماسويه لتزويج القرد من "حماحم" قردة ابن ماسويه والتي كان شديد الاعتناء بها، فقال لرسول المعتصم: قل لأمير المؤمنين إني أتخذ هذه القردة لتشريحها ووضع كتاب على وضع جالينوس في التشريح، يكون جمال وضعي إياه لأمير المؤمنين، أما وقد وافى هذا القرد فإني سأضع للأمير كتاباً لم يوضع في الإسلام مثله" – لأن قردة ابن ماسوسه كانت ضعيفة وقرد الأمير أكبر منها جثة– ثم فعل ذلك فظهر له كتاب حسن استحسنه أعداؤه فضلاً عن أصدقائه. وهذا يدل على أن الأطباء كانوا يشرّحون القردة باعتبارها قريبة إلى الإنسان.

وليوحنا بن ماسويه عدة كتب منها كتاب في الصداع وعلله وأدويته، وكتاب الماليخوليا وأسبابها وعلاماتها وعلاجها [٣].

كما له كتاب السدر والدوار، وكتاب محنة الطبيب[٤].

وأصبح يوحنا بن ماسويه سنة ٢١٥هـ/٨٣٠م رئيساً لبيت الحكمة ودائرة الترجمة فيها، وقد كان يلم باليونانية والفارسية ويجيد السريانية لغة أمه، كما كان يتقن العربية فكانت تآليفه جلها بلغة الضاد[٥].

---

١ ابن أبي أصيبعة،ج٢ ص١٢٦

٢ عيون الأنباء، ج٢ ص١٢٤؛ ابن النديم، الفهرست ص٣٥٤

٣ عيون الأنباء، ج٢ ص١٣٦

٤ ابن النديم، الفهرست، تحقيق رضا – تجدد، طهران ١٩٧١ ص٣٥٤

٥ د. سامي حمارنه، الطبيب الرائد يحى (يوحنا) بن ماسويه، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج٤ مجلد ٦٩، تشرين الأول ١٩٩٤ ص٧٣٩

وقام ابن ماسويه بتأسيس كلية طبية خاصة، كانت الأولى من نوعها في التاريخ العربي الإسلامي، تولى التدريس فيها لعدد كبير من الطلبة.. وبذلك مهد السبيل لنشوء كليات أخرى مماثلة في مدن عربية وإسلامية أخرى.

ومن الطلبة الذين تتلمذوا على يديه ولمع نجمهما الطبيب الترجمان أبو زيد حنين بن اسحق العِبَادي، وإبراهيم بن عيسى الذي غدا طبيب الأمير أحمد بن طولون عندما كان قائداً للجيش في بلاد الشام[1].

---

١ المرجع السابق ص ص٧٤١ - ٧٤٢

ميخائيل بن ماسويه

ميخائيل هذا هو أخو يوحنا بن ماسويه، كان متطبب المأمون.
وكان ميخائيل لا يوافق أحداً من المتطببين على شيء أحدث من مائتي سنة[1] ولا يستعمل شيئاً لم يستعمله الأوائل.
وكان المأمون به معجباً وله على جبرائيل بن بختيشوع مقدماً حتى كان يدعوه بالكنية أكثر مما يدعوه بالإسم، وكان لا يشرب الأدوية إلا مما تولى تركيبه وإصلاحه له[2].

١ أي كان يميل إلى الطب القديم
٢ عيون الأنباء، مرجع سابق ص١٣٧

يوحنا بن ماسويه

يعد يوحنا بن ماسويه (٢١٦ - ٢٤٣هـ/٧٧٨ - ٨٥٦م) أشهر من أنجبتهم أسرة ماسويه الطبية.

وكان يلم بعدة لغات فأصبح سنة ٢١٥هـ/٨٣٠م رئيساً لبيت الحكمة ودائرة الترجمة فيها.

وله عدة كتب طبية منها كتاب في الصداع وآخر في الماليخوليا.

ويعد "الكناش المشجر الكبير" من أكبر تآليف ابن ماسويه وأجلها شأناً في بابه، وهو مشجر لأنه يحوي رسوماً وجداول تبين أسباب الأمراض وتشخيصها وعلاجها[1].

ويتكون هذا "الكناش" من ثمانين باباً وعلى عادة القدماء يبدأ بذكر الأمراض التي تصيب الجسم من الرأس فالأسفل، وفي هذا المقام نذكر ما جاء في "الكناش" فيما يدور حول أمراض الدماغ والأعصاب.

الباب الخامس : في الصداع في الرأس نصفياً (الشقيقة) أو كلياً وما هو كائن من سوء المزاج أو من الورم، أو من مشاركة من أعضاء أخرى في الجسم، كالكبد أو المعدة أو الطحال أو الرجلين، مع الحمى أو بدونها، أو ما يعرض له من الخارج، مثل ضربة (أو حر) الشمس، أو شرب الخمور المسكرة، وتشخيص أنواع الإصابة، وأوصافها والأخلاط المشاركة وطرق المعالجة بما في ذلك الشقيقة (Migraine) أو الصداع النصفي.

الأبواب من السادس حتى الثامن : في النسيان وأسبابه والتشخيص، والسبات السهري كعلة مركبة(Agrypno coma) (فهي سبات مع التيقظ والهذيان) والعلامات والأنواع والعلاج، بما في ذلك العلاج الغذائي، وفي السدر وهو الحيرة وعدم المبالاة والزغلل في البصر، والدوار (وهو شبه الدوران يأخذ بالرأس، وعند العامة الدوخة (Vertigo) والأسباب والعلامات ومعالجته في وقت هيجانه وفي وقت سكونه.

الباب التاسع: في الوجع المسمى باليونانية قرانيطس وهو ورم حار يحدث في الدماغ نفسه، أو في أغشيته (وهي الحجب التي تحيط بالدماغ) أو السرسام الحار، وعلامته شدة الوجع في الرأس ونتوء العينين، واحمرار الوجه، وثقل في الرأس وسبات وقلق شديد، وهذيان (أو اختلاط العقل أو التهاب السحايا .(Meningitis)

---

[1] د. سامي حمارنه، الطبيب الرائد يوحنا بن ماسويه، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ج٤ مجلد ٦٩ تشرين الأول ١٩٩٤ ص٧٥٨
يذكر د. حمارنه أن هذا الكتاب لم يحقق بعد، وتوجد ثلاث مخطوطات منه في الهند

الباب العاشر: في الوجع المسمى فلغموني، أي الورم الحار الكائن في الدماغ، مع ألم في الرأس بسبب الورم، ومع الغثيان والقيء واحمرار الوجه وانتفاخه، ترافقه حمى حادة، يعالج بالفصد مع تضميد الرأس بالأشياء المرطبة المحللة، ويسقى المريض ماء الشعير والعناب والخبازي والبقلة اليمانية.

الباب الحادي عشر: في الحمرة في الدماغ مع الوجع الشديد في الرأس كلـــه، والالتهاب وبرد الوجه وصفرته، ويبس الفم ويعالج بالفصد ويسقى المـــريض ماء العناب والتمر الهندي والأجاص، أو يسقى ماء الشعير والقطف.

الأبواب من الثاني عشر حتى السادس عشر: في كثرة النوم العـــارض فـــي الحميات التي تعترضها الأحلام الغريبة، والفزع واسترخاء الجبين والرطوبة في الرأس والسبات والماليخوليا أو داء الوسواس، وفساد الفكر وذهاب العقـــل بلا حمى، والمراقي النافخ واختلال العقل، وولوع شديد وعبث ثـــم الهـــذيان وذهاب العقل.

الباب السابع عشر: في الصرع [1] وفي هذه العلة يلاحظ امتداد جميع الجســـد، مع امتناع الأفعال المدبرة حسياً وحركياً إما من الدماغ أو من المعدة أو بعض أعضاء الجسم كالرجلين، أما مقدماتها: فحزن بغير علة، وتنبه العقل والنسيان، ورديء الأحلام والصداع، ويقترح المؤلف العلاج حسب السن والحالة، ففـــي حالة الصبي الرضيع أو من هو أكبر سناً تكون "راسخة في الـــدماغ نفســـه" وتكون في هذه الحالة أصعب مما لو كانت في وعائه، وأكثـــر مـــا تصـــيب الأطفال وبَعْدَهُمْ الصبيان، ثم المراهقين، وقلّما تصيب الكهول والمشايخ.

وعلامة الصرع "سقوط العليل وامتداد جسده، وارتعاشه، وصياحه، وظهـــور الزبد من الفم" وأعراض أخرى تحدث أيضاً ، أما العلاجات ولا سيما الغذائية منها فيذكرها المؤلف بالتفصيل، كما يقترح "امتحان من به الصرع وكشفه بهذه الأشياء".

الأبواب من الثامن عشر حتى الحادي والعشرين: في الرعونة وفساد مـــؤخر الدماغ (cerebellum) أما القطرب فنوع من الماليخوليا ووســـواس الـــرأس والهوس وفساد العقل مع شدة العطش، والكابوس وهو ما يحصل للإنسان في نومه، فيزعجه ويضايقه، ويرى المؤلف أن هذه العلة مقدمة لـــثلاث علـــل: الصرع والمانيا (الجنون) والسكتة بانقطاع الصوت والحركة وثقل في الرأس وانتباه من النوم بغتة، والمعالجة بالدواء وقلة من الطعام، وأما العشق فيسبب كآبة صماء مع ألم نفسي وكثرة في الحركة، وتكون العيـــون غـــائرة جافـــة، وتذبل أعضاء الجسم كلها، ويعي المريض عند ذكر من يحب أو سماع اسمه، وعلاجه بإشغال المريض بالصناعات أو بالاستماع إلـــى الألحـــان الجميلـــة، ومصادقة من يحب أو من يشبهه شخصاً وصورة وحسناً.

---

١ باليونانية "seizure" – epilepsy

الأبواب من الثاني والعشرين حتى السادس والعشرين: في السكتة والفالج والاسترخاء في أحد الشقين أو كليهما، وفي مقدمة الدماغ أو في مؤخره، وانقطاع الأفعال المدبرة والحس والحركة في جميع الأعضاء، أما مقدمات السكتة : فصداع شديد، انتفاخ الأوداج، دوار، اختلاج وبرود الأطراف وأكثر ما تصيب المشايخ.

أما اللقوة فهي – كما يرى ابن ماسويه– استرخاء جانب الوجه وميلانه إلى الجانب الآخر الصحيح، وتعالج بربط الجانب المائل بعصابة، ومن الاسترخاء ما هو سهل المعالجة، ومنه ما لا علاج له، أما التشنج فيكون إما من الامتلاء وتوالي الرطوبة، أو من الخلاء وتوالي اليباس، وأما الامتداد فيعرض إما في العصب وعضلات العنق أو في العضلات المقدمة والمؤخرة معاً، وينجم إما عن تعب أو نوم على الأرض أو عن حمل ثقيل أو سقطة، أو من حرق النار، أو ضربة ، وأما علة الارتعاش فتكون من ضعف العصب وتعالج بالدواء والغذاء[1].

١ المرجع السابق، ص٧٦٠ – ٧٦٤

عائلة حكَم الدمشقي

ضمن العائلات الطبية التي ظهرت في بدايات العصر الطبي الذهبي العربي الإسلامي عائلة حكم الدمشقي، ومن كنيتها يتبين أنها ظهرت في دمشق عاصمة الأمويين.

وأول من عرف من هذه العائلة الجد أبو الحكم الدمشقي "وكان طبيباً نصرانياً عالماً بأنواع العلاج والأدوية، وله أعمال مذكورة وصفات مشهورة، وكان يستطبه معاوية بن أبي سفيان (٤١ - ٦١هـ/٦٦١ - ٦٨٠م) ويعتمد عليه في تركيبات أدوية لأغراض قصدها منه"[١].

وربما تعني "لأغراض قصدها منه" تركيب أدوية قاتلة قيل إن معاوية كان يستخدمها في قتل أعدائه.

وقد عُمّر أبو الحكم طويلاً حتى تجاوز المائة، وقد تولى تطبيب يزيد بن معاوية وطال به العمر حتى أنه خدم عبد الملك بن مروان [٢].

ولحق حكم الدمشقي (ت ٢١٠هـ/٨٢٥م) بأبيه في معرفته بالمداواة والأعمال الطبية والصفات البديعة، وفي حادثة فصد عرق الباسليق فشل أحد الحجامين بها ذلك أنه أصاب الشريان، ففرح القوم عندما رأوا حكم المتطبب وعيسى ابنه فعالج حكم المريض.

وعُمّر حكم مائة وخمس سنين قمرية [٣،٤].

أما أشهر من أنجبته هذه العائلة فهو أبو الحسن عيسى بن حكَم الدمشقي المشهور بمسيح (ومن هنا عرف في النصوص اللاتينية باسم المسيح مصغراً CHRISTIANELLUS) وأول من ذكره ابن النديم في الفهرست[٥].

ورويت عنه قصة تبين نبل أخلاقه، ذلك أن يوسف بن إبراهيم مولى إبراهيم المهدي نزل عليه ضيفاً في دمشق سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩م وكانت به نزلة صعبة فكان يغذيه بأغذية طبية ويسقيه الماء المثلج وهو يقول له لأن ذلك مضراً بالصحة فيجيبه عيسى "أنا أعلم بهواء بلدي، وهذه الأشياء المضرة بالعراق نافعة بدمشق" وما أن انتهت زيارته وشيعه إلى خارج دمشق حتى أمره أن لا يشرب الماء البارد وأعطاه أغذية أخرى في طريقه فلما لامه أجابه عيسى : "إنه لا يحسن بالعاقل أن يلزم قوانين الطب مع ضيفه في منزله" [٦].

---

١ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص٢٨؛

٢ المرجع السابق ص٢٩

٣ أي حوالي مائة وستين شمسية

٤ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص٢٩؛ القفطي ١٢٣

٥ الفهرست ص٣٥٥

٦ القفطي، ١٦٦؛ ابن أبي أصيبعة ج٢ ص٣١

وخالف عيسى بن الحكم الطبيب علي بن ربن الطبري عندما نصح غضيض أم ولد الرشيد بتأجيل علاجها من علة القولنج إلى وقت يحمده المنجمون، فانحازت غضيض للطبري وأجلت العلاج إلى حين "موافاة القمر المشتري كما أشار الطبري" إلا إنها ماتت قبل حلول ذلك الموعد [1].
وكان عيسى بن الحكم يسلك طريق الرهبان، ولا يحمد شيئاً مما يزيد الباه ولهذا أراد أن يسأله يوسف بن إبراهيم الذي حل عليه ضيفاً عن البصل وزيادته في الباه فكان يعرف رأيه مسبقاً فذكر له أنه كان يذوق الماء في بعض المناهل في سفره فيجده مالحاً فيأكل البصل ثم يشرب الماء فيجده أقل ملوحة. فضحك عيسى وقد كان قليل الضحك فقال لضيفه : إن خاصية البصل إحداث فساد في الدماغ، وإنما قلل حسك بمولحة الماء ما أحدثه في دماغك"[2].
وقد سافر عيسى بن الحكم إلى الهند لتعلم أصول الطب الهندي والتميز فيه، وذلك عندما عاد طبيب هندي اسمه مغيث إلى بلاده بعد أن عالج هارون الرشيد من علة صعبة وصنع له دواء أبرأه في ثلاثة أيام، وسمي "المغيث الهاروني" [3].
وأثناء عمله طبيباً في بلاط هارون الرشيد ألف عيسى بن الحكم رسالة أسماها "الرسالة الكافية الياقوتية" وأهداها للخليفة وسميت بـــ "الرسالة الهارونية".
ويقول عيسى بن الحكم في رسالته "بأن رأس الإنسان يقاس بربع الجسد، هلاكه الدماغ، وهو مسكن نصف العقل، والدماغ هو مربط الجسم فإذا كمل الدماغ كمل الجسم، والدماغ حار مثل النار والنخاع بارد مثل الثلج، فلولا برودة النخاع لأحرق الدماغ الرأس بحره، ولولا حرارة الدماغ أهلك وأفنى النخاع الجسم ببرودته"[4]. [5]
ويذكر عيسى بن الحكم في رسالته دواء "المغيث الهاروني" الذي صنعه المغيث الطبيب الهندي لأمير المؤمنين هارون الرشيد عندما أصيب بعلة صعبة ولم يستطع الأطباء شفاءه وكان منهم الدمشقي ويوحنا بن ماسويه وقال عنه أنه "مجرب ونافـــع لوجـــع الرأس واختلاط العقـــل والصـــرع والدوار، ومن أهـــم أخلاطـــه

---

١ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص٣١

٢ ابن ابي اصيبع، ج٢ ص٣٢

٣ د. حمارنه، الطبيب عيسى بن حكم الدمشقي ورسالته المارونية، بلاد الشام في العصر العباسي، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان ١٩٩٢ ص٥٤٥

٤ د. حمارنه الطبيب عيسى ...، مرجع سابق ص٥٥٢

٥ نظرية الحرارة والبرودة كانت شائعة منذ القدم وسحبوها على أعضاء الجسم فقالوا إن المعدة كالثلج والكبد مثل النار ولولا حرارة الكبد لانشقت المعدة، والقلب حار مثل النار والرئة باردة مثل الثلج، وكذلك المرارة باردة والكليتان حارتان كالنار وهكذا

الإهليلج والبليلج والأملج [١] مع الخردل والزنجبيل والدارصيني والكمون الكرماني والكرفس والحنظل"[٢].

وقد اهتم الدمشقي بأدوية لها تأثير في التخدير والتعود على استعمالها وأطلق عليها اسم "الدواء المرقد" وقام بنفسه بتصنيعها ، وهي حاوية لعدة مواد منها : الأفيون وبزر الخشخاش والخس والكزبرة والزعفران والجندبادستر [٣] وتحتوي الوصفة أيضاً على الشيكران [٤] والخربق الأسود وجوز أرقم، واليبروح [٥]. [٦]

---

١ أدوية هندية مشهورة

٢ المرجع السابق،، ص٥٥٧

٣ وهو إفرازات متطايرة زيتية مرة الطعم لحيوان القندس، عرفه الإغريق والعرب واستعملوه في المعالجات

٤ السيكران

٥ وهو اللفاح أو تفاح المجانين "Mandragora" (وأصل كلمة يبروح سرياني "يبروحا")

٦ المرجع السابق ص٥٥٩

حنين بن إسحق

ولم يكن من السهل نقل العلوم الطبية إلى اللغة العربية، ما لم يكن المترجم مدركاً للغات التي يترجم منها وإليها، بالإضافة إلى إلمامه بالعلوم الطبية، وقد توفرت هذه المؤهلات في العديد من الأطباء والمترجمين، ويعتبر حنين بن إسحق شيخ المترجمين في هذه الناحية.

وفي نفس الوقت كانت اللغة العربية مؤهلة تماماً لاستيعاب هذه العلوم وغيرها، بقدرتها على استيعاب الألفاظ الجديدة بالاشتقاق أو الابتكار أو المقاربة.

وحنين بن إسحق العِبَادي -بكسر العين وتخفيف الباء- (١٩٤ - ٢٦٠هـ/٨٠٩ - ٨٧٣م) عربي الأصل أسلافه من بني تنوخ.

وتعلم حنين بن إسحق الطب واللغات من جنديسابور ثم طاف في بلاد الشام ومصر وبلاد الروم وأحضر معه نفائس المخطوطات اليونانية وبدأ يترجمتها في بغداد، فأعجب بترجماته رئيس أطباء بلاط الخليفه جبرائيل بن بختيشوع الذي لم يكن يجيد غير السريانية، فصار حنين يترجم له كتب جالينوس إلى السريانية وعندما رويت أخباره وشهرته أدخله المأمون إلى حاشيته الطبية[1].

ويعتبر حنين بن إسحق أشهر المترجمين في العصر العباسي والمتميز عليهم في السلوك واللغة والعلم.

وعلى الرغم من أعماله الكثيرة في بيت الحكمة، فإنه كان يلبي طلبات المرضى ويحسن مداواتهم ويجيد ممارسة الطب والكحالة – طب العيون – كما كان ينظم الشعر ويناظر الأدباء.

وكان إضافة إلى كل ذلك متواضعاً وصادقاً ومخلصاً لصنعته كريم النفس واليد متمسكاً بفرائض دينه حتى قلد زناراً يتمنطق به وهو شارة الشمامسة ورجال الكنائس [2].

ونقل حنين بن اسحق كتباً كثيرة وخصوصاً من كتب جالينوس بعضها إلى اللغة السريانية وبعضها إلى العربية، وكان حنين أعلم أهل زمانه باللغة اليونانية والسريانية والفارسية مع إتقان العربية.

وأحضر المأمون حنين بن إسحق وسأله نقل كتب الحكماء اليونانيين إلى اللغة العربية وبذل له من الأموال والعطايا شيئاً كثيراً"[3].

---

١ د. كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، مرجع سابق ٣٧٦

٢ د. كمال السامرائي، مرجع سابق ص٣٨١

٣ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص١٤٢

كذلك قام بترجمة كتاب "الموجز" الذي ألفه أورباسيوس (٣٢٥ – ٤٠٣م) و "المادة الطبية" التي ألفها ديسقوريدس والتي كان قد سبق أن ترجمها بطريقة سيئة من قبل[١].

وألف حنين بن إسحق نفسه عدة كتب طبية منها كتاب "المسائل في الطب للمتعلمين" الذي لعب دوراً في تعليم الصناعة الطبية وفي امتحان قدرة الطلاب على مزاولة المهنة،وكان يرجع إليه المحتسب في مراقبة الأسواق ودكاكين الصيادلة وأعمال الأطباء والجراحين والحجامين.

وقد ترجم حنين بن إسحق كلمة (Phrenitis) اليونانية إلى فرانيطس، أما ابن سينا فقد أبدل الفاء إلى قاف في هذه الكلمة فاستعمل قرانيطس أو سرسام – في الفارسية سر رأس، وسام التهاب – أي التهاب الرأس ، أي الهذيان الناتج عن "التهاب السحايا".

وقام "حنين بن إسحق مع معاونيه وتلاميذه بترجمة أهم الكتابات الطبية اليونانية إلى العربية، وأسس أسساً صلبة لتطوير الطب العربي القائم على منهج علمي تم اتباعه ومن ثم تعديله وتصحيحه في القرون اللاحقة"[٢].

ومن أشهر مؤلفات حنين كتاب "أسئلة في الطب" وكتابه الضخم "العشر مقالات في العين" الذي يعد أقدم بحث منهجي معروف في طب العيون.

وقد بلغ تفوق الصنعة عند حنين مبلغاً من الامتياز جعل الكثير من المترجمين الأقل شأناً ينسبون إنتاجهم له.

وبسبب حُسَّاده كثرت الوشاية على ابن إسحق للخليفة المتوكل الذي حبسه وأمر بتعذيبه وصادر ممتلكاته ولحق به أذى كبير أورده ابن أبي أصيبعة في كتابه[٣].

---

١ نور حسين شودري، فضائل الطب الإسلامي، المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت، ١٩٨١، ط٢ ص١٢٧

٢ Sami K. Hamameh,The Life Sciences,article,The Genius of Arab Civilization, ٢cnd Edition, ١٩٨٣ MIT Press

٣ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص١٥٤، د. كمال السامرائي، مرجع سابق ص٣٨٢

اسحق بن حنين

وخلّف حنين بن إسحق ولده أبا يعقوب اسحق، وكان يلحق بأبيه في النقـل وفـي معرفته باللغات وفصاحته فيها، وكان إسحق قد خدم مَن خدمَهُ أبوه من الخلفـاء والرؤساء وكان منقطعاً إلى القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد بالله وخصيصاً بـه وله حكايات مستطرفة وأشعار وعدة كتب طبية .

ومن شعره الذي له علاقة بالطب قوله :

أنا ابن الذين استودع الطب فيهم ... وسمـوا به طفل وكهل ويافـع
يبصرني أرسطوطاليـس بارعا ... يقـوم منـي منطـق لا يدافـع
وبقراط في تفصيل ما أثبت الألى ... لنا الضر والأسقام طب مضارع
وما زال جالينوس يشفي صدورنا ... لما اختلفت فيـه علينـا الطبائع
ويحيـى بن ماسويه وأهرن قبله ... لهـم كتب للناس فيـها منافـع
رأى أنه في الطب نيلت فلم يكن ... لنا راحـة من حفظها وأصابع[1]

١ ابن أبي أصيبعة، ج٣ ص١٦٦

بين السريانية والعربية

تمتد أوائل المُصنَّفات في علم الطب بالعربية إلى عصر بني أمية، فقد قيل أن ماسرجس (أو ماسرجويه) متطبب البصرة ترجم كتاب القس أهرن بن أعين في الطب (من السريانية) لمروان وقيل بل لعمر بن عبد العزيز [1].

وقد خصص ابن أبي أصيبعة الباب التاسع في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" للأطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي ومنهم حنين بن إسحق الذي يقول عنه إنه "كان عالماً باللغات الأربع غريبها ومستعملها : العربية والسريانية واليونانية والفارسية، ونقله في غاية الجودة"، وكذلك ابنه إسحق بن حنين حيث "كان أيضاً عالماً باللغات التي يعرفها أبوه، وهو يلحق به في النقل، وكان عذب العبارة فصيح الكلام، وكان مع ذلك أكثر تصنيفاً" وأيضاً حبيش الأعم : وهو ابن أخت حنين بن إسحق وتلميذه، "ناقل مُجَوِّد يلحق بحنين وإسحق".

أما إصطفن بن بسيل فكان يقارن حنين بن إسحق في النقل، إلا أن عبارة حنين أفصح وأحلى، وأما سرجس الرأسي (أو الرأس عيني) فكان متوسطاً في النقل، وكان حنين يصلح نقله، فما وُجِد بإصلاح حنين فهو الجيد، وما وُجِد غير مصلح فهو متوسط.

كما نقل "البطريق" في أيام المنصور وبأمره أشياء من الكتب القديمة وله نقل كثير جيد، إلا أنه دون نقل حنين. ونَقَل كتباً كثيرة من الطب في كتب أبقراط وجالينوس [2].

وممن نقلوا من اللسان السرياني إلى العربي ماسرجيس وهو أول من نقل جوامع جالينوس إلى السريانية، وابنه عيسى، وأيوب الرهاوي وهو ناقل جيد عالم باللغات، إلا أنه بالسريانية خيرٌ منه بالعربية [3].

أما فثيون الترجمان فيقول عنه ابن أبي أصيبعة: "أنه لم يكن يعرف علم العربية أصلاً، ووجدت نقله كثير اللحن".

ونقل يوحنا بن بختيشوع كتباً كثيرة من اليونانية إلى السريانية، ولم يُعرف أنه نقل إلى العربي، وكان حنين بن إسحق ينقل له من اليونانية إلى السريانية [4].

وقد تراوح تقييم ابن أبي أصيبعة لأعمال هؤلاء النقلة والمترجمين بين عالم باللغات كحنين بن إسحق وابنه إسحق، وناقل مُجَوِّد كحبيش، وناقل جيد كالبطريق، وناقل متوسط كسرجس، وناقل كثير اللحن مثل فثيون الترجمان.

---

١ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ط٥ ص٢٦٤؛ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص١٠٤؛ القفطي ٢١٣

٢ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص١٧١ – ١٧٤

٣ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص١٧٢؛ د. السامرائي ص٣٧٨

٤ ابن أبي أصيبعة،ج٢ ص١٦٨ و ١٧٤

أما أول مؤلف طبي أصيل موسوعي لا مترجم وضع بالعربية في الإسلام فهو "فردوس الحكمة" لأبي الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري (ت ٢٤٧هـ/٨٦١م) الذي أسلم على يدي الخليفة المعتصم، إذ كان من قبل نصرانياً ولغته الأصلية كانت السريانية [١].

غير أنه صدرت قبل هذا المؤلف رسائل طبية، ومنها "الرسالة الكافية الياقوتية" للطبيب عيسى بن حكم الدمشقي (١٢٢ – ٢٢٧هـ/٧٣٩ – ٨٤١م) التي أهداها لهارون الرشيد وسميت بـ "الرسالة الهارونية" [٢].

ويذكر القفطي وينقل عنه ابن أبي أصيبعة أن ربن الطبري والد علي بن سهل بن ربن الطبري "كان طبيباً يهودياً وكان له تقدم في علم اليهود" ويضيف أن "الربن والربين والراب أسماء لمقدمي شريعة اليهود" [٣].

وقد خطأ عددٌ من المحدثين القفطي وبالتالي ابن أبي أصيبعة أن ربن الطبري كان يهودياً، ذلك أن "ربن" لا ينحصر استعمالها على لسان اليهود، فهذا اللقب سلخ على حنين بن إسحق العِبَادي أيضاً [٤].

أما أبوالحسن علي بن ربن الطبري نفسه فيقول في مقدمة كتابه "فردوس الحكمة" "وكانت له (لأبيه) همة في ارتياد البر ونفاذ في كتب الطب والفلسفة وكان يقدّم الطب على صناعة آبائه، ولم يكن مذهبه التمدّح والاكتساب بل التألّه والاحتساب، فلُقبَ لذلك بربن وتفسيره عظيمنا ومعلمنا" [٥].

وكلمة ربان هي من "ربانا" السريانية وتعني: حبر، رئيس الكهان، إمام، معلم وأستاذ [٦].

وكان الطبري يتقن السريانية ويقول "ثم نقلت الكتاب إلى اللغة السريانية وفرّقت له نسخا كثيرة في كُور الشرق والغرب وأردت بذلك أيضاً التحرز من قوم، من أهل سوء الطريقة بلغني أن الرجل منهم ينتحل كتاب غيره" [٧].

ويستعرض محقق الكتاب د. محمد زبير الصديقي كيف "كان الخطأ الفاحش الذي جر إلى أزعام غير صائبة (وأن الطبري كان يهودياً قبل أن يسلم) حتى

---

١ ابن النديم، ٣٥٤ ؛ يعتقد محقق الكتاب د. محمود زبير الصديقي أن الطبري أسلم على يد المتوكل. فردوس الحكمة المقدمة (ط)

٢ حول الرسالة الهارونية أنظر : د. سامي حمارنه، الطبيب عيسى بن حكم الدمشقي ورسالته الهارونية، بلاد الشام في العصر العباسي، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان ١٩٩٢ ص٥٤٥ و ٥٧٧

٣ القفطي ١٢٨؛ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص٣٤٢

٤ د. السامرائي، مختصر تاريخ..، ج١ ص٤٠٨؛ د. حمارنه، تاريخ تراث ..، ١٣٩؛ د. محمد زبير الصديقي محقق كتاب "فردوس الحكمة" للطبري، آفتاب – برلين ١٩٢٨ للمقدمة (و) ويذكر فيها آراء عدد من المستشرقين في ذلك

٥ فردوس الحكمة ص١

٦ د. ابراهيم السامرائي، دراسات ..، ص٦٨

٧ د. ابراهيم السامرائي، دراسات ... ص ٨

قام المستشرق منغانا فذكر أن عمه كان نصرانياً فتجلت الحقيقة وظهر الصريح من الأمر وأصبحت يهوديته هباءً منثوراً"[1].

وعلى الرغم من أن الطبري ألف كتابه بالعربية فإن بعض الكلمات السريانية والأبنية علقت بالكتاب وغيره من مصنفاته.

ويذكر صاحب "الفهرست" أسماء إثني عشر كتاباً من كتب الهند في الطب الموجودة بلغة العرب[2].

وعند ترجمة هذه الكتب للعربية وخاصة أسماء الأدوية النباتية التي تؤخذ من نباتات تعيش في تلك البيئة، تم الإبقاء على أسماء معظم الأدوية ومنها إهليلج، إمليلج ، أبلج، وفي حالات أخرى تم نسبة الدواء إلى البلد الذي عرف فيه ومنها قولهم الكمون الكرماني (من كرمان) والأفتيمون (من أفريطيا) والصبر الأسقوطري (الذي لا يجود إلا في هذا البلد) [3].

ومن أواخر العصر العباسي كان انتصار اللغة العربية واضحاً على اللغات الأخرى حتى كلغةٍ تخاطب بين العامة، أما انتصارها كلغة علم فقد سبق ذلك[4].

ففي هذه الفترة أضحت العربية تستوعب كل المصطلحات الطبية وأسماء الأمراض ودلائلها وفنون التشريح وأسماء الأدوية وبقيت لعدة قرون خزانة العلوم الطبية تحتوي على خيرة ما تناقلته وتوارثته الحضارة الإنسانية، ولولا أن العربية أداة مطواعة لما استجابت لما ندبت إليه.

وأوضح المستشرق الألماني بيرجشتريسر بشكل مقنع أن اللغة العربية قدمت منذ البداية الأداة الكافية للتعبير العلمي الدقيق [5].

ولم تحتل العربية هذه المكانة الرفيعة بذاتها، ولكن الموقع المركزي للعربية (في الإسلام) بوصفها لغة القرآن الكريم واللغة الرسمية في الدولة هو الذي أدى إلى تطويعها لتلائم المتطلبات العلمية [6].

وقد حرص المسلمون بمختلف لغاتهم على تعلم وحفظ لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، كما فعل ذلك غير المسلمين، لأن العربية أصبحت لغة النخبة ولغة العلم والأدب، بالإضافة لتشجيع الخلفاء والأمراء لذوي العلم والأدب، وترجمة الكتب من اللاتينية والسريانية وغيرها إلى العربية وفتح معاهد العلم، إضافة لدور المساجد التعليمي الذي عرف منذ البداية.

---

١ المرجع السابق، المقدمة (و)

٢ ابن النديم، ص٣٦٠

٣ فردوس الحكمة للطبري ص٥

٤ د. فيليب حتي ورفاقه، تاريخ العرب، دار غندور، ط٥ ١٩٧٤ ص٤٣٠ - ٤٣١

٥ بورجشتريسر (١٨٨٦-١٩٣٣) مستشرق ألماني تخصص في اللغات السامية والعلوم الإسلامية، قدم مصر أستاذاً زائراً ٣١ - ١٩٣٣ وألقى في جامعتها سلسلة محاضرات في تطور النحو العربي وقواعد نشر النصوص العربية

٦ تراث الإسلام، شاخت وبوزورث، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ج٢ ط٢ ١٩٨٨ ص٢١٥

وكان التواصل الحضاري بين الحضارة العربية الإسلامية وغيرها بمختلف أشكاله عاملاً في حدوث تفاعل وتأثير متبادل بين اللغة العربية ولغات الكيانات الحضارية الأخرى، فتولدت ألفاظ جديدة في العربية لم تكن موجودة سابقاً بها خاصة الألفاظ الدالة على مظاهر الحياة التي لم تكن مألوفة في البيئة العربية.

وفي احتكاك العربية مع اللغات الأخرى، وفي هذا الصراع اللغوي انتصرت العربية على غيرها من اللغات لأسباب شتى ومنها أن العربية هي لغة القرآن الكريم والحديث الشريف اللذين يقوم عليهما الدين الإسلامي، وهي التي ألف بها جميع كتب التفسير والسنة والفقه والأصول ، كما أنها اللغة التي يجب أن تؤدى بها كثير من العبادات الإسلامية، فضلاً عن أنها لغة المنتصرين [١].

ومع تتابع الفتوحات وتوسع الممالك دانت علوم النخبة للعربية، لكن اللغة في صراعها وإن انتصرت، فإنها تتأثر باللغات الأخرى، فقد أخذ العرب عن غيرهم مصطلحات جديدة منها مصطلحات الطب والصيدلة والأغذية، فأدخلوها في لغتهم مع شيء من التبديل والتغيير لتناسب النطق بالعربية.

ويقول الجاحظ "ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم ولذلك يسمون البطيخ الخربز ويسمون السميط الرزدق [٢] ويسمون المصوص المزوز [٣] وغير ذلك من الأسماء [٤].

وكان يوحنا بن ماسويه (١٦٢ - ٢٤٣هـ/٧٧٨ - ٨٥٧م) مترجماً قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة مما وجد بأنقره وعمورية وسائر بلاد الروم، ووضعه أميناً على الترجمة [٥].

فقد كان يجيد السريانية لغة أمه، ويُلِمُّ بطرف من اليونانية والفارسية، فهو من مواليد جنديسابور، وكان معروفاً بإتقانه للعربية حيث ألف معظم كتبه بها.

ولم تكن ترجمة الكتب في البداية أمراً سهلاً خاصة في الطب، حيث ضمت الكتب اليونانية مصطلحات لم يعرف لها مقابل من قبل في العربية كأسماء الأمراض والأدوية وكان المترجم يضع المصطلح بلغته الأصلية مع شرح له بالعربية ومحاولة نحت ترجمة له.

ولم يكن من السهل نقل العلوم الطبية اليونانية وغيرها إلى اللغة العربية ما لم يكن المترجم مدركاً للغات التي يترجم منها وإليها، فضلاً عن إلمامه بالعلوم الطبية. وقد توفرت هذه المؤهلات في العديد من المترجمين والأطباء،وعلى رأسهم حنين بن إسحق العِبَادي، وفي نفس الوقت كانت اللغة العربية مؤهلة

---

١ د. علي وافي، فقه اللغة، دار نهضة مصر - القاهرة ١٩٤٥ ص١٣٠

٢ في نسخ أخرى من البيان والتبيين الروذق وهو : الصنف من الناس والسطر من النخيل

٣ طعام يطبخ فيه اللحم بعد نقعه بالخل

٤ البيان والتبيين للجاحظ، دار الكتب العلمية بيروت ص١١

٥ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص١٢٤

تماماً لاستيعاب هذه العلوم بقدرتها على استيعاب الألفاظ الجديدة بالاشتقاق أو الابتكار أو المقاربة.

وكان حنين بن إسحق مهتماً بنقل الكتب الطبية وخصوصاً كتب جالينوس، حتى إنه في غالب الأمر لا يوجد شيء من كتب جالينوس، إلا وهي بنقل حنين أو بإصلاحه لِمَا نَقَلَ غيرُه.

وقد فحص ابن أبي أصيبعة الكتب الستة عشر لجالينوس، وقد نقلها من الرومية إلى السريانية سرجس (الرأسعيني) المتطبب، ونقلها من السريانية إلى العربية موسى بن خالد الترجمان، ويقول: "فلما طالعتها وتأملت ألفاظها تبين لي بين نقلها وبين الستة عشر التي هي نقل حنين تباين كثير وتفاوت بين، وأين الألكن من البليغ، والثرى من الثريّا"[1].

وفي وضع المصطلحات الطبية عند الترجمة وفي التأليف جاهد المترجمون وخاصة حنين بن إسحق والأطباء في اشتقاق مصطلحات تناسبت مع العربية وحسب عدة وجوه منها :

– إما من الأعضاء الحاملة لها ، كذات الجنب الصحيحة إذا كانت من ورم في الحجاب وذات الجنب غير الصحيحة، إذا كان الورم في العضل المستبطن وذات الرئة، وانتثار الأجفان وغيرها.

– وإما من أعراضها كداء الصرع وداء الكلب[2] والدوار حيث يتخيل صاحبه أن الأشياء تدور عليه وأن دماغه وبدنه يدوران فلا يملك أن يثبت وإنما يسقط.

– وإما من أسبابها كقولهم ، مرض سوداوي ومرض صفراوي.

– وإما من التشبيه كقولهم ، داء الأسد وداء الفيل، وداء الثعلب وداء الحية أو داء القطرب، وهو نوع من المالنخوليا يعرض في شهر شباط، ويجعل الإنسان فرَّاراً من الناس الأحياء، محباً لمجاورة الموتى والمقابر مع سوء قصد يبرز ليلا ويختفي نهاراً يحب الخلوة والابتعاد عن الناس، والقطرب طائر يجول الليل كله لا ينام فقالوا: "أحول من قطرب وأسهر من قطرب".

– أو منسوباً إلى بلد يكثر حدوثه فيه كقولهم ، القروح البلخية وحبوب النار الفارسية، وعرق مدني، وهو الورم الذي يكون في الأبدان القشفة والبلاد الحارة، تخرج مادته متصلة عَلِكَة كأنها عروق تمتد شيئا بعد شيء حتى تفنى وينسب إلى مدينة يثرب لكثرة ما يقع فيها.

– أو منسوبا إلى أول من يذكر أنه عرض لهم كقولهم قرحة طيلانية منسوبة إلى رجل يقال له طيلاني.

– وقد ينسب إلى من كان مشهوراً بالإنجاع في معالجتها كالقرحة السبروتية.

– وإما من جواهرها وذواتها كالحمى بأنواعها والورم.

---

١ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص١٤٦

٢ ويكون مع غضب مختلط بلعب وعبث وايذاء ممتزج باستعطاف كما هو طبع الكلب

- وإما خصص تخصيصاً متعارفاً عليه مثل مصطلح حديث النفس، وهو كل ما يحدث به الإنسان نفسه من خير وشر، وخصصه الأطباء بالحديث الرديء الموحش للنفس، وهو الذي يكون في ابتداء المالنخوليا [١].

كما دفعتهم الحاجة إلى قبول ألفاظ أعجمية من لغات أخرى بعضها أجريت عليه قواعد الاشتقاق وأحكامه مثل مصطلح الترياق (الدرياق) فإنه مشتق من كلمة (تيريون) اليونانية، وهو اسم لما ينهش من الحيوان كالأفاعي ونحوها [٢].

وكانت بلاد الشام والعراق أرضاً لصراع اللغة العربية مع غيرها مع اللغات واللهجات في أيام السلم وأيام الحرب، وإن كان قد انتهى هذا الصراع بانتصار اللغة العربية، إلا أن اللغة المنتصرة تأثرت كثيراً باللغات المهزومة فعلق بها كثير من الألفاظ والأبنية اللغوية.

وكانت اللغة السريانية وقبلها الآرامية قبل أن تتفرع إلى لهجتين سريانية فلسطينية كان يتم الكلام بها غرب نهر دجلة وحتى فلسطين ولهجة أخرى من شرقي دجلة حتى بلاد فارس هي لغة العلم والأدب والدين لحقبة طويلة امتدت بين القرن السادس قبل الميلاد والقرن السابع الميلادي.

ومن أسباب انتصار اللغة العربية على شقيقتها السريانية أن كلا اللغتين أصلهما آرامي [٣]. [٤].

وعلى الرغم من تفوق اللغة العربية على شقيقاتها السريانية وغيرها من اللغات واللهجات فإن السريانية بقيت لفترة من الزمن وربما حتى القرن العاشر في بلاد الشام واسعة الانتشار، بل وحتى اليوم هناك بعض الكنائس لا زالت تتلى فيها الصلوات بالسريانية في كنائس السريان والكلدان والموارنه، كما أن هناك بعض القرى ومنها معلولا ونجعة وجب عدين شرقي دمشق يتكلم اهلها السريانية إلى جانب العربية حتى اليوم [٥].

ويقول أهل معلولا إنهم يتكلمون الآرامية وليس السريانية، وقرية معلولا تشبه إلى حد كبير "البتراء" فمدخلها عبارة عن شق زلزالي "كسيق البتراء" وتحيط بها الجبال وربما كانت هذه الحواجز الطبيعية سببا في مساعدة أهلها على توارث اللغة السريانية وعدم اندثارها.

---

١ د. محمد عيسى صالحيه، وضع المصطلح العربي في الطب والصيدلة والنبات، الموسم الثقافي الثاني عشر لمجمع اللغة العربية الأردني ١٩٩٤ ص٧٠

٢ د. محمد عيسى صالحية، مرجع سابق ص٧٣

٣ أو شآمي ويفضل بعض اللغويين استعمال هذا اللفظ بدل سامي ، فيقولون اللغات الشآمية وليس اللغات السامية، ذلك ان الآرامية منبعها الشام وليس كما ينسبها البعض إلى سام بن نوح

٤ توفيق قربان، اللباب والقشور، مطبعة صفدي ١٩٧٩ ، ساوباولو البرازيل ج١ ص١٦٤

٥ د. ابراهيم السامرائي، دراسات في اللغتين السريانية والعربية، دار المحتسب-عمان١٩٨٥ ص٨ و٢٨

وكان بنو موسى بن شاكر (محمد واحمد والحسن) ممن تناهوا في طلب العلوم القديمة، وبذلوا فيها الرغائب واتبعوا (ربما: اتعبوا) فيها نفوسهم وأنفذوا إلى بلد الروم من أخرجها إليهم فأحضروا النقلة من الأصقاع والأماكن بالبذل السني[1].

ومن النقلة (المترجمين) الذين أحضرهم محمد بن موسى بن شاكر لما انصرف من بلد الروم ثابت بن قرة الحراني [2].

وكان ثابت جيد النقل إلى العربية حسن العبارة وكان قوي المعرفة باللغة السريانية وغيرها [3].

كما أن ثابتاً ألف بعض كتبه الطبية باللغة السريانية ومنها "كتاب في الوقفات التي تبين السكون الذي بين حركتي الشريانين المتضادين"صنّفه بالسريانية ونقله إلى العربية تلميذه عيسى بن أسيد النصراني وأصلح ثابت العربية [4].

ومن الأبنية الأصلية في السريانية بناء "فاعول" الذي ما زلنا نلمحه بل نستعمله في العربية السائرة الدارجة في كثير من الاماكن من بلاد العرب [5].

ومن الألفاظ التي جاءت على وزن "فاعول" ساعور والتي استعملت في العصر الذهبي للعرب والمسلمين للدلالة على مدير المستشفى، وساعور أصلا كلمة من الكلمات النصرانية السريانية "ساعورا" بمعنى : زائر، متفقد، وكيل، عامل، ونائب وإن كانت أولا تطلق على خادم المعبد ومن يدق بالناقوس ايضاً[6].

وكذلك كلمة "بُحْرَان" التي يراد بها في الطب، اليوم الذي تكون فيه المناجزة والمصارعة بين المرض وطبيعة المريض، واليوم الباحوري هو اليوم الذي تقع فيه المناجزة، ويعتقد أكثر الدارسين لتاريخ الطب أن الكلمة هي من اللسان اليوناني، مع أن كلمة باحور على وزن "فاعول" السرياني "وباحورا" في السريانية معناها: الغيم الصيفي وهو شدة الحر في تموز، ومن المعروف أن حرارة المريض سببها العراك والمصارعة بين المرض وطبيعة المريض، وربما لذلك جاءت كلمة باحور بمعنى شدة الحرارة.

وجاء في "لسان العرب" والباحور: القمر وكان يعتقد أن للقمر ومجاريه علاقة بالأمراض حيث يقول الطبري "إذا أخذ القمر في الزيادة زادت المخاخ والادمغة، وإذا أخذ القمر في النقصان وجدت ذلك ناقصاً، وبمجاري القمر

---

١ ابن النديم ، الفهرست ص٣٣٠ - ٣٣١

٢ القفطي ٨١؛ ابن النديم ٣٣١؛ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص١٩٣

٣ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص١٩٤

٤ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص١٩٨

٥ د. السامرائي، دراسات في اللغتين السريانية والعربية، مرجع سابق ص١١١

٦ المرجع السابق ص١٣٩

وأرباع الشهر تعرف بحرانات الأمراض الحادة وعند الأهلة يتحرك الصرع فيمن يصرع"[1].

ومن أشهر المصطلحات المعربة عن السريانية مصطلح "الأقرباذين" المعرب عن "كرافاذين" السريانية ومعناه التركيب الصغير، كما قيل إنه يعني "رسم الأدوية" أو الأدوية المركبة [2].

ومن الكلمات التي عُرِّبَتْ بتحريف من اللفظ اللاتيني علة القولنج وهو مرض معوي مؤلم من Colicus اللاتيني وبقيت كلمة "قولون" تستعمل أحيانا حتى يومنا هذا.

ومن الكلمات اليونانية Phrenitis واستعملها حنين بن إسحق " فرانيطس" وجعلها الرازي في الحاوي وابن سينا في القانون " قرانيطس" أو السرسام الحار وهو اسم فارسي فسره ابن سينا، فالسر هو الرأس، والسام هو الورم[3].

أما "ليثرغس" وهو شبيه قرانيطس لكن يفرق بينهما في أن الحرارة في ليثرغس تكون ضعيفة والتنفس صغير بطيء والنبض موجي حسب الرازي، في حين استعمل ابن سينا نفس التسمية وأضاف لها أنه يسمى ليثرغس أو السرسام البارد تمييزا له عن السرسام الحار [4].

ومن الكلمات الإغريقية التي بقيت تستعمل حتى الآن عند تشريح عظام القحف ما يعرف بالدرز اللامي SUTURE LAMBDOID لأنه يشبه شكل L (اللام اللاتينية ومنها جاءت التسمية).

ومن أشهر الكلمات الفارسية التي بقيت تستعمل في العربية لعدة قرون "بيمارستان – مستشفى – وأصلها بيمار – مريض، وستان – مكان.

ومن الأدوية جلاب ، وهو نوع من الشراب المثلج ولونه كلون السوس وما زال يستعمل حتى الآن كشراب مرطب صيفا في الأردن ولبنان، وأصله فارسي (كل – آب).

وفي فترات مختلفة لحقت بالعربية كلمات من مختلف اللغات التي كانت تتكلم بها الشعوب المنضوية في الدولة الإسلامية وما تبع لها وخاصة التركية.

وفي الحروب الصليبية لحقت بالعربية كلمات أجنبية ايضا.

لكن في كل ما جرى من صراعات لغوية كانت العربية أكثر تأثيرا في غيرها من تأثير غيرها فيها.

وفي أثناء احتكاك العربية مع غيرها من اللغات واللهجات تم الانتباه إلى أهمية حفظ أصول اللغة العربية ومنه ما ذكره ابن منظور (١٢٣٢ – ١٣١١م) صاحب لسان العرب وهو يقدم لتأليف مصنفه حيث يقول "لم أقصد سوى حفظ

---

١ الطبري فردوس الحكمة، ص٢٢

٢ د. السامرائي، مختصر تاريخ..، ج٢ ص٣٤١. (انظر، دائرة المعارف الإسلامية، ط٢، ٤/١٠٣ – ١٠٧)

٣ ابن سينا، القانون ج٢ ص٧٦؛ الرازي، الحاوي ج١ ص٢١٩

٤ الرازي الحاوي ج١ ص١٨٦؛ ابن سينا القانون ج٢ ص٨٦

أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها، وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان حتى لقد أصبح اللحن (لا) يعد لحنـا مـردوداً، وصار النطق بالعربية من المعايب معدوماً، وتنافس النـاس فـي تصـانيف الترجمات في اللغة الأعجمية وتفاصحوا في غير العربية" [1].

ومع ترجمة المصنفات الطبية العربية إلى اللاتينيـة وغيرهـا مـن اللغـات الأوروبية فمن الطبيعي أن تؤثر اللغة العربية في هذه اللغات وهو أمر معروف ويقره الدارسون ومنه مصطلحات طبية عربية دخلت بحرفيتها أو بقليـل مـن التحريف إلى اللغات الأوروبية ومنها الكحول.

تتميز اللغة العربية بوجود عائلات من الألفاظ يجمعها الحرفان الأول والثالـث وتفيد معنى معيناً، وبتغيير الحرف الثاني تتكون عائلة مترابطة يجمعها المعنى المشترك (قسم – قصم – قضم – قطم).

ويدين الطب لعلم الكيمياء العربي بسلسلة من أشكال العقاقير كالشراب الحلـو "Sirup" الذي ما زال يستعمل للآن لتحلية الدواء وتسهيل تقبله خاصة لـدى الاطفال.

وغلف الرازي الأدوية المرة بغلاف من السكر أو العسل لتسهيل تقبله [2].

وفي العصر الذهبي الإسلامي أصبحت اللغة العربية اللغـة العالميـة للعلـوم والطب، فكان كل من يرغب بدراسة الطب عليه أن يتعلم العربية أولاً، ليدخل "كليات" الطب المنتشرة بين دمشق وبغداد والاسكندرية وقرطبة. تماماً كما هو الحال الآن للأطباء العرب عندما يرغبون في إتمام دراستهم الطبية قبل أو بعد التخرج عليهم إتقان لغة البلد الذي يرغبون بالدراسة فيه كالإنجليزية أو لغـات البُلدان الأخرى المتقدمة.

وآنذاك كان العلماء والأطباء في كل أرجاء الإمبراطورية الإسلامية يعلّمـون ويكتبون بالعربية، وكثير منهم ولدوا في مختلف أرجاء هـذه الإمبراطوريـة، وكانوا من أصول عِرقية مختلفة وخلفيات دينية متعددة، لكـن الـذي وحّـدهم جميعاً كان اللغة العربية التي كانت اللغة المسـتعملة فـي أعمـالهم العلميـة والطبية. وعلى ذلك لا يجوز لأيّ كان أن يقّصُر مصطلح "الطب العربي" على أولئك الذين ولدوا فيما يعرف الآن بالأقطار العربية، بـل يجـب أن يُعطـى المصطلح مساحة عالمية أكثر دون قيود عرقية أو دينية أو اجتماعية.

---

١ لسان العرب، لابن منظور ج١ ص٤

٢ زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، دار الافاق – بيروت ط٦ ص٣٢٨

الطّبري

بعد أن استوثق الأطباء المسلمون من علمهم بالطب رأوا أن يؤلفوا كتباً على غرار المؤلفات اليونانية لا تكون منقولة عنها.

وكان أول المؤلفين الذين نهجوا هذا المنهج أبو الحسن علي بن سهل بن ربّن الطبري، والذي أسلم على يدي الخليفة المعتصم.

وأبو الحسن الطبري ولد في مدينة "مرو" بطبرستان حوالي ١٥٤هـ / ٧٧٠م ، وكان كتابياً ثم أسلم، وفي بداية كتابه "فردوس الحكمة" يقول :"وكان أبي من أبناء كتاب "مدينة" مرو وذوي الأحساب والآداب بها وكانت له همّة في ارتياد البر وبراعة ونفاذ بصيرة في كتب الطب والفلسفة، وكان يقدّم الطب على صناعة آبائه، ولم يكن مذهبه التمدح والاكتساب بل التألهُ والاحتساب فلقب لذلك "بـربن" وتفسيره عظيمنا ومعلمنا[١]".[٢]

ويعتبر كتابه "فردوس الحكمة" أول كتاب جامع لفنون الطب من كتب العرب، ومن أشهر الكتب التي ألفها الطبري[٣].

وفي حديثه عن أمراض الدماغ في فردوس الحكمة يورد الطبري ثلاثة عشر نوعاً منها وهي: الصرع وهو إفيلبسيا وسمَّاه قوم بالمرض الكاهني لأن منهم من يتكهن ويظهر له الأشياء العجيبة، ومنه الوحشة، والوسوسة، والهذيان، وفساد الخيال والعقل، والنسيان، والتوحش في البراري مع الوحش، والسهر، والسبات، والدوي، والدوار، والورم.

كما يذكر ستة أنواع من الصداع منها السنورتا، والشقيقة، وأربعة أنواع تهيج من المزاجات الأربعة.

ويقول الطبري: إن من الأعضاء أعضاء رئيسة مثل الدماغ والكبد.. ومنها ما ينبت من هذه ويخدمها مثل العصب الذي ينبت من الدماغ ويخدم الدماغ، ومن أعضاء الجسم، ما يشارك غيره في الوجع مثل مشاركة المعدة الدماغ ، ويحل مرخ القدمين وتسخينها الصداع[٤].

إن تأثير الأرقام وصل إلى اليونان وإلى غيرهم من الأقوام .

ويقول الطبري :"فإنْ وُلِدْ المولود في الشهر السابع أو التاسع عاش ، وإن وُلِدْ في الثامن لم يعش، وذلك لأن أفضل الأعداد الفرد وما يتركب من الأفراد مثل التسعة فإنها ثلاث مرات ثلاثة، وكذلك السبعة ثلاثة وثلاثة وواحد.

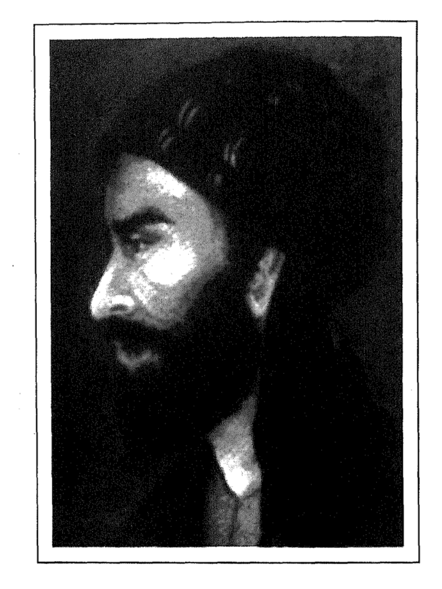
---

١ بالسريانية التي هي لغة الطبري الاصلية

٢ فردوس الحكمة ، تحقيق د. محمد زبير الصديقي ، مطبعة آفتاب - برلين، ١٩٢٨

٣ فردوس الحكمة ، مطعبة آفتاب - برلين ، ١٩٢٨ ، تحقيق د. محمد زبير الصديقي

٤ ص٥٥



رسم متخيل للطبري (٧٧٠ – ٨٧٠) م
(أعلام ومفكرون ، الأكاديمية الاسلامية للعلوم – عمان – الأردن ط٢، ٢٠٠٠)

وينقل عن أبقراط قوله: إن قوام العالم وبطانه بالسوابيع وكـذلك قسـم أبقـراط الكواكب (السبعة) والأقاليم والأيام وأسنان الناس وفصول السنة وأجزاء البـدن على سبعة سبعة، والتجزئة الأخرى هي العامة على أربعة مثل الطبائع والأسنان (الأعمار) والفصول[1].

ويبدو أن بقايا التأثيرات الفارسية واعتقادهم بتأثير النجوم علـى "الأرضـيات" أثرت في تعليل الطبري لبعض الظواهر الطبية ومنها قوله :"وإذا أخذ القمر في الزيادة زادت المخاخ والأدمغة.. وإذا أخذ القمر في النقصان وجدت ذلك ناقصاً، وبمجاري القمر وأرباع الشهر تعرف بُحْرَانات الأمراض الحادة وعنـد الأهلّـة يتحرك الصرع فيمن يصرع".

ومما يؤكد على تأثره بمعتقدات العامة قوله: "ويقول أهل طبرستان إن في الليلـة التي يهل الهلال ينقلب الشراب في خوائبه ويصير أسفله أعلاه"[2].

وكان الطبري يستطلع النجوم فيما إذا كانت تناسب وقت العلاج فقد أحضـرت غضيض أم ولد الرشيد الطبري وعيسى بن الحكم الدمشقي والأبح وسألتهم عن علاج "قولنج" عرض لها فأشار عليها عيسى والأبح بالمبادرة بالعلاج فيما اختار الطبري لها وقتاً تعالج فيه فقال لها الأبح إن علتك هذه ليست من العلـل التـي يمكن أن يؤخر لها العلاج إلى وقت يحمده المنجمون لكنها انحـازت إلـى رأي الطبري فماتت قبل أن يحين موعد موافاة القمر المشتري[3].

ونظراً لتأثره بنظرية الأخلاط الأربعة يناقش الطبري علامات مرض الصـرع على هذا الأساس ويقول "فإذا سقط المصروع كأنه ميت دل ذلك على أن الدماغ ممتلئ من خلط بارد، وإن تَزَبَّد فمه وسال منه بصاق مالح فالداء من البلغم، وإن تقيّأ شيئاً يغلي منه الأرض كما تغلي من الخل فهو من السوداء ، ويعتري هـذا الجنس من كان أسمر اللون كثير الشعر ممتلئ العروق نحيف البدن ، وإن كان الداء من صفراء مستحيلة – قالبة – إلى السواد كَثُر غضبه واضطرابه وهذيانه، وإن كان من دم مستحيل إلى السواد كثر ضحكه وطربه ويعتري هذا النوع مـن كان أشقر أحمر وهو أسلمها كلها[4].

وحول الصرع يقول الطبري: إنه "داء لا يكاد يبرأ، فإكثار القول فيه فضل"[5].

---

١ ص٣٤

٢ الطبري ، فردوس الحكمة ، مرجع سابق ، ص٢٢

٣ ابن ابي اصيبعة ، ج٢ ص٣١

٤ فردوس الحكمة ص١٤٠

٥ ص١٤٣

والعبارة السابقة تعد من أروع ما قيل عن هذا المرض، وليس أدل على بلاغتها من أنها قيلت قبل حوالي ١٢٠٠ سنة ، ولكنها ما زالت تصلح حتى الآن لوصف هذا المرض.

ومع التقدم العلمي الذي حصل حول فهم هذا المرض، فإن هناك الكثير الذي ما زال مجهولا في موضوع الصرع ، فمن حيث أنواعه السريرية فهناك حوالي ٢٥% من حالات الصرع لم يمكن تصنيفها حتى الآن، ومن ناحية الأسباب فحوالي ٧٠% من حالات الصرع لا تعرف أسبابها، ومن ناحية العلاج فحوالي ٢٥% من حالات الصرع ما زالت مستعصية على العلاج، ولم يتم التوصل بعد إلى اكتشاف العلاج المثالي للصرع"[1].

واستمراراً لمقولته "فإكثار القول فيه – مرض الصرع – فضل" يصف الطبري أربع طرق غريبة – لعلاج الصرع:

الأولى: تعتمد على دهن الرأس بخليط من عدة مواد أكثرها لم يعد معروفا لدى الكثيرين، ومنها على سبيل المثال " نقع الحرمل مع بول ثور أشقر ثلاثة أيام ، ثم جفّفْ الحرمل في الشمس، ثم خُذْ من الأبهل والوج والجاوشير وضَعْهُ مع الأول وجفّفه في الشمس لمدة أربعين يوماً ثم يُسقى منه مع ماء فاتر".

الثانية: وصف أغذية معينة كاجتناب الألبان والمالح والسمك وأكل لحوم الفراريج.

الثالثة: التسعيط بمواد غريبة مثل "يؤخذ فلفل مع جندبيدستر وأفربيون وبول كلب أسود.. ويسعط منه في أول الشهر أو أوسطه أو آخر ثلاثة أيام منه".

الرابعة: وهي التعاويذ ومنها ما ذكره الإسكندر الفيلسوف والأسطفن الإسكندرانيان أنها مجرَّبة منها "أن يؤخذ فراخ الخطاطيف من عشها ويشق بطنها فيوجد فيها أو في عشها حجران الواحد أبيض والثاني أحمر، الأبيض يوضع على المصروع فينبعث ويقوم".

ويقسِّم الطبري الدماغ إلى قسمين، وإن فيه ثلاثة أوعية، وأشعر الداء ما يصيب مقدم الدماغ، حيث موضع الخيال وفي الوسط حيث موضع الفكر، ومؤخر الدماغ وهو موضع الحفظ.

ويورد أمثلة على هذه الأمراض من أصابه داء بمقدم الدماغ أو موضع الخيال "الفنطاسيا" هكذا يسميه (من اللاتينية Phantasia) فمثاله لرجل كان يصيح ويزعم أنه يرى زمَّارين ولعَّابين في ناحية البيت.

ومن كان داؤه في وسط الدماغ فمثاله رجلٌ كان يغلق الغرفة على نفسه ويرمي كل شيء من فتحة بها إلى الناس، لأنه لا يعقل أنه يخطئ.

ومن كان داؤه في مؤخر الدماغ فمثله كمن عرض لقوم من الروم نسوا أسماءهم وأسماء آبائهم، ومن يرى أنه من خزف فكان يخاف أنه يمسه شيء فينكسر، أو

---

١ د. علي كمال ، حالات الصرع ، مرجع سابق ، ص٨

أن السماء ستقع عليه فيهرب صائحا، أو من كان دَيَّاكاً – يربي الديوك – فلما تغير عقله أصبح يصيح مثل الديكة[1].

وفي "الدويّ والطنين" يقول: الطبري إن ذلك يكون من بخارات تحتبس في الدماغ وتدور فيه فيحدث الطنين، وإن اعتراه سهر ، سيعط بدهن "بنفسج" مع لبن امرأة ترضع جارية ويحلب على الرأس لبن المعز.. ويطلى على الجبهة الأفيون بماء الخس وكل هذا ينوم".

وفي أسباب "الدوار" يقول "إن اكثر ما يكون الدوار من أربع علل ، إما لماء يرتفع من المعدة إلى الدماغ أو من وهج الشمس والنار فيثور لذلك ما في الرأس، أو من خلط بارد لزج أو رياح فيه فيدار صاحبه لا سيما إذا رأى شيئا يدور مثل العجل والرحى ودوّارات المياه ، أو إذا نظر من موقع مرتفع". وينفع في ذلك قطع العرق خلف الأذن أو فصد الأكحل وشرب أيارج فيقرا[2].

ومما ذكره الطبري في الصداع وعلاجه، أن علاج الصداع الحار أن يأوي العليل إلى بيت بارد ويرش فيه الماء، ويتغذى بكل فاكهة وطعام خفيف بارد.. وإن كان من دم فاسد احتجم على الساق فوق الكعب بمقدار شبر.. وإن كان مع الصداع حُمًّى يجتنب اللحم ويقتصر على البقول المطبوخة ويشرب ماء العناب والسكر، ويجتنب السهر والتعب والهم والصياح، وإن كان من السهر والفكر ونزف الدم فعلاجه كل ما يزيد في الدم والنوم ويفرح القلب، وإن كان من كثرة الشرب – شرب الخمر – فعلاجه النوم والراحة حتى يتحلل ثم يستحم بماء حار[3].

ومن أشد وجع الصداع وجع "السنورتا" وهو داء عسير البرء – حسب قول الطبري – ويحس السقيم كأن رأسه يطرق بمطرقة، ويحب الوحدة والظلمة والصمت ، فإن بلغ الوجع إلى عينيه دل على أن العلة داخل القحف[4].

وحول الأعصاب يقول الطبري "إن من العصب ما ينبت من الدماغ نفسه ، ومنها ما ينبت من فقار العنق والظهر ويؤكد ظاهر البدن وباطنه .

ومنها رباطات تنبت من مفاصل العظام ومنها الأوتار وتنبت من العضل الكبار وفيها حس يسير .. وعصبة الحس غير عصبة الحركة .

والعصبة التي بها تكون الحركة أقوى من العصبة التي يكون لها الحس والدليل على ذلك أنه ربما ذهبت الحركة أو ضعفت والحس صحيح قائم .

فإن أصاب العصب يُبْسٌ تَشَنَّجَ البدن ، وإن أصابه برد أو ضغطة أو ورم فانسدت مجاري الدماغ اعتراه الخدر وافسد ذلك حس اللمس وحَبَسَهُ عن

---

١ فردوس الحكمة ص١٤١

٢ ص١٥٠

٣ ص١٥٦

٤ ص١٥٨ (هذا الوصف لوجع السنورتا ينطبق على الشقيقة)

مجاريه وإن سال إلى العضلات وفقرات الظهر بلغم بارد أو لزج غليظ كان منه الكزاز[١].

وينقل قول أبقراط "إن المكزوز يموت إلى أربعة أيام، فإن لم يمت في الرابع رُجي له البرء"، ومعنى قوله أنه إن سلم في الرابع دل على أن الطبيعة قد قويت على نضج المادة الفاسدة.

ويقول الطبري "إن الكزاز من الأدواء التي يعسر علاجها، وإن نفع شيء فالأدوية الحارة، وأن يوضع على العضو مثانة شاة فيها دهن حار مسخن".

وإن ظهر في الوجه والعروق امتلاء، فُصِدَ الأكحل إن أعانه القوة والسن والزمان.

وإن حدث التشنج والكزاز بعد إسهال أو قيء أو لتعب أو لسهر فإنه من الخلاء[٢] وعلاجه شديد العسر على ما قال أبُقراط[٣].

وعن الارتعاش يقول: "إن سببه ضعف العصب وبرد والإكثار من المشروبات والمياه الباردة وكثرة الجماع على الشبع والسُكْر".

ويقول: "من علامات الفالج أنه يتقدمه صداع شديد بغتة وتبرد الأطراف ويختلج البدن ويثقل حركته ويصوت أسنانه في النوم وأكثر ما يعتري المشايخ[٤] وهو داء قلَّ من ينجو منه بل يأتي بموت سريع"[٥].

في أسباب الفالج واللقوة يقول "علة الفالج بلغم لزج يسد مجاري الدماغ، فإن عمَّ ذلك الدماغ كله مع فقار الظهر ذهب الحس والحركة وقتل، وإن كان في أحد جانبي الدماغ والبدن استرخى ذلك الجانب من الوجه، فإن كانت في خرزة واحدة من فقار الظهر استرخت الأعضاء التي تمسكها العصبة التي تخرج من تلك الخرزة، ومثل ذلك مثل الشجرة، فإنه إن فسد أصلها فسدت فروعها، وإن فسد فرع منها لم يضر ذلك بالشجرة كلها، فإن كان الداء في فقار الرقبة دون الدماغ استرخى البدن كله ما خلا الوجه والرأس، لأن حس الشفة والمنخرين والذقن وحركتهما يكون من العصب الثالث من الدماغ.

فإن كان الداء في الفقرة الخامسة اخدرَّ البدن كله، وإن كان في الفقرة السادسة ذهب حس الذراعين وحركتهما، وإن كان في السابعة والثامنة كانت مضاره على الذراعين أقل، وإن كان في التاسعة لم يضر باليد رأساً، وإن كان في فقرات الرقبة والظهر كلها ذهب بالصوت أيضاً[٦].

---

١ ص١٩١-١٩٢

٢ خلو المعدة

٣ ص١٩٣-١٩٤

٤ كبار السن

٥ ص١٩٦

٦ ص١٩٥

وأما إذا كان الداء في فقار الظهر الأول يكون الفالج في البدن كله ما خلا الوجه، وإن كان في البدن كله والوجه كان الداء في الدماغ.

فأما اللقوة، فإن كانت في بعض الوجه فالداء في العصبة التي تحرك ذلك الشق، وإذا استرخى أحد الشقين مال العضو إلى الشق الصحيح؛ لأن العضلة الصحيحة القوية تجر العضلة السقيمة إلى نفسها.

وينقل الطبري قول جالينوس إنه رأى رجلاً قد ذهب حسه وحركتـــه مـــا خـــلا وجهه، وإن نَفَسَهُ كان صحيحاً، غير أنه لم يكن يقدر أن يحبس بوله فدل ذلـــك على أن عضل المقعدة متَّصل بعصب الفقرات فتشنَّجت بتشنُّجه[1].

وفي علاج الفالج واللقوة يصف الطبري للأقوياء من المرضى فصـــد العـــرق، والسعوط والغرغرة والتضميد والدهن والحقن الحارة والقيء وكل ذلك بوصفات غريبة.

واستمراراً لمقولة الرطوبات فإن الطبري يعتقد أن النوم سببه الرطوبـــات التـــي تصعد إلى الدماغ من بخارات الأطعمة، فتسترخي لذلك الأعصاب والجفـــون ، وأن سبب السهر يُبْسُ الدماغ ، ولذلك يعالج مَنْ كَثُر سَهَرُه بالســـعوط الرطـــب وبصب المياه الرطبة على الرأس، ويعالج من كَثُرَ نومه بما يعدّل الدماغ ويحلّل الرطوبات عنه.

والسُّكْرُ أيضاً إنما هو من بخارات غليظة ترتفع إلى الدماغ، فتستره كما تســـتر السحابة نور الشمس فتسترخي لذلك الأعصاب والأعضاء كلها وتضعف الحواس ويغشى النعاس[2].

وكان البول والنظر فيه من أهم وسائل التشخيص عند الأطباء المسلمين والعرب ويقول الطبري: " انه إذا صار البول على لون الدم في مثل الحمى اللهبيـــة دل على الموت بغتة، وإن كان فيه ثقل كثير مع حمى دائمة دل على ذبـــول البـــدن ونقصانه وإذا كان أبيض غليظاً منقطعاً دلّ على فالج، وإذا كـــان فيـــه ســـحابة سوداء دل على سهر طويل واختلاط عقل"[3].

وقد اهتم الأطباء المسلمون والعرب بالبول واعتبروه من أهم وسائل التشخيص في أغلب الأمراض، ويقول ابن هبل (القرن السادس الهجري / العاشر الميلادي) إن "البول القليل المقدار الذي يجيء قطرة قطرة بغير إرادة رديء ويدل على أن الآفة قد تأدَّت إلى الدماغ وأثرت فيه"[4].

---

١ ص١٩٦

٢ ص٨٨

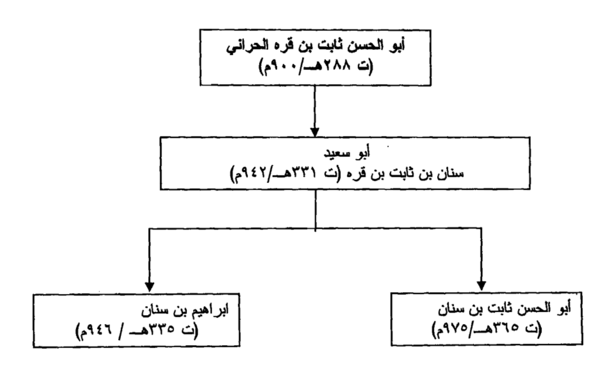
٣ فردوس الحكمة ، ص٣٥٥

٤ د. السامرائي ، مختصر تاريخ .. ، مرجع سابق ، ج٢ ص٢٦٤

ورويت قصص غريبة عن حذق الأطباء في النظر في القارورة، فقد مرض بشر الحافي وألح عليه أهله في دفع مائِهِ[١] إلى الطبيب، وكان رجلاً ذمياً حاذقاً ، فلما رأى الماء قال: إن كان ماء نصراني فهو راهب قد فتتت كبده العبادة، وإن كان مسلماً فهو ماء بشر الحافي فإنه أوحد أهل زمانه في السلوك مع الله تعالى، قالوا هو ماء بشر الحافي، فأسلم النصراني وقطع زناره[٢].

١ بوله

٢ المستطرف للابشيهي ، ص٤٩٦


أبو الحسن ثابت بن قره الحراني
(ت ٢٨٨هـ/٩٠٠م)
أبو سعيد
سنان بن ثابت بن قره (ت ٣٣١هـ/٩٤٢م)
ابراهيم بن سنان
(ت ٣٣٥هـ / ٩٤٦م)
أبو الحسن ثابت بن سنان
(ت ٣٦٥هـ/٩٧٥م)

ثابت بن قرّة الحرّاني

هو ثابت بن قرّة بن مروان بن ثابت بن زكريا بن ابراهيم بن زكريا بن مارينوس بن سالامالس المعروف بأبي الحسن الحرّاني الصابئي (٢٨٨هـ/٩٠٠م)١

وهو من أهل حرّان (Carahae) انتقل إلى بغداد وكان صيرفيا(جامع ضرائب).

اصطحبه محمد بن موسى بن شاكر لما انصرف من بلد الروم ؛ لأنه رآه فصيحاً، وقيل إنه قدم على محمد بن موسى فتعلم في داره فوجب عليه حقه فوصله بالمعتضد وأدخله في جملة المنجمين .. وبلغ ثابت مع المعتضد أجلّ المراتب وأعلى المنازل حتى كان يجلس بحضرته كل وقت ويحادثه طويلا ويضاحكه ويقبل عليه دون وزرائه وخاصته[1].

ويقول عنه ابن أبي أصيبعه "كان فيلسوفاً ورياضياً وطبيباً فاضلاً مطلعاً على أسرار الطب، وكان قوي المعرفة باللغة السريانية وغيرها.

ويروي قصة عن المعتضد الخليفة أنه كان يمشي مع ثابت في بستان بدار الخليفة للرياضة وكان الخليفة قد اتكأ سهواً على يد ثابت، فاعتذر منه وقال "إن العلماء يَعلُون ولا يُعلَون"[2].

وجاء جماعة من ذريته ومن أهله يقاربونه فيما كان عليه من حسن التخرج والتمهر في العلوم فابنه سنان وحفيداه ثابت وسنان كانا من الأطباء أيضاً.

وينقل القفطي وابن أبي أصيبعة من بديع حُسْن تصرُّف ثابت بن قره "أنه اجتاز يوماً ماضياً إلى دار الخليفة فسمع صياحاً وعويلاً فقال: مات القصاب الذي كان في هذا المكان؟ فقالوا له "إي! البارحة فجأةً فقال: ما مات.. خذوا بنا إليه، فعدل الناس معه وحملوه إلى دار القصاب فتقدم إلى النساء بالإمساك عن اللطم والصياح وأوما إلى بعض غلمانه بأن يضرب القصاب على كعبه بالعصا، وجعل يده في مجسه[3] وما زال يضرب كعبه إلى أن قال حسبك واستدعى قدحاً وأخرج دواء من كُمِه وفتح فم القصاب وسقاه إياه، ووقعت الصيحة في الدار والشارع بأن الطبيب قد أحيا الميت، فتقدم ثابت بغلق الباب والاستيثاق منه، وفتح القصاب عينه، وأطعمه وأجلسه، وقعد عنده ساعة، وإذا بأصحاب الخليفة قد جاءوا يدعونه فخرج معهم والدنيا قد انقلبت، ولما مثل

---

١ القفطي ، ٨١ ؛ الفهرست ٣٣١

٢ عيون الانباء ، مرجع سابق ج٢ ص١٩٤

٣ كان يجس نبضه

بين يدي الخليفة قال له: يا ثابت ما هذه المسيحية التي بلغتنا عنك؟ قال: يـــا مولاي كنت أجتاز على هذا القصاب وألحظه يشرح الكبد ويطرح عليها الملح



صورة متخيلة لثابت بن قرة الحراني
(اعلام ومفكرون ، الاكاديمية الاسلامية للعلوم ، عمان - الاردن ٢٠٠٠ ط٢)

ويأكلها، فكنت أستقذِر[1] فعله أولاً، ثم أعلم أن سكتة ستلحقه، فصرت أراعيــه (أراقبه)، وإذّ علمت عاقبته انصرفت وركَّبْتُ للسكتة دواء أستصحبه معي فــي كل يوم، فلما اجتزت اليوم وسمعت الصياح علمت أن السكتة لحقته، فــدخلتُ إليه ولم أجد له نبضاً، فضربت كعبَه إلى أن عادت حركة نبضــه، وســقيته الدواء ففتح عينيه وأطعمته، والليلة يأكل رغيفاً، وفي غدٍ يخرج من بيته"[2].

من تشخيص ثابت بن قره يبدو أن القصَّاب (اللحام) كان يكثر من أكل اللحم والملح اللذين يرفعان الضغط فأصيب بإغماء والدواء الذي حضره ثابت يبدو أنه لخفض ضغط الدم. ولثابت بن قره حوالي ١٣٠ كتاباً ومقالة ورسالة بعضها من تأليفه وبعضها ترجمة من اللغة السريانية إلى العربية ومنها كتابه المعروف بالذخيرة في الطب ألّفه لولده سنان بن ثابت[3].

أما القفطي فينقل عن أوراق وجدها بخط أبي علي المحسن بن ابراهيم بن هلال الصابئي قوله "في أيدي الناس كناش عربي جيد يعرف بالذخيرة منسوب إلى ثابت" وأنه سأل أبا الحسن ثابت بن سنان ثابت بن قره عن هذا الكناش فقال ليس ذلك لثابت "ولا وجدته في كتبه ولا دساتيره"[4].

وعلى أية حال فسواء كان الكتاب لثابت بن قره وهو الأرجح أو لأحد تلاميذه، فإن ذلك لا ينقص من أهمية الكتاب.

وقد قام بتحقيق الكتاب ونشره د. صبحي عام ١٩٢٨ عن المطبعــة الأميريــة بالقاهرة وذلك بمناسبة مئوية إنشاء كلية قصر العيني، حيث كان المحقق أستاذاً للطب في الجامعة المصرية.

ويقول ثابت بن قرَّة في مقدمة الكتاب "هذا كتاب الذخيرة" الذي يشتمل على ما يُحتَاج إليه من علم الطب في وصف الداء والدواء على أوْجَز ما يتهيأ أن يكون تجربة أمام زمانه ثابت بن قرَّة في العلوم الطبيعية جمعه أيام حياته لأبنه سنان بن ثابت بن قرَّة وهو (واحد) وثلاثون باباً.

وطبقاً لتعريف الطب في أنه "حفظ الصحة، وردها للعليل" يتحدث ثابــت بــن قره في الباب الأول عن "جوامع كلام يستعان به على حفظ الصحة" أي الجانب الوقائي.

ثم يبدأ بالحديث عن الأمراض حسب تسلسل القدامى في ذلك فيبــدأ بــأمراض الرأس[5] ثم يتحدث عن أمراض العين، فالأذن فالأنف فالفم، ثــم ينــزل إلــى

---

١ بمعنى أستقبح وأستنكر

٢ القفطي، ٨٤-٨٥؛ ابن أبي أصيبعة ج٢ ص١٩٥ ١٩٦ -

٣ ابن أبي أصيبعة ، ج٢ص١٩٧ - ٢٠٢؛ القفطي ٨١ – ٨٤؛ ابن النديم ٣٣١

٤ القفطي، ٨٤يرجح الدكتور سامي حمارنه أن تصنيف هذا الكتاب ليس لثابت بل لأحد تلاميذه أو أتباعه، أنظر تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين، د. سامي حمارنه ، جامعة اليرموك ١٩٨٦ ، ص ص ١٧٨، ١٧٩

٥ الشعر وجلد الوجه ، والصداع والسكتة والفالج واللقوة والدوار وما شابه

أمراض الصدر فالمعدة فالأمعاء فالكبد فالطحـــال فـــالكلى فـــأمراض النســـاء والمفاصل وهكذا.

في أنواع الصداع :

الصداع العارض عن الحر والبرد واليبوسة والامتلاء والخواء، وأنواع الشقيقة وما يمنع البخار الذي يحدث عن ذلك من التصاعد إلى الرأس وما يقوّي الرأس حتى لا يقبل ما يرتفع إليه وما ينقّي الدماغ من الأغذية وما يضره من ذلك إذا حدثت مع امتلاء في النبض[1].

ويضيف: "وهذا النبض ونبض المحرور[2] في الأكثر هو الذي يسمَّى المجسة العظمى التامة من الجهات الثلاث: الطول والعرض والعمق"[3].

ويقول: "إنه من أعراض الصداع والشقيقة (إذا ترافق مع ارتفاع الضغط) خشونة في الحلق وحلاوة في الفم وحرقه في الوجه وانتفاخ في العروق ويكون ذلك مع تمدد"[4].

"فالعلاج منه: فصد القيفال فإن منع مانع فالحجامة على الساقين، فإنه موافق لذلك كما قال الحكيم شرط الساقين يخفف عن البدن كله وينفعه ويخص بذلك الرأس ثم الكاهل ثم النقرة ويحل الطبيعة بعد ذلك عند سكون بعض تلك الفورة بماء الفواكه أو ما يقرب منها".

كما يصف عدة أدوية تغلب عليها السكريات مع الماء الحار[5].

فأما الصداع الكائن مع دلائل الصفراء: وهو أن لا توجد مع الالتهاب والحرارة الدلائل التي وصفناها وعلاجه: كل ما وصفنا في الباب الذي تقدم خلا إخراج الدم وتميل بالمسهلات، ويقول إنه يكثر تولد الصفراء (وبالتالي المسببة لهذا النوع من الصداع) من الأمراض النفسية مثل الهم والغم والغيظ والغضب والسهر والصوم والإقلال من الطعام وتأخيره عن وقته، فأما ما يعالج به الرأس نفسه من الطلاء والضمادات والصبوب عليه والسَّعُوط والقَطُور في الأذن والنَّشُوق، فيجب أن يكون ذلك بعد التنقية التامة للبدن من المادة[6].

وقد يأخذ قوم.. مما يسكن الوجع وضع "حبة أفيون وحبة كافور مع حليب ويقطر منه في الأنف والأذن.. مما يسكن الوجع"[7].

ووصفة أخرى "يوضع دهن البنفسج في ماء ساخن ويعلق العليل رأسه عليه ويغطيه من فوق بمنديل ويضرب الدهن مع الماء بخشبة ويستنشق ما يرتفع من البخار إلى أن يبرد الماء ثم يرفع، فإذا احتيج إليه استُعمِلَ ثانية وثالثة بعد أن يسخن؛ وإن صُبَّ دهن البنفسج الجيد الخالص على الماء الحار الذي يغلى

---

١ أي إنه يعتقد أن ضرر الصداع يكون أكثر إذا ترافق مع ارتفاع في ضغط الدم

٢ من به ارتفاع حرارة

٣ *كأنه يعمل تخطيطا للنبض*

٤ ص١٥

٥ ص١٦

٦ ص١٧

٧ ص ٨

وحده وعُمِلَ به مثل ذلك نَفَع، وكذلك ينفعهم دَلْكُ الرجلين واليدين ووضــعُهُما في الماء الحار وغسلهُما به" .

"ومما يحلّل البخار الحار المتولد في الرأس ويعدل مزاجه الرديء إلى المزاج الجيد إذا لم يُغْنِ فيها العلاج مثل ما وصفناه الاستحمام الكثير وصــار المــاء الحار يسخن الرأس أسرع من سائر الأعضاء لأنه يسمو بطبيعته مثل النــار، فأما صب الماء البارد على الرأس في هذه العلة فالكثير منه ينفع الصداع الحار إذا كان بلا مادة والقليل منه يضر.

فأما الصداع العارض من الخواء[1] وهو الذي تسميه العامة الحقة فلا يصيب إلا بعقب الاستفراغ الكثير وأكثر ما يصيب النساء، والعلاج من ذلــك أن يغــذّى العليل بما اعتدل وخفَّ مثل مُح البيض الرقيق وكشك الشــعير وحســا النشــا ودهن اللوز والسكر وماء اللحم من صدور الفراريج.

فأما الصداع الذي يعرض بعقب الجماع فالعلاج منه: أن يتعاهد البدن بالتنقيــة وتقوية الرأس بالتمريخ بدهن الورد والخل، بعد صب المــاء المطبــوخ فيــه البابونج والورد والآس على الرأس ويجامع بعد هضم الطعام وقبل نزوله[2].

فأما الصداع من البرد والرطوبة فالعلاج منه: أن تسهل الطبيعة بمــا يخــرج الخلط الرديء[3]. وينفع مع ذلك الانكباب على بخار البابونج[4] ويضيف: "وليكن شرابهم ماء العسل ويهجرون الأنبذة كلها فإن الماء خيرٌ لهم من ذلك".

فإن لم يسكن الصداع بذلك: سُلَّ عرقي الصدغين وكُوِيَ موضعهما، فــإن لــم يسكن: كُوِيَ العنق في جانبيه ووسطه فإن لم يسكن فلا بُرْءَ لــه وقــد أزمــن ذلك[5].

وأما الشقيقة:

فيكون حدوثها في بعض الرأس، لأن الدماغ ينقسم قسمين، فإن مال الفضــل إلى اليمين حدث الوجع في اليمين وإن مال إلى اليسار حــدث الوجــع فيــه، والعلاج منها علاج أنواع الصداع. قال (جالينوس) في تفســيره (لطيمــاوس الطبي) "فضل الدماغ هو البلغم الذي هو من طبع الدماغ بارد رطب أبــيض، وهذا الفضل إذا كَثُرَ نزوله من الرأس إلى البطن يكثر الاخــتلاف وتضــعف الشهوة ويقل العطش"[6].

---

١ الخواء: الجوع .

٢ ص١٨

٣ ص١٩

٤ بعد وضعه في الماء الساخن واستنشاقه

٥ ص٢٠

٦ ص٢١

ويقول: "إن ما يضر بالرأس والدماغ من الغذاء أو غيره: فالسمك والفراخ وكذلك الألبان كلها والدسم الكثير والشراب كله ضار بالدماغ والعصب، وكذلك الخل".

في السكتة والفالج واللقوة والتشنج من الرطوبة والجفاف والخدر (والصرع) والرعشة.

قال (أبقراط) في كتاب "الفصول" "الأمراض السوداوية تؤول إلى السكتة ؛ أو الفالج أو التشنج أو الجنون أو العمى".

قال (جالينوس): "السكتة والفالج والتشنج والعمى والجنون تحدث من الخلط البلغمي والسوداوي". وقال (جالينوس) أيضاً: "الصرع قريب من السكتة لأن مواضع العلة والكيموس الفاعل لهما واحد وهو بارد غليظ، والانتقال في الصرع من بلد إلى بلدٍ أجفً وأسخن من الذي يكون به (من) أعظم المنافع" .

في السكتة، "هذه العلة تعرض من بلغم غليظ يملأ بطون الدماغ فتحدث سدداً كاملة كلية تامة في جميع الدماغ بأسره، وتثبت فيه فتمنع الروح النفساني من النفوذ إلى جميع البدن ولذلك تبطل معها الحركة".

فأما الصرع، فهو سُدَدٌ غير تامة تحدث في مجرى الأعصاب ولذلك تحدث عنه حركات سمجة كما تحدث للمجانين.

فأما التشنج فيها: فلانجذاب الأعصاب نحو أصلها وتُعْرَفُ صعوبة السكتة وسهولتُها من التنفس، فإن كانت الآفة في التنفس كثيرة فالسكتة كاملة، وإن كانت الآفة فيه يسيرة فالسكتة ضعيفة ومع ذلك فإنه إذا كان يتنفس باستكراه فسكتته قوية، وإن كان تنفسه بسهولة فسكتته ضعيفة[1].

والعلاج في ذلك في ابتدائه يجب أن يجتهد في فتح فم العليل وإدخال ريشة مغموسة بدهن أو أيارج (مادة مسهلة) ليزعج الطبيعة بالقيء ثم يكمد الرأس بحديد محمي ويدنى منه ثم استعمل فيه الحقن (الشرجية) الحارة والعقه لعقات عسلا.. وهذه العلة إذا سلم صاحبها من الموت ففي الأكثر تتحلُّ إلى الفالج أو اللقوة أو إليهما جميعاً.

في الفالج:

قال (أبقراط): "المشايخ أصحاب خمسين سنة تعرض لهم نزلة من الدماغ فيهيج منها الفالج" قال (جالينوس): "إذا كانت رؤوسهم باردة ممتلئة فأصابهم حرارة بغتة أو برودة قوية، وأما من جاوز هذه العلة فلا يصيبه كذلك لأن رؤوسهم لا تمتلئ رطوبة. وقال هذه العلة يكون تولدها من برد وغلظة يعرض لأحد شقي الدماغ فيفسد مجرى العصب الذي ينحدر إلى ذلك الشق، فيكون منه الفالج واللقوة معاً. وإن عَرَضَ ذلك البرد أو الغِلَظ لنصف فقار الرقبة عَرَضَ له استرخاء وتشنج مفردَيْن، ويكون الفرق بينهما غِلَظَ الخلط ورقَّته، فالغليظ

[1] ص٢٢

يحدث عنه التشنج والرقيق الاسترخاء، وقد يعرض التشنج والاسترخاء في حالة واحدة لعضو واحد معاً مثل اللقوة إذا استرخى فيها أحد الشقين وتشنج الآخر، والعلاج من ذلك مع انه قد قال (أبقراط) في كتاب "الفصول" حل الفالج القوي لا يمكن والضعيف ليس بهين ، فالعلاج في البداية يكون بالأدوية غير القوية الإسهال المُلطّفة، فإذا دُبِّروا بهذا التدبير أياماً كثيرة عولج بالتمريخ في الأعضاء العليلة وفقرات العنق والظهر بدهن حار بماء نصفه، بعد التكميد بماء قد طُبِخ فيه القيسوم والشيح والصعتر ، وينكبُّ على بخار هذا الماء كل يوم" . فإن كَرِهَ العليل التكميد دُلِكَ الأعضاء العليلة والفقرات بخرقة خشنة حتى تحمر"[١].

ويحذر الأنبذة كلها فإنها ترطّب الدماغ، وشرب الماء القراح خير لهم من ذلك، ويحذر صب الماء الحار على البدن والجلوس فيه إلا أن يكون ماء الرياحين أو ماء المعادن"[٢].

في اللقوة:

هذه العلة، مع ما تورث من القبح في المنظر تذهب بخاصية المذاق (ليس عند جميع المرضى)، لأن جزءً من وظائف العصب السابع المسبب للقوة له علاقة بالثلثين الأماميين من اللسان، فإذا أصيب هذا الجزء يذهب المذاق وتبطل قوة المضغ، ويكون حدوثها من كيموس بارد غليظ يسد مجاري العصب المؤدي للحس إلى عضل الفكين وعلاجه علاج الفالج واستعمال الغرغرة والسعوط فيه واجب ، ومما يخصها من العلاج أن يَكُبَّ العليلُ رأسَه بعد التنقية على المياه المطبوخة بالرياحين الموصوفة، وعلى بخار الشراب الذي قد أُلقِيَ فيه حجارة محماة، ويتبخر بالسندروس من تحت قمع. وقد يبرأ من هذه العلة بحسن التدبير في الغذاء والامتناع عن شرب الماء صيفاً كان أو شتاءً[٣].

في التشنج :

هذه العلة حركة غير إرادية خارجة عن الطبع تحدث للأعضاء التي حركاتها بالطبع إرادية فتحركها عرضاً، ويحدث عن الامتلاء والاستفراغ مما كان منها حدوثه عن الامتلاء، فهو من الرطوبة، وما كان من الاستفراغ فسببه اليبس، والعارض عن اليبس يعرض قليلاً من الحرارة ويكون إذا جف البدن والعصب من الحميات المحرقة وسائر الأمراض الحادة، وتلزمه حمى والتهاب، والعارضُ عن الرطوبة يحدث بغتة ولا تلزمه حمى ولا حرارة، ويكون ذلك

---

١ ص٢٣

٢ ص٢٤

٣ ص٢٦

عند امتلاء البدن والأعصاب من الكيموس اللزج الذي منه غذاؤه وعلاجه سهل وهو علاج الفالج .

قال (أبقراط) التشنج يعرض من الامتلاء ومن الاستفراغ إذا عرضنا في الأجسام العصبية التي تكون بها الحركات الإرادية، وهذه الأجسام هي: الأعصاب والأوتار والرباطات.

وقد يحدث من لذع في فم المعدة، والذي يبرأ منه في سرعة الذي يعرض من اللذع، والذي يكون من شدة حركة القيء والذي يكون من اليبس فهو لا يبرأ، والتشنج الذي يكون من الخراجة من علامات الموت إذا كان التشنج في البدن كله فذلك عن الدماغ، فإذا كان في عضو واحد من اليدين والرجلين فالعلة في الفقرة التي تأتي فيها عصبة ذلك العضو، فأما علاج التشنج اليابس، وهو في الأكثر يعرض للصبيان، فعلاجهم أسهل من علاج الكبار وأعراضه حمى مطبقة وسهر ينهكهم ويصفر لونهم ويُجِفُّ بطونهم ويبيض بَوْلُهم لأن الحرارة تسمو فيهم فتتصاعد إلى رؤوسهم[1].

وربما احتيج في هذه العلة إلى إخراج الدم كما قال (جالينوس) في كتابه إلى (اغلوقن) من احتاج في التشنج إلى خراج دم فليس ينبغي أن يستفرغ دفعه مقدار ما يحتاج إليه، وقال مثله في كتابه في "أيام البحران" وزاد فيه فليس ينبغي أن يستفرغ دفعة بحسب ما في بدنه من الامتلاء، وفي باب الماليخوليا من الحرارة علاجات يحتاج إليها في هذه العلة من الأغذية والسعوطات والمياه والنطول[2].

في الرعشة :

تحدث عن ضغط القوة الحيوانية مثل الفزع ونحوه ، وكذلك العصب إذا كان حدوثه مختلطاً يفزع ، وعلامة ذلك أن الوجنة تصفر منه، فإذا احْمَرَّت الوجنة في العصب دل ذلك على قوة القلب والنشاط ولا تحدث معه رعشة، وقد تحدث الرعشة عن سوء مزاج بارد مثل الذي يحدث بالمشايخ والذين يسرفون في شرب ماء الثلج والماء البارد، وعلاج هذا واحد، إلا أن الحادث من الشراب فإنه يجب أن يترك الشراب، ويبتدأ بالتمريخ للعضو العارض فيه ومخرج عصبته من الفقرات[3].

---

١ ص٢٧

٢ ص٢٧

٣ ص٢٨

في الماليخوليا[1]:

يجب أن تُعنى في هذه العلة بالقلب وتقويته ليزول عنه الفكر والفزع والهم ويكون ذلك بأن تنظر في مراح القلب بعد تنقية البدن[2].

ولما كان ابتداء هذه العلة الأفكار الردية وتغير العقل، ظنَّ قومٌ أنَّ مَسْكَنَ العقل القلب، وفي ذلك ظن كاذب لأنا نجد بالعيان أن صحة العقل تكون بصحة موضع التخيل والحس والحركة الذي يقال له بنطاسيا[3] وهو مُقدَّم الدِّماغ وهو صحة موضع الفكر الذي هو وسط الدماغ وموضع الحفظ والذكر الذي هو مؤخر الدماغ، والدماغ حاسة الحواس، وذلك أنه ينشأ من مقدم الدماغ العصب اللين الذي يكون كقوة الحواس الأربع، وحاسة اللمس فينبت عصبها من مؤخر الدماغ والنخاع وهو عصب غليظ ، فأما العضل والوتر فمنبته من العصب لأن العصبة إذا وصلت إلى أول العضو تتحرك فتركب بعض أجزائها اللحم والجلد فيعطيها الحس والحركة ويختلط البعض باللحم والربط فيتولد من جميعها العضل، فيكون به الحركة من طرف العضلة قبل بلوغها أجزاء العضل، ومن الرباط الوتر، ويركب ظاهره، ويمر طرفه الأسفل حتى يتصل بالعضو الآخر فتكون مُعيناً للرباط على ضبط المفصل ، فالعضل أوله عصب وآخره وَتَر، ويكون تحريكه الأعضاء بأن يتقلّص نحو أصله، فالعصب مخصوصٌ بكثرة الحس وضعف الحركة، والعضل مخصوصٌ بكثرة الحركة وضعف الحس[4].

في الصرع :

حدوث هذه العلة عن سُدَد غير تامة يحدث في مخرج الأعصاب، لذلك يحدث عنها حركات سمجة، فأما السكتة فهي سُدَد تامة في الدماغ كله بأسره، لذلك يبطل معها الحس والحركة.

قال (جالينوس) أصناف الصرع ثلاثة : أحدها يكون من علة تخص الدماغ، وتكون علامته أن لا يشعر صاحبها لها بابتداء حتى يُصْرَع ودواؤه شرب الخربق الأسود، والآخر يكون بمشاركة الدماغ والمعدة ، وعلامته أن يعرض لصاحبه غَثْي (غثيان) ويتوتر ثم يصرع بحركتها من المعدة ويكون دواؤه شرب شحم الحنظل، والأخير يكون بمشاركة الدماغ لكل واحد من الأعضاء

---

١ مرض نفسي

٢ ص٣٠

٣ الصحيح فنطاسيا ، انظر الطبري ، فردوس الحكمة ، تحقيق د. محمد زبير الصديقي ، مطبعة آفتاب – برلين ١٩٢٨ ص١٤١

٤ ص٣١

مثل الساق وغيرها وعلامته ارتفاع ذلك (الصرع) من ذلك العضو إلى الدماغ ويعالج بالأدوية الموصوفة له .[1]

وعلاج ذلك في النوع الأول والثاني : أن يبدأ بتنقية البدن والمعدة خاصة بالأدوية المسهلة والمقيئة، وأن يحتال وقت حدوثها (نوبة الصرع) وحين يشعر بحركتها بإدخال ريشة مغموسة بدهن في الحلق لإزعاج الطبيعة للقيء، وعلاج النوع الثالث التدليك في غير وقت النوبة حتى يَحْمَى ويَحْمَرّ ثم يطلى بالخردل أو لبن التين أو لبن اليَتُّوعات [2].

ويجب على صاحب هذه العلة أن يحذر أكل الكَرَفْس خاصة، والبصل والثوم والخردل والكراث والباقلّى وشرب الشراب وشم الروائح المنتنة، كرائحة القطران والقير والكبريت والجِيَف ونحوها، فإن ذلك ربما يفتح عليه العلة من ساعته أو قبل وقت النوم (بعض أنواع الروائح التي تم ذكرها قد تعمل على حفز الخلايا العصبية المهيجة للصرع).

فأما إذا حدثت هذه العلة مع آثار حرارة ويكون إذا حدث معها حرارة الوجه ودرور عروق العين فينفع منه الحجامة على الساق وفصد الصافن وعقر الأنف حتى يسيل منه الدم" [3].

في السَّدَد والدُّوَار :

إن كان مع ذلك غثي فذلك عن المعدة، والذي يصلح له الإسهال، وقد يحدث ذلك من حر الشمس يصيب الرأس، فيكون لأن الرأس في نفسه ضعيف أو فيه فضول مجتمعه. والعلاج منه تمريخ الرأس بدهن ورد وخلَ، فإن حدث ذلك عن غم أو بعقب الطعام والتملي ولم يكن معه حرارة ولا آثارها مثل الحُمْرَة وغيرها فعلاجه القيء [4].

في السُّبَات من الحرارة والرطوبة :

قال (جالينوس) النوم واليقظة برأي الفاضل (ابقراط) وأكثر أصحاب الطبايع يكون بأن تميل الحرارة الغريزية إلى ظاهر البدن وباطنه ، فأما صاحب هذه العلة فيكون نومه مع السبات خفيفاً ويفيق بسرعة، ويحدث من بخارات حارة

---

١ من الثابت علمياً أن الصرع يحدث بسبب تغيرات كهربائية في الدماغ ، وما يذكره ثابت بن قرّة عن ارتفاع الصرع من الساق وغيره إلى الدماغ هو ما نعنيه اليوم بالصرع الجزئي، ولربما يصبح صرعاً كليًا، وهو أشبه ما يكون ببرودة يشعر بها بعض مرضى الصرع تصعد من أسفل الجسم إلى أعلى .. وربما لهذا اعتقد القدماء أن الصرع بنفسه يحدث في الساق أو في غيره من الأعضاء ويصعد إلى الدماغ ، وهو ما عنوه بقولهم الصرع بالمشاركة

٢ ص٣٢

٣ ص٣٣

٤ ص٣٣

رديئة الكيفية ترتفع إلى مقدم الدماغ ، أما ما يكون من الرطوبة والبرد فيعرض لهم نوم ثقيل متى حدث بلغم كثير في مقدم الدماغ .

في السهر:

إذا كان حدوثه لشغل أو عمل مهم استفرغ بدن صاحبه وقلّ ضرره به، فإن عَرَض عن غير شغل فان شأنه حلُّ القوى الطبيعية فتضعف له الشهوة والاستمراء وأثر في جميع الأفعال الطبيعية، قال (أبقراط) قد يحدث عن السهر اختلاط وتشنج .

في السبات السهري:

هذه العلة تعرض عن خلط مرِّي وبلغمي، فمتى تحرك المرّي سهر العليل، ومتى تحرك البلغمي عرض له السبات، وربما عرض له السبات وربما عرض معه هذيان وتخليط في الكلام [1].

في الكابوس:

يحدث ذلك من بخار يتصاعد من أغذية ردية، ويكون زوال هذا النوع بسرعة ويحدث أيضاً من فضل تجتمع في البدن والوجه أن يبادر إلى علاجه فإنه كثيراً ما يؤدى إلى الصرع، والعلاج منه: تنقية البدن فإنه أجزى وإلا عولج بعلاج الصرع [2].

في السرسام وهو فرانيطس:

وأعراضه حمى مُطَبِّقة لازمة، وسبات لازم الليل والنهار في الأكثر، وثقل في الرأس، وتمدد في العين والصدغين، وخشونة في اللسان [3].

والعلاج من ذلك يكون بفصد القيفال قبل أن يزول عقل العليل، فإن زال عقله فاحْتُلْ بفصد العرقين الدقيقين خلف الأذنين ويُحتال في فصد الجبهة، فإن اشتد بهم السهر نَفَعَهُمْ شراب الخشاش [4].

---

١ ص٣٤

٢ ص٣٤

٣ صعوبة في الكلام

٤ ص١٥٤

علي بن العباس المجوسي

ألف في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري كتابين هامين كل منهما عبارة عن محاولة للإحاطة بجميع مسائل الطب المعروف في ذلك العهد ، وهما "كامل الصناعة الطبية" لعلي بن العباس المجوسي و "المعالجات البقراطية" لأبي حسن أحمد بن محمد بن محمود الطبري [1].

ويقول ابن أبي أصيبعة عن علي بن العباس إنه "كان طبيباً مجيداً متميزاً في صناعة الطب ، وصنَّف الكتاب المشهور الذي يعرف بالملكي للملك عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة أبي علي حسن بن بويه الديلمي، هو كتاب جليل مشتمل على أجزاء الصناعة الطبية علماً وعملاً، وكان قد اشتغل بصناعة الطب على أبي ماهر موسى بن سيار وتتلمذ له" [2].

وكان علي بن العباس الطبيب الخاص لعضد الدولة الذي بنى البيمارستان العضدي في بغداد، وأغدق عليه المال في تجهيزه وإعداده حتى صار من أعظم المؤسسات في المهن الطبية [3].

وصنَّف ابن العباس كتابه "كامل الصناعة" لعضد الدولة الذي يمدحه في بداية الكتاب والذي أعطاه الله "من العقل أوفره، ومن الفهم أغزره .. ومن السياسة أحكمها ، وكمَّل له هذه الفضائل والمناقب وزينها بما قرن بها من محبة العلم والحكمة وأهلها والرغبة فيها والحرص على استقلالهما ، والبحث والتفتيش عما وضعه العلماء في كل نوع منها" .

وقد قال (كسرى) أنو شروان: "إذا أراد الله بأمةٍ خيراً جعل العلم في ملوكها والمُلك في علمائها". ولما كان العلم بصناعة الطب أفضل العلوم وأعظمها قدراً وأجلها خطراً وأكثرها نفعا لحاجة جميع الناس إليها، أحببت أن أصنف لخزانته كتاباً كاملاً في صناعة الطب جامعاً لكل ما يحتاج إليه المتطببون وغيرهم في حفظ الصحة على الأصحاء، وردها على المرضى، إذ كنت لم أجد لأحد من القدماء والمحدثين من الأطباء كتاباً كاملاً يحوي جميع ما يُحتاج إليه من بلوغ غاية هذه الصناعة وأحكامها، فأما أبقراط الذي كان إمام هذه الصناعة وأول من دوَّنها في الكتب فقد وضع كتباً كثيرة في كل نوع من أنواع هذا العلم، منـــا كتـــاب واحد جامـــع لكثـــير مما يحتـــاج إليه طالب هذه الصناعـــة ضرورة ،

---

١ فؤاد سزكين ، مقدمة " كامل الصناعة الطبية"، تأليف علي بن العباس المجوسي ج١ ، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت – المانيا ، طبع بالتصوير عن مخطوطة رقم ٦٣٧٥ ، القسم العربي ، مكتبة جامعة استانبول ، ونشكر القائمين على مركز المخطوطات والوثائق بالجامعة الأردنية الذين أتاحوا لنا فحص نسخة الكتاب ونسخ أخرى مصورة بالمكروفيلم

٢ عيون الأنباء ، ج٢ ص،[٢٣٠ موسى بن سيار (توفي ٢٧٣هـــ/٩٨٣م)

٣ د. كمال السامرائي ، مختصر تاريخ... مرجع سابق ص ٤٧٥ ؛ د. سامي حمارنه ، تاريخ تراث..، ص ٢٤٨. عضد الدولة من مواليد أصفهان ٢٢٥هـــ/٩٣٦م – توفي في بغداد ٣٧٣هــ/ ٩٨٣م ، علي بن العباس توفي حوالي ٣٨٤هـــ / ٩٩٤م

وهذا الكتاب هو كتاب الفصول، وقد يسهل جمع هذه الكتب حتى يصير كتاباً واحداً، إلا أنه استعمل فيه وفي سائر كتبه الإيجاز حتى قد صارت معانٍ كثيرة من كلامه غامضة يحتاج القارئ لها إلى تفسير، وأما جالينوس المُقدَّم المُفَضَّل في هذه الصناعة فإنه قد وضع كتباً كثيرة كلٌ واحدٍ منها مفرد في نوع من أنواع هذا العلم وطوّل الكلام فيه وكرَّره .

أما يوحنا بن سرابيون فانه وضع كتاباً لم يذكر فيه العلاج الذي يكون باليد (أي الجراحة) وترك أشياء كثيرة من العلل لم يذكرها من ذلك إنه ترك من علل الدماغ ذكر العلة المعروفة بالقطرب.

أما الرازي .. وكتابه المعروف "الحاوي" فوجدته قد ذكر فيه جميع ما يحتاجه المتطببون (ولم يغفل عن ذكر شيء مما يحتاج إليه الطالب لهذه الصناعة) غير أنه لم يذكر العلاج باليد ولا ذكر ما ذكره من ذلك على ترتيب ونظام، بأبواب وفصول، ولا على وجه من وجوه التعليم .. والذي يقع لي من أمره وأتوهمه على ما يوجبه القياس من علمه وفهمه أحد حالين: إما أن يكون وضعه ليكون تذكرة له خاصة يرجع إليه فيما يحتاج إليه عند الشيخوخة ووقت الهرم والنسيان أو خوفاً من آفة تعرض لكتبه فيعتاض منها بهذا الكتاب.. أو ليعود فينظّمه ويرتّبه.. فعاقه عن ذلك عوائق وجاءه الموت قبل إتمامه، فإن كان إنما قصد به هذا الباب فقد طوّل فيه الكلام وأطنبه من غير حاجة اضطرارية دعته إلى ذلك حتى قد عجز أكثر العلماء عن نسخه واقتنائه إلا اليسير من ذوي اليَسَار من أهل الأدب، فقلَّ وجوده وما علمتُ أن نسخته إلا عند نفسين [1] من أهل الأدب والعلم واليسار [2].

ويقول المجوسي: "إن فضول الجسم تخرج منه بعدة طرق؛ الفضول الغليظة تنحدر إلى أسفل وتخرج خروجاً ظاهراً للحس والعيان، والفضول اللطيفة البخارية تصعد إلى فوق وتتحلل تحللاً خفياً عن الحس ، وجعل في الجلد ثقوباً تخرج منها ، ولما كان الرأس أعلى عظم في البدن يرتقي إليه بخار الأعضاء كلها حتى كأنه سقف لبيت توقد فيه نار، ويرتقي إليه الدخان، احتيج إلى أن يكون في عظم الرأس منافذ يخرج منها ذلك الفضل البخاري ، ولم يتمكن أن يجعل في عظم الرأس منافذ محسوسة لحرز الدماغ وصيانته من أن يصل إليه شيء من الأجسام المؤذية فجعل لذلك من عظام كثيرة ووصل بعضها بدروز يقال لها الشؤون".

وأما كثرة العظام بسبب الآفات الحادثة لكل واحد منها، فإنه لما كانت الآفة الحادثة في العظم الواحد متى حدثت في بعض أجزائه سرت في جميعه، جُعِلَ

---

١ شخصين

٢ ان تعليل المجوسي للحاوي تعليل يتوافق ومنطق الرازي الذي كان ينصح تلاميذه بجمع الكتب الطبية وتدوين ما يقال ليسهل الرجوع إليها عند الحاجة.

كما أن ضخامة الكتاب جعلت انتشاره قليلا وإلى الآن .. وقد طبع مرتين في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند في النصف الثاني من القرن العشرين في ثلاثة وعشرين جزءاً

في كثير من الأعضاء مكان العظم الواحد عظمتان وثلاثة وأكثر ليكون متى نالت واحدة منها آفة لم تتأذَّ إلى الأخرى[1].

في ذكر الأعصاب: "إن الأعصاب احتيج إليها لتؤدّي الحس والحركة الإرادية إلى سائر أعضاء البدن، سوى العظم والغضروف والرباط والغدد والشحم لأنه ليس لواحد من هذه في طبعه أن يحس ولا أن يتحرك".

وذكر قوم من الأطباء أن الأسنان لها حس من بين سائر العظام، وهي تختلج كما تختلج الشفة ، وقالوا إنه يعرض لها الخدر، والدليل على ذلك الوجع العارض لها، وأن الوجع لا يكون إلا من الحس، وأنكر ذلك آخرون فقالوا إن ذلك الوجع إنما هو لِلِثة واللحم الذي في أصول الأسنان والأعصاب التي فيها.

وأما العصب فأصله كله الدماغ ومن النخاع، إذ كان الدماغ هو معدن الحس والحركة الإرادية[2].

وذلك أنه لما كانت الأعضاء منها ما هي قريبة من الدماغ كالأعضاء التي في الرأس والرقبة ومنها ما هي بعيدة عنه كاليدين والرجلين ، جُعِلتْ الأعصاب التي تأتي الأعضاء القريبة من الدماغ منشؤها من الدماغ والأعصاب التي تأتي الأعضاء البعيدة منشؤها من النخاع.

فأما الأعصاب التي تنشأ من الدماغ فهي سبعة أزواج أحدها يصير إلى العينين ويأتيهما بحاسة البصر، والثاني يأتي العينين ويعطي عضلهما الحركة، والزوج الثالث بعضه يأتي اللسان ويوصل إليه حس المذاق، وبعضه يأتي الصدغين والماضغين وطرف الأنف والشفتين، وبعضه يأتي اللثة والأسنان بحاسة اللمس، والرابع ينقسم في أعلى الحنك ويأتيه بحاسة المذاق ، والزوج الخامس بعضه يصير إلى الأذنين ويأتيهما بحس السمع، وبعضه يأتي العضلة العريضة من الصدغ ويودي إليها قوة الحركة ، والزوج السادس بعضه يصير إلى الأحشاء ويعطيها الحس، وبعضه يصير إلى عضل الحنجرة ويعطيها الحركة ، والزوج السابع يأتي اللسان وعضل الحنجرة ويأتيهما بقوة الحركة[3].

وكل واحد من هذه الأعصاب قبل أن يخرج من القحف يتغشى بغشاءين منشؤهما من غشاءي الدماغ، أحدهما رقيق به عروق تغذيه، والآخر غليظ يقيه ويحفظه في ممره بعظام القحف.

فأما الزوجان الأولان من أزواج الأعصاب فهما أجوفان، وليس في البدن عصبة مجوفة سواهما لما احتيج إليهما أن يصير فيهما من الروح الباصر من الدماغ إلى العينين مقدار كبير.. لذلك جعلت هاتان العصبتان عَظمتين مجوفتين ..

---

١ ص٥٨

٢ ومصيرُ الأعصاب إلى سائر أعضاء البدن، وإما من الدماغ نفسه وإما من الدماغ بتوسط النخاع. العبارة السابقة في منتهى الدقة ، حيث أن هناك أعصاباً تخرج من الدماغ مباشرة إلى الجسم كالرأس وأعصاباً من الدماغ تمر في النخاع ثم تتفرع إلى باقي أعضاء الجسم

٣ ص٧٢

ومنشأ هاتين العصبتين من موضع الزائدتين الشبيهتين بحلمَتَيْ الثدي اللتين بهما تكون حاسة الشم، فإذا صارت هاتان العصبتين إلى قريب من موضع المنخرين اجتمعتا واتصلتا وصار جوفهما واحداً[1]، ثم تفترقان وتصيران إلى العينين[2]، واحتيج إلى ذلك ليكون متى رضت لإحدى العينين آفة صار النور الجاري من الدماغ إليهما موفراً على العين الأخرى[3].

ولذلك صرنا متى غمضنا إحدى العينين كان بصرنا بالأخرى أقوى وأجود .

أما عصبتا الزوج الثاني فمنشؤهما من خلف منشأ الزوج الأول، ويخرج كل واحد منهما من القحف من ثقب الموضع المقعَّر الذي في العين، ثم تتفرق كل عصبة منها في العضل الذي للعين وتعطيهما قوة الحركة.

فأما عصبتا الزوج الثالث فمنشؤهما من خلف الزوج الثاني، وهذا الزوج يخالط الزوج الرابع ويفارقه، وهذا الزوج عند خروجه من القحف ينقسم بأربعة أقسام أحدها يخرج من الثقب الذي فيه يدخل العرق الضارب المعروف بعرق السبات، وينزل في الرقبة إلى الأحشاء التي دون الحجاب، وينقسم فيها، والقسم الثاني يخرج من الثقب الذي في عظم الصدغ، ويتصل بالعصب الذي يأتي من الزوج الخامس والقسم الثالث يخرج من الثقب الذي في العظم الذي فيه العين وينقسم عند خروجه ثلاثة أقسام يصير أحدها إلى ناحية المآق الأصغر، وينقسم في عضل الصدغين وفي الماضغين، والآخر يصير إلى ناحية المآق الأكبر، ويدخل في الثقب النافذ منه إلى الأنف وينقسم في باطن الأنف، والثالث في مجرى له وفي موضع الوجنة، وينقسم بقسمين أحدهما يدخل في جوف الفم والثاني يخرج إلى خارج وينقسم في طرف الشفة ، والقسم الرابع من الزوج الثالث يمر في اللحاء الأعلى وينقسم أكثره في طبقة اللسان ويعطيها حاسة المذاق، وبعضه ينقسم في أصول الأسنان واللثة التي في اللحاء الأسفل وفي الشفة السفلى[4].

أما عصبتا الزوج الرابع فمنشؤهما من خلف عصبَتَيْ الزوج الثالث وتنقسم في الطبقة المغشية (التي تغطي) لأعلى الحنك وتوصل إليها حس اللمس .

فأما عصبتا الزوج الخامس فكل واحد منهما عند منشئها تنقسم قسمين يصيران زوجين أحدهما منشؤه من مقدم الدماغ من خلف الزوج الثالث، ويدخل في ثقبي المسامع، فإذا صار كل واحد منهما إلى أحد ثقبي السمع انبسط وعرض وغشّى الثقب وبهذا الزوج يكون السمع .

والزوج الثاني منهما يخرج من الثقب الذي في وسط العظم الحجري المعروف بالأعمى من غير أن يكون أعمى بل مفتوحاً، فإذا صار هذا الزوج مع الزوج

---

١ إشارة إلى ما يعرف اليوم بالتصالُبة البصرية optic chiasma

٢ على مثال إشارة الضرب X

٣ حتى ذلك الوقت كان يعتقد بأن الإبصار يحدث بأن ترسل العين اشعة تصطدم بالاجسام فتراها

٤ ص٧٣

الثالث انقسما جميعاً واختلطت أقسامها واتصل أكثرها بالعضلة العريضة التي تحرك الخد على الانفراد من غير أن تحرك معه اللحاء، والباقي يصير إلى عضلة الصدغين فيُعين الزوج الثالث في إعطاء هذا العضل الحس .

أما الزوج السادس فمنشؤه من مؤخر الدماغ من حيث الثقبين اللذين عند طرفي الدرز الشبيه باللام في كتابة اليونانيين (العظم اللامي)[1].

ويخرج من كل واحد من الثقبين ثلاثة أعصاب أحدها يصير إلى عضل الحلق وإلى أصل اللسان، فيُعين الزوج السابع على تحريك اللسان والأخرى تصير إلى العضلة التي على الكتف. والعصبة الثالثة وهي أعظمها تنحدر في الرقبة إلى الأحشاء وتصير إلى حيث العرق الضارب المعروف بعرق السبات .. وهذه العصبة إذا مرت بالرقبة تنقسم منها شعب تتفرق في العضل الخاص بالحنجرة الذي رؤوسه إلى فوق ، فإذا صارت إلى الصدر تتشعب منها شعب تذهب إلى فوق، وإلى عضل الحنجرة الذي رؤوسه أسفل، وهذا العصب الذي يقال له الراجع إلى فوق وتتفرق منها أيضاً شعب في القلب والرئة وقصبتها والمريء، فإذا صارت هذه العصبة إلى ما دون الحجاب اتصل أكثرها بفم المعدة، واتصل باقيها بسائر الأحشاء وخالط أقسام العصبة التي تنحدر إلى هناك من الزوج الثالث.

وأما عصبا الزوج السابع فمنشؤهما من موضع الجزء المؤخر من الدماغ وابتداء النخاع، وينقسم ويتفرق أكثره في عضل اللسان، ومنه جزء يسير يتصل بالعضل المشرف على الغضروف الشبيه بالترس من غضاريف الحنجرة [2] والعضلتين المنخفضتين من أضلاع العظم الشبيه باللام من حروف اليونانيين .

في صفة النخاع [3]:

فأما النخاع فهو جزء غليظ ينبت من الدماغ وينحدر في فقارات الصلب أولها عن آخرها.

وابتداؤه من حيث ينقضي الجزء المؤخر من أجزاء الدماغ وهو الموضع الذي عند الفقرة الأولى من فقرات الرقبة، واحتيج إليه لتنبت منه أعصاب يأتي كل واحد من الأعضاء التي دون الرقبة ويوصل إليها من الدماغ قوة الحس والحركة الإرادية كالنهر العظيم الذي ينصب إليه الماء من العيون وتتصل به أنهار صغار وسواقي تحمل منه من ذلك الماء وتفرقه على البساتين والمزارع البعيدة عن موضع العين ، فإنه لو كان الماء يجري إلى كل واحد منها من موضع العين لكان سيبعد مسير الماء إليها، فكان ما يصير إليه منه قليلاً قليلاً لطول

---

١ ص٧٤

٢ الغضروف الدرقي

٣ ص٧٥

المسافة وبعد الطريق ولم يؤمن عليه أيضاً أن ينسد فيعسر على قوّامه[1] أن يصلحوه لبعد الطريق ، كذلك أيضاً الدماغ هو بمنزلة العين لقوة الحس والحركة الإرادية، والنخاع النابت منه بمنزلة النهر العظيم يجري فيه من الدماغ قوة الحس والحركة، والأعصاب النابتة منه بمنزلة الأنهار الصغار والسواقي تجري فيها قوة الحس والحركة وتوصله إلى الأعضاء السفلى، فيكون مسير الحس والحركة إليها من موضع قريب، ولو كانت الأعصاب تسير إلى الأعضاء السفلى من الدماغ لكان حس تلك الأعضاء وحركتها ضعيفين ولكان سينقطع أيضاً بعضها لطولها ولكثرة حركتها .

والذي ينبت من النخاع واحد وثلاثون زوجاً من أزواج العصب وفرد لا أخ له، منها في الرقبة ثمانية أزواج، وفي الظهر اثنا عشر زوجاً، وفي القطن خمسة أزواج، وفي عظم العجز ثلاثة أزواج، وفي العصعص ثلاثة أزواج وفي أسفل العصعص فرد لا أخ له[2].

وحول الأربطة والأوتار يقول إن الأربطة عديمة الحس[3].

في صفة الدماغ :

الدماغ هو أول أصناف الأعضاء الباطنة في البدن وأشرفها قدراً وأجلُّ الأعضاء النفسانية [4].[5]

والدماغ هو أصلٌ ومعدنٌ للنفس الناطقة التي يكون بها العقل والتميز، وأصلٌ للحواس والحركة الإرادية.

والدماغ جسم أبيض عديم الدم لين، شبيه بالعصب اللين، إلا أن الدماغ أرطب من العصب وجُعِل كذلك لما احتيج إليه في الدماغ من سرعة التغيير والاستحالة إلى طبيعة الأشياء المحسوسة، والدماغ مقسوم بجزأين أحدهما في مقدّمه ويقال له الجزء المقدم، والآخر في مؤخره ويقال له الجزء المؤخر ، ويفصل بين الجزأين الغشاء الثخين من غشاءَيْ الدماغ وليس بين أحد الجزأين للآخر اتصال إلا بالمجرى الذي تحت اليافوخ.. وفي الدماغ ثلاثة تجاويف يقال لها البطون، منها تجويفان في مقدمه يقال لهما البطنان المقدمان، ومنها تنبت الزائدتان الشبيهتان بحلمتي الثدي اللتان بهما يكون استنشاق الروائح وجعلا بطنان لتنبت منهما أزواج عصب الحس، من كل جانب منها عصبة واحدة ليكون متى نال إحداهما آفة كانت الأخرى تقوم مقامها[6].

---

١ القائمين عليه

٢ وهنا يحدد ابن العباس مخارج هذه الأعصاب من العمود الفقري بشكل مماثل لمن سبقوه من الأطباء

٣ ص٧٧

٤ الدماغ والنخاع والعينان وآلة السمع وآلة الشم واللسان

٥ ص١٠٧

٦ ص١٠٩

وعند ابتداء المجرى مما يلي البطن الأول جسم من جنس الغدد شكله شبيه بحبة الصنوبر.

وفي جوف هذا المجرى زائدة ممتدة في طول هذا المجرى تسمى الدودة يشبه شكلها شكل دودة كبيرة رأسها يبتدئ من بعد الغدة الشبيهة بحبة الصنوبر .. وتحت هذه الدودة زائدتان نابتتان من الدماغ شبيهتان بفخذي الإنسان إذا كانا مضمومين تسميان الأليتَين.

ويحيط بالدماغ غشاءان يقال لهما أُمَّيْ الدماغ أحدهما ثخين يقال له الأمُّ الجافية والآخر رقيق يقال له الأمُّ الرقيقة، والأمُّ الجافية غشاء غليظ صلب يقع تحت القحف... والأمُّ الجافية غير متصلة بعظم قحف الرأس لكنها معلقة بالشؤون بأغشية تنبت منها .. ومنافع الأم الجافية ثلاث إحداها أن تحفظ الأم الرقيقة التي على الدماغ وتقيها من صلابة عظم القحف، والثانية أن تحجز ما بين جزأيْ الدماغ المقدَّم والمؤخَّر، والثالثة أن تكون حرْزاً ووقاية للعروق التي فيما بين طيّها والتفافها وانثنائها.

أما الأم الرقيقة فإنها غشاء رقيق فيما بين العروق والشرايين .. على مثال المشيمة، ولذلك سمي هذا الغشاء بالغشاء المشيمي، وهي متصلة بالدماغ كأنها جلدة له، تغطيه وتوقيه وتحفظه من الأم الجافية، وتغذيه بما فيها من العروق غير الضوارب[1] وتؤدّي إليه الحرارة الغريزية بما فيها من الشرايين [2].

في صفة النخاع :

فأما النخاع فإن منشأه من الدماغ، والعمود الفقري يحتوي عليه ويصونه كما يصون قحفُ الرأس الدماغ. ويحيط به غشاءان منشؤهما من أمَّيْ الدماغ الثخينة والرقيقة والحاجة إليهما في النخاع هي الحاجة التي كانت إليهما في الدماغ، ويحيط بالغشاءين غشاء ثالث من جنس الأربطة منشؤه من زائدتي قحف الرأس وهو شبيه بالأم الجافية في غلظه وصلابته.

أما النخاع نفسه فمتى وقع به قطع في طوله لم يضر ذلك بحركته، ومتى وقع به قطع في العرض بطل الحس والحركة من الأعضاء التي تأتيها الأعصاب من أسفل الموضع المقطوع، وتبقى الأعضاء التي فوق سليمة الحس والحركة[3].

وفي الأمراض الداخلة على فعل الدماغ يقول ابن العباس إنها تابعة للآفات الحادثة بفم المعدة وهي اختلاط الذهن والسبات والصرع والوسواس السوداوي.

وقد يحدث اختلاط الذهن بسبب بخار بارد يرتفع إلى الدماغ من الرحم بسبب احتباس الطمث أو المني[4].

---

١ الأوردة

٢ كامل الصناعة؛ سزكين ص ١٠٧ – ١١١

٣ كامل الصناعة؛ سزكين ص ١١٣

٤ كامل الصناعة، سزكين ٢٧٧

أما الأعراض التي تعرض للحركة الإرادية وتبطلها فتكون عـن آفـة تصـيب العصبة المحركة للعضو.. أو من ضغط يحدث بالعصب[١].

وهذه الآفات إن حدثت في مبدأ النخاع استرخى بسببها جميع البدن، ويسمى ذلك العارض السكتة والفالج، وإن كان في بعض الأعصاب حدث منها استرخاء ذلك العضو الذي يحركه ذلك العصب[٢].

أما نقصان الحركة فيعرض مع الخدر والأسبابُ المحدثة للخدر هي الأسباب المحدثة للاسترخاء إلا أنها ليست بالقوة التي يبطل معها الحركة منه[٣].

في صفة النبض الدال على علل الدماغ :

أما السرسام فلأنه ورم حار يحدث في أغشية الدماغ، وطبيعة أغشية الدماغ طبيعة عصبية يجعل النبض صغيراً، متواتراً، قوياً ومنقطعا، ويخيل الإحساس له أنه ينتقل عن موضعه مرة إلى فوق ومرة إلى أسفل[٤].

أما نبض أصحاب النسيان والسبات فيكون عظيماً ضعيفاً ليناً. أما العلة المعروفة بكوما Coma (الغيبوبة) وهي السبات السهري فيكون النبض في أصحابها متوسطاً بين أصحاب النسيان وبين نبض أصحاب السرسام، ويكون في أكثر الحالات مشاكلاً لنبض أصحاب السرسام، إلا أنه أعظم منه وألين، ويكون معتدلاً في السرعة والتواتر[٥].

أما نبض أصحاب التشنج فيكون كالمرتعد، وحركته شبيهة بالوثوب إذا انبسط حتى كأنه في انبساطه بمنزلة السهم عندما ينبعث من قوس[٦].

ويذكر ابن العباس العلل التي تحدث في الدماغ وأغشيته، وهي الصداع والسرسام والبرسام والأورام اللاحقة له واختلاط الذهن والعلة المعروفة بلثرغس، وهي النسيان والسبات والسهر المعروف بكوما والجمود وفساد الفكر والذكر والسدر والدُّوار والكابوس والصرع والسكتة والعلة المعروفة بالماليخوليا والقطرب والعشق.

---

١ ص٢٧٨

٢ ص٢٧٩

٣ ٢٧٩

٤ ٣٢٣

٥ ص ٣٢٤

٦ ص ٣٢٥

الصداع:

فأما الصداع فمنه ما يكون في جميع الرأس ومنه ما يكون في النصف منه ويقال له الشقيقة.

والذي يكون في جميع الرأس منه ما يكون تابعاً للحمى من شدة الحرارة، ومنه ما كان مفرداً بنفسه أو بمشاركة الرأس للمعدة.

والمفرد بنفسه إما أن يكون من مرض آلي أو من ريح أو من ضربة أو إذا سخنت أغشية الدماغ أو لتناول الإنسان أغذية وأدوية حارة مصدعة للرأس كالثوم والبصل.

وقد يحدث الصداع عن سبب من خارج، كالذي يصيب الإنسان من الشمس وعلامته إنه إذا وضعت عليه الأشياء الباردة سكن الصداع، وإن جعلته يشم الرياحين الباردة والكافور والصندل يسكن الصداع أيضاً.

كذلك قد يحدث لمن يكشف رأسه في الهواء البارد ومن شرب الماء الشديد البرودة، وعلامة هذا الصداع أنه يزول إذا وضعت على الرأس الأشياء الحارة[1].

كما قد يحدث الصداع نتيجة ورم، إما عن سبب من خارج كالضربة والصدمة عندما يتأذى الورم من الغشاء المبسوط تحت جلدة الرأس إلى الأم الغليظة بالمشاركة فترِمُ لذلك الأم. وأما أن يحدث الورم من داخل فعلامته أن يجد صاحب الصداع ضرباناً مع حمى والتهاب في الرأس وحمرة في الوجه إذا كان الورم حاراً وإذا كان بارداً كان الصداع قليل الضَّرَبان.

وإن كان الورم المحدث للصداع في الغشاء المحيط بالدماغ، أحس العليل كأن عينيه تتجذبان إلى داخل وإن لم يحس العليل بذلك فإن العلة في الغشاء المحيط بالقحف من خارج[2].

أما علامة الصداع الحادث بمشاركة الرأس للمعدة فهو أن يكون معه لذع وخفقان والتهاب واحتراق في الرأس وأن يستريح بعقب القيء ويشتد عند أكل الأطعمة الحارة وفي وقت خلو المعدة[3].

وقد يحدث الصداع عقب الإكثار من الطعام بسبب التخمة أو شرب الشراب ويقال لذلك صداع الخُمّار.

ومن الصداع ما يكون حاداً سريع التحلل والانقضاء، ويعرف بالصداع المطلق، ومنه ما يكون بطيئاً عسير التحلل ويعرف بالبيضة والخوذة، وصاحب هذا الصداع يهيج به ذلك من أدنى سبب، ويتأذى بالأصوات وبالنظر إلى ضوء النار والشمس وباستنشاق الروائح التي تملأ بطون الدماغ ومن شرب الشراب[4].

---

١ ص٣٨٥

٢ ص٣٨٦

٣ ص٣٨٧

٤ ص٣٨٨

وينقل عن جالينوس قوله: إن الوجع في البيضة فيمن علته داخل القحف يبلغ إلى أصول العينين، وإذا لم يصل إلى أصول العينين فإن العلة في الغشاء الذي على غشاء عظم القحف من خارج.

وأما الصداع المعروف بالشقيقة فيكون في نصف الرأس، وقد يعرض بسبب نزف الدم كدم الحيض والنفاس أو دم البواسير، وقد يحدث عن الغم ونقصان الدم[1].

وقد يعرض من بخار كثير في الرأس، وعلامته الدوي والطنين في الأذن وانتقال الوجع من جانب إلى جانب.

ويعرض الصداع من ورم حار يكون في الرحم، وبعقب الولادة أو الإسقاط[2] ومن قلة النقاء من النفاس.

وينبغي أن تعلم أن الصداع الذي يكون من علة عضو ما فإن ألم ذلك العضو يبتدئ أولاً ثم يتبعه الصداع.

وقال جالينوس: إنه ربما عرض من الصداع الشديد انقطاع الصوت وذلك لآفة تعرض للغضروف الذي يأتي عضل الحنجرة والحلق[3].

السرسام :

السرسام يكون إما عن سوء مزاج حار يعرض للدماغ أو يعرض للغشاء المجلل للدماغ أو من ورم حار يحدث في أغشية الدماغ وإما في الدماغ نفسه.

وعلامة السرسام حمى مُطبقة أو أن يكون ملمس الوجه والرأس أسخن من سائر البدن، ويتبع ذلك اختلاط الذهن وسهَر، وربما عرض لبعضهم نوم ينتبهون منه بصياح ووثوب ويخشن منهم اللسان ويسودّ ويلتقطون زئبر الثياب بسبب رداءة التخيل، وتجري دموعهم في بعض الأوقات.

ومَن عَرِضَ له هذه العلة عن ورم دموي فإن هذه الأعراض تكون مع ضحك ونوم وحمرة في العينين وهذيان.

---

١ ص٣٨٨

٢ الاجهاض

٣ ٣٨٨

البرسام:

فأما البرسام فإنه يحدث في الدماغ بسبب ورم يحدث في الحجاب بمشاركة العصب المنحدر إليه من الدماغ، وجميع الأعراض التابعة للسرسام تظهر للبرسام، إلا أنها تكون أضعف والحُمّى تكون أقوى والحرارة في سائر الجسم أظهر لقرب موضع العلة من القلب[١].

ومن الأورام الحارة التي تعرض في الدماغ الورم المعروف بالحُمْرَة والورم المعروف بالماشرا، وهو ورم دموي يعرض للدماغ والشرايين والوجه وجميع ما فيه يرم حتى يُظَنّ بالشؤون أنها ستنفلق، ويعرض مع ذلك وجع شديد دائم وحمرة في الوجه ونتوء في العينين[٢].

أما الحمرة فيعرض معها وجع شديد في جميع الرأس والتهاب كالتهاب النار، وإذا لُمِس الوجه كان بارداً أو يكون لونه إلى الصفرة ويعرض في الفم جفاف شديد.

النسيان:

أما النسيان فقالوا: إنه السرسام البارد وهو فساد يعرض للذكر.

وعلامة هذه العلة أن يحدث للعليل سبات ونوم يعسر معه الانتباه، وإذا سئلوا عن شيء لم يجيبوا إلا بكَدّ ويعرض لهم اختلاط في الذهن وتثاؤب كثير وتكون أفواههم مفتوحة كأنهم ينسون أن يطبقوها[٣].

السُبَات:

أما السبات السهري المعروف بكوما فيكون بسبب ضربة تصل عضل الصدغين أو بسبب ضغط يعرض للدماغ وإما عن كسر لقحف الرأس وإما من الصفيحة التي توضع تحت عظم القحف المكسور إذا أراد الطبيب أن يعالجه[٤].

الجمود:

أما العلة التي يقال لها قوطوخوس وهي الجمود فتحدث عن سدة تعرض للبطن المؤخر من بطون الدماغ. بسبب شرب الماء البارد والاستحمام به وأكل الفاكهة المبردة على الثلج، ومن علامات ذلك أن يكون البدن من صاحب هذه العلة كله عديم الحس والحركة وأن يكون مستلقياً كاستلقاء الميت.

---

١ ص٣٨٩

٢ ص٣٩٠

٣ ص٣٩٠

٤ ص٣٩٠

والفرق بين هذه العلة وبين السبات أنه في السبات تكون العين مغمضة وفي الجمود تكون مفتوحة [1]

السكتة:

السكتة تحدث من سدة في بطون الدماغ الثلاثة بأسرها كلها دفعة، فتمتنع القوى الحساسة والمحركة بإرادة، فتعطل الحركة وتنقص الأفعال السياسية (الحواس) حتى تكاد أن تعطل.

وربما حدثت السدة عن امتلاء من الشراب والسكر العنيف، وينقل عن أبقراط قوله: إذا حدث بسكران سكتة بغتة فإنه يتشنج ويموت إلا أن تحدث به حمى أو يتكلم في الساعة التي ينحل فيها خُماره[2].

ويتقدم هذه العلة وجع في الرأس، وانتفاخ في الأوداج، وظلمة في البصر، ودوار، وشعاع يُتَخَيَّل، وبرد في الأطراف، واختلاج في البدن كله.

وعلامات هذه العلة قريبة من علامات مرض "قوطوخوس" وهو الجمود، وذلك أن العليل يكون ملقى كالنائم لا يحس بما يَلقى بدنه من الأشياء المؤلمة، ويسمع لنفسه غطيط، وكلما كانت العلة أقوى كان النَّفس أشد عِظماً، وربما سمعت له خرخرة في الصدر وذلك لصعوبة التنفس واستكراهه، وإذا صُبَّ في فمه أشياء رطبة بلعها إن كانت غير قوية، وهذا المرض لا يكاد يبرأ صاحبه إذا كانت العلة قوية، ولا يسهل برؤه إذا كانت ضعيفة، وقد يؤول إلى الفالج أو إلى اللَّقوَة كما قال أبقراط[3].

الصَّرْع:

هو تشنج يعرض لجميع البدن حتى يسقط العليل على الأرض، وقد يكون ذلك بأدوار معلومة وأوقات محدودة، وربما كانت أوقاته مختلفة [4].

وعن أسبابه يقول: إنها مثل الأسباب المحدثة للسكتة إلا أنها دونها في الشدة والقوة؛ لأن الأسباب المحدثة للصرع لا تكون في بطون الدماغ كلها، لكن تكون السدة في بعض البطون وفي مجاري الأعصاب المحركة للأعضاء.

والصرع يكون من قِبَل الدماغ، ومنه ما يكون من تشنج الأعصاب.

ومنه ما يكون من مشاركة الدماغ لفم المعدة أو لغيره من الأعضاء.

ويتقدم الصرعَ أوجاعٌ شديدة في الرأس مع ثقل وظلمة في البصر ورداءة في الحس والسمع والشم والذوق. وقد يعرض الصرع من قِبَل فم المعدة، ويتقدمه

---

١ ص ٣٩١

٢ ص ٣٩٣

٣ ص ٣٩٣

٤ ص٣٩٣

غثيان، وإذا تأخر غذاؤهم أو كان قليلاً وربما لم يسقطوا إلى الأرض إذا أصابتهم النوبة، بل يعرض لهم غشي أو إغماء، ويسيل من أفواههم لعاب [1].

وقد يعرض الصرع للنساء في وقت الحمل ويزول عنهن في وقت الولادة.

وربما حدثت هذه العلة من قبل لدغ العقرب إذا وقعت على عصبة، وعلامة الصرع الحادث عن ذلك أن يحس الإنسان ببخار بارد يرتقي من العضو الذي فيه الخلط في أسرع وقت، من عضو إلى عضو إلى أن تؤدي إلى الدماغ ثم يسقط. وقد يحس العليل قبل نوبة الصرع بقليل من أعراضها.

وأما الصرع الذي يحدث عن التشنج والذي يسمى "ابيلمسيا" (الصحيح ابيلبسيا) فهو أردأ الأنواع، فيكون من تشنج جميع أعضاء البدن وذلك عندما تمتلئ بطون الدماغ وجميع الأعصاب من الفضل فيلحق الضرر الأعضاء الرئيسة لا سيما الأفعال المدبِّرة [2].

ويتقدم علة الصرع قبل حدوثها خبث النفس ونسيان وصداع وآلام مختلفة.

ويحدث لبعضهم دون بعض السقوط والصياح ومضغ اللسان وخروج البول من غير إرادة وربما خرج من بعضهم المني.

وأكثر ما تحدث هذه العلة في الصبيان الصغار ومن بعدهم بالمراهقين والشباب وقلما تحدث للكهول والشيوخ. ولا يكاد صاحب هذه العلة يبرأ منها إذا حدثت به من بعد نبات الشعر في العانة، أعني الاحتلام والإدراك.

أما إذا عولجوا منه كما قال أبقراط قبل نبات الشعر في العانة، فإن برأه منه يكون بانتقاله في السن والبلد، أما من أتى عليه من السن خمس وعشرون سنة فإنه يموت وهو به [3].

علل النخاع:

أما العلل الحادثة في النخاع وما ينشأ منه من الأعصاب فهي خمسة أنواع وهي الاسترخاء والعلة المعروفة بالانوبلفسيا "أبوبليكسيا apoplexy"، والفالج والتشنج والرعشة والخدر.

ويكون الاسترخاء إذا حدثت سدة في مبدأ عصب من الأعصاب التي تأتي بعض الأعضاء فتمتنع القوة المحركة أن تأتي ذلك العضو فيسترخي ولا يحس ولا يتحرك.

فإن كانت السدة في مبدأ نبات جميع العصب حدث عن ذلك بطلان الحس والحركة من جميع أعضاء البدن مع ضرر يلحق الأفعال المدبِّرة، ويقال لذلك أبوبليكسيا.

---

١ ص٣٩٤

٢ ص٣٩٥

٣ ص ٣٩٤ – ٣٩٥

فإن حدثت السدة في جانب واحد حدث عن ذلك استرخاء ذلك الشق كله مع جانب الوجه ويقال لذلك الفالج واللَّقوَة معاً.

فإن حدثت السدة في مبدأ النخاع عرض من ذلك استرخاء الأعضاء التي دون الوجه. وان حدثت السدة بأحد جانبي النخاع عرض الاسترخاء للأعضاء التي في ذلك الشق. وإن عرضت السدة في مبدأ العصب الذي يأتي عضل الوجه وكان ذلك في أحد الجانبين عَرَضَ من ذلك استرخاء ذلك الشق من الوجه وهي اللَّقوَة، وقد تحدث اللَّقوَة من الاسترخاء ومن التشنج معاً فيسترخي عضل أحد الفكين ويتشنج الآخر.

وإن حدثت السدة في مبدأ العصب الذي يأتي الحنجرة عَرَضَ من ذلك انقطاع الصوت، وإن حدثت في العضل الذي يأتي المثانة عرض من ذلك خروج البول من غير إرادة، وكذلك إن حدثت في العصب الذي يأتي عضل المقعدة عرض من ذلك خروج البراز من غير إرادة، وكذلك يجري أمر سائر الأعضاء. والسدة تحدث من ضغط، والضغط يحدث من رباط أو من ورم يحدث للنخاع، وأما من عظم يزول عن مكانه فيضغط العصب. وقد يعرض الاسترخاء للعضو الذي تأتيه العصبة إذا حدثت بها رضة أو إذا تم قطعها عرضاً وهذا لا يبرأ. أما العلة المعروفة بأبوبليكسيا "apoplexy" فعلاماتها أن يكون صاحبها مستلقياً على ظهره عديم الصوت والحس والحركة الإرادية، ويتقدم هذه العلة وجع في الرأس شديد وامتلاء في الأوداج ودوار وظلمة في البصر وبرد في الأطراف واختلاج في جميع البدن وثقل في الحركة وتقضقض في الأسنان في وقت النوم، وأكثر ما تحدث هذه العلة في المشايخ[١].

اللَّقوَة :

فأما اللَّقوَة فعلامتها تعويج الوجه وميل الشدق إلى جانب.

وقد تحدث اللَّقوَة من تشنج عضل أحد الفكين فينجذب الفك الصحيح إلى نفسه، ومن علاماتها أن يكون العليل لا يمكنه تغميض العين التي في الجانب الصحيح، وذلك لانجذاب عضل الجفن الأسفل إلى أسفل.

وإن أمرته أن ينفخ رأيت النفخ من جانب الفم وذلك لانجذاب عضل الفك إلى جانبه الأسفل. أما سائر أنواع الاسترخاء فعلاماتها بينة ظاهرة من بطلان الحس والحركة الإرادية التي لذلك العضو[٢].

وقد أتى علي بن العباس على التعاريف الدقيقة لكسور الجمجمة، فعنده الشق البسيط والقوي، وهو شق مع خروج العظم المكسور إلى خارج، وعنده كسر القحف بأجزاء كثيرة، والشعر العظمي والذي يقول فيه :"ومن الناس من يضيف

---

١ ص٣٩٨ - ٣٩٩

٢ ص ٤٠٠

إلى هذه الأنواع نوعاً آخر يسمى الشعري وهو شق رقيق يخفى عن الجس، وهو كثيرًا ما يخفى بلا تبيين المس وربما كان سبباً للهلاك".

وبيَّن أن خطر هذه الكسور لا يرتبط بأشكالها فقط بل يرتبط بآلية حدوثها وبالأعراض العصبية الناتجة عنها فيقول: " فإنه يتبين إما من قوة الجسم الذي وقعت منه الآفة بالرفس من فضله ومن صلابته ومن قوة الضارب له، ومن الأعراض التي تعرض للمضروب كاللوز اللهائية وذهاب الصوت".

وحول تفاقم الورم الحار بعد كسور الجمجمة يقول: "وهذا الورم يعرض للصفاق إما بسبب شظية يُحَسّ بحدَّتها وإما بسبب الشد والرباط والفتل بحمية (بقوة) وإما بسبب الإكثار من الغذاء وإما بسبب البرد"[1].

---

١ د. عبد القادر عبد الجبار، جراحة الجمجمة والدماغ عند الاطباء العرب، المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢ ص٣٧٤

أبو الفرج علي بن الحسين بن هندو

هو من الأطباء الذين نشأوا في بلاد فارس، وتتلمذ على أبي الحسن بن سوار المعروف بابن الخمار (ولد سنة ٣٣١ هـ)[١].

هكذا فقد عاش أبو الفرج بن هندو في القرن الرابع الهجري ، أي في منتصف القرن العاشر الميلادي.

ويقول عنه ابن أبي أصيبعه: إنه "من الأكابر المتميزين في العلوم الحِكْمية والأمور الطبية" وينقل عن أبي منصور الثعالبي قوله في كتاب "يتيمة الدهر" عنه إنه "فرد الدهر في الشعر".

ويضيف أن له من الكتب "مفتاح الطب ومنهاج الطلاب" ألفها لإخوانه من المتعلمين[٢].

ويستعرض أبو الفرج بن هندو في الكتاب باختصار أمراض الرأس والدماغ والأعصاب، وتسمياتها اليونانية ومعانيها باللغة العربية ومنها:

البيضة: هي وجع الجمجمة المشتمل على الدماغ كله ، كاشتمال بيضة الحديد على الرأس كله.

الدوار: هو أن يرى الإنسان ما حواليه كأنه يدور ، وتظلم عيناه ويهم بالسقوط.

السرسام: ورم الدماغ ويقال له باليونانية قرانيطس.

ليثرغس: هو أن يعرض النسيان من ورم بلغمي يحدث في مقدم الدماغ ، فلا يحس الإنسان بما في مؤخر الدماغ الذي هو خزانة الحواس ، ولذلك يعرض النسيان.

الماليخوليا : هو الوسواس السوداوي.

المانيا: تيه العقل وهو الجنون

السبات : هو أن يكون الإنسان ملقى كالنائم يحس ويتحرك، إلا أنه في أكثر أمره مغمض لعينيه، وأنْ صِيْحَ به، أو نودي فتح عينيه ثم عاد سريعاً فغمضهما.

الشخوص : هو أن يكون الإنسان ملقى لا يتحرك ، إلا أنه شاخص ببصره من غير أن يُطرق، شبه المبهوت، ويسمى باليونانية قاطوخس .

الصرع : هو أن يخر الإنسان ساقطا ويلتوي ويضطرب ويفقد عقله، من خلط غليظ يسد منافذ بطون الدماغ ، ويسمى أيضاً أمَّ الصبيان لكثرة ما يعتري

---

١ عيون الانباء ج٢ ، ص٣٦٢

٢ عيون الانباء ، ج٢ ص ص ٣٦٤ ، ٣٦٩

وقد عثرنا على نسخة محققة للكتاب حققها الدكتور محقق ، طهران ١٣٦٨ مالي وهو تاريخ هجري شمسي تبدأ السنة فيه بعيد النيروز اول الربيع ٢٢ اذار. أي ١٩٥٢ ميلادية، من منشورات مؤسسة مطالعات اسلامي ، وموجودة في مكتبة مجمع اللغة العربية الاردني

الصبيان، ويسمى المرض الكاهني لأن المصروعين كثيراً ما يخبرون بالكائنات كالكهان، واسمه باليونانية إبليبسيا.

السكتة : هي أن يبطل الحس والحركة من كثرة دم أو خلط غليظ بارد يملأ بطون الدماغ ، فيمنع الروح النفسية من النفوذ ويكون صاحبها كأنه نائم من غير نوم .

الكابوس : هو أن يحسب الإنسان في نومه كأن شيئا ثقيلا قد وقع عليه، من بخار غليظ أسود يصعد إلى الدماغ، فيحول بينه وبين إشرافه على أعماله، كالضباب الذي يعرض في وجه الشمس.

الفالج : استرخاء العضو وبطلان حسه وحركته، إما لمرض يصيب أعضاءه عن ضربة أو سقطة، وإما لخلط غليظ بارد ينصب إلى أصول العصب، وذلك أن كلتَيْ هاتين الحالتين تمنع من نفوذ الروح النفسية في العصب .

اللّقوَة: اعوجاج الوجه إما من تشنج في أحد شقيه يجر الشق إلى نفسه ، وإما استرخاء في أحد الشقين ، والمادة الفاعلة للّقوة والفالج واحدة، غير أن الفالج يوجد في أعضاء البدن كلها، فأما اللّقوة فتختص بالوجه.

التشنج والكزاز: تقلص العضو وانجذابه نحو أصله، إما ليبس كالجلد الذي يتقلص في الشمس أو النار، وإما لامتلاء كالزق الذي يملأ.

الخدر: هو ذهاب الحس أو نقصانه من بعض الأعضاء، لامتلاء يعوق القوة الحساسة عن النفوذ في عصب .

الرعشة: اضطراب حركة العضو لضعف القوة التي تحمله.

الاختلاج: انبساط العضو من ريح غليظة تجري إليه بغتة وتتحلل بغتة.

أبوفلكسيا: الفالج

سفاسيموس واناراموس: اللقوة

سيموس: الامتداد والكزاز[1]

---

١ مفتاح الطب ومنهاج الطلاب ص ص ١٢١ – ١٢٣، ١٦٢

الـــــــرازي
أبو بكر محمد بن زكريا

يعدّ الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا الرازي واحداً من أعظم أطباء القرون الوسطى.

ولد الرازي في مدينة الري جنوب طهران حوالي عام ٢٥٠هـ — ٨٦٤م .

ويقول عنه ابن النديم إن الرازي "أوحد دهره وفريد عصره"، قد جمع المعرفة بعلوم القدماء وسيما الطب، وكان ينتقل في البلدان، وبينه وبين منصور بن إسماعيل [1] صداقة وله ألّف كتاب المنصوري .

وكان الرازي يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ ودونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ أُخَر، وكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لأول من يلقاه، فإن كان عندهم علم، وإلا تعداهم إلى غيرهم فإن أصابوا، وإلا تكلم الرازي في ذلك، وكان كريماً متفضلاً باراً بالناس، حسن الرأفة بالفقراء والأعِلاء، حتى كان يجري عليهم الجرايات الواسعة ويمرضهم ولم يكن يفارق المدارج والنسخ[2].

وقد نقل عن ابن النديم كل من القفطي وابن أبي أصيبعة[3].

وعن الرازي يقول القفطي إنه "طبيب المسلمين غير مُدَافع" ويقول عنه ابن أبي أصيبعة إنه "جالينوس العرب"[4].

ويبدو أن الرازي اعتنق مذاهب فلسفية لم تَرُقْ لمعاصريه ومن بعدهم. ويقول القفطي أنه توغل في العلم الإلهي وما فهم غرضه الأقصى فاضطرب لذلك رأيه وتَقلّد آراء سخيفة وانتحل مذاهب خبيثة وذمَّ أقواماً لم يفهم عنهم ولا هدي لسبيلهم[5].

ويذكر ابن أبي أصيبعة أن بعض الأشرار المعادين للرازي ربما ألّف كتابا ونسبه للرازي ليسيء من يرى ذلك الكتاب أو يسمع به الظن بالرازي، وإلا فالرازي أجَلّ من أن يحاول هذا الأمر، وأن يصنف في هذا المعنى وحتى إن بعض من يذم الرازي يكفره كعلي بن رضوان المصري وغيره[6].

---

١ صاحب خراسان

٢ الفهرست لابن النديم ص٣٥٦ و ٣٥٧

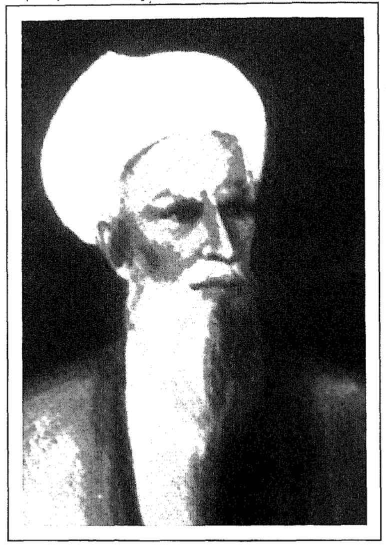
٣ القفطي ص١٧٩؛ ابن أبي أصيبعة ج ٢ص٣٤٣

٤ القفطي ص١٧٨؛ ابن أبي أصيبعة ج ٢ص٣٤٣

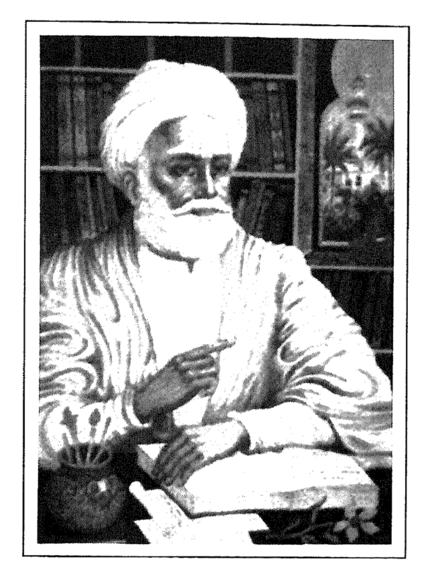
٥ القفطي ص١٧٨

٦ ابن أبي أصيبعة ج٢ ص٣٥٩

ويبدو أن مؤرخي الطب وخاصة القدماء اختلفوا في سنة وفاته فيذكر القفطي أنه توفي قريبا من سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢م حسب ما ذكره القاضي صاعد بن الحسن الأندلسي، وذكر ابن شيراز في تاريخه أنه توفي سنة ٣٦٤هـ/٩٧٤م.



الرازي (٨٧٤-٩٣٠م)
رسم متخيل للطبيب الرازي
(اعلام ومفكرون ، الاكاديمية الاسلامية للعلوم ، عمان الأردن ٢٠٠٠ ط٢)



الرازي (٨٧٤-٩٣٠م)

ويذكر ابن أبي أصيبعة نقلاً عن أبي الخير الحسن بن سوار بن بابا وكان قريب العهد منه أن الرازي توفي في سنة ألف ومائتين وتسعين أو ثلاثمائة وكسر، وينقل أيضاً عن خط بلمظفر بن معرف أن الرازي توفي سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م[١].

ولكن يبدو أن الأكثر دقة هو ما ذكره أبو الريحان البيروني (٣٦٢ - ٤٤٣هـ/ ٩٧٣ - ١٠٥١م) في أن ولادة الرازي كانت سنة ٢٥١هـ / ٨٦٥م وأنه توفي سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م[٢].

وقد ولد الرازي في الري جنوبي طهران ونسب إليها على غير قياس، حيث كانت تدعى راز على اسم الملك راز الذي شيدها مع أخيه[٣].

وقبل أن يدخل بغداد وله من العمر نيف وثلاثون سنة لا نعرف كثيراً عن الرازي، فذكر ابن أبي أصيبعة أنه "كان من صغره مشتهياً للعلوم العقلية مشتغلا بها وبعلم الأدب، ويقول الشعر، أما صناعة الطب فإنما تعلمها وقد كبر وكان المعلم في ذلك علي بن ربَّن الطبري" [٤].

ويبدو أن ابن أبي أصيبعة أخطأ في قوله أن الرازي تعلم على علي بن ربَّن الطبري لأن الطبري توفي قبل ولادة الرازي (٢٥٠هـ/٨٦٤م) بعدة سنوات (توفي الطبري حوالي ٢٤٧هـ / ٨٦١م) إضافة إلى أن الرازي تعلم الطب وقد كبر.

ويذكر ابن أبي أصيبعة أنه "قيل أن الرازي كان في أول أمره صيرفيا(جامع الضرائب)"، ومما يحقق ذلك أني وجدت نسخة من المنصوري قديمة قد سقط آخرها واحترق أكثرها من عتقها، وهي مترجمة بذلك الخط على هذا المثال : كناش المنصوري، تأليف محمد بن زكريا الرازي الصيرفي، وأخبرني من هي عنده أنها خط الرازي"[٥].

ويذكر القفطي أن الرازي "كان في ابتداء أمره يضرب بالعود ثم ترك ذلك وأقبل على تعلم الفلسفة فنال منها كثيراً وألَّف كتباً كثيرة أكثرها في صناعة الطب وسائرها في ضروب من المعارف الطبيعية والإلهية"[٦].

وقد ألَّف الرازي نحو مائتي كتاب نصفها يتصل بالطب وأثارت دهشة أطباء الغرب وترجمت إلى لغات أوروبية، وظلت المعتمد لمدارس أوروبا عن البحوث الطبية مدة طويلة.

---

١ القفطي ١٧٨؛ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص٣٥٠

٢ د. سامي حمارنه، بين العبادي والرازي، للموسم الثقافي الثالث لمجمع اللغة العربية الاردني،١٩٨٥ ص١٢٨

٣ أبو بكر الرازي وأثره في الطب، مقال د. كمال السامرائي، التعريف بأبي بكر الرازي، جامعة بغداد مطبعة العمال المركزية ١٩٨٨ ص٩ و١٠

٤ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص٣٤٣

٥ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص٣٥٠

٦ القفطي ١٧٨

وبعد أن أتم الرازي دراساته الطبية في بغداد، عاد إلى مدينة الري بدعوة من حاكمها منصور بن اسحق ليتولى إدارة بيمارستان الري.. واشتهر الرازي في الري، ثم انتقل منها ثانية إلى بغداد ليتولى رئاسة البيمارستان المعتضدي الجديد الذي أنشأه الخليفة المعتضد بالله.

وكان الرازي عالماً موسوعياً تمكن من مختلف الفنون، لكن شهرته في الطب غلبت على علومه، فلقب بجالينوس العرب، واشتهر كموسيقي وعازف العود.

ويعدّ الرازي أول من أظهر أهمية الطب السريري والنفساني وكتب عنهما باستفاضة وعن اختبار، في الإسلام[1].

وأدرك عدد من الأطباء العرب والمسلمين فائدة الموسيقى في شفاء الأمراض، حيث أن الرازي نفسه كان موسيقياً قبل أن يصبح طبيباً، وقيل أنه كان يعزف ألحاناً ينام لها السامعون.

ويقول الطبيب أبو علي يحيى بن جزلة (من مواليد بغداد ١٠٧٤م):"والموسيقى من الأدوات النافعة في حفظ الصحة وردِّها، استعملها الأطباء في شفاء الأبدان المريضة، فموقع الألحان من النفوس السقيمة موقع الأدوية في الأبدان المريضة، والأطباء يستعملونه في تخفيف الآلام على مثال ما يستعمله الحمَّالون لتخفيف الأثقال"[2].

وتفرد المستشرقة "المستعربة" الألمانية زيغريد هونكه في كتابها المشهور "شمس العرب تسطع على الغرب" فصلاً خاصاً للرازي بعنوان أحد أعظم أطباء الإنسانية إطلاقاً، وتقول فيه "قبل ٦٠٠ عام كان لكلية الطب الباريسية أصغر مكتبة في العالم، لا تحتوي إلا على مؤلَّف واحد وهذا المؤلف كان لعربي كبير.

وكان هذا الأثر العظيم ذا قيمة كبيرة بدليل أن ملك المسيحية الشهير لويس الحادي عشر اضطر لدفع اثني عشر ماركاً من الفضة ومئة "تالر" من الذهب الخاص لقاء استعارته هذا الكنز الغالي، رغبة منه في أن ينسخ له أطباؤه نسخة يرجعون إليها إذا ما هدد مرضٌ أو داءٌ صحته وصحة عائلته.

وظل هذا المرجع الأساسي في أوروبا لمدة تزيد على الأربعمائة عام بعد ذلك التاريخ، دون أن يزاحمه مزاحم أو تؤثر فيه أو في مكانته مخطوطة من المخطوطات الهزيلة التي دأب في صياغتها كهنة الأديرة قاطبة.. إنه كتاب الحاوي في الطب للرازي [3].

وتضيف هونكه: "وكان يزرع في نفوس تلاميذه الفضيلة وحسن الأخلاق مؤكداً لهم قدسية مهنة الطبيب محارباً قولاً وعملاً كل أنواع الشعوذة في أي مكان كانت وفي أي صورة ظهرت، وأصبح هذا الفتى اليافع الذي طالما شنَّف الآذان بصوته

---

١ د. سامي حمارنه، الصناعة الطبية في العصر الإسلامي الذهبي، عالم الفكر، الكويت المجلد العاشر، العدد الثاني، آب - ايلول ١٩٧٩ ص ٥٨٧

٢ د. عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم - ودور العلماء العرب في تقدمه، دار المعارف بمصر، ط٤، ١٩٧١، ص١٣٤

٣ زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، دار الآفاق، بيروت ط٦ ١٩٨١ ص ٢٤٤

البديع وعزفه الجميل طبيباً عظيم الشأن وصديقاً الملوك والأمراء وحبيب الشعب وأباً للفقراء الذين كان يهبهم بعد العلاج مالا، في الوقت الذي كان يعـيش فيـه شخصياً في تواضع وبساطة لا مثيل لها"[١].

وقد حارب الرازي الشعوذة في الصناعة وهاجم جهلاء المتطببين الذين كانـت غالبيتهم تعمل على ابتزاز أموال المساكين والبسطاء وقد حاول رفـع مسـتوى التعليم الطبي برفع مستوى مزاولي المهنة علمياً وأخلاقياً، ففي كتابـه "المرشـد" شارحاً ومنتقداً "فصول أبقراط" مبدياً آراء أصيلة في تجارب الطبيـب وأهميـة علاقته مع مرضاه وتقدمه المعرفة واعتباره كل مريض كفرد مستقل عن سواه له شخصيته وتدبيره الخاص الذي ينفرد به بالنسبة لتاريخه وعاداته وبيئتـه، تلـك الأمور التي طالما يغفلها ممارسو المهنة في عصرنا الحاضر[٢].

وقد حقق الرازي في مؤلفاته الطبية الكثيرة نضجاً واكتمالا كبيرين، فميَّز الطب العربي بخصائصه الفنية واصطلاحاته ومناهجه التعليمية والتطبيقية، وكون مادة جديدة بصهره علوم الإغريق الطبية مع الثقافات والتجارب في بوتقته.

وأكد الرازي في كتاباته ومحاضراته على الأطباء أن يبدوا اهتمـامهم بالتـاريخ المرضي، كما يقال لهم من قِبَل المريض وكان الرازي على دراية بفهم الطبيعة البشرية.

وكان يؤكد على العلاقة الطبية بين الطبيب والمريض وكان ينصـح المرضـى بعدم التغيير من طبيب لآخر إلا عند الحاجة، لأن في ذلك مضيعة للصحة والمال والوقت، وكان يشجع الاستشارات الطبية بين الأطباء، ولعل أشهر مـن تنـاول موضوع الصرع هو الرازي الذي كان الأسبق زمناً وحكمة في هذا الموضوع، فقد تناول الرازي موضوع الصرع في فصل طويـل فـي موسـوعته الطبيـة الحاوي، وأورد فيه كل ما توافر له من مساهمات من سبقوه أو عاصـروه مـن الأطباء حول هذا الموضوع.

وزاد على ذلك الكثير مما يصح اعتباره طفرة في تاريخ العلوم الطبية، والتي لم يسبقه إليها أحد، وظل قصب السبق له حتى يومنا هذا، ولعل أوضح دلالة علـى ذلك ما جاء في فاتحة الباب السابع من الجـزء الأول مـن موسـوعته الطبيـة (الحاوي الكبير) وذلك في الفصل الموسوم "في الصرع والكابوس وأمّ الصـبيان والفزع من النوم" والتي يقول فيها (الصرع تشنج يعرض في جميع البدن إلا أنه ليس بدائم لأن علته تنقضي سريعاً، وما ينال فيه الأعضاء التي في الرأس مـن جميع الجسد من المضرة يدل على أن تولد العلة إنما هي من الدماغ)[٣].

---

١ هونكه، شمس العرب ص٢٤٦

٢ د. سامي حمارنه، الصناعة الطبية في عصر الاسلام الذهبي، مرجع سابق، ص٥٨٧

٣ الحاوي ج١ ص١١٧

وألف الرازي كتاباً أسماه "طب الفقراء" اشتهر بين الناس، وهو قاموس طبي شعبي، فيه وصف كل الأمراض وظواهرها وطرق علاجها ووسائلها الموجودة في كل مكان وفي كل بيت.

كما ألف كتاباً أسماه "برء الساعة" بطلب من الوزير أبي القاسم عبد الله بعد أن زعم الأطباء في حضرته أن علاج الأمراض يدوم طويلا، فرد عليهم الرازي بأنه يستطيع علاج الكثير من الأمراض في ساعة واحدة، وأنهم لم يقولوا ما قالوه إلا رغبة منهم في الربح المادي واستنزاف أموال المرضى[1].

ويتضح تواضع الرازي في حياته من كلماته في كتاب السيرة الفلسفية حيث يقول: "ولا ظهر مني على شره في جمع المال وإسراف فيه، ولا على منازعات الناس ومخاصمتهم وظلمهم، بل المعلوم مني ضد ذلك كله والتجافي عن كثير من حقوقي، أما حالتي في مطعمي ومشربي ولهوي فقد يعلم من يكثر مشاهدة ذلك مني أني لم أتعدَّ إلى طرف الإفراط، وكذلك في سائر أحوالي مما يشاهده هذا من ملبس أو مركوب أو خادم أو جارية"[2].

وقد كان الرازي أول من فكر بمعالجة المرضى الذين لا أمل في شفائهم واهتم بهم كل الاهتمام، عكس أبقراط الذي دعا إلى الابتعاد عن معالجة الأشخاص الذين لا أمل في شفائهم، فكان للرازي هذا السبق الإنساني الكبير، إذ طالب الطبيب بأن يوهم مريضه بالصحة ويرجيه بها، ويسعى دوما إلى بث روح الأمل وقوة الحياة في نفسه مهما كانت حالته.

وكان الرازي المثال الحي والقدوة المثلى للأطباء لدى معالجتهم مرضى الأعصاب والذين لا رجاء في شفائهم بإنسانية رائعة، أما في أوروبا وحتى القرن التاسع عشر، فلقد ظل المريض الذي يعاني في قواه العقلية يعامل كمجرم فيسجن ويعذب ويهان .

وفي عهد العرب في إسبانيا كان هناك أكثر من مستشفى للأبرياء كما كانوا يسمونهم .

أما في أوروبا فقد كان أمثال هؤلاء يوضعون في سجون مظلمة، وقد قيدت أيديهم وأرجلهم ويسلم أمرهم إلى رجال أفظاظ لا يعرفون إلا لغة الضرب والتعذيب [3].

وفي موسوعته الطبية "الحاوي" يعالج الرازي الأمراض من هامة الرأس حتى أخمص القدمين واصفاً الأسباب والعلاقات وطرق التشخيص والمعالجة، يورد آراء من سبقه من المؤلفين القدماء والمحدثين حتى عصره، ثم يعطي رأيه .

---

١ زيغريد هونكه، مرجع سابق ص ٢٥٠

٢ د. ألبير زكي إسكندر، دراسة تحليلية لمؤلفات الرازي وابن سينا المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢ ص٢٤٣

٣ زيغريد هونكه، مرجع سابق ص ٢٥٤

وعلى الرغم من شدة الاحترام التي أكنها الرازي وغيره من الأطباء لجالينوس، إلا أنه تجرأ ونقد آراءه فيقول في مقدمة كتابه "الشكوك على جالينوس": "إني لأعلم أن كثيراً من الناس يستجهلونني في تأليف هذا الكتاب وكثيراً منهم يلوموني ويعنفوني. إلى مناقضة رجل مثل جالينوس في جلالته ومعرفته وتقدمه في جميع أجزاء الفلسفة ومكانته منها، وأجد أنا لذلك – يعلم الله – مضضاً في نفسي، إذ كنت قد بليت بمقابلة من هو اعظم الخلق علي منة وأكثرهم لي منفعة، وبه اهتديت وأثره اقتفيت ومن بحره استقيت".

ثم يتكلم الرازي كعالم ناقد فيقول: "لكن صناعة الطب كالفلسفة لا تحتمل التسليم للرؤساء والقبول منهم ولا مساهلتهم وترك الاستقصاء عليهم، ولا الفيلسوف يحب ذلك من تلاميذه والمتعلمين منه"، ويستشهد بقول ينسب إلى أرسطو "اختلف الحق وأفلاطون وكلاهما لنا صديق، إلا أن الحق أصدق من أفلاطون"[١].

ويمتدح ابن أبي أصيبعة كتاب الحاوي للرازي ويقول: إنه من أجل كتبه وأعظمها في صناعة الطب، وذلك أنه جمع فيه كل ما وجده متفرقاً في ذكر الأمراض ومداواتها من سائر الكتب الطبية للمتقدمين، ومن أتى بعدهم إلى زمانه، ونسب كل شيء نقله فيه إلى قائله[٢].

وكان كتاب الحاوي أشهر كتب الرازي وكان من الكتب التسعة التي تتألف منها مكتبة الكلية الطبية في جامعة باريس عام ١٣٩٤ [٣].

وكان "الحاوي" أول كتاب كبير موسوعي طبي يطبع في عالم الطباعة، وذلك في مدينة البندقية بإيطاليا عام ١٤٨٣م، ثم طبع عام ١٤٨٦ في برسكيا وأعيد طبعه تكرارا حتى القرن التاسع عشر[٤].

وتخليداً لمساهمة الرازي في العلوم الطبية خصصت جامعة برنستون الأمريكية أفخم جناح في أجمل بناء فيها لمآثر الطبيب الفيلسوف أبي بكر الرازي، كما أنشأت بجانبه دارا لتدريس العلوم العربية ونقل آثارها المخطوطة إلى اللغة الإنجليزية.

---

١ د. البير زكي إسكندر، دراسة تحليلية ..، مرجع سابق ص ٢٤٧

٢ عيون الأنباء، مرجع سابق ج٢ ص ٣٥٢

٣ قصة الحضارة، ول ديورانت، ج١٣ ص ١٩١

٤ د. سامي حمارنه، بين العبادي والرازي، محاضرة بالموسم الثقافي الثالث لمجمع اللغة العربية الأردني ١٩٨٥، ص ١٤٨

كما وضعت صورة طولية للرازي مصنوعة من الزجاج الملوَّن في مطبعتها مكتوب عليها بالعربية "بسم الله الرحمن الرحيم. كتاب الحاوي" وأسفل الصورة اسم الرازي[1].

كان الرازي عالما بالكيمياء، ويعتبر أول طبيب عربي جرب تأثير الزئبق وأملاحه على القرود .. وذكر بأن الزئبق النقي مزعج جداً ويسبب ألماً شديداً في البطن، ويذكر بأنه أعطى الزئبق لقرد كان عنده فرآه ملتوياً على نفسه واضعاً يديه على بطنه وهو يصك أسنانه .. ويذكر أن الحقن بالزئبق – الحقن الشرجية – يسبب الشلل[2].

ويقول إن أعراض شرب الزئبق العبيط [3] كما ذكرها بعض القدماء هي احتباس البول وثقل اللسان وورم في البدن[4].

أما الزئبق المعروف باسم السليماني أو المصعد الكاوي[5] فإنه قاتل رديء، وإذا ما صب منه في الأذن فيعرض منه وجع شديد واختلاط في العقل وتشنج، وينقل عن رجل من الأطباء أنه شاهد من حدث به ذلك صرع ثم سكتة، وكذلك يفعل الزنجفر[6].[7]

ويذكر العالم الفرنسي غوستاف لوبون "إن كتب الرازي وخاصة الحاوي وابن سينا كانت تدرس في جامعات أوروبا حتى القرن السابع عشر ومنها جامعة لوفان، كما ثبت في برنامج التدريس في تلك الجامعة الذي وضع سنة ١٦١٧"[8].

وكان الرازي طبيباً سريرياً، وأجرى عدة تجارب على مرضاه منها أنه قسم مرضاه إلى مجموعتين لمعرفة تأثير الفصد على مرضى السرسام، وعالج إحدى المجموعتين بالفصد وترك الأخرى ثم راقب النتائج وقرر في ضوئها العلاج .. ومما يثير إعجابنا استخدامه لهذه الطريقة قبل أحد عشر قرناً[9].

---

١ The Genius of Arab Civilization , op.cit .p ١٩٤

٢ أبو بكر الرازي وأثره في الطب، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ومركز إحياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد،١٩٨٨، مقال للدكتورة عليا رشيد عزه (الحاوي)

٣ الزئبق المعدني بحالته الطبيعية

٤ المنصوري في الطب ص ٣٦٨

٥ ويعرف كيميائيا باسم ثاني كلور الزئبق، وهو شديد السُمية للإنسان

٦ كبريت الزئبق الأحمر

٧ المرجع السابق ص ٣٦٩

٨ حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، ط٣ القاهرة ١٩٥٦، ص ٤٨٦

٩ أبو بكر الرازي وأثره في الطبالعربي، مرجع سابق ص ٥٤

ويقسم الرازي الصرع إلى ثلاثة أصناف حسب مسبباته ويقول "الصرع ثلاثة أصناف؛ إما أن يكون الخلط الفاعل له مُستَكِنًا في الدماغ، وإما أن يكون بمشاركة المعدة وإما أن يكون صعوده من عضو ما من أعضاء البدن [1].[2]

وألمح الرازي إلى المرحلة التي تسبق النوبة الصرعية والتي تسمى اليوم "الإنذار" أو النسمة Aura – ويقول "قد يحس بعض المصروعين شيئاً كالروح البارد يصعد من بعض أعضائه إما من اليد وإما من الرجل وإما من عضو آخر حتى يبلغ الرأس ثم يَخِرُّون، والشد فوق العضو الذي منه يصعد نافع لذلك[3].

وحول الشفاء من الصرع يقول "من أصابه الصرع قبل إنبات الشعر في العانة فإنه يحدث له انتقال وقت إنباته، ومن أصابه وقد أتى عليه من السن خمس وعشرون سنة فإنه يموت وهو به "أي انه من الممكن شفاء الصبيان من الصرع عند بلوغهم، أما الكبار فلا أمل بشفائهم منه[4].

وجاء الرازي بنظرية جديدة عن الحمى إذ قال "إنها ليست مرضاً بحد ذاته وإنما هي عرض تدل على مرض وهي نتيجة رد فعل البدن، إذ إن الطبيعة تحاول التغلب على المرض وإنها علامة حسنة" [5].

وكان الرازي يستخدم "الحمى" في التفريق بين الأمراض عند التشخيص، فمثلا فرق بين الإغماء الناتج عن اضطراب مزاج الدماغ والإغماء الناتج عن ورم داخله ويقول إن الإغماء موجود في الاثنين، وإن الورم الدماغي مصحوب بحمى وأحياناً باختلال في قابلية التخيل[6].

وهناك حالات ذكرها الرازي عن مرضى راقدين في المارستان الذي يعمل فيه، مصابين بداء الكلب، قال عن أحدهم إنه كان ينبح بالليل ثم مات، وكان الآخر إذا رأى الماء ارتعد واقشعر وانتقض حتى ينحى عنه [7].[8]

وذكر حالة امرأة راجعته قال عنها "إنها تجوع ولا تشبع ويعرض لها لذع في المعدة وصداع، فسقيتها أيارج فأسهلها حَيَّاتٍ طِوالاً، الواحدة اثنا عشر ذراعاً

---

١ ج١ ص١١٨

٢ الحاوي في الطب، الرازي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية–حيدر إباد الدكن، الهند ١٩٥٥ ط١

٣ الحاوي ج١ ص١١٨

٤ أبو بكر الرازي وأثره في الطب، مرجع سابق، ص ١٢٢

٥ الحاوي ج١٨ ص١٣٣

٦ هذا مثال للتشخيص التفريقي Diff Diagnosis الذي مارسه الرازي

٧ الحاوي ج١٩ ص٤١٦

٨ وهذه الأعراض صحيحة في نظر الطب الحديث، حيث يصاب المريض بداء الكلب بتشنج في حنجرته، كما تعتريه حالة الخوف من الماء وهو عرض مميز لداء الكلب وسببه الاختلال العصبي الحادث عنده. (أبو بكر الرازي وأثره في الطب، مرجع سابق، مقال للدكتور عادل البكري)

وأكثر، فسكنت عنها تلك الشهوة المفرطة، وعلمت أن ذلك كان من اجل امتصاص تلك الحيّات كل ما كانت تأكله [1]. [2]

يتفق العديد من مؤرخي الطب أن الرازي كان أول من فصل بين طب الأطفال والأمراض النسائية وجعله يأخذ شكلاً مستقلاً عندما ألّف رسالته في طب الأطفال في حدود سنة ٩٠٠م[3].

وفي رسالته في طب الأطفال يتحدث الرازي عن استسقاء الدماغ الداخلي Hydrocephalus وأنه يحدث عن الارتشاح المصلي أو الدموي، عند حديثه عن كبر الرأس. واستطاع أيضاً التفريق بين الصرع الناتج عن سبب وراثي والصرع العرضي.

ويذكر حالة طفل أصيب بمرض الكزاز نتيجة حدوث تقيح في فتحة جرح ضيقة في عضده ويقول "كان صبي أصابه نخس في العضل من عضده، فوضع عليه الطبيب دواء امتحنه في جراحات أخرى فتشنج الغلام ومات، لأن جراحته لم تكن واسعة لكن كانت نخسة، ويجب أن تعني بالنخسة الضيقة أن يكون الجرح أبداً مفتوحاً ليكون الصديد يسيل بعضه ويحلل البعض"[4].

وذكر الرازي في الحاوي عدداً من الحالات السريرية .. ومنها قوله "رأيت امرأة كان فكها الأسفل يصك الأعلى دائما ويرجع ثم يصك، وضبطت عليه بقوة لئلا يرجع فلم يمكن ذلك، وكان بطنها ينتفخ حتى يكاد ينشق، أمر عجيب جداً، وكان ذلك بدء تشنج رطب، ثم تم ذلك واصطكت الأسنان ولم تفتح وماتت"[5].

وعند المعالجة كان الرازي يصف الدواء حسب عمر المريض وحالته النفسية وشدة مرضه.

وكان الرازي مؤمناً باستمرار التقدم في البحوث الطبية، ولا يتم ذلك على حد قوله إلا بدراسة كتب الأوائل كما جاء في كتابه "المنصوري في الطب" فهذه الصناعة لا تمكن الإنسان الواحد إذا لم يحتذ فيها على مثال مَنْ تَقَدَّمه أن يلحق فيها كثيرَ شيءٍ ولو أفنى جميع عمره فيها، لأن مقدارها أطول من مقدار عمر الإنسان بكثير [6].

ويضيف نقلاً عن جالينوس "وليس يمنع مَنْ عُنِيَ في أي زمان كان أن يصير أفضل من أبقراط"[7].

---

١ الحاوي ج١ ص٩١

٢ والحالة هذه هي الدودة الوحيدة التي قد يصل طولها إلى ستة امتار، وهي تسبب فقر الدم الذي أحدث الصداع عند هذه المرأة

٣ د. محمود الحاج قاسم، مقال الامومة والطفولة عند الرازي في كتاب أبو بكر الرازي واثره في الطب مرجع سابق ص١١٢

٤ الحاوي ج١٢ ص١٦٤

٥ الحاوي ج١ ص١٦٢ (وهذه الحالة وصف لمرض الكزاز)

٦ الرازي، المنصوري في الطب، مرجع سابق، ص ٢٣٥

٧ د. البير زكي إسكندر، دراسة تحليلية لمؤلفات الرازي وابن سينا المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢ ص٢٤٣

ومن تجارب الرازي التي أجراها لمعرفة أثر الفصد كعلاج للسرسام قسم مرضاه إلى مجموعتين عالج إحداها بالفصد وامتنع عن فصد الأخرى، وراقب المجموعتين ليصل إلى حكم في نتيجة العلاج .

ويقول "فأني قد خلصت جماعة به (بالفصد) وتركت متعمداً جماعة فسرسموا[1] كلهم" [2].

وذكر الرازي في كتاب الحاوي في معرض التحدث عن علاج الماليخوليا – وهو مرض في تعريف الأطباء القدامى يشمل حالات مرضية مختلفة منها الفصام والاكتئاب في مفهومنا الحديث – ويقول : "وفي باب الصرع علاج عجيب لمرض المالينخوليا"، وهو بذلك قد أدرك العلاج بالاختلاج الكهربائي قبل ألف سنة من اكتشافه الفعلي في هذا القرن [3].

وقد ترك لنا الرازي بالإضافة لكتب الطب كتباً في الفلسفة والرياضيات والفلك والكيمياء، ولم يتم الاهتداء إلى كتابه في الكيمياء "كتاب فن الكيمياء" إلا في السنوات القليلة الماضية في مكتبة أحد الأمراء الهنود [4].

وحول الخنازير [5] يقول الرازي في ذلك "الخنازير تكون في الصبيان أكثر منها في سائر الإنسان"، ويشير إلى أن الغدد الدرنية تتصل اتصالا وثيقاً بالأنسجة التي حولها وتتغور فيها، كما وأنه يصف طريقة الفحص المعروفة الآن بالتموُّح Fluctuation وكيف يميز بها محتويات الخنازير والخراجات المختلفة[6].

وحول درن (سلّ) الفقرات: يقول الرازي في الحاوي "مَنْ أصابته حدبة من ربو أو سعال قبل نبات العانة يهلك لأن كل من تصيبه حدبة بلا ضربة ولا سقطة ولا سبب ظاهر إنما يكون ذلك لخراج داخل يجذب خرز الصلب، وهذا الخراج متى كان من خلط غليظ غاية الغلظ لا ينضج البتة، فإنه يقتل على هذه الجهة، فإنه إذا حدث في هذا الوقت مَنَعَ الصدر أن يتسع ويبلغ مقدار ما يحتاج إليه الرئة والقلبُ في التنشق فيقتل بضيق النفس وإن نضج رغم أنه وقت سيلانه يقتل صاحبه[7].

---

١ أصابهم السرسام

٢ د. عبد العزيز اللبدي، حول الجراحة عند العرب، مجلة بلسم، إذار ١٩٩٢، العدد ٢٠١، قبرص ص٦ قلا عن د. جلال محمد موسى، منهج البحث العلمي عند العرب، دار الكتاب اللبناني – بيروت

٣ د. علي كمال ود. وليد سرحان، مآثر الحضارة العربية الاسلامية في الطب النفساني، المجلة العربية للطب النفسي، عمان – المجلد الأول العدد١ – تشرين الثاني ١٩٨٩ ص٦٠

٤ نور حسين شودري، فضائل الطب الاسلامي، المؤتمر العالمي الأول عن الطب الاسلامي، الكويت ١٩٨١، ط٢ ص١٢٩

٥ تورم العقد المقيمة في الرقبة

٦ د. محمود الحاج قاسم، جراحة الأطفال عند العرب والمسلمين، مرجع سابق ص٢٢٩ نقلا عن : طب الرازي – دراسة تحليلية، د. محمد كامل حسين ود. محمد العقبي، دار الشروق، القاهرة – بيروت ص٣٩٤

٧ الرازي / الحاوي ج١١ ص٨٨،٨٧

لو أننا نقلنا هذه الفقرة إلى لغة الطب الحديث لظهر لنا ما فيها من معلومات صحيحة رائعة فهي تقرر أن درن الفقرات متى كان في الصبيان فانه يقتل، وتقرر أيضاً أن الحدبة التي ليس لها سبب ظاهر تكون من خراج داخلي بارد يسمى تجبناً وهذا لا يبرأ البتة، وزاد على ذلك أنه إذا سال الصديد من الخراج البارد إنه يقتل صاحبه، ولا شك بأن الطب الحديث تمكن من القضاء على هذا المرض اليوم بفضل علاجات التدرن[١].

وكان الرازي أول من فرَّق بين العصب الحنجري والعصبى الراجع Recurrent nerve[٢].

١ د. محمد كامل حسين، طب الرازي، مرجع سابق ص٣٩١

٢ الحكيم محمد سعيد، وكمال محمد حبيب في بحثهما "ما أضافه المسلمون إلى مؤلفات التشريح في شبه القارة الهندية الباكستانية، أبحاث المؤتمر العالمي الثاني عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨٢ العدد الثاني ص٣٢٠

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله | 132

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

مقالة الحكيم أبو بكر محمد بن زكريا

الرازي في محنة صناعة الطب رحمه الله

قال أبو [illegible] في تقاسيم العلل من الغرض إلى الغرض من الكنانيش
والمقالات على حسب الوقت وحال السؤال ما فيه بلاغ وكفاية وبلغنا في الكتاب
الجامع وفي كتاب [illegible] عن بعض الصناعتين أعني الفلسفة والطب وبإجماع
أكثر العقول [illegible] النهاية التي [illegible] البشر بلوغها رغبة في نفع الناس وتسهيلا للمتعلمين
وتنكيبا عن [illegible] الأوائل [illegible] بالأمراض وتعميتهم مكان المنافع وشاهدنا
على الترغيب في كتابنا الكبير في العلم الإلهي وكتابنا في النفس وكتابنا في شرح
الصناعة وفي [illegible] والأغذية وفي دفع مضار [illegible] الأوائل وتسهيل
ذلك وتلخيصه وتقريبه [illegible] فيه [illegible] راجيا ثواب الله عز وجل
وهو عوننا فيما [illegible] قال أبو بكر [illegible] على ذي عقل
أن [illegible] صناعة [illegible] من آثار الرياضة والتعليمية باطنا
وكلام [illegible] النواميس الموروثة [illegible] النفوس واعتاد [illegible]
الطبائع [illegible] يحمله الخلف عن السلف [illegible] العام والخاص
ضنانة بالباطن [illegible] على ظهوره إلى غير أهله [illegible]
أكثر [illegible] العلم [illegible] ذلك على [illegible]
الأيام [illegible] معاشا ومكسبا [illegible] ذلك [illegible]
مقالتي [illegible] صناعة الطب [illegible]
والتجارب التي استنبطت عن الحكماء [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

صورة عن مخطوطة لمقالة الرازي في صناعة الطب
(من مقتنيات الخزانة الحسينية بالمكتبة الملكية في الرباط)

الحاوي في الطب للرازي[1]

يذكر الرازي أنواع الأعصاب، فمنها عصب الحس وعصب الحركة والأعصاب المشتركة، فإن استرخى عضو عولج منبت العصب الذي يتصل به.

وفعل العصب يبطل إما ببتره في العرض أو رضّة أو سدة أو لورم يحدث فيه أو لبرد شديد يصيبه، ويقول "إن الورم والسدة والبرد قد يمكن أن يرجع فعله[2] إذا ارتفعت علله، وإن حدث قطع بشكل عرضي في نصف العصب استرخت الأعضاء التي في تلك الناحية، وإن شق العصب بالطول لم ينل الأعضاء ضرر البتة".

ويؤكد عدم شفاء قطع العصب فلا حيلة فيه..

وعند بطلان حس عضو أو حركة إلى اصل العصب الجائي[3] إليها فإن كان قد برد فأسخِنْهُ بالضمادات وإن كان قد وَرِم فاجعل عليه الأدوية المحلّلة[4].[5]

ويؤكد على أن البرد يؤذي العصب ويضرب مثالاً لما قد يعرض للعضل الذي على الشرج من جلوس الإنسان على حجر بارد شديد البرد أو قيام في الماء البارد فيخرج منه البول والبراز بلا إرادة.

وقد يحدث العكس ويحدث حصر البول والغائط إذا سقط الإنسان من موضع عال على ظهره أو ضرب عليه[6].

والخدر يحدث عن البرد ويجلب على الأعضاء التي يكون فيها عسر الحس والحركة، والبرودة التامة تجلب عليها بطلان الحس والحركة، فإن أزمن الخدر وطال أدى إلى الاسترخاء[7].

وفي الحالة التالية التي يوردها الرازي عن جالينوس وربما شاهد الرازي حالة شبيهة بها، يتبين أن الرازي عرف العصب الراجع إلى أعلى تجاه الحنجرة والذي ينبت من العصب الحائر، وعرف أن أعصاب اليد تجيء من الفقرات السفلى للعنق[8] ويقول "وسقط رجل عن دابة فصك صلبه الأرض فلما كان في اليوم الثالث ضعف صوته، وفي الرابع انقطع البتة واسترخت رجلاه ولم تنل

---

١ سنعتمد على نسخة الكتاب المطبوع في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر أباد الدكن –الهند ١٩٥٥ ط١

٢ فعل العصب المعطوب

٣ أي الوارد

٤ كان يقصد بالورم: الالتهاب

٥ الحاوي ج١ ص٣

٦ ج١ ص٤

٧ ج١ ص٥

٨ من النخاع الرقبي

يديه آفة ولا بطل نفسه ولا عَسُرَ أيضاً، وذلك واجب لأن ما كان من النخاع أسفل العنق كان قد وَرِم[1] فاسترخى لذلك العضل الذي بين الأضلاع فبقي التنفس للعضو دون الصوت لأنه يكون بالحجاب، إما النفخة التي هي مادة الصوت فبطلت لأنها تكون بالعضل الذي فيما بين الأضلاع فأراد الأطباء أن يضعوا على رجليه أدوية – لجهلهم كما يقول – فمنعتهم وقصدت أنا الموضع الذي وقعت به السقطة[2] فلما سكن الوَرَم[3] الذي في النخاع في اليوم السابع[4] عاد صوته واستوت رجلاه[5].

في الحالة السابقة يتبين تماماً أن الرازي لم يفعل كما فعل الأطباء الذين وصفهم بالجهل، فأرادوا وضع الأدوية على رجليه لأنه عرف أن استرخاء رجليه هو أحد الأعراض الناتجة عن السقطة، وليس المرض نفسه، ولذلك أراد علاج السبب لا العرض فقصد علاج المكان الذي حدثت به السقطة وبدأ بعلاج الالتهاب الذي أصاب النخاع، وبعد أسبوع استوت رجلا الرجل.

وفي الحالة التالية يعرض الرازي حالة شبيهة فيعالج أصل العصب الملتهب الذي أذهب حس الخنصر والبنصر ونصف الوسطى، وانه كان يعلم ذلك من التشريح.

ويذكر "حالة رجل سقط عن دابته فذهب حس الخنصر والبنصر ونصف الوسطى من يده، فلما علمت أنه سقط على آخر فقار الرقبة علمت أن مخرج العصب الذي بعد الفقرة السابعة أصابها ورم في أول مخرجها، لأني كنت أعلم من التشريح أن الجزء الأسفل من أجزاء العصبة الأخيرة من العصب النابت من العنق يصير إلى الإصبعين الخنصر والبنصر ويتفرق من الجلد المحيط بهما وفي النصف من جلد الوسطى"[6].[7]

ويذكر حالة رجل كان به جراحة في أليتيه فانكشف عنه في العلاج اللحم فلما برئ بقيت رجله عسرة الحركة فعلمنا بالحدس انه بقي من الورم [8] الذي كان به بقية في تلك الأعضاء فوضعنا عليه أدوية محللة فبرأ [9].

يتبين من الحالة السابقة أن الرازي حدس مصيبا بوجود التهاب في الجرح كان سبب عسر حركة رجله فعالج الالتهاب، ويمكن أن نفهم من الحالة نفسها ان الرازي لم يجر تلك الجراحة بل أن طبيباً آخر أجراها.

---

١ التهب

٢ أي أنه بدأ بعلاج الالتهاب في الموضع الذي وقعت به السقطة

٣ الالتهاب .

٤ أي أن العلاج استمر سبعة أيام

٥ ج١ ص٥

٦ ج١ ص٥

٧ كما وردت الحالة نفسها عن جالينوس في ابن أبي أصيبعة، ج١ ص١٢٣

٨ الالتهاب

٩ ج١ ص٧

ومن خبرته في حالات شبيهة بهذه الحالة ينصح الرازي أنه "إذا وقع الاسترخاء بعقب مرض" فعلى الطبيب أن يقصد إسخان تلك المواضع التي هي منابت تلك الأعصاب فإن فيها أخلاطاً باردةً، وبعد علاجها إذا لم ترجع الحركة لذلك العضو فإن العصب انبتر فلا تشتغل به [1] وان كانت في العضو حركة ما وتراه يقبل على الأيام[2] فاعلم أن فيه ورماً [3] فضع عليه الأدوية المحلّلة والمليّنة[4].

ويؤكد الرازي على أن البرد شديد الضرر بالأعصاب والعلاج يكون بالضد أي بالأدوية المسخنة ويذكر حالة "رجل كان يصيد السمك في نهر فبردت منه المواضع التي تلي دبره ومثانته حتى إن برازه وبوله كانا يخرجان بغير إرادة، فبرأ من علته سريعاً بأدوية مسخّنة وضعناها على العضل الذي كانت به العلة وإذا كان العصب الذي العلة به غائراً كان أبطأ للإنجاح[5] واحتاج إلى أدوية أقوى"[6].

في الحالة السابقة يتبين أن الرازي عرف الأعصاب الخارجة من العجز والمغذية لعضلات المثانة والشرج، وإن البرودة التي لحقت هذه الأعصاب فأضرتها كانت السبب في عدم تحكم الرجل ببوله وبرازه فكانا يخرجان بغير إرادته.

وينقل عن قسطا (بن لوقا) في الخدر قوله إن "إفراط الخدر يكون في الأعضاء التي لها حس لأنها تحدث ذهاب الحس ويحدث عن الامتلاء الشديد في جملة البدن، لأن ذلك يضطر العصب إلى أن ينضغط كالحال فيمن يتكئ على عضو ما، والحال في الشد والرباط، وعند البرد الشديد يصيب العضو فاستدل على العارض من اجل امتلاء العصب فقط بأن يكون العصب ضعيفاً في الأصل ويكون صاحبه قد أكثر الماء البارد والنوم والحِمَّام والجماع بعد الغذاء، فإن هذا التدبير يجمع في العصب فضلاً كثيراً، ويتحقق ذلك بأن يخف الخدر بعد الاستفراغ وتقليل الغذاء"[7].

وينقل عن (كتاب) العلل والأعراض (لجالينوس) أن "أجود العصب وأقواه أجفه، فلا يزال يزداد جودة ما جفَّ حتى يبلغ أن يتشنج" وفيما يؤكد الرازي ذلك يقول: "رأيت ضعاف الأعصاب أصحاب الأمزاج الرطبة"[8].

ويذكر قصة "رجل ابتل رأسه بالمطر وبرد برداً شديداً فذهب حس جلدة رأسه وكان الأطباء يسخنون جلدة رأسه، فلعلمي بأن جلدة الرأس تقبل الحس من أربعة

---

١ آنذاك كان قطع العصب لا يبرأ

٢ يتحسن مع مرور الزمن

٣ التهاباً

٤ ج١ ص٧

٥ للشفاء

٦ ج١ ص٧

٧ ج١ ص٤٢

٨ ج١ ص٣٤

أعصاب تخرج من الفقرة الأولى من فقرات الصلب، داويت تلك المواضع فبرئ"[1].

وهذا يعني أنه كان يعرف أن هناك أربعة أعصاب تنبت من الفقرة الأولى في العنق مسؤولة عن الحس في جلدة الرأس.

كما أن غيره من الأطباء عالج العرض أما هو فعالج السبب[2] في هذه الحالة وفي غيرها، حيث يذكر أنه "متى استرخى عضو من الأعضاء فضع الأدوية على منبت عصبه، فإنا قد شفينا قوماً قد استرخت أرجلهم قليلاً بأدوية وضعناها على (عظم) القطن فبرئوا من غير أن نضع على الرجلين شيئاً البتة"[3].

وينقل عن ابن ماسويه: أن إدمان التعريق والتمريخ .. جيد لوجع العصب واسترخائه [4].

وعن روفس : إدمان الحمّام والتمرخ بدهن السوسن ودهن النرجس جيد لوجع العصب واسترخائه[5].

ويذكر قصة رجل عولج من خنازير[6] يتولد في العنق وتحت الآذنين. فقطع العصب الراجع إلى فوق من جانب فبطل نصف صوته وآخر انكشف اللحم عنه (أي العصب) وهو الزوج السادس الذي هو موضوع عند شريانَيْ السبات فضعف صوته حتى وضعت عليه أدوية مسخّنة فبرئ[7].

ونفهم من ذلك انه عرف أن العصب الراجع هو الذي يحدث الصوت[8].

ويقول الرازي إنه "متى رأيت عضواً ما قد نالته آفة في جانب من البدن كيَدٍ واحدةٍ أو أذن واحدة أو عين واحدة في حسه أو حركته فاعلم أن الآفة في مبدأ تلك العضلة في الجانب الذي ينبت منه، فأما متى كان في الشِقّين جميعا فالآفة في جملة الموضع الذي ينبت منه ذلك الزوج [9].

ويميز الرازي بين الأعصاب والأربطة والأوتار ويقول: "أما الأربطة فإنها تحتمل من المداواة ما هو أشد تجفيفاً وأقوى من الأعصاب، لأنها لا تتصل

١ ج١ ص٧

٢ أي العصب

٣ ج١ ص٦

٤ ج١ ص٤٣

٥ ج١ ص٤٦

٦ التهاب العقد اللمفية الرقبية السلّي scrofula

٧ ج١ ص٨

٨ أنظر الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، محمد الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ج٢ ط١ ١٩٨٨ ص٣١٢

٩ ج١ ص٨

بالدماغ ولأنها عديمة الحس، وأما الأوتار فقد يحدث بسببها تشنج عـن طريـق مشاركتها للعصب لأن جوهرها مركب من عصب ورباط"[1].

"والأربطة المدورة تشبه الأعصاب في خلقتها ولكنها أصلب كثيراً من العصـب مَجَسًّا، فقطع العصب الراجع إلى فوق من جانب فبطل نصـف صـوته وآخـر انكشف اللحم عنه (أي العصب) وهو الزوج السادس الذي هو موضـوع عنـد شرياني السبات فضعف صوته حتى وضعت عليه أدوية مسخنة فبرئ"[2].[3]

وأما الأربطة العريضة فمن طريق عرضها قد يعرفها أكثر الأطبـاء ويجهلهـا البعض، والعارف بخلقة هذه ووصفها يعرف بسهولة هل المجروح عصـبة أو رباط أو وتر"[4].

ويقول: "فإن كانت العصبة قُطِعَتْ قطعاً فليس منها خوف البتـة إلا أنّ سـكون العضو الذي كان يتحرك بتلك العصبة يزمن ولا يُخاف من هذا وجـع ولا ورم ولا غيره"[5].

في الفقرة السابقة يشير الرازي إن قطع العصب يؤدي فقط إلـى عـدم حركـة الجزء الذي كان يتحرك بتلك الحركة، وليس للقطع مضاعفات مستقبلية، ومـن المعروف حديثاً إن تهتك الأعصاب الجزئي يُحدث آلاماً شديدة.

ويقول إنه "إذا أصاب العصب نخسة فلا بد أن يناله وجع شديد وأنـه لا بـد أن يرم[6] إن لم يُحَلّلْ في تسكين الوجع ومنع حدوث الورم، لذلك رأيت أن الصواب في أن استنقي وأشقه خوف الالتحام ليخرج منه ما يرشح من موضع النخسة من الصديد.. لذلك أجتلب أدوية غرضي منها تسكين الوجع وتفتح الطريـق الـذي يجري فيه الصديد"[7].

هذا إجراء سليم، فقد حرص الأطباء القدامى على ترك منفذ ليخرج الصديد قبل التئام الجرح.

وعند حدوث جروح ينكشف عنها لعصب يقول الرازي: إنه ينبغي أولاً غسـلها وغسل ما يدخل في مداواة العصب وعدم وضع الأدوية القوية عليها "وذلك لأن العصبة بسبب أنها مكشوفة لا تتحمل قوة الأدوية كما كانت تحتملها عندما كـان بينها وبينه (الدواء) الجلد"[8].

---

١ ج١٣ ص١٥

٢ ج١ ص٨

٣ ونفهم من ذلك انه عرف ان العصب الراجع هو الذي يحدث الصوت

٤ ج١٣ ص١٦

٥ ج١٣ ص١٥

٦ يلتهب

٧ ج١٣ ص٨

٨ ج١٣ ص١٢

وفي علاج العصبة التي أصابها نخس طولي يقول: إنه من "الأجـود فـي هـذا الموضع أن تعجن نورة[1] مغسولة بزيت كثير فتعالجها به[2].

---

١ حجر الكلس وتُطلق غالباً على أخلاط من أملاح وزرنيخ

٢ ج١٣ ص١٢

السكتة

وحول السكتة ينقل عن جالينوس تعريفها بأنها "هي أن يعدم البدن كله بغتة الحس والحركة خلا حركة التنفس وحدها، فإنْ عدمها فذاك أعظم وأدهى مـا يكـون منها"[1].

"والسكتة تحدث من انصباب دم كثير بغتة إلى الدماغ، ومن يخاف عليه السـكتة فبادر بفصده في الربيع قبل وقوعه فيها"[2].

"والسكتة أيضاً من امتلاء العروق والشرايين"[3].

والدم الكثير هو ارتفاع ضغط الدم الذي هو أصل انصباب الدم فـي الـدماغ، وكانت طريقتهم في الوقاية هي الفصد.

وينقل عن أبقراط قوله في كتاب الفصول "السكتة إذا كانت قوية لم يبرأ صاحبها وإن كانت ضعيفة لم يسهل برؤه"[4].

أي أن عسرة التنفس هي السبيل في التفريق بين درجات السـكتة وخطورتهـا. فيقول جالينوس "ومتى كان صاحب السكتة يتنفس لكن باستكراه شـديد فسـكتته قوية، ومتى كان يتنفس بلا جهد ولا استكراه فسكتته أنقص من الأولى ومتى كان صاحبها يتنفس بانتظام فسكتته ضعيفة فإن عنيت بها فعليك أن تبرئه"[5].

وينقل عن أبقراط من كتاب تقدمه المعرفة والإنذار قوله إن "استمساك الصـوت مع الاسترخاء رديء، ومن اختلج جسده كله فإنه يسكت ويموت، ومن فلج بعض أعضائه فما دام لم يدق [6] دقة شديدة فإنه يبرؤ".

ويؤيد قول أبقراط في كتاب الفصول إن الزَّبَد في المسكوت علامة سيئة ويقـول "على ما رأيت من أُسكِتَ فأزَّبَد لم يتخلص" .. وينبغي أن ينظر في كثرة الزَّبَـد وقلته وطول مدته، فإنه إذا كان قليلا أمكن أن يتخلص كما أنـه قـد يـتخلص المخنوق إذا كان أزَّبَد قليلاً[7].

وينقل عن بولس قوله "المُسكَتُ يكون ملقىً على ظهره ويكون وجهه في بعـض الأوقات تعلوه حمرة، ومن كانت علته سهلة ابتلع الشيء الرطب إذا صُـبَّ فـي حلقه، وإذا كانت صعبة لم يسغه وخرج من الأنف ويكونون مستلقين لا صـوت لهم ولا حركة ولا حس ولا حُمّى بهم، واشده أعسر تنفساً، ويعرض مـن بلغـم كثير بارد يملأ بطون الدماغ أو دم، ويتقدمه وجع في الرأس حاد وانتفاخ الأوداج

---

١ ج١ ص١٤

٢ ج١ ص١٦

٣ ج١ ص١٣

٤ ج١ ص١٤

٥ ج١ ص١٤

٦ ينحل ويضعف

٧ ج١ ص٣٤

وظلمة البصر ودوار وبريق وبرد في الأطراف واختلاج في البدن كلـه وثقـل الحركة ورص الأسنان في النوم .. وإذا عرض لشاب وفي وقت صائف كـان عظيماً جداً، وفي الأقل يبرأ، بأن يؤول إلى فالج، فمن رُجِيَ منهم فابدأ بفصـده لا سيَّما إن كان وجهه احمر واحقنه بحقن قوية، وإن عرضت بعد أكل طعام أو تخمة فقَيِّئْهُ ثم جَوِّعْهُ يومين وامرخ بطنه بالدهانات الحارة بعد الغسـل بالميـاه الحارة اللطيفة والتدليك، وإن عرض بسكران فغَذِّه بعد انحلال خُمـاره بغـذاء رطب، ورطِّب رأسه بالدهانات الموافقة لذلك، فإن كان صيفاً فاجعل الـدهانات باردة، وان كان شتاءً فتكون فاترة، فإن لم ينحل خُمَارُه البتة ولم يفق فايئس مـن برئه[1].

وبالجملة ينبغي أن يفصد من رُجِيَ منهم[2] ويفتح الفم بالقهر ويدخل فيه ريشة قد لُوثت بدهن سوسن حتى القيء، وإذا خفّ قليلاً غرغروا وعطسوا وإن دام بهـم فقد الصوت وثابت القوة فضع المحاجم على القفا والنقرة بشرط وعلى مـا دون الشراسيف ثم ليحركوا في أرجوحة واستعمل العطوس والغَرُور[3] دائماً[4].

ويتعجَّب الرازي "أن عضل الصدر يتحرك في السكتة وإن كان باستكراه على أن سائر العضل لا يتحرك البتة ولا قليلاً من الحركة.. ولذلك تجد في أكثر الحالات أصحاب السكتة يتحرك منهم جميع عضل الصدر كما يتحـرك فـي الرياضـة الشديدة"[5].

وفي علاج "العلل الباردة من العصب" يقول الرازي "الشراب الناري المر العتيق إذا سُقِيَ صرفاً على قليل من الغذاء نِعْمَ العون على حلِّ هذه العلل"[6].

وينقل عن أبقراط في كتاب الفصول أن من عرض له وهو صحيح وجع بغتة في رأسه ثم أُسْكِتَ على المكان[7] وعرض له غطيط فإنه يهلك في سَبْع ليـالٍ إلا أن يحدث به حُمَّى[8] فإن لم يحدث كان الموت إلى سبع ليال[9].

ويناقش الرازي بجرأة آراء جالينوس ويخالفه في سبب الفالج وفي شرح السكتة، ولا يقبل قوله في أن الفالج يكون من إصابة نصف الـدماغ، ويـرفض تعليـل جالينوس في سبب الفالج ويقول إن الآفة تكون في شعب الأعصاب الخارجة من النخاع.

---

١ ج١ ص٢١،٢٢

٢ للمأمول بشفائه

٣ الغرغرة

٤ ج١ ص٢٢،٢٣

٥ ج١ ص١٥

٦ ج١ ص١٥

٧ أصابته سكتة مفاجئة

٨ تُحَلِّل السكتة

٩ ج١ ص١٦

وينقل الرازي عن جالينوس قوله "إذا حدثت الآفة في البطن المؤخَّر من الدماغ فإنه إن حدث في نصفه أحدث فالجاً، وإن حدث في كله أحدث سكتة".

ويرى الرازي "مما يحتاج إلى تجويز العلة في الفالج أن النصف من الدماغ لا من التجويف يكون قد فسد مزاجه فتكون تلك الأعصاب والنخاع النابتة منه مؤوفة"[1].

ويضيف : وإننا إذا رأينا الفالج في شقّ واحد والوجه صحيحاً لا قلبة به نقض هذا القول، ومن الشنيع أن يكون نصف النخاع بالطول عليلاً، فبقي أن تكون منابت العصب بها العلة واليها ينبغي أن يكون القصد في العلاج، ومن البديع أيضاً أن يعتل ابتداء منبت عصب اليد والرجل في حالة واحدة[2].[3]

ويؤكد الرازي أن النخاع نفسه مُثَنَّى [4]وإن كان ذلك لا يتبين بالتشريح، ويخالف جالينوس في علة السكتة بأنها تحدث "إذا امتلأ جزآ الدماغ عند مبدأ النخاع" ويقول الرازي "وجملة أن الأمر كله مُعَلَّق إما بأن الدماغ مثنى وفيه أيضاً شك كيف تحدث الآفة ببطن الدماغ ويبقى الآخر، وكذلك الحال في النخاع، أو لا تكون الآفة تحدث في جرم الدماغ نفسه وفيه شك أيضاً فليبحث عن ذلك بحثاً شافياً في البحوث الطبيعية"[5].[6]

وحول التهاب الدماغ الحاد يقول الرازي "إذا دام بأصحاب قرانيطس أعني ورم الدماغ وصحبه الثقل في الرأس والرقبة وعرض مع ذلك تشنج وقيء زنجاري مات منهم الكثير على المكان، وكثير بعد يوم أو يومين لفضل قوتهم"[7].

ويقول "من عظيم دلائل السرسام اعوجاج العين وتصريف الأسنان وكثرة طرف العين والحَوَل"[8].

وينقل الرازي عن الطبري قوله في علامات الفالج وهي "صداع شديد بغتة وتمدد الأوداج وأشعة أمام العين وبرد الأطراف ويختلج البدن كله ويثقل حركته وتصرّ – تصوت – أسنانه في النوم"[9].[10]

"إذا مالت الخرزة إلى جانب فإنه في بعضها يعرض للعصب ان ينضغط فيوجب الاسترخاء وفي بعضها لا.. لذلك متى انفتل خرز العنق تمدد العصب في الجانب

---

١ بها آفة

٢ اي في وقت واحد

٣ ج١ ص٩

٤ في تجاويفه وبطونه

٥ ج١ ص١٠،١١

٦ أي أنه يطلب مزيدا من البحث في علة السكتة

٧ ج١ ص٢١٨

٨ ج١ ص١٥٠

٩ ج١ ص١٩

١٠ ورأي الطبري موجود حرفيا في كتابه فردوس الحكمة، ص ١٩٦

الذي إليه انفتل وانطوى فيحدث في هذا الجانب فالج، لأن عصب اليد يجيء من العنق لا يجاوز هذا الفالج اليد"[١].

وفي علاج الفالج يقول الرازي "أبْلَـغُ علاجه الجوع والاستفراغ والسهر والحركة"[٢].

وينقل عن ابن ماسويه إن "الحمى إذا ثارت فيهم (في المفلوجين) نفعتهم جيداً لأنها تسخن العصب"[٣].

ويقول "قد رأيت قوماً أسكِتُوا [٤]بعقب اللّقوَة ومات بعضهم منه، وتخلص بعضهم منه بفالج، ولذلك ينبغي أن تجيد النظر فإن رأيت معها كدراً في الحواس وثقلاً في البدن والحركات فبادر إلى استفراغ قوي، وإن رأيت البدن بحالة طيبة فاعلم أن العلة في ذلك العضو وحده، والبدن نقي وأنه لا يبدو سوء أكثر من ذلك"[٥].

وهذا يعني أن الرازي فرّق بين نوعين من اللّقوَة، تلك التي تضر وتعطل والأخرى التي لا تعطل.

ومن أسباب الصرع يقول الرازي "قد يكون ضرب من الصرع عن الحيّات في البدن[٦] وعلامته لذع شديد في البطن قبل ذلك وسيلان كثير وسقوط ديدان"[٧].

"الزّبَد في الصرع يكون من شدة الحركة، وفي السكتة من شدة الاستكراه"[٨].

"والزّبَد[٩] كلما كان أكثر فإن العلة أصعب وأردأ كثيراً مما يقل فيه الزّبَد، وأما ما لم يكن فيه زّبَد البتة فإنه خفيف"[١٠].

ويفرّق الرازي بين الكزاز والتشنج حيث يقول "هذا فرق بين الكزاز والتشنج فاجعل الكزاز جمود العضلة لامتدادها نحو رأسها وإذا كان كذلك لم يحس فيها صلابة التشنج عند رأس العضلة"[١١].

ويروي الرازي حالة شاهدها وهي "كان برجل وجع في الرأس دائم، وكان إذا بدأ يأكل لا يهيج به فأمره بعض الأطباء أن يأكل على الريق سفرجلاً ونحوه مما

---

١ ج١ ص١٢
٢ ج١ ص٣٠
٣ ج١ ص٤٢
٤ أصابتهم السكتة
٥ ج١ ص١٠٦
٦ الديدان
٧ ج١ ص١٤٨
٨ ج١ ص١٢٠
٩ في الصرع
١٠ ج١ ص١٤١
١١ ج١ ص١٥٦

يقوي فم المعدة فسكن ذلك منه (فعلمنا) أن في فم معدته خلطاً يؤذيه ويؤلم الرأس بمشاركته وإذا قويت سلم من ذلك"[١].

هذه إحدى حالات الصداع بالاشتراك يتحدث عنها الرازي.

وينقل عن جالينوس قوله "السكتة قد تكون من ورم في الدماغ وينبغي أن يطلب علامته" وهنا يقول الرازي "وأحسب أن علامته أن لا تكون بغتة ويكون قبله شيء من علامات قرانيطس"[٢].

أي إن الرازي يقول إذا كان سبب السكتة ورم[٣] في الدماغ فلا تكون السكتة بغتة بل تسبقها علامات تدل على الالتهاب كعلامات مرض قرانيطسPhrenitis[٤].

كما ينقل عن جالينوس سبباً آخر للسكتة "تكون من قبول عروق الدماغ لدم كثير ينصب إليه، فاستدِلَّ على هذا النوع من السكتة بامتلاء الوجه والعين واحمرارهما ثم بادِرْ بالفصد في هذا النوع"[٥].

يقصد بذلك ما نسميه اليوم ارتفاع ضغط الدم وكان شائعاً عندهم العلاج بالفصد.

ويقول الرازي "على ما رأيت من أُسكِتَ فأزْبَد لم يتخلص" وينبغي أن ينظر في كثرة الزَّبَد وقلته وطول مدته فإنه إذا كان قليلاً أمكن أن يتخلص[٦].

والسكتة إما أن لا تبرأ أو تبرأ بأن تؤول إلى الفالج فإذا كان معه غطيط فهو صعب، وإذا تنفس بلا غطيط فأمره أسهل[٧].

---

١ ج١ ص٢٦٤

٢ ج١ ص٣٥

٣ أي التهاب

٤ وهو التهاب الدماغ الحاد Encephalitis

٥ ج١ ص٣٥

٦ ج١ ص٣٤

٧ ج١ ص٣٣

وينقل عن جالينوس[1] أنه "قد ترى التشنج يعرض في الشفتين وفي العينين وجلدة الجبهة وجملة الجفن، كما يعرض ذلك في أصل اللسان والعصب الجائي إلى هذه من الدماغ فيعلم عند ذلك أن الآفة حالّة بالدماغ".
ويقول الرازي: هذا (هذه) هي اللّقوَة بعينها.
وقد تَحْدُثُ في الأمراض الحارَّة لقوَة، وذلك عند قرب الموت كنقصان إحدى العينين وتعوجّ الشفة.. ويعرض الاسترخاء في نصف الوجه فيميل ويتعوّج الجانب الذي حدث به الاسترخاء إلى الجانب الآخر منه، وقد علمنا أن الأعضاء التي في الوجه يأتيها العصب من الدماغ[2].
وينقل عن جالينوس في كتاب إبيذيميا قوله إن "الذين عرض لهم الخوانيق من ورم (التهاب) في عضل الرقبة أصابهم لقوة أو فالج بلغ إلى اليدين لأن العصب الذي يجيء إلى العنق واليد يجيء من فقار الرقبة" .
ويميِّز الرازي بين اللّقوَة التشنجية والاسترخائية ويقول أنه "إذا رأيت عضل الصدغ والخد والجبهة صلبا كزازا فإنها تشنجية".
ويقول "الوجع يفرق بينهما فإنه ليس مع الاسترخاء وجع"[3].
ويقول أنه "إذا جاوزت اللّقوَة ستة أشهر لم يكد يبرأ" ومع ذلك يروي عن مشايخ رآهم زعموا انهم حدثت بهم (اللّقوَة) منذ ثلاثين سنة أو أقل أو أكثر ولم يَنَلْهُمْ منها سوء البتة .. وقوماً فُلجوا بعد حدوثها بزمان ليس بالطويل، ومنهم الغسَّال المرتعاني[4][5].
ويقول الرازي أنه قد رأى قوماً أُسكِتُوا (أصابتهم سكتة) بعقب اللّقوَة ومات بعضهم منها وتخلص بعضهم منها بفالج[6].
وينقل عن شمعون قوله إنه إذا وجد وجع في عظام الوجه والخدر وجلد الوجه فإن اللّقوَة ستعرض له فحذِّره أن يصيب البرد وجهه[7].
ويقول الرازي إن اللّقوَة قد تحدث في الجانبين، ويقول "رأيت رجلاً احتجم وأطال الجوع حدثت له اللقوة ولم يتعوج منها فمه لكن عسر عليه إطباق إحدى عينيه

١ من كتاب الأعضاء الآلمة
٢ ج١ ص١٠٣
٣ ج١ ص١١٦
٤ شخص يبدو انه معروف
٥ ج١ ص١٠٥
٦ ج١ ص١٠٦
٧ ج١ ص١٠٨

ولم يمكنه إطباق الثانية بتة، وكان ينصب الماء من فيه (فمه) إذا أخذه، وإنما لم يتبين في وجهه عوج لأن العلة كانت في الجانبين جميعا"[1].

ويؤكد الرازي عدم خطورة اللّقوَة على الحواس ويقول "ليس لصاحب اللّقوَة فقد البصر ولا السمع ولا حس وجهه غليظ فضلاً عن أن يكون متعطلاً فليست عليه أذى من الدماغ"[2].

---

١ ج ١ص١١٠

٢ ج١ ص١١١

الصرع

ينقل الرازي عن جالينوس[1] تعريفه للصرع وأنه "تشنج يعرض في جميع البدن إلا أنه ليس بدائم لأن علته تنقضي سريعا وما ينال فيه الأعضاء التي في الرأس مع جميع الجسد من المضرة يدل على أن تولد العلة إنما هي في الدماغ"[2].

وينقل من كتاب العلامات (لأبقراط) "علامات المتهيئ للصرع يعرض قبل ذلك ثقل في الرأس ووجع وصداع شديد وبطء في الحركات واحتباس في البطن واختلاج فيه"[3]. كما ينقل من كتاب أبقراط في المرض الإلهي قوله "يكون هذا المرض من رطوبة تَبُلّ الدماغ ويكون ما أصابها هذا الداء إذا كشف دماغها وجد مبلولاً بالرطوبة"[4].

ويقول الرازي إن "الزَبَد في الصرع يكون من شدة الحركة، وفي السكتة من شدة الاستكراه"[5].

والزَبَد (في الصرع) كلما كان أكثر فإن العلة أصعب وأردأ كثيراً مما يقل فيه الزَبَد، وأما ما لم يكن فيه زَبَد البتة فإنه خفيف"[6].

وينقل عن أحد الأطباء قوله أن الزَبَد في الصرع يكون عند سكون النوبة[7].

كما ينقل عنه قوله أن الصرع ثلاثة أصناف وهي إما أن يكون الخِلْطُ الفاعل له مُستَكِنًا في الدماغ، وأما أن يكون بمشاركة المعدة وإما أن يكون صعوده من عضو ما من أعضاء البدن فإنه قد يحس بعض المصروعين شيئا كالروح البارد يصعد من بعض أعضائه أما من اليد وأما من الرجل وأما من عضو آخر حتى يبلغ إلى الرأس ثم يَخِرُّون، والشد نافع لذلك فوق العضو الذي منه.. ويدفع العلة[8].

وينقل عن الطبري قوله إن من المصروعين من يخرج منهم البول والبراز بلا إرادة[9].

---

١ من كتاب الأعضاء الآلمة

٢ ج١ ص١١٧

٣ ج١ ص١٢٤

٤ ج١ ص١٢٤

٥ ج١ ص١٢٠

٦ ج١ ص١٤١

٧ ج١ ص٣٨

٨ ج١ ص١١٩ – ج١ ص١٢٤

٩ ج١ ص١٢٩

وينقل عن كتاب إبيذيميا[1] قوله إن "الصبي الذي به الصرع يتخلص في أكثر الأمر في وقت الإنبات[2] إلا أن يتدبر تدبيراً رديئاً"[3].

كما ينقل عنه قوله "والصرع خاص بالصبيان" ولذلك سمي بالمرض الصبياني[4].

وينقل عن الطبري قوله إن الصرع إذا عرض للصبيان وقت الإدراك والنساء وقت الطمث أو بعد ذلك دام بهم إلا أن يعالجوا علاجاً قوياً، فإن عرض قبل ذلك فإنه يُرْجَى إقلاعه هذا الوقت[5].

ويقول أبقراط في كتاب الصرع أنه "إذا عرض للصبي في رأسه أو أذنيه وخده قروح وكثر لعابه ومخاطه كان أبعد من الصرع لأن دماغه ينقى من الرطوبات"[6].

ويوضح عن جالينوس خطورة المرض بقوله "واعرف مقدار عظم الصرع بيسر النفس وعسره وصولته ومقدار صغره بسهولة التنفس وعظمه"[7].

وينقل عن أبقراط في كتابه الفصول "من أصابه الصرع قبل إنبات الشعر في العانة فإنه يحدث له انتقال وقت إنباته لمن أصابه وقد أتى عليه من السن خمسة وعشرون سنة فإنه يموت وهو به"[8].

وينقل عن جالينوس قوله أنه ليس من كل مَنْ أصابته هذه العلة قبل الإنبات[9] يبرأ وقت الإنبات إلا أن يُعان في هذا الوقت خاصة بالأدوية والتدبير الجيد. وأما من عرض له وقد أتى عليه خمسة وعشرون سنة فإنه لا يكاد يبرأ في أكثر الأمر[10].

وعن مضاعفات الصرع ينقل عن جالينوس قوله أنه يؤول الأمر بصاحب الصرع في أكثر الأمر إلى الفالج[11].

---

١ الأمراض الوافدة لجالينوس

٢ إنبات شعر العانة

٣ ج١ ص١٢٥

٤ ج١ ص١٢٥

٥ ج١ ص١٣٠

٦ ج١ ص١٤٦

٧ ج١ ص١١٩

٨ ج١ ص١٢٠

٩ إنبات شعر العانة

١٠ ج١ ص١٢١

١١ ج١ ص١١٩

وينقل عن أحد الأطباء (اسكندر) قوله عن تدبير المصروع بأن يــدع الشــراب وخاصة الصرف والقوي منه وجميع الأرييح المنتنة والطيبة جداً، ولا يقعدوا في مكان فيه ريح ولا يشرفوا من موضع عال، ولا يجلس في الشــمس ولا يقــرب نارا[1].

ويقول[2] إن الجماع يضر بصاحب الصرع[3].

---

١ ج١ ص١٣٢

٢ عن جالينوس في كتاب الأمراض الوافدة (ابيذيميا)

٣ ج١ ص ١٢٥

الرعشة

وينقل عن جالينوس قوله: الشيوخ تسرع إليهم الرعشة من أدنى سبب ، وأما الشبان فتحدث الرعشة بمن كان منهم قد برد بدنه برداً شديداً، أو يكثر من الشراب الصرف، أو يتخم تخماً متوالية، ولا يستعمل الرياضة البتة، وقد تحدث الرعشة من شرب الماء البارد في غير وقته[1].

ويناقش الرازي سبب الرعشة ويقول إنه لو حدث الضعف في العضل لحدث استرخاء في ذلك العضو، لكن القوة لم تسقط البتة فتحاول رفع العضو إلى أعلى ويكون العضو بثقله الطبيعي يجاذبه إلى أسفل فتحدث عنه حركات متضادة (تؤدي إلى الرعشة)[2].

وينقل من كتاب "ابيذيميا" (الأمراض الوافدة) لجالينوس "أن الرعشة تكون من غلبة البرد على الحس العصبي من الأعضاء ، فلذلك يضره الفصد، ولا ينفع إلا مَنْ كان سبب رعشته احتقان دم كثير رديء في البدن كدم الحيض والبواسير"[3].

كما ينقل عنه قوله إن الجماع الكثير يورث الرعشة وكذلك الاستفراغ الذريع وجميع الأعراض التي تضعف القوة تورث الرعشة ، ويزيد الرازي عليه بقوله "هذه تزيد في الرعشة إذا كانت (موجودة) وتورثها إذا أزمنت"[4].

وينقل عنه كذلك قوله "قد تحدث الرعشة من سقوط القوة وذلك يحدث عن كثرة الاستفراغ والجوع والإعياء والباه المفرطين"[5].

وفي علاج الارتعاش ينقل عن فيلغريوس قوله "إنه إذا كان الارتعاش من غير علة معروفة فصدنا له عروقاً وأسهلناه ودلكنا الأعضاء التي ترعش دلكاً شديداً أو أمرناه بأن ينقع في الماء الكبريتي، والارتعاش من غلبة البرد عالجناه بالأشياء الحارة"[6].

---

١ ج١ ص١٣

٢ ج١ ص١٣

٣ ج١ ص١٧

٤ ج١ ص٤٩

٥ ج١ ص٣٦

٦ ج١ ص٤٨

وينقل الرازي عن كتاب إبيذيميا (الأمراض الوافدة لجالينوس) "أن الفصد ضار في الأكثر للارتعاش لأنه في الأكثر يكون من غلبة البرد على العصب ، وربما نفع في الندرة من كانت علته إنما أصابته من أجل دوام الامتلاء واحتباس شيء كان ينصب فيه"[1].

وإن أزمنت (الرعشة) فينقلوا إلى مواضع حارة وليدعوا الماء البارد والنبيذ[2].

---

١ ج١ ص٤٥

٢ ج١ ص٢٦

الصُّداع

وعن البيضة ينقل عن جالينوس في كتابه الأعضاء الآلمة قوله: "الصداع المسمى بيضة له نوائب عظيمة شديدة جدا حتى إن صاحبه لا يحتمل أن يسمع صوت شيء يفزع ولا كلاماً عظيماً ولا ضوءاً ساطعاً، واحب الأشياء إليه الاستلقاء في بيت مظلم، ويتمدد الوجع حتى يبلغ في كثير منهم إلى أصول العين، وهذا الوجع قد يكون في أغشية الدماغ وعلامته أن يبلغ إلى أصول العين، وقد يكون في الغشاء المُغَشّي على القحف خارجاً ولا يبلغ الوجع إلى أصول العين[1].

وقد يحدث الصداع عن سقطة أو ضربة أو ورم (التهاب) وينقل الرازي عن جالينوس قوله أنه "ينبغي أن يعلم أن هذا الضرب من الصداع إنما يكون عن ورم (التهاب)"[2].

ويقول الرازي إن الصداع قد يكون عن النزلة والزكام فعالج النزلة فإنه يسكن[3].

وينقل عن جالينوس في كتابه إبيذيميا (الأمراض الوافدة) إن الصداع قد يكون عن "ورم (التهاب) في الرحم في النفساء ويكون في اليافوخ".

وقد يكون الصداع بعقب الولادة والإسقاط وقلة النقاء من النفاس.

وينقل عن أحد الأطباء (الإسكندر) قوله إنه "إذا كان مع الصداع رعشة فاعلم أن في الدماغ ورماً".

---

١ ج١ ص٢٢٤

٢ ج١ ص٢٢٦

٣ ج١ ص٢٥٢

وينقل عن فيلغريوس قوله إن "الصداع العارض بعقب الانتباه من النوم يسكن من ساعته بالأكل، والصداع الحادث عن الشراب يعالج بالنوم".

وينقل عن أبقراط قوله في كتاب العلامات أنه "قد يعرض مــرات كثيــرة بسبب الصداع الشديد ذهاب الصوت"، ويقول الرازي إنه رأى ذلــك فــي جارية فساعة نُطِلَتْ خفَّ ما بها وكان عرض لها أن لم تتكلم البتة[1].[2]

وينقل الرازي عن الكندي قوله "إن دلك الرجل يذهب بثقل الرأس" ويقول الرازي نفسه "كان رجل به صداع فدلك رجله يوماً وليلة دائما فبرئ وهو للسرسام أيضاً غاية وللزكام والصرع"[3].

---

١ ج١ ص٢٥٨،٢٥٧

٢ على الأغلب أن ذهاب الصوت وعودته في الحالة السابقة لم يكن بسبب الصداع وإنما ترافقت هذه الأعراض مع الصداع فاعتقد أبقراط والرازي أن الصداع هو السبب

٣ ج١ ص٢٥٨

السرسام

يعرّف الرازي السرسام بأنه "ورم الدماغ"، وقرانيطس هو سرسام حاد خطر على رأي جالينوس، وليثرغس هو السرسام البارد[1].

ويضيف عن جالينوس في كتابه الأعضاء الآلمة أن "العلامات المنذرة بقرانيطس سهرٌ (أرق) أو نومٌ مضطرب متفزِّع وخيالات باطلة، حتى إنه ربما صاح ووثب ، ونسيان حتى يدعو بطست ليبول ثم يضرب عنه ، وجوابه مشوش مع بطلان جرأة وإقدام وتنفسهم عظيم متفاوت ، ونبضهم صغير صلب حتى إذا فتر فترت وقت الاختلاط تكون أعينهم جافة وتدمع آخرها دمعة حادة ، ويصير فيها رمص وتمتلئ عروقها دماً ويرعفون ويلتقطون زئبر الثياب وتشتد حُمَّاهم وخاصة في الانتهاء ويكون انحطاطها ليناً ساكناً ولسانهم خشنٌ بمرَّة"[2].

وينقل عن جالينوس (من كتابه تقدمة المعرفة) قوله "إن حمرة العين عرض غير مفارق للورم الحار (الالتهاب الحاد) في الدماغ"[3].

ويقول "من عظيم دلائل السرسام اعوجاج العين وتصريف الأسنان وكثرة طَرْف العين والحَوَل"[4].

والقرانيطس الخالصة تكون إذا كان الورم في غشاء الدماغ الغليظ، أو كان في الدماغ نفسه حرارة شديدة أفسدت مزاجه لأنه لا يمكن أن يكون في نفس الدماغ ورم (التهاب) وإذا كانت تلك الحرارة في جرم الدماغ والعروق التي فيه كانت الأعراض أشد وأصعب منها إذا كان في المنينجس Meninges ويكون الوجع إذا لمس الرأس أقل منه عند ورم المنينجس فإنه في هذه الحالة يوجع إذا مس الجمجمة[5].

وينقل (عن كتاب النبض لجالينوس) قوله "قرانيطس يحدث في غشاء الدماغ ولثرغس في نفس الدماغ" [6].

وينقل عن جالينوس من كتابه الأعضاء الآلمة قوله "كثير ممن تسخَّن رؤوسهم الشمس يختلطون" ويقول الرازي "والاختلاط منه ثابت لازم نحو الجنون الكائن عن علة محض الدماغ نفسه ومنه أعراض تابعة لأمراض، ولكثير ما يتبع الورم (الالتهاب) الحار في نواحي الدماغ مثل قرانيطس

---

١ ج١ ص٢١٩

٢ ج١ ص٢٢٠

٣ ج١ ص١٩٦

٤ ج١ ص١٥٠

٥ ج١ ص٢٠٨

٦ ج١ ص٢١٣

في منتهى الحميات المحرقة والغب الكثير الحرارة وعند ورم الحجاب ومع ذات الجنب وورم المثانة أو عند وجع شديد"[1].

وينقل عن أهرن (القس) قوله إنه قد يعرض في الدماغ ورم عظيم يسمى سفاقلوس، ويموت في الرابع فإن جاوزها نجا، وعلاماته علامات قرانيطس وعلاجه الفصد الحجامة وإسهال البطن[2].

ويضيف الرازي مرضاً غريباً شاهده بنفسه عدة مرات ويقول: قد يحدث مرض شبيه بقرانيطس إلا أنه لا حمّى معه ولا البدن حار، ومعه قلق شديد وتوثّب وضيق نفس وتقلب، حتى لا يستقر صاحبه البتة يثب من هنا إلى هنا ويتعلق بكل ما وجد ويروم التسلق على الحيطان ويدوم ذلك به، ويأتي من هذا أشياء صعبة ويعطش جداً ولا يشرب لأنه كلما يأخذ بالشرب يختنق لشدة حاجته إلى النَفَس ويمنعني أن أقول إنه ورم حار في الحجاب أنه لا حمّى معه ولا حمى في البدن، وإن شرب الماء تجرعه ثم لم يلبث أن يقذفه وهو زَبَدي، ولم أرَ أحداً أفلت منهم ويموت أكثرهم من يومه، فإن كانوا أقوياء ففي الرابع ، ولم أرَ علاجاً أنجع فيهم، وأكثرها نبضُهُ ذنب الفأر متراجع، ثم يصير عند الموت منقضيا، وأعينهم جامدة شديدة الانفتاح.. وأكثر كلامهم تخليط وحالهم كحال الملهوف في نظرهم وتنفسهم وحركاتهم .. ورأيت رجلاً هذه حاله يعدو ومات من ساعته[3].[4]

---

١ ج١ ص١٩٣

٢ ج١ ص٢٠٣

٣ ج١ ص٢١١

٤ تنطبق الأوصاف السابقة في الغالب على داء الكلب

وفي اللّقوَة يميز الرازي بين نوعين منها "التشنجي والاسترخائي" ويقول "الوجع يفرّق بينهما فإنه ليس مع الاسترخاء وجع".
وإذا رأيت عضل الصدغ والخد والجبهة صلباً كزّازاً فإنها تشنجية[١].
وإذا جاوزت اللّقوَة ستة أشهر لم تكد تبرأ، وقد رأيت مشايخاً – الأصح مشايخ – زعموا أنهم حدثت بهم منذ ثلاثين سنة أو أقل أو أكثر ولم يَنَلْهُمْ منها سوءٌ البتة، وقوماً فلجوا بعد حدوثها بزمان ليس بالطويل منهم الغسّال المرتعاني[٢].
ويقول "قد رأيت قوماً أُسْكِتُوا (أصابتهم السكتة) بعقب اللّقوَة، ومات بعضهم منه، وتخلص بعضهم منه بفالج. ولذلك ينبغي أن تجيد النظر، فإن رأيت معها كدراً في الحواس وثقلاً في البدن والحركات فبادر إلى استفراغ قوي، وإن رأيت البدن بحالة طيبة فاعلم أن العلة في ذلك العضو وحده والبدن نقي وأنه لا يبدو سوء أكثر من ذلك[٣].
وهذا يعني أن الرازي فرق بين نوعين من اللّقوَة؛ التي تضر وتعطل والأخرى التي لا تعطل.

علل العين الحادثة عن تشنج عضلها واسترخائه وإنهتاكه

قال: إن مال جملةُ العين إلى أسفل فاعلم أن العضل الذي كان يشيلها إلى فوق استرخى، إن مالت إلى فوق فاعلم أنه تشنج، وإن مالت إلى أحد المأقين[٤] فاعلم أنه تَشَنَّجَ العضلُ الذي يمدها إلى ذلك الجانب واسترخت المقابلة لها، فإن نتأت جملة العين بلا ضربة فإنه إن كان البصر باقيا فإن العضل الضابط لأصل العصبة امتد، وإن كان البصر قد تلف فإن العصبة النورية استرخت، وإن كان من ضربة وفقد معه البصر فإن العصبة انهتكت مع العضل الماسك، وإن كان البصر باقياً فاعلم أن العضلة انهتكت فقط .
وأما العضل الذي يحرك الجفن الأعلى فإنه إن تشنج لم ينطبق وحدثت شترة[٥] وإن استرخى لم يرتفع الجفن، وأما العضل الذي يجذبه إلى اسفل

---

١ ج١ ص١٠٣
٢ ج١ ص١٠٥
٣ ج١ ص١٠٦
٤ المأق : طرف العين من جهة الأنف حيث يكون مجرى الدمع
٥ انقلب جفن العين

فبالضدّ، وربما انطبق بعض الجفن ولم ينطبق بعض وذلك يكون إذا كـان بعض العضل عليلا وبعض لا[1].

والشترة على ثلاثة ضروب، أما إن يرتفع الجفن الأعلى حتى لا يغطي بياض العين، وذلك قد يكون بالطبع ويكون من خياطة الجفن (في حالة قطعه) على غير ما ينبغي، والضرب الثاني فيكون من قعر الأجفان بالطبع، والثالث بانقلاب الأجفان إلى خارج إما لقروح حدثت فيها فأحدثت آثاراً صلبة ولحما زائدا[2].

وحول علاج الشترة يقول الرازي "علاج الشترة وإن كان لقطع الأجفان فلا برء لها، وإن كانت لتشنج العضل فبإرخاء ذلك بالدهن والمروخ بدهن الخروع والحمام والترطيب" [3].

وينقل عن جالينوس في كتاب الأعضاء الآلمة أن العين تنتو إذا استرخت الثلاث عضلات التي من شأنها أن تثبتها وتضبطها وتحولّ، ويقول الرازي: إذا جذبتها العضلات الست إلى ناحية المأق والعضل التي تحرك العين ست، واحدة تحركها إلى فوق وأخرى إلى المأق الأصغر، والأخرى إلى الأكبر وعضلتان تديرانها إلى جميع النواحي ويحرك الجفن ثلاث عضلات، اثنتان تحركانه إلى اسفل وواحدة تجذبه إلى فوق، والحَول إذا كان إلى فوق أو إلى اسفل عرض أن يرى الشيء الواحد شيئين[4].

وينقل عن حنين (بن اسحق) قوله "تشنج العضل اللازمة لأصل العصب المجوّف لا يضر العين لأنها تعين على فعلها، واسترخاؤها تنتوء منه العين، فإذا رأيت العين قد نتأت فإن كان نتؤوها من غير ضربة وكان البصر باقياً فإن العصبة المجوفة امتدت من استرخاء العضل لها، وإن كان البصر قد تلف فإن العصبة النورية استرخت، وإن كان النتوء من ضربة فإن كان البصر باقياً فإن العضلة وحدها انهتكت، وإن كان البصر قد ذهب فإن العصبة أيضاً انهتكت"[5].

كما ينقل عن حنين بن اسحق قوله في العين عضل لازم لأصل العصب اللين وهو المجوف ، فإذا استرخى هذا جحظت جملة العين، وإن كان كذلك قليلاً أضرَّ بالبصر وإن كان كثيراً أتلفه لأن العصبة تمتد امتداداً كثيراً[6].

---

١ ج١ ص١٣٤

٢ ج١ ص١٤٩

٣ ج٢ ص١٣٥

٤ ج٢ ص١٦٦

٥ ج٢ ص١٦٦

٦ ج٢ ص١٦٧

وفي الجمود "قاطوخس" ينقل من إبيذيميا[1] قوله إن قاطوخس مثل السكتة والفرق بينه وبين السكتة أن أعينهم وأفواههم تبقى مفتوحة كأنهم نسوا إطباقها[2].

والفرق بين السبات والجمود والشخوص أو قاطوخس كما جاء في الكتاب "أن الآفة تنال من مؤخر الدماغ أكثر وتكون الأجفان مفتوحة (في الجمود) وفي السبات مغمضة"[3].

---

١ كتاب الأمراض الوافدة لجالينوس

٢ ج١ ص١٨٩، ١٨٨

٣ ج١ ص١٨٤

الفالج

ويقول "قد تشاجر الأطباء الطبيعيون وتشكلوا[١] في أمر الفالج والرعشة، وذلك أنهم ظنوا أنه لا يمكن أن يحدث في النخاع علة تقف عند نصفه إلا بالقطع فأما بالطبع فلا، وقالوا كيف تكون الرعشة في اليدين والرجلان سليمتان ونخاع اليد فوق نخاع الرجل وفي الكتب فيه أقاويل مضطربة"[٢].[٣]

ويناقش الرازي ما جاء في كتاب "الأعضاء الآلمة" لجالينوس: "إذا حدثت الآفة في البطن المؤخر من الدماغ فإنه إن حدث في نصفه أحدث فالجا وإن حدث في كله أحدث سكتة، ويقول الرازي "مما يحتاج إلى تجويز العلة في الفالج أن النصف من الدماغ لا من التجويف يكون قد فسد مزاجه فتكون تلك الأعصاب والنخاع النابتة منه مؤوفة"[٤].[٥]

ويضيف : إذا رأينا الفالج في شِقّ واحد والوجه صحيحاً لا قلبة به، نقض هذا القول (قول جالينوس) ذلك أنه من الشنيع أن يكون نصف النخاع بالطول عليلا، وهنا يورد الرازي رأيه ويقول في حل هذا الإشكال "فبقي أن تكون منابت العصب بها العلّة وإليها ينبغي أن يكون القصد بالعلاج"[٦].

وإذا صدف وحدث فالج في اليد والرجل في آن واحد وحتى لا يُعتَقَد أن العلة في نصف النخاع يقول الرازي: إن ذلك سببه "أن يعتل ابتداءً منبت عصب اليد والرجل في حالة واحدة، فلتحرر ذلك" [٧].

ويضيف إلى ما ذكره جالينوس انه "قد يمكن أن تعتلّ منابت أعصاب كثيرة معاً وهذا شيء غريب وبديع أيضا"[٨].[٩]

---

١ حدث بينهم اشكال

٢ ج١ ص٨

٣ في المسألة السابقة يتبين ان الرازي لم يقنع بأي من آراء الفريقين و لم يذكر رأيه في الموضوع

٤ مؤوفة : أي بها آفة

٥ ج١ ص٩

٦ ج١ ص٩

٧ ج١ ص٩

٨ هنا يبدي الرازي إعجابه بجالينوس، وسبب ذلك أنه إذا حدثت الآفة في شعب كثيرة من شعب العصب المتشعبة من النخاع فإنما يتبع ذلك استرخاء الأعضاء التي تجيئها تلك الأعصاب، فيخيل ان العلة حدثت طولياً في نصف النخاع

٩ ج١ ص١٠

وإذا حدث مع الفالج استرخاء في الوجه في الجانب[1] فاعلم أن الآفة في الدماغ وأما متى كانت أعضاء الوجه سليمة فالآفة في منشأ النخاع لأن الدماغ مُثَنَّى ولو كان واحداً وكانت الآفة فيه استرخى كلا جانبي الوجه[2].

وينقل الرازي عن الطبري قوله في علامات الفالج وهي "صداع شديد بغتة وتمدد الأوداج وشعاعات أمام العين وبرد الأطراف ويختلج البدن كله ويثقل حركته وتصرّ (تصوت) أسنانه في النوم"[3].[4]

وإذا مالت الخرزة إلى جانب فإنه في بعضها يعرض للعصب أن ينضغط فيوجب الاسترخاء وفي بعضها لا، لذلك متى انفتل خرز العنق تمدد العصب في الجانب الذي إليه انفتل وانطوى، فيحدث في هذا الجانب فالج، لأن عصب اليد يجيء من العنق لا يجاوز هذا الفالج اليد[5].

وينقل عن جالينوس من كتابه الأعضاء الآلمة قوله إنه (في الفالج) قد يمكن أن يذهب الحس وتبقى الحركة، وأن تذهب الحركة ويبقى الحس، وأن يذهبا جميعاً، وهو ما يسمى الفالج الكامل وهو ذهاب الحس والحركة من العضو البتة[6].

وتفسير ذلك أنه إذا "كان للعضو عصب حسي وعصب حركي، فربما حدثت الآفة بأحدهما، وإن كان عضوٌ عصبُ حسِّه وعصب حركته واحدة، فذهبت حركته وبقي حسه، فذاك لضعف حدث في عصبه فاحتاج للحركة إلى قوة منه كثيرة واكتفاء للحس بالقليل ولا يمكن في هذا أن يبطل الحس والحركة قائمة ثابتة"[7].

ويؤكد الرازي أن النخاع نفسه مُثَنَّى - في تجاويفه وبطونه - وإن كان ذلك لا يتبين بالتشريح[8].

ويخالف جالينوس في علة السكتة بأنها تحدث إذا امتلأ جزآ الدماغ عند مبدأ النخاع، ويقول الرازي "وجملة فإن الأمر كله معلق أما بأن الدماغ مثنى وفيه أيضاً شك كيف تحدث الآفة ببطن الدماغ ويبقى الآخر، وكذلك الحال

---

١ أي في جانب واحد

٢ ج١ ص١١

٣ ج١ ص١٩

٤ ورأي الطبري موجود حرفيا في كتابه "فردوس الحكمة" ص١٩٦

٥ ج١ ص١٢

٦ ج١ ص١٨،١٧

٧ ج١ ص١٨

٨ ج١ ص١٠

في النخاع، أو لا تكون الآفة تحدث في جرم الدماغ نفسه وفيه شك أيضاً فليُبحث عن ذلك بحثاً شافياً في البحوث الطبيعية"[1].

ويقول الرازي إنه إذا حدث الفالج من سقطة ونحوها فانظر فإن حدث تاماً[2] عقيب ضربة على المكان، فإن العصب قد انهتك، وإن حدث أولا فأول (أي تدريجيا) فاعلم أنه ورم (التهاب)[3].

وينقل عن روفس[4] قوله إنه كلما كانت العلة (الفالج) أبعد من الدماغ فهو أسلم ويكون الفالج من الامتلاء من البرد الشديد ومن الضربة والجراحة ومن حزن أو فرح بغتة، وأردؤها (أسباب الفالج) ما كان من ضربة لأنه يفسد العصب ولا تتبعه علامات تنذر، فأما الكائن من الأسباب الأخَر فينذر فيها الخدر والاختلاج والرعشة وثقل الحركات وكدر الحس وضعفه، وقد يفلج المعدة والأمعاء فلا يحتبس الثفل وكذلك المثانة والرحم، وقد يكون منه ضعف مع وجع، وهو عَسِرُ البرء في المشايخ، وكثيراً ما يعرض في المرطوبين والباردي المزاج والممتلئين، وإذا كان العضو المفلوج شديد الهُزال مصغاراً لا حس له فلا علاج له، وإن كان خصيا[5] قليلا ولونه لون البدن فعالجه، وإن حدث بعقب صرع أو سُكات فلا علاج له"[6].

وينقل عن أبقراط قوله في كتاب المفاصل "إنه ليس يصير إنسان بسبب زوال الخرز [7] إلى داخل مفلوجاً، فأما بسبب زوال إلى جانب فيكون فالجاً يبلغ اليدين ولا يتجاوز أكثر من ذلك".

وينقل أيضاً قول جالينوس "إنه إن مال الخرز إلى داخل ميلا لا يكون النخاع معه غير منطو منكس لكن كان ميله قليلاً لم يكن منه فالج وإن مال ميلاً يطوى فيه النخاع فإنه يكون فالج في جميع ما هو أسفل منه".

ويناقش الرازي ذلك ويشرحه بقوله إنه متى انفتل خرز العنق تمدَّد العصب في ذلك الجانب فيحدث فيه فالج، ولأن عصب اليد يجيء من العنق (لهذا) لا يتجاوز هذا الفالج اليد[8].

---

١ ج١ ص١١

٢ دفعة واحدة

٣ ج١ ص٣٨

٤ وهو طبيب يوناني

٥ ضعيفاً

٦ ج١ ص٣٩

٧ فقرات العمود الفقري

٨ ج١ ص١٢

وينقل عن أبقراط قوله "والأعضاء التي تفلج يكمد لونها"[١].
وأما الفالج الكائن من انخلاع بعض الفقرات وزوالها فإنه قاتل[٢].
وفي علاج الفالج ينقل عن جالينوس في كتاب الأدوية المفردة قوله "إنـي سقيت رجلاً كان بدنه قد برد غاية البرد شراباً عتيقاً حـاراً وأنقـذه مـن الموت"[٣].
وفي علاج الفالج يقول الرازي "أبلغ علاجه الجوع والاسـتفراغ والسـهر والحركة"[٤].
وينقل عن ابن ماسويه أن "الحمى إذا ثارت فيهم[٥] نفعتهم جيداً لأنها تسخن العصب"[٦].
وينقل الرازي عن اليهودي[٧] أنه عالج الفالج بالحمام اليابس، وقـد يحمـى بانتظام عظيم ويدنى من رأس السكيت (المسكوت) فيحل السـكات ويقـام بحذاء العمود الفقري لأن العلة في مؤخر الرأس.
كما ينقل عنه قوله "ويحدث مع السكتة والفـالج يـبس بطـن، فليحتقنـوا بالشيافات القوية ويدلك الرجل بالدهن والماء الحار والملح ويمرخ الخـرز بالميعة والزيبق وينفخ في آنافهم (أنوفهم) كندس فإنه جيدٌ جداً"[٨].
ويقول الرازي عن نفسه: "رأيت عدداً من المفلـوجين فـي البيمارسـتان أصابهم مطر فانحل فالِجُهم"[٩].
وينقل عن أهرن القس[١٠] أنه "إذا حدث الفالج في عضو لضربة أو خـراج خرج فيه فأزمن ورمه (التهابه) فإنه يعالج بما يبرّد الورم، وتوضع عليـه المحاجم إن أمكن حتى يجتذب ذلك الدم الميت من السقطة والضربة، وإذا حدث (الفالج) لضعف العصب فمرخه بالدهون"[١١].

---

١ ج١ ص١٤
٢ ج١ ص٢٥
٣ ج١ ص٣٧
٤ ج١ ص٣٠
٥ في المفلوجين
٦ ج١ ص٤٢
٧ وهو ما سرجويه البصري وقد ورد اسمه في كتاب الحاوي اكثر من ١٣٠ مرة
٨ ج١ ص١٨
٩ ج١ ص٣٨
١٠ مؤلف أول كتاب طبي ترجم إلى العربية وترجمه ماسرجويه البصري كما مر معنا
١١ ج١ ص٢١

وينقل عن مؤلف "الاختصارات" قوله أنه "إذا كان الفالج في أعضاء الوجه فاقصد بالعلاج إلى الدماغ فإذا كان في اليد فإلى مخارج العصب إلى اليد، وإن كان في الرجل فإلى مخارج العصب إليها"[1].

ويقول الرازي إن "أبلغ علاج (في كل ذلك) الجوع والاستفراغ والسهر والحركة".

وينقل عن جالينوس من كتاب إبيذيميا الأمراض الوافدة قوله "إنه لا علاج ابلغ للخدر ولمن أشرف على الاسترخاء من الحركة الدائمة لذلك العضو فإنه يعيده إلى حاله"[2].

---

١ ج١ ص٢٩
٢ ج١ ص٣٠

التشنج والاسترخاء والخدر والسدر والدوار

يعرف الرازي التشنج بأنه "هو أن يرى العضو قد قصر، والتمدد هـو أن يرى قد امتد إلى جانب من غير أن تراه تقبض وقصر"[١].

وينقل عن جالينوس في كتابه تقدمة المعرفة قوله إن "الصبيان يعرض لهم التشنج متى كانت حُمَّاهم حادة وبطونهم معتقلة[٢] وكانوا يسهرون ويفزعون ويبكون.. وأسهل ما يكون حدوثه بالذين يرضعون إلى أن يبلغوا إلى سبع، فأما الصبيان والرجال فلا يحدث عليهم الحميات لتشنج إلا لأمر صعب مثل العارضة في البرسام "

ويضيف أن "التشنج يحدث لهؤلاء الصغار لضعف عصبهم وكثرة تغذيتهم ويسهل رجوعهم إلى الحال الطبيعية، وأما الرجال فكما أنه يعسر وقوعهم فيه كذلك يعسر خروجهم منه، وقد يعرض التشنج بلا حمى أيضاً إذا غلب على البدن البرد ويحدث أيضاً إذا حدث في الأعصاب والأوتار ورم[٣] حـار بسبب مشاركة الدماغ لها، فأما الشباب الأقوياء فيحتاجون في الوقوع مـن الحُمَّيات في التشنج إلى أسباب قوية كما يكـون فـي البرسـام الخبيـث الرديء"[٤].

كما ينقل عن قوله في كتاب إبيذيميا[٥] قوله "التشنج سريع إلى الصبيان وهو فيهم أقل مكروهاً لأنه لضعف عصبهم يسرع إليهم من أدنى سبب، ولـذلك يكون خوفه فيهم أقل"[٦].

وينقل عن جالينوس قوله في كتابه الأعضاء الآلمة أن "التشـنج يعـرض مراراً كثيرة في الشفتين وفي العين وفي جلد الجبهة وفي جملـة اللحيـين (الفكين) وفي أصل اللسان ويقصد بعلاجها إلى الدماغ"[٧].

وينقل عن أبقراط في كتابه العلامات قوله "يتقـدم الامتـدادَ ثقـل البـدن واختلاجه وتصلب ويثقل عليهم الكلام ويجدون نخسـاً مـن القفـا إلـى العصعص ووجعاً في الفم وعسراً في البلع وثقلاً في اللسان ويحكون فـلا يجدون للحكة لذة فإذا بدأ الوجع امتدت الرقبة واللحى والعضلات واحمرار الوجه وثقل اللحى (الفك) الأسفل وكثر العرق وبردت الأطراف وارتعشت

---

١ ج١ ص١٧٧

٢ بلا امساك

٣ التهاب

٤ ج١ ص١٥٠

٥ الأمراض الوافدة

٦ ج١ ص١٥٩

٧ ج١ ص١٦١

وفسد النبض والتوى العنق وضاق النفس وسرع فإن عرض اشتداد فأقام العنق فلم يقدر بمثله لا إلى قُدّام ولا إلى خلف"[١].

وينقل عن جالينوس في كتابه حيلة البرء أن التمدد "إذا كان مع الحمى فإنه غير قابل للبرء وأكثر ما يتبع الحُمَّيات الكائنة مع أورام الدماغ، وهدَّة الحُمَّى متلفة، ولا أعلم أني رأيت أحداً ممن تشنج في هذه العلة برىء، ولا سمعت غيري يقول ذلك، والتشنج أكثر ما يكون من قبل في الأعضاء العصبية بمنزلة ما يعرض لمن يحدث به ورم (التهاب) شديد قوي، أو من قبل خلط لطيف يلذغ ويأكل الأعضاء العصبية أو من برودة قوية شديدة يحدث شبيهاً بالجمود، وهذه الأصناف الثلاثة كثيراً ما تبرأ، فأما الحادث من يبس الأعضاء العصبية فإنه يقبل العلاج ولا يبرأ"[٢].

وينقل عن جالينوس في كتابه حيلة البرء قوله "إن التشنج مرض يكاد لا يبرأ أصلا متى كان حدوثه بسبب حُمَّى، وأكثر ما يتبع الحمى التي معها ورم في الدماغ ولم أر أحداً أصابه تشنج من هذا السبب فخلص"[٣].

ويقول الرازي عن الوصف السابق "هذا هو الكُزَاز"[٤].

كما ينقل عن جالينوس قوله إن التشنج الحادث في الحُمَّيات المُطْبِقة رديء وخاصة إذا كان مع اختلاط الذهن[٥].

وينقل عن كتاب الفصول (لأبقراط) أنه "إذا عرضت الحمى بعد التشنج فهو خير من أن يعرض التشنج بعد الحمى"[٦].

كما أن التشنج بعد الحمى والكي رديء لأنه يجفف العصب وهو أشَرُّ التشنج[٧].

وينقل عن جالينوس قوله إنه "من أصابه تشنج أو تمدد ثم أصابه حمى انحلَّ بها مرضه"[٨].

"ومن كانت به حُمَّى ربع لم يَعْتَرِهِ التشنج، ومن كان به تشنج ثم حدث به حمى ربع حلّ عنه"[٩].

---

١ ج١ ص١٦١/١٦٢

٢ ج١ ص١٧٠

٣ ج١ ص١٤٨

٤ ج١ ص١٤٨

٥ ج١ ص١٥٣

٦ ج١ ص١٥٠

٧ ج١ ص١٦١

٨ ج١ ص١٥١

٩ ج١ ص١٥٢

وينقل عن روفس قوله إنه من دلائل "التشنج المُهلِك أن ينتفخ معه البطن" ويقول الرازي نفسه "رأيت امرأة كان فكها الأسفل يصك الأعلى دائما ويرجع ثم يصك ضبطت عليه بقوة لئلا يرجع فلم يمكن ذلك وكان بطنها ينتفخ حتى يكاد ينشق (أمرٌ عجيبٌ جداً يقول الرازي) وكان ذلك بدء تشنج رطب ثم تم ذلك واحتكت الأسنان ولم تفتح وماتت"[1].

ويروي الرازي حالة شاهدها ويقول رأيت إنساناً أكثَرَ الركض في الشمس والتعب فأصابه تشنج كان منه مسطحاً ممدوداً أياماً ثم مات [2].

وينقل عن سرافيون قوله "التشنج قد يحدث بالصبيان أكثر، وهو فيهم أسهل برءاً تاماً، وأما من جاوز السبع سنين فإنه لا يتخلص أو يتخلص بعد خطر. ويلزم هذا الوجع حمًّى مُطْبِقة لازمة"[3].

وينقل عن جالينوس قوله: إن التشنج الحادث عن الامتلاء يكون حدوثه دفعة (واحدة) والذي يكون من اليبس يكون قليلاً قليلاً (أي بالتدريج)[4].

ويقول الرازي إنه "إذا نخس العصب فورم (التهب) حدث بسببه تشنج وطريق مداواته تحليل ذلك الورم"[5].

وينقل عن بولس قوله أنه "قد يكون كزازٌ من التعب والنوم على الأرض اليابسة وحمل شيء ثقيل ولسقطة أو خراجات أو كي نار فيعرض معه شبيه الضحك بغير إرادة وليس به حمرة في الوجه وعِظَم في العين" [6].

وينقل عن جالينوس قوله إنه "إذا عرض الكُزَاز من ضربة فإنه مميت".

وإذا عرض مع الكُزَاز مغص وقيء وفواق وذهول العقل فإنه قاتل، ومن كان به كزاز من قُدَّام وخلف واعتراه ضحك مات من ساعته[7].

ويفرِّق الرازي بين الكُزَاز والتشنج، حيث يقول "هذا فرق بين الكُزَاز والتشنج، فاجعل الكُزَاز جمود العضلة لامتدادها نحو رأسها، وإذا كان كذلك لم يُحَسَّ فيها صلابة التشنج عند رأس العضلة"[8].

---

١ ج١ ص١٦٢

٢ ج١ ص١٦٦

٣ ج١ ص١٦٠

٤ ج١ ص١٤٩

٥ ج١ ص١٥٢

٦ ج١ ص١٥٧

٧ ج١ ص١٦٥،١٥٣

٨ ج١ ص١٥٦

وينقل من إبيديميا[1] أنه "قد يبرأ المتشنج والمفلوج بالخوض في العيون الحامية، برءاً سريعاً يعجب منه"[2].

وينقل عن روفس قوله "الماء الكبريتي يليِّن العصب جداً"[3].

ويقول إن "الماء البارد في وسط الصيف إذا صُبَّ على رأس الإنسان شيء كثير يمكن أن يحل التشنج الحادث من امتلاء لأنه يحدث للحرارة انعطافاً إلى داخل فيسخن ويحلّل وينضج، والماء الحار قوي الفعل عظيم في التشنج".

ويقول إنه "في باب الصرع دواء عجيب للماليخوليا"[4].

وينقل عن جالينوس من كتابه المواضع الآلمة قوله إن "الخدر يكون بسبب البرودة، كما تجد ذلك عياناً فيمن يسافر في الثلج وما يحدث عن العضو إذا برد فإنه يخدر أولاً ثم يصير إلى عدم الحس والحركة وهو متوسط بين حال الصحة والاسترخائية".

وينقل عن كتاب قسطا (بن لوقا) أن الخدر يحدث فيمن يتكئ على عضو من أعضائه كما يعرض عند شد الرجل واليد والساق برباط أو غير ذلك وقد يعرض لمن يكثر شرب الماء البارد والنوم والجماع والحمام بعد الطعام[5].

ويعلّل الرازي أن "جالينوس لا يفرّق بين السدر والدُّوار، والدُّوار هو أن يرى ما حوله يدور والسدر يكون يعقب الدوار إذا اشتد ويبلغ إلى أن يسقط"[6].

وفي علاج السدر والدوار يقول إنه قد ينتفع قوم منهم بقطع الشريانَيْن اللذين خلف الأذن عرضاً حتى يبرأ، وليس كلهم يبرأ بهذا العلاج، وذلك انه يصعد إلى الدماغ (شرايين) أُخَر كثيرة غير هذه، وقد يكون (السدر والدوار) عن الدماغ نفسه وعن فم المعدة.

وينقل عن أرجيجانس "أنه إذا كان السدر من علة تخص الرأس كان قبل السدر والدوار طنين في الأذن وصداع وثقل الحواس وإذا كان عن فم المعدة تقدمه خفقان وتهوع"[7].

---

١ الأمراض الوافدة لجالينوس

٢ ج١ ص١٥٤

٣ ج١ ص١٦٣

٤ ج١ ص٦٨

٥ ج١ ص٥٢

٦ ج١ ص٥٨

٧ ج١ ص٥٤

وينقل عن بولس قوله إن السدر قد يحدث عند ضغط بطون الدماغ من عظم ينكسر أو نحوه[1].

وينقل عن جورجس قوله إن السدر يحدث أيضاً من الشمس والصيحة الشديدة[2].

---

١ ج١ ص٥٥

٢ ج١ ص٦٠

المنصوري في الطب للرازي

يعد كتاب المنصوري في الطب من أشهر كتب الرازي بعد "الحاوي"، وقد ترجمه إلى اللاتينية في أواخر القرن الثاني عشر المترجم الشهير جيرارد الكريموني، وتم طبعه أولا في البندقية عام ١٤٨١م تحت اسم: " Liber Rhazes ad Almansorem" ثم طبع أكثر من عشر مرات وذلك حتى القرن السابع عشر.

وقد وضعه الرازي للأمير منصور بن اسحق(حاكم الري ٢٩٠-٢٩٦هـ)

ويعد من أوائل الكتب في الطب الوقائي مصداقاً لقول الرازي في مقدمته "إن الطب ينقسم إلى قسمين: أحدهما تدبير الجسد الصحيح ليثبت له صحته، والآخر رد الجسم السقيم إلى حال الصحة، والواجب على الإنسان العناية بالعلم الذي به وبمعرفته يمكن سياسة جسده في حالتي الصحة والمرض، وأن يتدرب في ذلك ويلزم نفسه العناية به لينتفع بذلك وقت الحاجة إليه، فإنه لا يدري متى يعرض حاجته إليه من الأوقات والأزمنة والمواضع والأماكن فليس يقدر في كل وقت ولا في كل زمان ولا في كل بلد وموضع يعرض فيه على طبيب يعالجه"[1].

ويقسم الرازي أعضاء الجسم إلى رئيس شريف وهي أربعة: الدماغ والقلب والكبد والأنثيين[2] ومنها خادم نائب وهي أربعة : العصب والعروق النوابض والأوردة ومعابر المني.

ويقول إن الأعصاب هي التي تنقل الحس والحركة من الدماغ للأعضاء، والأعضاء الخارجية أكثر حسا من الداخلية وذلك كالكبد الذي لو كان له حس كحس الأصابع واليدين والرجلين لكان متى عرض له وجع امتنع عن أفعاله[3].

ويضيف إن العظام لا "تتحرك بذاتها بل بمحرك لها يحركها على سبيل جهة الانفعال وصل بها من مبدأ الحس والحركة وينبوعها الذي هو الدماغ وصولا. وهذه الوصول هي العصب وليس يتصل بالعظام مفردة لكن بعد الاختلاط منها باللحم والرابط، وذلك إن العصبة لو اتصلت مفردة بعضو عظيم لكانت إما أن لا تقدر أن تحركه البتة، وإما أن يكون تحريكها لها تحريكاً ضعيفاً. ومن أجل ذلك تنقسم العصبة قبل بلوغها العضو الذي

---

١ المنصوري في الطب للرازي، شرح وتحقيق د. حازم البكري الصديقي، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت ١٩٨٧ ص١٨

٢ الخصيتان

٣ الأفعال اللاإرادية

أريد تحريكه بها. وجعل الله عز وجل الدماغ عنصر الحس والحركة الإرادية، وأنْبَتَ منه أعصاباً تتصل بالأعضاء لتعطيها ضروب الحس والحركة".

ولما كان أسافل البدن وما بَعُدَ عن الدماغ يحتاج إلى أن ينال الحس والحركة كان نزول العصب إليها من الدماغ بعيد المسلك غير حريز ولا وثيق. وجعل الباري عز وجل في أسفل القحف ثقباً وأخرج منه شيئاً من الدماغ وهو النخاع وحصَّنه لشرفه بخرز الظهر والسناسن[1].

وإن حدث على الدماغ حادثة عظيمة فَقَدَ البدن كله الحس والحركة. أما إن حدث على النخاع حادثة عظيمة فقدت الأعضاء التي يجيئها العصب من ذلك الموضع وما دونها الحس والحركة[2].

وإن شُرِخَ النخاع أو بُتِرَ عرضاً بطل عن الأعضاء التي منبت عصبها دون ذلك القطع الحسُّ والحركة، وإن وقع القطع في طول النخاع لم يضرَّ ذلك، وكذلك إن وقع في طول العصب.

وجملة منافع الأعصاب أنها الآلة والطريق الذي يتأدى وينفذ فيه الحس والحركة إلى الأعضاء، وإنه إن شُدَّتْ أو قُطِّعَتْ عرضا بطل عن العضو الذي يجيئه إما الحس وإما الحركة وإما كلاهما[3].

وجعل الخالق عز وجل القلب معدناً وينبوعاً للحرارة الغريزية ومنه يكتسب سائر البدن وينال الحرارة بالشرايين التي تنبت منه وتتصل بالأعضاء، فأي عضو عَدِمَ الشرايين التي تجيئه خَدِرَ وعَسِرتْ حركته وحسه، ثم إنه يفقدهما البتة ويبرد ويصير في حكم الموات. وذلك أن العضل والأعصاب والدماغ نفسه يحتاج في أن يبقى على طبعه الذي يتم به الفعل إلى مقدار ما من الحرارة، فمن أجل ذلك وصل لها شرايين[4].

"ولولا تسخين القلب للدماغ بالشرايين وتغذية الكبد بالعروق الصاعدة إليه، لم يدم للدماغ طبعه الذي يكون به فعله، ولولا تحريك الدماغ لعضل الصدر لم يكن التنفس ولم يبق للقلب جوهره الذي منه ينعش الحرارة الغريزية في أبداننا"[5].

وحول عظام القحف يقول الرازي "القحف الطبيعي مستدير إلا أنه ليس بصحيح الاستدارة. وفيه ثُقَب كثيرة يخرج منها أعصاب كثيرة ويدخل فيها عروق وشرايين. وله نتوء في مقدمه من ناحية الجبهة وفي مؤخره من

---

١ سلسلة الظهر

٢ ص٣٥،٣٦

٣ ص٣٧

٤ ص٣٧،٣٨

٥ ص٣٩

ناحية الأذنين. وأعظم ثقب فيه هو الذي من أسفل عند نقرة العمود الفقري وهو مخرج النخاع".

وهو مؤلف من قطع كثيرة يتصل بعضها ببعض[١]، وملتقى هذه القطع يسمى الشئون، ويتصل به اللَّحى الأعلى[٢] وهو الذي فيه الخدان والأذنان والأسنان العليا، وهو أيضاً قطع كثيرة يتصل بعضها ببعض بدروز[٣].[٤]

ويتصل بالرأس عند الثقب الأعظم وهو مخرج النخاع الخرزة الأولى من خرز العنق وهي سبع خرزات فيها ثُقَبٌ من الجانبين يخرج منها أعصاب تجيء إلى الجانب الأيمن وإلى الجانب الأيسر من البدن. ويتلو هذه الخرزات خرز الظهر وهي سبع عشرة خرزة أخرى. اثنتا عشرة منها تنسب إلى خرز الظهر وذلك أن حد الصدر من الأسفل ينتهي عند قبالتها وخمس منها هي خرز القَطَن فيكون جميع الخرز من لدُن منبت النخاع إلى عظم العجز أربعاً وعشرين خرزة وربما زادت أو نقصت واحدة في الندرة[٥].

ويخرج من ملتقى كل خرزتين من هذه في كل واحد من الجانبين عصبة تمر وتنقسم في ذلك الجانب من البدن، ويخرج من الجانب العصعصي عصبة مفردة تنقسم في الموضع الذي هناك[٦].

في هيئة الأعصاب:

الأعصاب تنبت إما من الدماغ وإما من النخاع.. ويخرج العصب من الدماغ أزواجا إحداها تأخذ إلى ناحية اليمين والأخرى إلى ناحية اليسار. وينشأ من الدماغ سبعة أزواج من العصب، الزوج الأول ينشأ من مقدم الدماغ، ويجيء إلى العينين ليعطيهما حس البصر، وهذان العصبان مجوفان.

وإذا نشأتا من الدماغ وبعدتا عنه قليلاً اتصلتا وأفضى ثقب كل واحد منهما إلى صاحبه، ثم يفترقان أيضاً وهما بَعْدُ داخلَ القحف، ثم يخرجان ويصير كل واحد منهما إلى العين التي بجانبه[٧].

---

١ عظام القحف ثمانية، منها أربعة مفردة وهي الجبهي والغربالي والوتدي والقذالي، وأربعة مزدوجة وهي الجداريان والصدغيان

٢ الفك العلوي

٣ الفك العلوي يتكون من ثلاث عشرة عظمة

٤ ص٤١

٥ ص٤٢

٦ ص٤٣

٧ ص٤٩

والزوج الثاني ينشأ من خلف الزوج الأول ويخرج من القحف في الثقب الذي في قعر العين ويتفرق في عضل العين، فيكون به حركاتها. والزوج الثالث منشؤه من خلف الزوج الثاني من حيث ينتهي البطن المقدم من الدماغ إلى البطن الثاني.

ويخالط الزوج الرابع بعده ثم يفارقه. وينقسم إلى أربعة أقسام: أحدها ينزل إلى البطن إلى ما دون الحجاب والباقية منها تتفرق في أماكن من الوجه والأنف والفم، ومنها ما يتصل بالزوج الذي بعده، والزوج الرابع منشؤه من خلف منشأ الثالث، ويتفرق في الحنك فيعطيه الحس الخاص به. والزوج الخامس يكون ببعضه حس السمع، وببعضه حركة العضل الذي يحرك الخد. والزوج السادس يصير بعضه إلى الحلق واللسان وبعضه يصير إلى العضل الذي في ناحية الكتف وما حواليه، وبعضه ينحدر إلى العنق. ويتشعب منه في مروره شُعَب يتصل بعضها بعضل الحنجرة، وإذا بلغت إلى الصدر انقسمت أيضاً فرجع بعضها مُصْعِداً حتى يتصل بعضل الحنجرة، ويتفرق شيء منها في غلاف القلب والرئة والمري وما جاورها. ويمر الباقي وهو أكثره حتى ينفذ الحجاب ويتصل بفم المعدة منه أكثره ويتصل الباقي بغشاء الكبد والطحال وسائر الأحشاء، ويتصل به هناك بعض أقسام الزوج الثالث. والزوج السابع يبتدئ من مؤخر الدماغ حيث منشأ النخاع ويتفرق في عضل اللسان والحنجرة[1].

وينشأ من النخاع واحد وثلاثون زوجاً من العصب، وفرد لا مقابل له. ثمانية أزواج منها تخرج ما بين خرز العنق واثنا عشر زوجاً من خرز القطن وهو أسفل الظهر وثلاثة من عظم العجز. وثلاثة من عظم العصعص من وسطه وفرد لا مقابل له يخرج من طرف عظم العصعص.

فالزوج الأول يخرج من الثقب الذي في الفقرة الأولى من فقرات العنق، ويصعد حتى يتفرق في عضل الرأس. والثاني يخرج فيما بين الثقب الملتئم فيما بين الفقرة الأولى والثانية ويتصل بجلدة الرأس فيعطيها حس اللمس، وبعضل العين وعضل الخد ويعطيهما الحركة. والزوج الثالث مخرجه من الثقب الملتئم فيما بين الفقرتين الثانية والثالثة. وينقسم قسمين فبعضه يصير إلى العضل المحرك للخد ويتفرق في العضل الذي بين الكتفين، والزوج الرابع منشؤه فيما بين الفقرة الثالثة والرابعة وينقسم قسمين أحدهما في العضل الذي في الظهر، والآخر يأخذ إلى قدام ويتفرق في العضل الموضوع بحذاء الظهر وفوقه والخامس يخرج فيما بين الفقرة الرابعة والخامسة. وينقسم أقساماً بعضها يصير إلى الحجاب وبعضها يصير إلى العضل الذي يحرك الرأس والرقبة وبعضها إلى عضل الكتف. والسادس منشؤه فيما بين الفقرة الخامسة والسادسة. والسابع فيما بين السادسة والسابعة، والثامن فيما بين السابعة والثامنة وهي آخر فقار العنق.

---

١ ص٥٠

وينقسم العصب الخارج من هذه كلها بعضٌ في عضل الرأس والرقبة وبعضٌ في عضل الصلب وفي الحجاب، خلا الزوج الثامن فإنه لا يأتي الحجاب منه شيء، وبعضها يصير إلى العضد وإلى الذراع وإلى الكتف، فيتصل من الزوج السادس بعضٌ بعضل الكتف ويحرك العضد وبعض يُنيل أعالي العضد الحس. ومن السابع يصير بعضٌ إلى العضل الذي في العضد ويكون به حركة الذراع. وبعضٌ يتفرق في جلد العضل الباقي ويُنيل الحس. وبعض من الزوج الثامن يَتَبَتُّ في جلد الذراع ويعطيها الحس وبعضه يصير في عضل الذراع ويحرك الكف، والزوج التاسع يخرج فيما بين الخرزة الثامنة والتاسعة وهو أول خرز الظهر. وبعضه ينقسم في العضل الذي فيما بين الأضلاع وبعضه في عضل الصلب وبعضه ينزل إلى الكف ويَتَبَتُّ فيه فينيله الحس وبعض الحركة.

والزوج العاشر يخرج فيما بين الخرزة التاسعة والعاشرة ويصير منه جزء إلى جلد العضد فيعطيه الحس، وباقيه ينقسم فيأخذ منه قسم إلى قدام ويتفرق في العضل الذي فيما بين الأضلاع والعضل الملبس على الصدر. والآخر يتفرق في عضل الظهر والكتف. وعلى نحو هذا يكون خروج العصب وتفرقه إلى الزوج التاسع والزوج العشرين، وهو أول العصب الخارج من خرز القطن يخرج فيما بين الفقرة التاسعة عشرة والعشرين، وعلى هذا القياس يخرج خمسة أزواج من بين هذه الخرز ويصير بعضها إلى قدام فيتفرق في العضل الذي على البطن. وبعضٌ يتفرق في العضل الذي على المتن. ويخالط الثلاثة أزواج العليا منه عصب ينحدر من الدماغ. والزوجان اللذان تحت هذه الثلاثة ينحدر منها شعب كبار إلى الساق حتى يبلغ طرف القدم. والزوج الخامس والعشرون وهو أول العصب الخارج من عظم العجز يخرج من العظم الأول من عظام العجز ويخرج الثاني من الثاني والثالث من الثالث، وكلها تخالط العصب الخارج من أسفل الظهر وينزل إلى الرجلين أيضاً شيء كثير. وأما الثلاثة الخارجة من عظم العصعص والفرد فكلها تَتَبَتُّ في القضيب وفي عضل المقعدة والمثانة وفي العضل الموضوع بقرب هذا الموضع[1].

---

١ ص٥١،٥٢

في هيئة الدماغ

إن الدماغ ليس بمصمت لكن له تجاويف وهي على رأي جالينوس أربعة تجاويف يفضي بعضها إلى بعض وتسمى بطون الدماغ، اثنان منها في مقدم الدماغ وواحد في وسطه وآخر في مؤخره على هذا الشكل[1].

وعند هذه المجاري أجسام متشكلة بشكل موافق يسدها في بعض الأحايين ويفتحها في أخرى وله زائدتان تنبتان من بطنيه المقدمين شبيهتان بحلمتي الثدي، تبلغان إلى العظم الشبيه بالمصفاة وبهاتين الزائدتين يكون حس الشم. وهذا (أي العظم الشبيه بالمصفاة) عظم مثقب ثقباً كثيرة على غير استواء بل مشاشي وموضعه من القحف حيث ينتهي إليه أقصى الأنف.

وللدماغ غشاءان أحدهما صلب غليظ والآخر رقيق، والرقيق مُلاصق للدماغ ومُخالط له في مواضع كثير، والغليظ ملاصق للقحف وملاصق للدماغ في أمكنة منه، وهذا الغشاء الصلب مثقب ثقباً كثيرة في موضعين. أحدهما عند الثقب الذي في أقصى الأنف المسمى المصفاة والآخر عند العظم الذي في الحنك. وهذا العظم أيضاً مثقب، ويسيل من العظم المثقب الذي في أقصى الأنف فضول البطنين المقدمين من الدماغ إلى الأنف ومن الذي في الحنك فضول البطن المتوسط والبطن المتأخر فيكون بذلك السلامة من أمراض رديئة كثيرة وتحت الدماغ وتحت الغشاء الغليظ النسيجة الشبيهة بالشبكة التي تكون من الشرايين الصاعدة إلى الرأس وهذه النسيجة يخرج منها عرقان كما ذكرنا في باب الشرايين فيدخلان في الغشاء الصلب ويتصلان بالدماغ، وأما منبت الأعصاب منه فقد ذكرناها عند ذكرنا للعصب[2].

في الاستدلال على مزاج الدماغ وهيئته

أما هيئة الدماغ فتتبع هيئة القحف وذلك أنه إن صَغُرَ القحف صَغُرَ الدماغ، وان فسد شكله فسد بذلك شكل الدماغ، ومن أجل ذلك صار الرأس المفرط في الصغر والمفرط في الكبر رديئين ضرورةً، والسَّمِجُ الشكل كالسَّفط[3] ونحوه، وأحمد الرؤوس المعتدلة في العظم الحسنة الاستدارة التي لها أدنى نتوء من مقدمها ومؤخرها وأدنى غمز ولطأ من الجانبين عند الأذنين. فأما

---

١ هناك شكل واحد موجود في نسخة مكتبة الأوقاف العامة بالموصل ومحفوظة في مكتبة المجمع العلمي العراقي .

اما في نسخة مكتبة محمود تيمور وهي محفوظة بدار الكتب المصرية فهناك شكلان بدلا من شكل واحد وهما: شرح المحقق

٢ ص٥٧،٥٨

٣ وعاء يوضع فيه الطيب وما أشبه من ادوات النساء

مزاج الدماغ فالحار منه يكسب ملمس الرأس والوجه فضل حر، وحمرة في العينين وظهور العروق فيها أو يسرع نبات الشعر على الرأس فيكون متكاثفاً قوياً أسود جعداً، ويقل النوم ويجف ويسرع تؤدي أصحاب هذا المزاج بالأراييح الحادة[1]. ويسرع الثقل والامتلاء إلى رؤوسهم ويكون الرأي منهم سريعاً غير ثابت بل كثير التلون، ولهم ذكاء وسرعة في الأفعال النفسية[2].

وأما البارد فحاله بالضد من هذه حتى إنه يكون نؤوما بليداً بطيء الفهم، ويكون الشعر على رأسه سبطاً قليل السواد، ويتواتر عليه النُزّل والزكام ويتأذى بكشف الرأس، وتكون حركة أجفانه بطيئة بليدة.

وأما اليابس فإن الشعر ينبت على رأسه سريعاً ويسرع إليه الصلع ويكثر سهره، ولا يسيل من منخره شيء البتة إلا ما ينال به ولا تصيبه النوازل ولا الزكام.

وأما الرطب فبالضد من ذلك فإن شعره بطيء النبات ولا يصلع، ويسيل من منخريه دائماً رطوبات ويتأذى بالنوازل والزكام، وهو نؤوم كَدِرُ الحواس.

وأما المزاج الحار اليابس فإنه يكون على غاية قوة الشعر على الرأس وسرعة نباته وسواده وجعودته ويسرع إليه الصلع جداً، وهو في الغاية من قلة النوم ومن قلة الاستغراق فيه ومن سرعة الأفعال النفسية والعجلة في الرأي وصفاء الحواس وقلة سيلان الفضول.

وأما البارد الرطب فبالضد من هذه الحالة فإنه يكون نؤوما كسلان بطيئاً بليداً، ولا يصلع البتة ويسرع إليه النُزّل والزكام جداً ويتواتر عليه.

وأما الحار الرطب والبارد اليابس فبقدر الميل إلى أحد المفردين يكون ظهور دلائله وإن تكافأ تكافأت الدلائل[3].

وفي الإنذار بالحواس الرديئة وتلاحقها قبل أن تقوى وتعظم يقول الرازي: إن الصداع الدائم الشديد والشقيقة يخشى منها نزول الماء في العين والانتشار، فلذلك ينبغي إن دام الصداع واشتد ولم تُغْنِ عنه الأدوية شيئاً أن يتلاحق العليل بسلِّ شريانَيْ الصُّدغ[4].

واختلاج الوجه الدائم الكثير القوي ينذر بلقوَة قد قرب حدوثها، فينبغي إذا أحس بذلك أن يستعمل الإسهال القوي والقيء ويقلل الغذاء ويهجر الشراب البتة، ويستعمل النفض القوي[5] والتدليك البليغ والغرغرة والعطس.

---

١ الأراييح جمع الجمع لريح - أرياح

٢ ص٨٥

٣ ص٨٦

٤ أي انتزاع الشريانين من جانبي الوجه من العينين إلى الأذنين

٥ طريقة علاجية شعبية توضع فيها قطعة قماش على الرأس وفوقها رباط ثم يؤخذ بشد ونفض أطراف القماش بشكل متتالٍ

واختلاج جميع البدن إذا كثر ودام ينذر بالتشنج والخدر ينذر بالفالج.

حمرة الوجه والعين وظهور العروق فيها والدموع السائلة منها والنفور من الضوء من شدة الصداع ينذر بالسرسام[١].

الامتلاء المفرط[٢] يُخاف منه نفث الدم والسكتة والموت فجأة فليبادَرْ بالفصد. وخدر الحواس وضعف الحركات مع الامتلاء يُخاف منه السكتة[٣].

وفي السقطة والضربة على الرأس يقول: إذا حدثت سقطة أو ضربة عن دابة أو غير ذلك فالأفضل أن يفصد العليل من ساعته من الجانب المخالف.. فإن كانت السقطة على الرأس فليفصد عرق القيفال (cephalic vein) ثم يوضع على الرأس خل خمر مضروباً مع دهن ورد وثلاثة أمثاله ماء ورد، ويشرب ويطلى به ويسقى العليل ماء الشعير ويقتصر عليه غدوة وعشية ثلاثة أيام حتى يُؤْمَن الورم الحار في ناحية الدماغ. والدليل على سلامة هذه المواضع ألا يختلط الدماغ.. وآية السقطة الشديدة على الرأس اختلاط العقل وبمقدار شدة السقطة وخفتها يكون ذلك[٤].

وإذا كانت الشجة قوية وانكسر العظم حتى غار وقطَعَ القحف فلا ينبغي التهاون في ذلك فإنه يحدث عنه اختلاط في العقل وتشنج ثم يموت سريعاً. وينبغي أن يؤخذ ذلك العظم سريعا ويحفظ وأن لا ينخرق الغشاء الذي تحته. ويحتاج في ذلك إلى معالج ماهر رفيق عالم. وليحذر المعالج من تخريق الصفاق الذي تحت العظم أشد الحذر فإنه شديد الخطر[٥].

وعند الفصد[٦] يقول إن الفصد علاج عظيم في حفظ الصحة وشفاء الأمراض إذا أصيب به موضعه[٧].

ويحذر من الخطأ عند الفصد وقطع الأعصاب، ومنه فصد الأكحل[٨] فإن تحته عصباً، فإن أصابته شفرة المبضع حدث بعد الفصد خدر مزمن وربما بقي إلى الأبد. ولذلك ينبغي أن يتوقى ويتعمَّد بشفرة المبضع إلى ضد الناحية التي يحس فيها العصب، وإن كان بين عصبين فيشق طولاً، وعلى هذا يحترس من العصب المجاور له مما يتبين للحس وربما كانت

---

١ ص٢١٠ – ٢١١

٢ ارتفاع ضغط الدم الشديد

٣ ص٢١٢

٤ ص٢٩٩

٥ ص٣٣٤

٦ وهو عملية شق الوريد لاخراج جزء من الدم

٧ ص٢١٧

٨ الوريد الكعبري في وسط الذراع

تحته عصبة رقيقة لا تتبين للحس وتتقطع وتنبتر أصلاً، إذا عمق في فصده. ويبقى في الساعد خدر ممتد بالطول وليس للتوقي من هذه حيلة غير ترك شدة التعمق.

وإن انبترت في حال فليس مما ينال من مضرتها كمضرة العصب المحسوس.

وأما ما تقول العامة والجهلة من الناس أنه يحدث عن هذا جفاف اليد البتة، فإن ذلك باطل، ولو تعمد بتر العصب كله لم يحدث منه أكثر مما ذكرنا[1].

وإذا كان مع الصداع والشقيقة حمرة وتمدد وثقل في الوجه والعين وحرارة في اللمس وعظم في النبض فافصد في القيفال من الجانب الذي فيه الوجع أشد[2].

وفي الدوار إذا كان الإنسان يرى ما حواليه كأنه يدور وتظلم عيناه ويهم بالسقوط ويحمر معه الوجه والعين وتدر العروق خلف الأذن فلتفصد هذه العروق ولتُحْجَم النقرة والساق[3].

وفي السرسام[4] يقول: إذا اعترت الإنسان حمى مطبقة دائمة مع ثقل الرأس والعين وحمرة شديدة في الوجه وصداع وكراهية للضوء وسرعة في النبض وتواتر مفرط فإن ذلك من علامات السرسام. وإذا اسود اللسان واصفرّ واختلط العقل وكثر الهذيان والسهر فقد تم السرسام[5].

وفي السكتة إذا كان الإنسان ملقى كالنائم يغطّ من غير نوم ولا يحس إذا نُخِس، فإنه يكون قد أُسْكِت. وبمقدار شدة غطيطه وضعفه تكون علته. وإن أزبد فإن علته شديدة لا تعالج. ومتى كان يغط غطيطاً قليلاً فإن علته أخف. وهذه العلة إما أنها تقتل سريعاً وإما أن تتحلل إلى فالج[6].

وفي السبات إذا كان الإنسان ملقى كالنائم يحس ويتحرك إلا أنه في أكثر أمره مغمض العينين وإن نودي وصيح به في حالة فتح عينيه ثم عاد سريعاً فأطبقهما فإنه مسبوت[7].

وفي الفالج: إذا لم يمكن للإنسان أن يحرك بعض أعضائه أو جماعة منها ولم يحس بها فإنا نقول إنه به فالج في ذلك العضو أو الأعضاء[8].

---

١ ص ص٣٢٧، ٣٢٦

٢ ص٣٣٧

٣ ص٣٧٩

٤ التهاب الدماغ

٥ ص٣٧٩

٦ ص٣٨٠

٧ ص٣٨١

٨ ص ص٣٨٢، ٣٧١

وإذا حدث الفالج عن سقطة أو ضربة وإن حدثت دفعة وبقي على حاله تلك لم يبرأ أصلاً. وإن حدث قليلاً فإنه ينبغي أن يضمد الموضع الذي وقعت به الضربة[1].

وفي الخدر: إذا كان الإنسان يجد في بعض أعضائه كحالة الرِّجْل إذا خدرت فإنا نقول: إن به خدراً في ذلك العضو ولا ينبغي أن يتوانى عنه لأنه إن أزمن أدى إلى فالج، وهو يبرأ ببعض علاج الفالج من الحمية والتمريخ بدهن القسط[2].[3]

وفي الرعشة: تبرأ بما يبرأ به الخدر إلا أنها إن كانت عن شرب شراب فينبغي أن يُنهى عن ذلك، وإن كانت عن شرب ماء الثلج فاحْمِهِ عنه، ومُرْهُ بكثرة التعرق في الشمس والحمام والماء الحار[4].

وفي اللقوَة: إذا انعوج وجه الإنسان وكان لا يقدر على تغميض إحدى عينيه، وإذا أنت أمرته أن ينفخ بفمه رأيت النفخ يخرج من جانب فمه، فإنا نقول بأن به لقوَة.. واللقوَة تحدث في السرسام المهلك عند قرب الموت[5].

وفي التشنج: إذا كان عضو من الأعضاء قد تقلص وانجذب نحو أصله وكانت أعضاء كثيرة كذلك فإنا نقول: إنها متشنجة ويحدث التشنج أما لضربة أو قليلاً قليلاً.

والحادث عن ضربة يعالج بعلاج الفالج بعينه، إلا أنَّا نستعمل فيه التدليك والتمريخ بدهن القسط أكثر، أما الحادث قليلاً قليلاً بعقب حمى وانطلاق البطن كثيراً أو قيء أو نزف دم فإنه تشنج رديء لا يكاد يبرأ[6].

وفي الصرع: إذا خرَّ الإنسان ساقطاً على الأرض والتوى واضطرب وفقد العقل قلنا إن به صرعاً وإذا أزْبَد وبال وأنْجَى وأمْنَى فإنّ العلة أصعب وأشد.

وإن كان العليل يحسُّ قبل النوبة كأنّ شيئاً يرتفع من بعض أعضائه حتى يبلغ رأسه ثم يغشى عليه[7] فينبغي حين يحس بذلك أن يشد فوق ذلك الموضع برباط شداً جيداً فإنه بذلك يمنع النوبة[8].

---

١ ص٣٨٣

٢ القسط : نبات يخرج بأرض الرافدين، عرفه العرب منذ القدم

٣ ص٣٨٣

٤ ص٣٨٣

٥ ص٣٨٣-٣٨٤

٦ ص٣٨٤

٧ يصف الرازي ما نسميه النسمة أو الأوْرة Aura التي تحدث قبل النوبة

٨ ص٣٨٥

وحول المأكل يقول الرازي إن الحامض يضر بالأعصاب والأعضاء العصبية[1].

ومن الأغذية التي تصدع الرأس: اللبن، والسُمُوْن كلها[2].[3]

أما مياه الحَمَّات[4]: فالقيرية والكبريتية يسخنان العصب، وتنفع من أمراضه الباردة إذا دخلت فيها[5].

وحول الشراب المُسْكِر يقول: إن الإسراف فيه يضر بالدماغ والعصب ويورث الرعشة والتشنج والفالج والسكتة والموت فجأة[6].

وفي الدجالين ميتي الضمائر والذين يسميهم الرازي "المائتين" يقول إن مخارقهم[7] كثيرة وجرأتهم واستحلالهم تعذيب الناس باطل.. فإن منهم من يزعم أنه يبرئ من الصرع بأن يشق وسط الرأس شقاً صليبياً[8] ثم يخرج أشياء قد أعدها معه ثم يوهم بخفته وتبهوره أنه إنما أخرجها من ذلك الشق.. وإذا استقصى العقلاء تفقدهم بأعين كثيرة متهمة لهم ظهر حينذاك لهم كذبهم وتمويههم. وليس ينبغي أن يؤخذ من الأدوية التي يعطونها فإنها قد أتلفت خلقاً كثيراً[9].

في عضة الكَلْب الكَلِب

إن الآفة التي تتبع عضة الكَلْب الكَلِب عظيمة جداً. ومن أجل ذلك ينبغي أن يتوسع في ذكر علامات هذا الكلب ليهرب عنه الناس أو يسرعون بقتله.

والكَلْبُ الكَلِبُ يهرب من الماء إذا رآه.. ويسيل من فمه زَبَد وتحمر عيناه.. ويتخبط في حركته كالسكران.. وتهرب عنه الكلاب.. وإذا نبح كان صوته أبح وإذا عض الكَلْبُ الكَلِبْ إنساناً انتقل إليه المرض.. فأصبح يفزع من الماء، وإذا رآه ارتعد وارتعش وربما تشنج ومات.

---

١ ص١٠٩

٢ جمع سمن وربما يقصد دهن السمن والزبدة

٣ ص١١٨

٤ العيون المعدنية

٥ ص١٢٩

٦ ص١٣٠

٧ مخارق مصدر خرق يخرق

٨ على شكل صليب. سترد لاحقاً قصة رواها أسامه بن منقذ في كتابه الاعتبار تبين أن طبيباً إفرنجياً عالج امرأة بشق رأسها صلياً

٩ ص ص٣٣٦،٣٣٥

وإذا عض الكَلْبُ الكَلِبُ عليلاً فبادرْ وضَعْ على الموضع محجمة وليجاد شرطه ومصه حتى يسيل منه دم كثير.. وإن كويته في أول ما يقع عظم الانتفاع به. واستعمل المحاجم والكي إلى ثلاثة أيام فإذا جاوز الثالث فلا تعذب العليل بذلك لأن السم قد سرى في بدنه وأقبل على العليل بالعلاج المحكم قبل أن يفزع من الماء بعد أسبوع أو أسبوعين وإلى الأربعين يوما. وربما لم يفزع هؤلاء من الماء إلا بعد ستة اشهر أو سنة[1].

مات الطبيب العظيم الرازي بنهاية لا تليق بشهرته بعد أن ضاقت نفوس حساده به فلم يصعب عليهم افتراء التهم السياسية ضده حتى أبعده الخليفة من بغداد ونكل به حاكم خراسان المنصور بن اسحق وفقد بصره بعد أن التجأ إلى بيت أخته.

وبعد وفاته جاء ابن العميد وزير السلطان إلى أخته فوجد بعض ما كتبه الرازي متناثراً فطلب من تلاميذه والأطباء جمع ذلك في كتاب خرج باسم "الحاوي"[2].

---

١ المنصوري ص ٣٥٦

٢ زيغريد هونكه مرجع سابق، ص٢٤٨

أبو علي الحسين بن علي بن سينا
ابن سينا

ولد الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن علي بن سينا قرب بخارى حوالي سنة ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م، وتوفي في همدان سنة ٤٢٨هـ / ١٠٣٧م، لُقِّبَ بالشيخ وعُرِف بالرئيس، وأُطْلِق عليه لقب المُعَلِّم الثالث بعد أرسطو والفارابي. ألّف ابن سينا ٢٧٦ كتاباً في مختلف العلوم، ويعتبر كتابه القانون أشهرها، وفيه خلاصة الطب اليوناني والعربي.

وخلال حياته التي بلغت ٥٨ عاماً، وعلى الرغم من سلسلة القلاقل والاضطرابات والرحلات في حياة ابن سينا، إلا أن ذلك يزيدنا به إعجابا حين نراه يؤلف في مختلف أنواع المعرفة.

ومن مؤلفات ابن سينا: ٤٣ كتاباً في الطب، ٣١ في اللاهوت منها كتابة المشهور "الشفاء"، ٢٦ في الفيزياء، ٢٤ في الفلسفة، ٢٣ في ما نسميه اليوم علم النفس، ٢٢ في المنطق، ١٥ في الرياضيات، ١٤ مجموعة مراسلات وخمسة في تفسير القرآن[1].

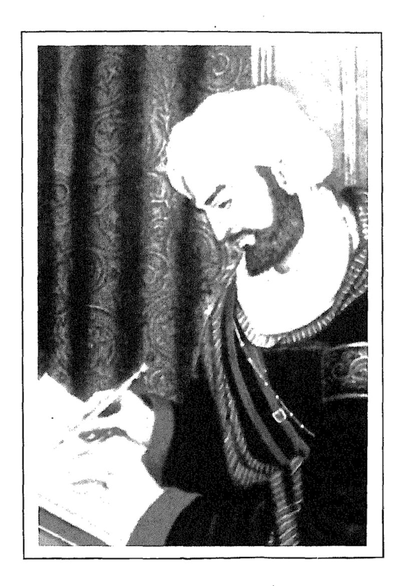
وترجم له القفطي وابن أبي أصيبعة ما ذكره هو (ابن سينا) عن نفسه ونقله عنه أبو عبيد الجوزجاني، أحد تلاميذه، حيث يقول الشيخ الرئيس: "إن أبي كان من أهل بلخ، وانتقل منها إلى بخارى في أيام نوح بن منصور.. وتزوج أبي بوالدتي في قرية يقال لها أفشنه، وقطَنَ بها ووُلِدْتُ بها، ثم انتقلنا إلى بخارى، وأحضرت معلم القرآن ومعلم الادب، وأكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب، حتى كان يقضى مني العجب".

وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين ويُعَدّ من الاسماعيلية، وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم، وكانوا ربما تذاكروا بينهم وأنا أسمعهم وأدرك ما يقولونه ولا تقبله نفسي، وابتدءوا يدعونني أيضاً إليه ويُجْرون على ألسنتهم ذكر الهندسة والفلسفة وحساب الهند، وأخذ يوجهني إلى رجل كان يبيع البقل ويقوم بحساب الهند حتى أتعلمه منه، ثم جاء إلى بخارى أبو عبد الله النائلي وكان يُدْعَى المُتَفَلْسِفْ، وأنزله أبي دارنا رجاء تعلُّيمي منه.

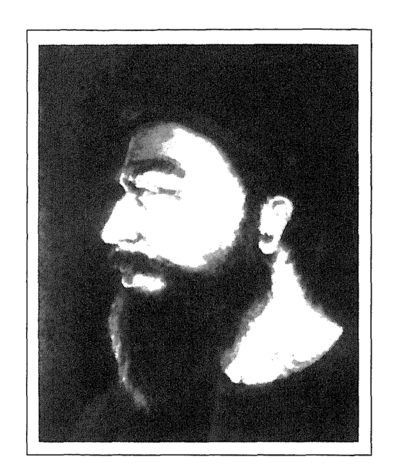
وقبل قدومه كنت اشتغل بالفقه والتردد فيه إلى إسماعيل الزاهد، وكنت من أجود السالكين... ثم ابتدأت بكتاب إيساغوجي على النائلي.. حتى قرأت ظواهر المنطق عليه.. ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي وأطالع الشروح حتى أحكمت علم المنطق. وكذلك كتاب إقليدس.. ثم انتقلت إلى المجسطي.

---

١ د. سلمان قطاية ، كتاب القانون لابن سينا، بحلة عالم الفكر بحلد ٧ عدد ٢، يوليو-سبتمبر ١٩٧٦ الكويت ص ١٩٣ – ١٩٤



أبو علي الحسين ابن سينا
(اعلام ومفكرون ، الاكاديمية الاسلامية للعلوم، عمان الأردن)



ابن سينا ٩٨٠-١٠٣٧م

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
هذا كتاب الإمام العلامة
الفقيه العلامة الطبيب الماهر
هو الحاكم الرئيس علي ابن سينة
رحمه الله تعالى ورضي عنه

الحمد لله الذي جعل نوع الإنسان أكمل
الأنواع، وميزه بالنطق والإدراك والاختراع،
وجعل صحة بدنه وعقله سببا للوجود والانتفاع
والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي اعتدل في
الجسم والأخلاق والطباع، وعلى آله وأصحابه
والأتباع، وبعد فهذا قول في الطب لا
يجهله الإنسان ولا يحتاج في معرفته إلى أعوان
فمن اجتمع ما تفرق في غيره من التصانيف وأغنى
عن مراجعة ما سواه من التآليف جعله الله
تعالى خالصا لوجهه ونفع به من طلب منه

صورة عن مخطوطة لكتاب لابن سينا
في مقتنيات الخزانة الحسينية بالمكتبة الملكية في الرباط

ثم رغبت في علم الطب وصرت أقرأ الكتب المُصنَّفة فيه، وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة، فلا جرم أني برزت فيه في أقل مدة حتى بدأ فضلاء الطب يقرءون عليَّ علم الطب، وتعهدتُ المرضى فانفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف، وأنا مع ذلك أختلف إلى الفقه وأناظر فيه، وأنا في هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنة.

ثم توفرتُ على العلم والقراءة سنة ونصفاً.. وفي هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها ولا اشتغلت النهار بغيره.. وكلما كنت أتحير في مسألة ولم أكن اظفر في حلها ترددت إلى الجامع، وصليت وابتهلتُ إلى مبدع الكل حتى فتح لي المُنْغَلِق وتيسر المتعسر.

وكنت مهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها، حتى إن كثيراً من المسائل اتضح لي وجوهها في المنام، وكذلك حتى استحكم معي جميع العلوم، ووقفت عليها بحسب الإمكان الإنساني... ثم عدلت إلى (العلم) الإلهي وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة، فما كنت أفهم ما فيه حتى قرأته أربعين مرة، وصار لي محفوظاً وأنا مع ذلك لا أفهمه.. وفي أحد الأيام حضرت في الورَّاقين وبيد دلال مجلد ينادي عليه فعرضه عليّ فرددته ردَّ متبرِّم، فقال لي اشتر هذا مني فإنه رخيص أبيعُكَهُ بثلاثة دراهم وصاحبه محتاج إلى ثمنه، واشتريته فإذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة ورجعت الى بيتي وأسرعت قراءته، فانفتح علي في الوقت أغراض ذلك الكتاب وفرحت بذلك وتصدقت في ثاني يومه بشيء كثير على الفقراء شكراً لله تعالى..

وكان سلطان بخارى في ذلك الوقت نوح بن منصور، واتفق له مرض اتلج الأطباء فيه، وكان اسمي اشتهر بينهم بالتوفر على القراءة، فأجروا ذكري بين يديه وسألوه إحضاري، فحضرت وشاركتهم في مداواته وتوسمت بخدمته فسألته يوماً الإذن لي في دخول دار كتبهم ومطالعتها وقراءة ما فيها من كتب الطب، فأذن لي فدخلت داراً ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضَّدة بعضها على بعض.. وفي كل بيت كتب علم مفرد. فطالعت فهرست كتب الأوائل وطلبت ما احتجتُ إليه منها ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه إلى كثير من الناس قط.. فقرأت تلك الكتب وظفرت بفوائدها، فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري فرغت من هذه العلوم كلها[1].

كان إبن سينا إلى جانب علمه بالطب فيلسوفا، وقد مكنته قدراته العقلية بوصفه فيلسوفاً من أن ينظر النظرة الكلية الشاملة للطب، فيضع النظريات الطبية في صورة متكاملة، وأن يقوده المنطق إلى استنتاجات عقلية صحيحة في مجال الطب.

ويعدّ ابن سينا أول من وصف الالتهاب السحائي، وأول من ميَّز بين الشلل الناتج عن سبب داخلي في الدماغ وبين الشلل الناتج عن سبب خارجي، وتوصل إلى

---

١ ابن أبي أصيبعة، طبقات الأطباء، ج ٣ ص ٣-١٦؛ القفطي ص ٢٦٩ – ٢٧١

وصف السكتة الدماغية الناتجة عن كثرة الدم (مخالفا بذلك تعاليم اليونان) وله بعض التشخيصات لأمراض كانت منتشرة في عصره كشلل الوجه[1].

وكان إبن سينا أول من استعمل التخدير عن طريق الفم وأدرك أن الأفيون أقوى مخدر، وعرف أنواعاً أخرى أخف مثل اللفاح والشوكران وحبوب الخس والثلج والماء البارد[2].

والتخدير عند ابن سينا "يزيل الوجع، لأنه يذهب بحس العضو الذي فيه الوجع".

وفي علاج اللقوَة (شلل العصب الوجهي) يشير إلى استعمال الأدوية المحمِّرة للجلد ويقول: "إن المادة الفاعلة للَقوَة مُستَكِنَة في مبادئ العصب وعضل الوجه، ولذلك يُستَحَبّ أن تُستعمل لها الأدوية المحمِّرة على فقرات العنق وعلى الفك أيضاً.

وينصح ابن سينا باستعمال المَضنُوغات (مواد تمضغ) في الجانب المريض باللَقوَة، وبدلك الرأس والعنق، والنظر في المرآة يومياً لتسوية الوجه باليد، وكلها طرق مازال أطباء اليوم ينصحون المرضى المصابين باللقوَة ببعضها.

كما تعرَّض ابن سينا للمعالجة الجراحية لشلل العصب الوجهي، وذكر العالم الألماني أدولف ميلكه في كتابة المُكَّرس لموضوع "جراحة العصب الوجهي"، أن ابن سينا اقترح تطبيق نهايتَيْ العصب المقطوع بخياطة النسيج فوق العصبي Epineural يضيف "وكان أول من وصف لنجاح خياطة العصب حسب طريقة ابن سينا في مدرسة بولونيا، وكان المسؤول عن نشر هذه الطريقة في فرنسا وسويسرا "لافرانشي وغي دوشولياك طبيب البلاط البابوي ١٣٠٠ – ١٣٦٨".

ويقول غي دو شولياك في كتابه الجراحة الكبرى "La Grande Chirurgie" إن جروح المواضع العصبية، حسب ابن سينا هي إما واخزة، وأحياناً مشققة، وأحياناً متكسرة وتحت عنوان "شق العصب" ينقل بأمانة ودقة قول ابن سينا: "وهذا ما يريده ابن سينا عندما يقول: إذا كان العصب مقطوعاً عرضاً فمن الضروري إذن خياطته"[3].

وعارض ابن سينا أقوال القدماء بأن الأنسجة الطرية كالدماغ والأنسجة القاسية كالعظم لا تلتهب بتاتاً، وخطأ هذه النظرية. وكان أول من اكتشف التهابات غشاء الدماغ وميزها عن الالتهابات المزمنة ووضع اول وصف لتشخيص مرض تصلُّب الرقبة والتهاب السحايا بشكل واضح يضاهي ما نقوم به في أيامنا هذه علماً وصحة[4].

---

١ تاريخ العلوم عند العرب، د. عمر فروخ ورفاقه، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٠، ص١٧٤؛ د. سلمان قطايه، كتاب القانون لابن سينا، مرجع سابق، ص ٢٠٩

٢ الحكيم محمد سعيد والدكتوره سعديه راشد، ابن سينا – فيلسوف وعالم، المؤتمر العالمي الاول عن الطب الاسلامي، الكويت، ١٩٨١ ط ٢ ص ١٨٥

٣ د. سليمان قطايه، كتاب القانون لأبن سينا، مرجع سابق ص ٢٠١ –٢٠٢

٤ زيغريد هونكه، مرجع سابق، ص ٢٧١

وبعد أن استوعب علم الطب، وبدأ الممارسة الطبية لصناعته تأدُباً لا تكسباً، كان في الوقت نفسه يجرب وسائل العلاج، وهو يحدثنا عن نفسه قائلا: "وتعهدت المرضى فانفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف"[1].

ومن دأب المصنفين والمنشئين أن يقتبسوا عبارات من كتب الآخرين ويستمدوا منها، فأخذ ابن سينا من كتب الأطباء الضليعين الذين سبقوه، وليس يُجْرَح في علمه لهذا، ولكن الذي يثير العجب أنه ذكر في شتى المواضع من كتاب القانون أسماء الذين استفاد منهم ومن كتبهم مثل جالينوس وبقراط وغيرهم من الأطباء، ولكنه أعرض عن ذكر اسم الرازي إعراضاً تاما حتى لم يذكر اسمه إطلاقا، بل عبَّر بألفاظ مبهمة عنه وأحياناً بالتقليل من مكانته مثل: "قال قائل" أو "قال بعض المتطببين" أو "قيل"، رغم أنه استفاد من عبارات كتاب "الحاوي في الطب" للرازي ودمجها في كتاب القانون كأنها من عبارات المتن مع أن الحقيقة أنها مقتطفات ومقتبسات من كتاب الحاوي[2].

وللتدليل على نقل ابن سينا عن الرازي يورد صيانت الله الطبيب المقتبسات التالية التي اختيرت من المجلد الثالث من المجلدات الخمسة لكتاب القانون، ومقارنتها مع المجلد الأول والسابع من أربعة وعشرين مجلداً للحاوي..

" قال: الذين عرض لهم الخوانيق من ورم في عضل الرقبة أصابهم لقوة أو فالج بلغ إلى اليدين، لأن العصب الذي يجيء إلى العنق واليد يجيء من فقار الرقبة"[3].

وقال الشيخ ابن سينا:

"وكثير من الناس من يعرض له ورم في عضل الرقبة فيكون من جملة الخوانيق فيصيبه من ذلك لقوة ويصيبهم أيضاً فالج يمتد إلى اليدين لأن العصب الذي يسقى منه عضل اليدين القوة المتحركة فمنبته أيضاً من فقار الرقبة"[4].

وموضوع هاتين العبارتين ومفهومهما ودليلهما واحد، إلا أن أسلوب كل من الشيخين مختلف باختلاف يسير.

وخبرة الرازي في اللقوة (شلل العصب الوجهي) فيما يلي:

"إذا جاوزت اللقوة ستة أشهر لم يكد يبرأ"[5].

---

١ د. محمد عبد الهادي ابو ريدة، الطب السيناوي، المؤتمر العالمي الاول عن الطب الاسلامي، الكويت ١٩٨١، ط٢، ص ١٦٦

٢ انظر مقالاً للطبيب الهندي صيانت الله بعنوان "كتاب القانون لابن سينا ومقارنته بالحاوي في الطب للرازي، مقال بمجلة ثقافة الهند المجلد ٤١ العدد ١، نيودلهي ١٩٩٠ ص ١٤١

٣ كتاب الحاوي ص ١٠٤ – ١٠٥

٤ كتاب القانون ص ٨٦ ج ٣

٥ كتاب الحاوي ص ١٠٥

وقال ابن سينا قابلا خبرة الرازي وتجربته:
"كل لقوة امتدت ستة أشهر فبالحري أن لا يرجى إصلاحها"[1]
وكتب الشيخ الرازي وصفته المجربة في علاج الصرع:
"يقطع العنصل ويجعل في برنيه قد كان فيها خل، ويطيَّن رأسها وتوضع في زاوية تستقبل الجنوب ولا تستقبل الشمال البتة في الصيف الشديد أربعين يوماً عند طلوع الكلب، واقلبها في كل يوم في الصيف الحر جميع نواحيها ثم خذه فإنه تجد العنصل قد أرخى ماءه فخذ ذلك الماء ويخلط بعسل وأنق وأعط منه معلقة صغيرة للصبي وكبيرة للرجل"[2].
وقال الشيخ ابن سينا مصدّقاً لما كتب الشيخ الرازي: "يؤخذ الإشقيل ويجعل في برنيه قد كان فيها خل، ويُشَدُّ رأسها بصمام قوي ويعلى بجلد الثخين ويترك فيه أربعين يوماً أولها قبل طلوع الشعرى بعشرين يوما، وتنصب البرنية في الشمس معترضة الجنوب ويُقلب كل حين قليلٌ ليكون ما يصل إلى أجزائه من الحر متشابه الوصول ثم يفتح البرنية فتجد الإشقيل كالمطبوخ المتهرئ فتعصره وتأخذ عصارته وتخلطها بعسل وتسقى في كل يوم قدر معلقة"[3].
العنصل والإشقيل لفظان مترادفان، والكلب والشعرى اسم للنجم، ولا فرق بين أجزاء وصفة الشيخ الرازي والشيخ أبي علي ابن سينا ولا في استعمالها وتركيبها، كأن الشيخ استحضر كتاب الحاوي كامل الاستحضار ووضع كتابه "القانون" نظراً إلى كتاب الحاوي..
ونقل الشيخ الرازي قول يهودي تحت عنوان الاختلاط الذي هو مرض من الأمراض الدماغية فقال:
"وإذا طال الاختلاط ولم ينجح فيه العلاج فينبغي أن يُكتف العليل ويضرب ضرباً موجعاً كثيراً ويُلطم وجهه ورأسه ويُكوى على اليافوخ فإنه يفيق ويعاود بذلك إن لم يَكْتفِ بالمرة الأولى"[4].
وكتب الشيخ أبو علي ابن سينا هذا العلاج "للاختلاط" بتغيير يسير: "إذا لم ينجح فيه الدواء أو العلاج أُدِّبَ وأوجِعَ وضُرِبَ رأسُه ووجهُه وكُوِيَ يافوخه فإنه يفيق، فإن عاد أعيد".

---

١ كتاب القانون ص ٨٦
٢ كتاب الحاوي ص ١٢٣ ج ٧
٣ كتاب القانون ص ٧١
٤ كتاب الحاوي ص ٢٠٢ ج ١

ان هاتين العبارتين تتوافقان فيما بينهما مفهوماً ومعنى، وذكر الشيخ الرازي اسم ذلك "اليهودي" مستنبطا هذه الوصفة ولكن ابن سينا لم يذكره بل ذكرها كأنه أول من حققها[1].

وما ذكر إلى هاهنا نموذج من عبارات "كتاب الحاوي" للشيخ الرازي و"كتاب القانون " للشيخ أبي علي ابن سينا المتماثلة التي اختيرت من المجلد الثالث من المجلدات الخمسة "لكتاب القانون" ومن المجلد الأول والسابع من أربعة وعشرين مجلداً "للكتاب الحاوي" فقط.

وهذه نظرة عابرة وإلا إن قوبل بين هذين الكتابين نقداً ونظراً يتأتى كثير من المتماثلات.

ويؤيد "شاخت وبوزورث" الدراسات الرائدة التي قام بها ألبير اسكندر، التي تعتبر دليلا لا يمكن نقضه، على أن أقساماً كاملة من كتاب ابن سينا في الطب تعتمد اعتماداً أساسياً على الرازي، ولذا فدون أن تكون لدينا رغبة في التقليل من مكانة ابن سينا كمعلم وطبيب، لا بد من الاعتراف بأنه اعتمد على غيره كمؤلف في الطب إلى حد يزيد بكثير عما كان يُظَنُّ سابقاً[2].

وبالتأكيد فإن ابن سينا قرأ كتب الرازي، خاصةً وأن الرازي كان طبيباً للأمير منصور بن نوح. فيما أصبح ابن سينا طبيباً لولده الأمير نوح بن منصور الساماني. (توفي ٣٨٧هـ/٩٩٧م).

وأوضح ابن سينا حقيقة علمية كبيرة في كسور الجمجمة وهي أن عظام الجمجمة إذا انكسرت لا تلتئم بالطريقة التي تلتئم بها باقي عظام الجسم، بل تبقى منفصلة وبشكل دائم، وما يجمعها ببعضها بعد الكسر نسيجٌ ليفي مجمِّع، ويقول: "فاعلم أن عظام الرأس تخالف عظاماً أخرى إذا انكسرت لم تُجْبِر الطبيعة عليها شيئاً قوياً كما تجريه على سائر العظام بل شيئاً ضعيفاً".

ويقسم ابن سينا كسور الجمجمة إلى قسمين: الأول كسور مغلقة لا تترافق بجروح، وهذه خطرة لما يرافقها من تورم واحتباس دم وصديد، حيث يقول: "كثيراً ما يعرض أن ينكسر القحف ولا ينشق الجلد بل يتورم، فإذا اشتُغِل بعلاج الورم ولم يُتَعَرَّض للشجة فربما عَرَضَ أن يفسد العظم من تحت. وتعرض قبل البرء أو بعده أعراضٌ رديئة من الحمَّيات والرعشة وذهاب العقل وغير ذلك فيحتاج إلى أن يُشَقّ".

---

١ اليهودي الذي يشير اليه الرازي في الحاوي هو ماسرجويه البصري، وقد ورد اسمه اكثر من ١٣٠ مرة في الحاوي، د. كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العرب، مرجع سابق ص ٢٦٥

٢ تراث الاسلام، ج٢، مرجع سابق، ص ٢٥٨؛ وكذلك ألبير زكي اسكندر، دراسة تحليلية لمؤلفات الرازي وابن سينا، المؤتمر العالمي الاول عن الطب الاسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢، ص ٢٥٣

والثاني كسور مفتوحة وتكون مترافقة بجروح. وشدة الإصابة تعتمد على حجم الجرح وقوة السبب المؤذي، وعلى شدة الأعراض الناتجة عن الكسر، حيث يقول: "ولهذا ما يجب ان نتأمل حال الكسر، ومبلغ قوة الكسر في ثقله وفي عِظَمِه أو في قوته، فنعلم بذلك مبلغ ما يجب أن يكون من الكسر، وكذلك الأعراض قد تدل على ذلك مثل السكتة والسَّدَر وبطلان الصوت وما أشبه ذلك، وقد يدل انشقاق في الجلد في كثرته واختلافه، أو في وقوعه على سَمْتٍ واحد، على حال الكسر أيضاً."

ويؤكد ابن سينا على ضرورة إزالة العظام الغائرة في كسور الجمجمة عن أغلفة المخ، وربما يتم ذلك من خلال استعمال مثاقب.

ويضيف أنه يجب في مثل هذه الحالات فصْد المريض، والإقلال من الطعام المقدَّم له، وإسهاله لإنقاص المياه من جسمه لتخفيف الضغط عن الجمجمة[1].

ويقول ابن سينا: انه قد يُستعمَل مرضٌ ما وسيلة لعلاج مرض آخر، ويستشهد بحمى الرِّبع التي قد تستعمل لمعالجة الصرع[2].

ويذكر في "الرسالة الألواحية"، التي جعل فيها ترتيب الأدوية المفردة ألواحاً حسب قواها وأفعالها ومنافعها بالأعضاء والأمراض والاخلاط، الادوية التي تنفع مع أنواع الصداع ومنها:

- زهر الحنا ينفع من الصداع الحار شَمّاً وضماداً.
- ياسمين ينفع من الصداع شَمّاً.
- قيسوم ينفع من الصداع البارد نَطولاً[3].[4]

ومن أدوية الصرع يذكر نبات الجعدة، ودماغ ابن عرس ومرارة القنفذ[5].

كما يذكر أن حب الغار ينفع من الفالج والخدر شراباً ودَهْناً، والياسمين ينفع من اللَّقوَة وعلل العصب البارد شَمّاً ودَهْناً، والسمسم ينفع من التشنج اليابس، والصنوبر جيد للرعشة[6].

---

١ د. عبد القادر عبد الجبار، جراحة الجمجمة والدماغ عند الاطباء العرب، للمؤتمر العالمي الاول عن الطب الاسلامي، الكويت ١٩٨١ ط ٢ ص ٣٧٤ — ٣٧٥

٢ انظر "الرسالة الألواحية" لأبن سينا، تحقيق وتعليق د. محمد سويسي، الدار العربية للكتاب، ص١٤.

ينقل الرازي في الحاوي عن ابقراط قوله "من به حمى رِبْع لا يصيبه صرع" ج١، ص ١٢٦.

٣ نطل المريض: صَبَّ الدواء السائل على جسمه شيئاً بعد شيء ليعالجه به

٤ ص٢١

٥ المرجع السابق ص ٢٤ و ٢٥

٦ المرجع ص ٢٦ — ٢٨

القانون في الطب لابن سينا

يفسر "قاموس أصول الكلمات"[1] كلمة "قانون – Canon" أنها تعني: مرسوم كنسي، كلمة يونانية تعني القاعدة، أو الحكم، أو الحاكم، معيار، كتاب أصيل أو موثوق به، مجموعة كتب جديرة بالتصديق.

وتنطبق التعريفات السابقة على كتاب "القانون في الطب" لابن سينا الذي أراده أن يكون القاعدة والمعيار في الطب، والكتاب الأصيل الموثوق به، والحد الفاصل في مسائل الطب.

وحقاً فقد كان الكتاب هكذا لمئات السنين، ليس في الطب العربي والإسلامي فحسب وإنما في أوروبا ولمئات السنين، وكانت آخر كلية طب تدرسه هي كلية مدينة لوفان البلجيكية في منتصف القرن الثامن عشر، وقال السير وليام أوسلر، الطبيب الإنجليزي الشهير عنه: "كان الإنجيل الطبيَّ لأطول فترة من الزمان".[2]

ويقول ابن سينا في مقدمة كتابه القانون: "فقد التمس مني بعض خُلّص إخواني ومَنْ يلزمني إسعافه بما يسمح به وسْعِي، أن أصنّف في الطب كتاباً مشتملاً على قوانينه الكلية والجزئية اشتمالاً يجمع إلى الشرح والاختصار، وإلى إيفاء الأكثر حقَّه من البيان الإيجاز".

ونلاحظ من الفقرة السابقة أن ابن سينا توخى الإيجاز في الكتاب، ومع ذلك يحتوي الكتاب على مليون كلمة تقريباً، فكيف يكون الكتاب لو كان هدفه الإطالة والتفصيل؟![3]

وقد عرفت أوروبا كتاب القانون لابن سينا خلال القرن الثاني عشر الميلادي عندما ذهب جيرار الكريموني (Gerard of Cremona) إلى طليطلة Toledo لتعلُّم اللغة العربية وترجمة كنوزها إلى اللاتينية.

وانتشر الكتاب في أوروبا، ولم يكتف العلماء بدراسته وتدريسه، بل قاموا بشرحه والتعليق عليه وذلك منذ القرن الثالث عشر، وفي النصف الأول من القرن الخامس عشر أمضى الفرنسي جاك ديبارس Jaques Depars إحدى وعشرين سنة من حياته في شرح الكتاب في خمسة عشر مجلداً أهداها لكلية الطب في جامعة باريس بعد وفاته ، ولا يزال بعض هذه المجلدات محفوظا فيها حتى الآن.[4]

---

١ Dictionary of word origins, Longman, London ١٩٨٣

٢ د. سليمان قطايه ، كتاب القانون لابن سينا، عالم الفكر مجلد ٧ عدد ٢، يوليو – سبتمبر ١٩٧٦ الكويت، ص ١٩٢ ؛ تراث الإسلام، تصنيف

شاخت وبوزورث ، ترجمة د.حسين مؤنس ود. إحسان العمد ، عالم المعرفة ، الكويت، ج٢ ط٢ – ١٩٨٨ ص ٢٥٨

٣ د. سليمان قطايه ، كتاب القانون لابن سينا ، مرجع سابق، ص ١٩٦–١٩٥

٤ د. سليمان قطايه ، كتاب القانون لابن سينا، مرجع سابق، الكويت ص ١٩٢ – ١٩٣

وطبع كتاب القانون لابن سينا لأول مرة باللاتينية في مطبعة مجهولة في ميلانو أو في بادوفا بإيطاليا عام ١٤٧٢ ثم أعقب ذلك أربع عشرة طبعة أغلبها في إيطاليا ما عدا واحدة طبعت في مدينة ليون بفرنسا عام ١٤٩٨.

وطبع بالعربية لأول مرة في روما عام ١٥٩٣ على المطبعة الحجرية في مطبعة ميديسيس، وتلتها طبعة القاهرة في بولاق ١٢٩٤ هـ / ١٨٧٧م.[١]

وحقّق كتاب القانون في الطب لابن سينا شهرة ندر أن يحققها كتاب طبي آخر على مدى عدة قرون.

يقول الدكتور الألماني المشهور ماكس مايرنهوف في هذا الصدد إنه "لشدة الطلب على كتاب القانون، طبع أكثر من ٣٦ مرة في آخر ثلاثين سنة من القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر، ولا يدخل في ذلك طبع أجزاء متفرقة منه".

ويضيف أنك لتجد قبر هذا الطبيب حتى الآن في همدان غربي إيران تزينه الأدعية الدينية المنقوشة على حافته[٢].

---

١ د. سليمان قطاية، كتاب القانون لإبن سينا، مرجع سابق ص ١٩٣

٢ تراث الإسلام، تاليف بجموعة من المستشرقين، دار الطليعة، بيروت، ط٣، ١٩٨٧ ص ٤٧٢

الدماغ والأعصاب في كتاب القانون لابن سينا

يشتمل كتاب القانون على خمسة كتب من ضمنها الأمراض العصبية أولها في الأمور الكلية والثاني في الأدوية المفردة، والثالث في الأمراض الجزئية والرابع في الأمراض العامة والخامس في الأدوية ، وقد لخَّصه ابن سينا في أرجوزة من ١٣٢٦ بيتا، قسم هذا الكتاب على اثنين وعشرين فناً، وكل فن يشتمل على عدة مقالات، وكل مقالة منقسمة على فصول وتستوفي الكلام في الأمراض الجزئية الواقعة بأعضاء الإنسان ظاهرها وباطنها.[١]

الفن الأول من الكتاب الثالث من القانون في أمراض الرأس والدماغ وهو خمس مقالات

المقالة الأولى، في كليات أحكام أمراض الرأس والدماغ:

- فصل في معرفة الرأس وأجزائه
- فصل في تشريح الدماغ
- فصل في أمراض الرأس الفاعلة للأعراض فيه
- فصل في الدلائل التي يجب أن يتعرف منها أحوال الدماغ
- فصل في كيفية الاستدلال من هذه الدلائل على أحوال الدماغ وتفصيل هذه الوجوه المعدودة حتى ينتهي إلى آخر تفصيل بحسب هذا البيان
- فصل في الاستدلالات المأخوذة من الأفعال النفسانية .. الخ
- فصل في الاستدلال من الأفعال الحركية .. الخ
- فصل في الدلائل المأخوذة من الأفعال الطبيعية .. الخ
- فصل في الدلائل المأخوذة من الموافقة والمخالفة .. الخ
- فصل في الاستدلال الكائن من جهة مقدار الرأس ..
- فصل في الاستدلال من شكل الرأس
- فصل في الاستدلال مما يحسه الدماغ .. الخ
- فصل في الاستدلالات المأخوذة من أحوال أعضاء هي كالفروع .. الخ
- فصل في الاستدلال من المشاركات لأعضاء يشاركها الدماغ ويقرب منه
- فصل في الاستدلال على العضو الذي يتألم بمشاركته ..
- فصل في دلائل مزاج الدماغ المعتدل
- فصل في دلائل الأمزجة الواقعة في الجبلة

١ القانون في الطب، ابن سينا، تحقيق سعيد اللحام، دار الفكر - بيروت ١٩٩٤

- فصل في علامات أمراض الرأس مرضا مرضاً
- فصل في قوانين العلاج

المقالة الثانية، في أوجاع الرأس وهو أصناف :
- الفصل الأول كلام كلّيّ في الصداع
- فصل في تفصيل أصناف الصداع الكائن من سوء المزاج
- فصل في تفصيل أصناف الصداع الكائن بسبب تفرق الاتصال
- فصل في تفصيل أصناف الصداع الكائن من الأورام
- فصل في كيفية عروض الصداع من المواد
- فصل في أصناف الصداع الكائن بالمشاركة
- فصل كلام كلي في العلاقات الدالة على أصناف الصداع وأقسامه
- فصل في العلامات المنذرة بالصداع في الأمراض
- فصل في تدبير كلي للصداع
- فصل في علاج الصداع الحار بغير مادة .. الخ
- فصل في علاج الصداع البارد بغير مادة .. الخ
- فصل في علاج الصداع الكائن من رياح وأبخرة .. الخ
- فصل في علاج الصداع الحادث من ريح نفذت إلى داخل الرأس من الخارج
- فصل في علاج الصداع الحادث من أبخرة رديئة أصابت الرأس من الخارج
- فصل في علاج الصداع الحادث من الروائح الطيبة
- فصل في علاج الصداع الحادث من الروائح المنتنة
- فصل في علاج الصداع الحادث من الخمار
- فصل في علاج الصداع الحادث من الجماع
- فصل في علاج الصداع الكائن من ضربة أو سقطة
- فصل في علاج الصداع الكائن من ضعف الرأس
- فصل في علاج الصداع الكائن من قوة حسٍّ الرأس
- فصل في علاج الصداع الكائن عرَضاً للحمَّيات والأمراض الحادة
- فصل في علاج الصداع البُحْرَاني
- فصل في علاج الصداع الذي يُدَّعى انه بسبب الدود
- فصل في علاج الصداع الذي يعقب النوم والنعاس
- فصل في تدبير أصناف الصداع الكائن بالمشاركة
- فصل في علاج ثِقَلِ الرأس
- فصل في الصداع المعروف بالبيضة والخُوذة
- فصل في الشقيقة

المقالة الثالثة، في أورام الرأس وتفرق اتصالاته:

- فصل في قرانيطس وهو السرسام الحار
- فصل في علاماته المشتركة
- فصل ولنذكر الآن علامات أصناف الحقيقي من السرسام
- فصل في العلاج لأصنافه
- فصل في الفلغموني العارض لنفس جوهر الدماغ
- فصل في الحمرة في الدماغ والقوباء
- فصل في صباري
- فصل في ليثرغس وهو السرسام البارد وترجمته النسيان
- فصل في الماء داخل القحف
- فصل في الأورام الخارجة من القحف والماء خارج القحف من الرأس وعطاس الصبيان
- فصل في السبات السهري
- فصل في الشجّة وقطع جلد الرأس وما يجري مجراه

المقالة الرابعة، في أمراض الرأس وأكثر مضارها في أفعال الحس والسياسة:

- فصل في السبات والنوم
- علاج السبات والنوم الثقيل الكائن في الحميات
- فصل في اليقظة والسهر
- فصل في آفات الذهن
- فصل في اختلاط الذهن والهذيان
- فصل في الرعونة والحمق
- فصل في فساد الذكر
- فصل في فساد التخيل
- فصل في ميانيا وداء الكلب
- فصل في الملنخوليا
- فصل في القُطرُب
- فصل في العشق

المقالة الخامسة، في أمراض دماغية آفاتها في أفعال الحركة الإرادية قوية:

- فصل في الدوار
- فصل في اللوى
- فصل في الكابوس
- فصل في الصرع
- المتهيئون للصرع
- الأسباب المحركة للصرع
- الأدوية الصارعة
- السكتة
- الاستعداد للسكتة الدائرة

أما الفن الثاني فهو في أمراض العصب ويشتمل على مقالة واحدة

الفن الأول
في أمراض الرأس والدماغ يشتمل على خمس مقالات

المقالة الأولى
في كليات أحكام أمراض الرأس والدماغ

فصل في معرفة الرأس وأجزائه

قال جالينوس: "إن الغرض في خِلقة الرأس ليس هو الدماغ ولا السمع ولا الشم ولا الذوق ولا اللمس، فان هذه الأعضاء والقوى موجودة في الحيوان العـديم الـرأس، ولكن الغرض فيه هو حسن حال العين في تصرفها الذي خلقت له[1] وليكون للعين مطلع ومشرف على الأعضاء كلها وفي الجهات جميعها، فإن قياس العين إلى البدن قريب من قياس الطليعة إلى العسكر. وأحسن المواضع للطلائـع وأصـلحها هـو الموضع المشرف ثم أيضاً لا حاجة إلى خلق الرأس لكل عين على الإطلاق، بـل للحيوان اللين العين المحتاجة عينُهُ إلى فضلِ حِرْز ووثاقةِ موضع، فإن كثيراً مـن الحيوانات العديمة الأرؤس خُلِقَ له زائدتان مشرفتان من البدن، وهُنْدِمَ عليهما عينان ليكون لكل منهما مطلع ومشرف لبصره ثم لم يحتج في تصرفات عينه إلـى خلقـة رأس لصلابة مقلته، وإنما الحاجة إلى الرأس للحيوانات التي تحتاج إلـى كِـنٍّ[2] وتحتاج إلى أن تأتيها أعصاب لحركات شتى من حركات المقلة والأجفان، لا يصلح لمثلها عضو واحد متباعد متضائل ونحن نستقصي ذلك في باب العـين. وأجـزاءُ الرأس الذاتية وما يتبعها هي:

الشعر ثم الجلد ثم اللحم ثم الغشاء ثم القحف ثم الغشاء الصلب ثم الغشـاء الرقيـق المشيمي[3] ثم الدماغ جوهره وبطونه، وما فيه ثم الغشاءان تحته ثم الشبكة ثم العظم الذي هو القاعدة للدماغ.

---

١ الله وحده هو العالم بسبب خلق كل شيء ، والدماغ هو المركز الذي تنتهي إليه أعصاب كل الجوارح وهو الذي يفسر احساساتها، والحيوان العديم الرأس له بدل الرأس مركز تجتمع فيه أعصاب الحس على اختلاف أشكالها وأنواعها.

٢ الكِنُّ : وقاء كل شيء وسترة]القانون ج٢ ص [٥

٣ والغشاء الصلب (الأم الجافية) والغشاء الرقيق (العنكبوتية والأم الحنون) يؤلفان السحايا والتهابها قد يسبب الوفاة والآن صار اللقاح من التهابها متوافراً .

فصل في تشريح الدماغ

فأما تشريح الدماغ، فإن الدماغ ينقسم إلى جوهر حجابي والى جوهر مخـي والـى تجاويف فيه مملوءة روحا، وأما الأعصاب فهي كالفروع المنبعثة عنه لأعلى، إنها أجزاء جوهره الخاص به، وجميع الدماغ منصف في طوله تنصيفاً نافذاً في حُجُبـه ومُخّه وبطونه، لما في التزويج من المنفعة المعلومة، وإن كانت الزوجية في البطن المقدم وحده أظهر للحس وقد خلق جوهر الدماغ بارداً رطباً.

أما برده قليلاً، فلشغله كثرة ما يتأدى من قوى حركات الأعصاب وانفعالات الحواس وحركات الروح في الاستحالات التخيلية والفكرية والذكرية، وليعتدل بـه الـروح الحار جداً النافذ إليه من القلب في العرقين الصاعدين منه إليه، وخُلِقَ رطبـاً لـئلا تجففه الحركات وليحسن تشكله وخُلِقَ ليّناً دَسِماً.

أما الدسومة فليكون ما ينبت منه من العصب عَلِكا[٤] وأما اللين فقد قال "جـالينوس" إن السبب فيه ليحسن تشكله واستحالته بـالمتخيلات، فـإن اللـيِّن أسـهل قبـولا للاستحالات، فهذا ما يقوله.

وأقول: خُلِقَ ليِّنا ليكون دسماً وليحسن غذاؤه للأعصاب الصـلبة بالتـدريج، فـإن الأعصاب قد تغتذي أيضاً من الدماغ والنخاع. ثم الجوهر الصلب لا يمد الصلب بما يمده اللين، وليكون ما ينبت عنه لدناً[٥]، إذ كان بعض النابت منه محتاجـاً إلـى أن يتصلب عند أطرافه لما سنذكره من منافع العصب. ولما كان هذا النابت محتاجـاً إلى التصلب على التدريج وتكون صلابته صلابة لدن، وَجَـبَ أن يكـون منشـؤه جوهراً لدناً دسماً والدسم اللزج ليِّنٌ لا محالة.

وأيضاً ليكون الروح الذي يحويه الذي يفتقر إلى سرعة الحركة ممـدَّداً برطوبـة، وأيضاً ليَخِفَّ بتخلخله فان الصلب من الأعضاء اثقل من الليِّن الرطب المتخلخل.

لكن جوهر الدماغ أيضاً متفاوت في اللين والصلابة، وذلك لأن الجزء المقدم منـه ألين والجزء المؤخر أصلب، وفرق ما بين الجزء ين باندراج الحجاب الصلب الذي نذكره فيه إلى حد ما، وإنما ليِّنَ مقدم الدماغ لأن اكثر عصب الحـس وخصوصـاً الذي للبصر والسمع ينبت منه، لأن الحس طليعة البدن، وميلُ الطليعة.

إلى جهة المقدم أولى.. وعصبُ الحركة أكثرُه ينبت من مؤخَّره وينبت منه النخاع[١] الذي هو رسوله وخليفته في مجرى الصلب، وحيث يحتـاج إلـى أن ينبـت منـه أعصاب قوية وعصب الحركة يحتاج إلى فضل صلابة لا يحتـاج إليـه عصـب الحس، بل اللين أوفق له فجعل منشؤه أصلب، وإنما أُدرج الحجـاب فيـه ليكـون فضلاً، وقيل ليكون اللين مبرًا عن مماسَّة الصلب لأن ما يغوص فيه صلب ولـين جداً.

---

١ علكاً: ليناً قابلاً للتشكيل والتمارج حسب موضعه وحركته المُقرة له.

٢ اللدن: اللين من شيء

٣ أي النخاع الشوكي

ولهذا الطيّ[1] منافع أخرى، فان الأوردة النازلة إلى الدماغ المتفرقة فيه تحتاج إلى مستنَد والى شيء يشدها، فجعل هذا الطي دعامة لها، وتحت آخر هذا العطف، وإلى خلفه المعصرة[2] وهي مصب الدماء إلى فضاء كالبركة، ومنها تتشعب جداول يتفرق فيها الدم ويتشبه بجوهر الدماغ ثم تنسفها العروق من فوهاتها وتجمعها إلى عرقين كما سنذكره في تشريح ذلك.

وهذا الطي ينتفع به في أن يكون منبتاً لأربطة الحجاب اللصيق بالدماغ في موازاة الدرز من القحف الذي يليه.

وفي مقدم الدماغ منبت الزائدتين الحلميَّتين اللّتَيْن بهما يكون الشم، وقد فارقتا لين الدماغ قليلاً ولم تلحقهما صلابة العصب. وقد جُلّلَ الدماغ كلّه بغشاءين أحدهما رقيق يليه، والآخر صفيق يلي العظم وخُلِقا ليكونا حاجزَيْن بين الدماغ وبين العظم ولئلا يُمَاسَّ الدماغ جوهرَ العظم ولا تتأدّى إليه الآفات من العظم، وإنما تقع هذه المُمَاسَّة في أحوال تَزَيُّدِ الدماغ في جوهره، أو في حال الانبساط الذي يعرض له عقيب الانقباض. وقد يرتفع الدماغ إلى القحف عند أحوال مثل الصياح الشديد، فلمثل هذا من المنفعة ما جُعِلَ بين الدماغ وعظم القحف حاجزان متوسطان بينهما في اللين والصلابة، وجعلا اثنين لئلا يكون الشيء الذي تحسن ملاقاته للعظم بلا واسطة هو بعينه الشيء الذي تحسن ملاقاته الدماغ بلا واسطة، بل فُرِّقَ بينهما، فكان القريب من الدماغ رقيقاً والقريب من العظم صفيقا[3]، وهما معاً كوقاية واحدة. وهذا الغشاء مع انه وقاية للدماغ فهو رباطٌ للعروق التي في الدماغ ساكِنِها وضاربِها[4] وهو كالمشيمة يحفظ أوضاع العروق بانتساجها فيه[5]، وكذلك ما يُداخل أيضاً جوهر الدماغ في مواضع كثيرة من دروزه إلى بطونه وينتهي عند المؤخر منقطعاً لاستغنائه بصلابته عنه.

والغشاء الثخين غير ملتصق بالدماغ ولا بالرقيق التصاقاً يتَهَنْدَم عليه في كل موضع، بل هو مستقل عنه، إنما يصل بينهما العروق النافذة في الثخين إلى الرقيق. والثخين مسمّر[6] إلى القحف بروابط غشائية تنبت من الثخين تشده إلى الدروز لئلا تَثقل على الدماغ جداً. وهذه الأربطة تطلع من الشؤون[7] إلى ظاهر القحف، فتنبَتُّ

---

١ أي تلافيف للمخ، وهي تعطي مساحة أكبر للأعصاب والخزن للمعلومات

٢ وهي ما يسمى اليوم بالجيب الكهفي (Sinus cavernosus)

٣ صفيقا : ثخيناً

٤ في أوردتها وشرايينها

٥ أي كالمشيمة التي تحفظ الجنين في مراحل نموه

٦ أي مثبّت، كأنما ثُبِّتَ بالمسامير

٧ الشؤون : الدروز

هناك حتى يَنْتَسِجَ منها الغشاء المجلّل للقحف، وبذلك ما يستحكم ارتباط الغشاء الثخين بالقحف أيضا.

وللدماغ في طوله ثلاثة بطون[1]، وان كان كل بطن في عرضه ذا جزئين. فالجزء المقدم محسوس الانفصال إلى جزء ين يَمْنَةً ويَسْرَةً ، وهذا الجزء يعين على الاستنشاق وعلى نفض الفضل بالعطاس وعلى توزيع أكثر الروح الحساس وعلى أفعال القوى المصورة من قوى الإدراك الباطن، وأما البطن المؤخر فهو أيضاً عظيم لأنه يملأ تجويف عضو عظيم ولأنه مبدأ شيء عظيم، أعني النخاع ومنه يتوزع أكثر الروح المحرك وهناك أفعال القوة الحافظة لكنه أصغر من المقدَّم، بل من كل واحد من بطنَيْ المقدَّم، ومع ذلك فإنه يتصاغر تصاغراً متدرجاً إلى النخاع، ويتكاثف تكاثفا إلى الصلابة وأما البطن الوسط فأنه كمنفذ من الجزء المقدَّم إلى الجزء المؤخر وكدهليز مضروب بينهما، وقد عَظُمَ لذلك وطَوِلَ لأنه مؤدٍّ من عظيم إلى عظيم، وبه يتصل الروح المقدّم بالروح المؤخر وتتأدى أيضا الأشباح المتذكرة، ويَتَسقّف مبدأ هذا البطن الأوسط بسقف كُرِيٍّ الباطن كالأزَج[2] ويسمى به ليكون منفذاً، ومع ذلك مبعداً بتدويره من الآفات وقوياً على حمل ما يعتمد عليه من الحجاب المدرج، وهناك يجتمع بطنا الدماغ المقدمان اجتماعاً يتراءيان للمؤخر في هذا المنفذ وذلك الموضوع يسمى مجمع البطنين وهذا المنفذ نفسه بطن.

ولما كان منفذا يؤدي عن التصور إلى الحفظ، كان أحسن موضع للتفكر والتخيل على ما علمت ويستدل على أن هذه البطون مواضع قوى تصدر عنها هذه الأفعال من جهة ما يعرض لها من الآفات، فيبطل مع آفة كل جزء فعله أو يدخله آفة والغشاء الرقيق يستبطن بعضه فيغشي بطون الدماغ إلى الفجوة التي عند الطاق وأما ما وراء ذلك فصلابته تكفيه تغشية الحجاب إياه، وأما التوريد الذي في بطون الدماغ فليكون للروح النفساني نفوذ في جوهر الدماغ كما في بطونه، إذ ليس في كل وقت تكون البطون متسعة منفتحة أو الروح قليلاً بحيث تسعه البطون فقط.

---

١ الأزج : ذو صقف محدّب الظاهر مقحّر الباطن. والمراد به ما يقال له اليوم: القبو .Fornix

٢ تسمى البطينات ventricles في اصطلاح العصر الحاضر: البطن المقدم بقسميه هو البطينات الجانبيان، والبطن المؤخر هو البطين الرابع، والبطن الوسط أو مجمع البطنين هو البطين الثالث.

فصل في أمراض الرأس الفاعلة للأعراض فيه

يجب أن يعلم إن الأمراض المعدودة كلها تعرض للرأس ولكن غرضنا هاهنا في قولنا الرأس هو الدماغ وحُجُبه ولسنا نتعرض لأمراض الشعر هاهنا في هذا الموضع، فنقول: إنه يعرض للدماغ أنواع سوء المزاجات الثمانية والكائنة مع مادة وهي: إما بخارية وإما ذات قوام.

ويكثر فيه أمراض الرطوبة فإن كل دماغ فيه في أول الخلقة رطوبة فضلية تحتاج إلى أن تتنقى أما في الرحم، وأما بعده، فإن لم تُنَّقَ عَظُمَ منها الخطب وكلُّها أما في جِرْم الدماغ وأما في عروقه وأما في حُجُبه.

ويعرض له أمراض التركيب أما في المقدار مثل أن يكون اصغر من الواجب، أو اعظم من الواجب أو في الشكل مثل أن يكون شكله متغيراً عن المجرى الطبيعي فيعرض من ذلك آفة في أفعاله.

أو تكون مجاريه وأوعيته منسدة، والسدد أما في البطن المقدَّم وأما في البطن المؤخَّر وأما في البطنين ناقصة أو كاملة ، وأما في الأوردة وأما في الشرايين وأما في منابت الأعصاب وأما أن تنخلع أربطة حُجُبه أو يقع افتراق فيه بين جزأين.

ويعرض له أمراض الاتصال لانحلال فرد في نفسه، أو في شرايينه أو حُجُبه أو القحف.

ويعرض له الأورام أما في جوهر الدماغ نفسه أو في غشائه الرقيق أو الثخين أو الشبكة أو الغشاء الخارج وكله عن مادة من أحد الأخلاط الحارة أو الباردة، أما من الباردة العفنة فليحق بالأورام الحارة والباردة الساكنة تفعل أوراماً هي التي ينبغي أن تسمى باردة، وكأنك لا تجد من أمراض الدماغ شيئاً إلا راجعاً إلى هذه أو عارضاً من هذه.

وأمراض الدماغ تكون خاصية، وتكون بالمشاركة وربما عَظُمَ الخَطْبُ في أمراض المشاركة فيه حتى تصير أمراضا خاصية قتالة، فإنه كثيراً ما يندفع في أمراض ذات الجَنْب والخوانيق مواد خنَّاقة قتالة، وكثيراً ما تصيبه سكتة قاتلة بسبب أذى في عضو آخر.

في الدلائل التي يجب أن يُتَعَرَّف منها أحوال الدماغ

فنقول المبادئ التي منها نصير إلى معرفة أحوال الدماغ[1] هي من الأفعال الحسية والأفعال السياسية، أعني التذكر والتفكر والتصور وقوة الوهم والحدس والأفعال الحركية، وهي أفعال القوة المحركة للأعضاء بتوسط العضل، ومن كيفية ما يستفرغ منه من الفضول في قوامه ولونه وطعمه، أعني حرافته وملوحته ومرارته أو تَفَهه، ومن كميته في قلته وكثرته، أو من احتباسه أصلا ومن موافقة الأهوية والأطعمة إياه ومخالفتها وأضرارها به، ومن عظم الرأس وصغره ومن وجود شكله، المذكورة في باب العظام، ورداءته ومن ثقل الرأس وخفته، ومن حال ملمس الرأس وحال لونه ولون عروقه، وما يعرض من القروح والأورام في جلدته، ومن حال لون العين وعروقها وسلامتها ومرضها وملمسها خاصة في حال النوم واليقظة، ومن حال الشعر، في كميته أعني قلته وكثرته وغلظه ورقته، وكيفيته أعني شكله في جعودته وسبوطته، ولونه في سواده وشقرته وصهوبته وسرعة قبوله الشيب وبطئه، وفي ثباته على حال الصحة أو زواله عنها بتشققه أو انتثاره[2] أو تمرطه[3] وسائر أحواله.

ومن حال الرقبة في غلظها ودقّتها وسلامتها أو كثرة وقوع الأورام والخنازير[4] فيها، وقلتهما وكذلك حال اللهاة[5] واللوزتين[6] والأسنان .

ومن حال القوى والأفعال في الأعضاء العصبانية المشاركة للدماغ، وهي مثل الرحم والمعدة والمثانة.

والاستدلال على المشاركة يكون على وجهتين: أحدهما من حال العضو المشارك للدماغ، فيما يعرض للدماغ على ما عرض للدماغ، والثاني من حال العضو الذي ألِمَ الدماغ بمشاركته إياه انه أيُّ عضو هو، وما الذي به، وكيف يتأدى إلى الدماغ.

وهذه الاستدلالات قد يستدل منها على ما هو حاضر من الأفعال والأحوال، وعلى ما يكون ولم يحضر بعد، مثل ما يستدل من طول الحزن والوحوش[7] على

---

١ التي نتوصل بواسطتها إلى إدراك أحوال الدماغ

٢ انتثاره: تساقطه شعرة شعرة

٣ تمرط الشعر : زواله وتساقطه خصلة خصلة

٤ الخنازير : بثور في العنق، والأورام قد تكون خارجية ظاهرة أو داخلية تحس باللمس، وقد تكون حميدة وقد تكون خبيثة سرطانية

٥ اللهاة: لحمة في آخر الحلق

٦ من غدد اللعاب عند طرف الحلق الأعلى

٧ أي الوحشة من الناس وحب الانفراد ، الانطوائية

الملنخوليا المطل[1] أو القطرب[2] الواقع عن قرب، ومن الغضب الذي لا معنى له على صرع أو ملنخوليا حار أو مانيا[3] ومن الضحك بلا سبب على حمق أو على رعونة[4].

---

١ وهو المرض النفسي المعروف بالكآبة المرضية

٢ أي داء الصرع

٣ هو الجنون السبعي ، واللفظة من أصل يوناني على الأرجح الجنون الناتج عن سيطرة فكرة واحدة معينة على الدماغ.

٤ الرعونة: اضطراب للمنطق، كأن يضحك مما يُبْكي أو مما يُثير أي انفعال وهو من الأمراض النفسية وقد يكون له سبب موضعي في الدماغ من أصل مرضي.

فصل في كيفية الاستدلال من هذه الدلائل على أحوال الدماغ وتفصيل هذه الوجوه المعدودة حتى ينتهي إلى آخر تفصيل بحسب هذا البيان

فصل في الاستدلال الكلي من أفعال الدماغ

أما الدلالة المأخوذة من جنس الأفعال، فإن الأفعال إذا كانت سليمة أعانت في الدلالة على سلامة الدماغ، وان كانت مئوفة (بها آفة) دلت على آفة فيها، وآفات الأفعال كما أوضحنا ثلاث هي: الضعف والتغير والتشوش ثم البطلان، والقول الكلي في الاستدلال من الأفعال أن نقصانها وبطلانها يكون للبرد ولغلظ الروح من الرطوبة والسدة، ولا يكون من الحر إلا أن يعظم فيبلغ أن تسقط القوة وآما التشوش، أو ما يناسب الحركة فقد يكون من الحر وقد يكون من اليبس.

فصل في الاستدلالات المأخوذة من الأفعال النفسانية الحسية والسياسية والحركية والأحلام من جملة السياسية

فنقول هذه الأفعال قد تدخلها الآفة على ما عرف من بطلان أو ضعف أو تشوش مثال ذلك: أما في الحواس فلنبدأ بالبصر: فإن البصر تدخله الآفة، إما بأن يبطل وإما بأن يضعف ،وإما بأن يتشوش فعله ويتغير عن مجراه الطبيعي، فيتخيل ما ليس له وجود من خارج مثل الخيالات والبق والشعل والدخان وغير ذلك فإن هذه الآفات إذا لم تكن خاصة بالعين استدل منها على آفة في الدماغ[1]، وقد تدل الخيالات بألوانها، ولقائل أن يقول أن الخيال الأبيض كيف يدل منها على البلغم الغالب وهو بارد، وأنتم نسبتم التشوش إلى الحر، فنقول ذلك بحسب المزاج لا بحسب اعتراض المواد للقوة الصحية الكاملة الحرارة الغريزية.

وأما في السمع فمثل أن يضعف فلا يسمع إلا القريب الجهير أو يتشوش فيسمع ما ليس له وجود من خارج، مثل الدوي الشبيه بخرير الماء، أو بضرب المطارق، أو بصوت الطبول، أو بكشكشة أوراق الشجر أو حفيف الرياح أو غير ذلك، فيستدل بذلك أما على مزاج يابس حاضر في ناحية الوسط من الدماغ أو على رياح وأبخرة مُحتَبَسة فيه، أو صاعدة إليه وغير ذلك مما يدل عليه، وأما أن يبطل أصلاً والضعف والبطلان لكثرة البرد والذي يسمع كأنه يسمع من بعيد، فلرطوبة.

وأما في الشم، فبأن يعدم أو يضعف أو يتشوش فيحس بروائح ليس لها وجود من خارج منتنة أو غير منتنة فيدل في الأكثر على خلط محتبس في مقدم الدماغ، يفعله إن لم يكن شيئا خاصا بالخيشوم[2].

---

١ أي إذا لم يكن لها سبب موضعي في أعضاء العين دل ذلك على أن الإصابة أبعد من العين وبالتالي فهي من الدماغ ، وهنا إما أن تكون عضوية أو نفسية.

٢ أي إذا لم يكن لمرض معين في الخيشوم

وأما الذوق واللمس فقد يجريان هذا المجرى إلا أن تغيرهما عن المجرى الطبيعي في الأكثر يدل على فساد خاص في آلاتها القريبة، وفي الأقل على مشاركة من الدماغ خصوصاً مثل ما إذا كان عاماً كخدر جميع البدن. وقد تشترك الحواس في نوع من الضعف والقوة يدل على حالة في الدماغ دائمة وهي التكدير والصفاء، وليس مع كل ضعف كدورة فقد يكون ضعفاً مع الصفاء مثل أن يكون الإنسان يبصر الشيء القريب والقليل الشعاع إبصاراً جيداً صافياً، ويرى الأشياء الصغيرة منها ثم إذا بعدت أو كثر شعاعها عجز عن إدراكها فإذن التكدير والصفاء قد يكونان معاً في الضعف والصفاء قد يكون لا محالة مع القوة، لكن التكدير دائماً تدل على مادة، والصفاء على يبوسة. وهذه التكدير ربما استحكمت بغتة فكان منها السدر[1] وهو يدل على مادة بخارية في عروق الدماغ والشبكة، والحكم في الاستدلالات عن هذه الآفات إن ما يجري مجرى التشوش، فهو في أكثر الأمر تابع لمزاج حار يابس. وما يجري مجرى النقصان والضعف فهو في الأكثر تابع لبرد، إلا أن يكون مع شدة ظهور فساد وسقوط قوة، فربما كان مع ذلك من الحرارة ولكن الحرارة ملائمة للقوى بالقياس إلى البرد. فما لم يعظم استضرار المزاج به وفساده، لم يورد في القوى نقصاناً فيجب أن لا يعوّل حينئذ على هذا الدليل، بل تتوقع الدلائل الأخرى المذكورة لكل مزاج من المزاجين، والبطلان قد يدل على تأكد أسباب النقصان إن كان لسبب دماغي، ولم يكن لسبب آفات في الآلات من فساد وانقطاع وسدة، وبالجملة زوال عن صلوحها للأداء أو لسبب في العضو الحساس نفسه، ومن الأعضاء الحساسة ما هو شديد القرب من الدماغ فيقل أن لا تكون الآفة فيهما مشتركة مثل السمع والشم، فأكثر آفاته التي لا تزول بتنقية وتعديل مزاج يكون من الدماغ. ولذلك ما تكون سائر الحواس إذا تأذت بمحسوساتها دلت على آفة فيها من حر أو يبس لم يبلغا أن يسقط القوة والسمع ثم الشم وفي الأكثر يدل على أن ذلك المزاج في الدماغ.

وأما الأفعال السياسية: فإن قوة الوهم والحدس دالة على قوة مزاج الدماغ بأسره، وضعفه دال على آفة فيه من فوقه إلى أن يتبين أيَّ الأفعال الأخرى اختل، فمنها فساد قوة الخيال والتصور وآفتها، فان هذه القوة إذا كانت قوية أعانت في الدلالة على صحة مقدم الدماغ، وهذه القوة إنما تكون قوية إذا كان الإنسان قادراً على جودة تحفظ صور المحسوسات مثل الأشكال والنقوش والحلو والمذاقات والأصوات والنغم وغيرها، فإن من الناس من يكون له في هذا الباب قوة تامة حتى إن الفاضل من المهندسين ينظر في الشكل المخطوط نظرة واحدة فترتسم في نفسه صورته ويقضي المسألة إلى آخرها مستغنياً عن معاودة النظر في الشكل.

وكذلك حال قوم بالقياس إلى النغم وحال قوم بالقياس إلى المذاقات وغير ذلك، وبهذا الباب تتعلق جودة تعرُّف النبض، فإنه يحتاج إلى خيال قوي ترتسم به في النفس قوى الملموسات، وهذه القوة إذا عرضت لها الآفة.

---

١ السَّدَر : دوار يحس به الإنسان في بعض الأحيان عند الانحناء لفترة ثم القيام بسرعة ويشعر معه بظلمة تغشى العين .

أما بطلان الفعل فلا تقوى فيه صورة خيال محسوس بعد زواله عن النسبة التي تكون بينه وبين الحاسة، حتى يحس بها فإما ضعف وإما نقصان وإما تغير عن المجرى الطبيعي بأن يتخيل ما ليس موجوداً، دل ضعفه وتعذره وبطلان فعله في الأكثر على إفراط برد أو يبس في مقدم الدماغ أو رطوبة. والبرد هو السبب بالذات والآخران سببان بالعرض لأنهما يجلبانه، ودل تغير فعله وتشويشه على فضل حرارة وهذا كله بحسب أكثر الأمور وعلى نحو ما قيل في القوى الحساسة، وقد يعرض هذا المرض لأصحاء العقل حتى تكون معرفتهم بالجميل والقبيح تامة وكلامهم مع الناس صحيحاً، لكنهم يتخيلون قوماً حضوراً ليسوا بموجودين خارجاً،ويتخيلون أصوات طبالين وغير ذلك كما حكى "جالينوس" أنه كان عرض لـ روفلس الطبيب"[1] ومنها فساد في قوة الفكر والتخيل: أما بطلان ويسمى هذا ذهاب العقل، وإما ضعف ويسمى حمقاً ومبدؤهما برد مقدم الدماغ أو يبوسته أو رطوبته وذلك في الأكثر على ما قيل، وإما تغير وتشوش حتى تكون فكرته في ما ليس[2]. ويستصوب غير الصواب ويسمى: اختلاط العقل فيدل: إما على ورم وإما على مادة صفراوية حارة يابسة، وهو الجنون السبعي ويكون اختلاطه مع شرارة، وإما على مادة سوداوية وهو الملنخوليا ويكون اختلاطه مع سوء ظن ومع فكر بلا تحصيل، والمائل من تلك الأخلاق إلى الجبن أدل على البرد والمائل منها إلى الاجتراء[3] والغضب أدل على الحر وبحسب الفروق التي بينها ونحن نوردها بعد، وربما كان هذا بمشاركة عضو آخر ويتعرف ذلك بالدلائل الجزئية التي نَصِفُها بعد.

وبالجملة إذا تحركت الأفكار حركات كثيرة وتشوشت وتفننت فهناك حرارة، وقد يقع أيضا تشوش الفكر في أمراض باردة إذا لم تَخْلُ عن حرارة مثل اختلاط العقل في ليثرغس[4] ومنها آفة في قوة الذكر[5] إما بأن يضعف وإما بأن يبطل كما حكى "جالينوس"، أن وباء حدث بناحية الحبشة كان عرض لهم بسبب جيف كثيرة بقيت بعد ملحمة بها شديدة، فصار ذلك الوباء إلى بلاد يونان فعرض لهم أن وقع بسببه من النسيان ما نسي له الإنسان اسم نفسه وأبيه، وأكثر ما يعرض من الضعف في الفكر، يعرض لفساد في مؤخر الدماغ من برد أو رطوبة أو يبس ويتشوش فيقع له انه يذكر ما لم يكن له به عهد، فيدل على مزاج حار مع مادة أو بلا مادة، والمادة اليابسة أولى بذلك، كل ذلك إذا لم يفرط المزاج فتسقط القوة، ونقول قولاً مجملا إن بطلان هذه الأفاعيل ربما يكون لغلبة البرد إما على جرم الدماغ، فيكون مما يستولي على الأيام أو على تجاويفه[6] وقد يكون لبرد مع رطوبة، وربما جَلَبَهُ اليبس، وكذلك ضعفها

---

١ طبيب يوناني من معاصري جالينوس

٢ المقصود فيما ليس من الواقع أو الحقيقة

٣ الاجتراء : المراد به هنا التهوُّر

٤ مرض النسيان وقد ذكره سابقا وسيذكره لاحقا ويصف علاجه في كتاب "الأقراباذين"

٥ في قوة الذاكرة والقدرة على التذكر

٦ أي يستولي بمضيّ الأيام أي مع طول المدة على الدماغ وتجاويفه

(ضعف الأفاعيل) وأما تغيُّرها فلورم أو مزاج صفراوي أو سوداوي، أو جسم مجرد والاستدلال من أحوال الأحلام مما يليق أن يضاف إلى هذا الموضع، فإن كثرة رؤية الأشياء الصفر والحارة تدل على غلبة الصفراء وكذلك كثرة رؤية أشياء تناسب مزاجا ولا يحتاج إلى تعديدها، والأحلام المتشوشة تدل على حرارة ويبوسة، ولذلك تنذر بأمراض حارة دماغية وكذلك الأحلام المفزعة والتي لا تذكر[1] تدل على برد ورطوبة في الأكثر، ورؤية الأشياء كما هي تدل على ذلك.

فصل في الاستدلال من الأفعال الحركية وما يشبهها من النوم واليقظة

وأما الدلائل المأخوذة من جنس الأفعال الحركية، فأما بطلانها وضعفها فيدل على رطوبة فضلية في آلاتها رقيقة كثيرة ويدل أي عضو على آفة في الدماغ إلا أن الأخص به ما كان في جميع البدن كالسكتة[2]، أو في شقٍّ واحد كالفالج[3] واللقوة الرخوة[4]، وربما اتفقا أعني البطلان والضعف من حر الدماغ أو يبسه في نفسه أو في شيء من الأعصاب النابتة عنه، لكن ذلك يكون بعد أمراض كثيرة، وقليلا قليلا وعلى مَرِّ الأيام. والذي في عضو واحد كالاسترخاء ونحو ذلك، فربما كان لأمراض خاصة بذلك العضو وربما كان عن اندفاع فضل من الدماغ إليه. وأما تغيرها فإن كان بغتة دل على رطوبة أيضا وان كان قليلا فعلى يبوسة، أعني في الآلات. والذي يخص الدماغ فمثل تغير حركات المصروع بالصرع الذي هو تشنج عام، ولا يكون إلا عن رطوبة، لأنه كائن دفعة أو بمشاركة عضو آخر بحسب ما تبين، ويدل على سدة غير كاملة ومثل رعشة الرأس، فإن جميع هذه يدل على مادة غليظة في ذلك الجانب من الدماغ أو ضعف أو يبوسة إن كان بعد أمراض سبقت وكان حدوثه قليلا.

وأما ما كان في أعضاء أبعد من الدماغ ، فالقول فيه ما قلنا مرارا وهذه كلها حركات خارجة عن المجرى الطبيعي، ونقول أيضاً إن كان الإنسان نشيطا للحركات فمزاج دماغه في الأصل حارا أو يابس، وان كان إلى الكسل والاسترخاء فمزاجه بارد أو رطب، وإذا كان به مرض وكانت حركاته إلى القلق هو حار، وان كانت إلى الهدوء ولم تكن القوة شديدة السقوط فهو إلى البرد .

ومما يناسب هذا الباب الاستدلال من حال النوم واليقظة: فاعلم أن النوم دائما تابع لسوء مزاج رطب مُرْخ أو بارد مجمد لحركة القوى الحسية، أو لشدة تحلل من الروح النفساني لفرط الحركة أو الاندفاع إلى الباطن لهضم المادة، ويندفع معها الروح النفساني بالاتباع كما يكون بعد الطعام، فما لم يجر من النوم على المجرى الطبيعي ولم يتبع تعبا وحركة، فسببه رطوبة أو جمود فإن لم تقع الأسباب المجمدة ولم تدل الدلائل على إفراط برد مما سنذكره، فسببه الرطوبة ثم ليس كل رطوبة

---

١ الكوابيس التي لا يتذكرها عندما يستيقظ

٢ أي السكتة الدماغية وسيذكرها في المقالة الخامسة من هذا الكتاب

٣ شلل يصيب شِقّ الإنسان، أي إحدى جانبيه

٤ من أنواع الشلل تصيب نصف الوجه فيعوج الشدق بسببه

توجب نوما، فإن المشايخ مع رطوبة أمزجتهم، يطول سهرهم، ويرى "جالينوس" أن سبب ذلك من كيفية رطوباتهم البورقية، فإنها تسهر بأذاها للدماغ، إلا أن اليبوسة على كل حال مسهرة لا محالة.

في الدلائل المأخوذة عن الأفعال الطبيعية مما ينتفض وما ينبت من الشعر وما يظهر من الأورام والقروح

وأما الدلائل المأخوذة من جنس أفعال الطبيعة، فتظهر من مثل الفضول بانتفاضها في كميتها وكيفيتها أو بامتناعها. وانتفاضها، يكون من الحنك والأنف والأذن، وبما يظهر على الرأس من القروح والبثور والأورام، وبما ينبت من الشعر، فإن الشعر ينبت من فضول الدماغ ويستدل من الشعر بسرعة نباته أو بطئه وسائر ما قد عدد من أحواله.

فلنذكر طريق الاستدلال من انتفاضات الفضول عن المسالك المذكورة، وهذه الفضول إذا كثرت دلت على المواد المذكورة ودلت على السبب الذي يكثر به في العضو الفضول، كما قد علمته وعلى أن الدافعة ليست بضعيفة.

وأما إذا امْتَنَعَتْ أو قلّتْ، ووجد مع ذلك إما ثقل، وإما وخز، وإما لذع، وإما تمدد وإما ضَرَبان وإما دُوار وطنين، دل على سدة وضعف من القوة الدافعة وامتلاء.

ويستدل على جنسه بأن اللاذع الواخز المحرق القليل الثقل المُصَفّر للّون في الوجه والعين، يدل على أن المادة صفراوية.

والضَرَباني الثقيل المُحَمِّر للّون في الوجه والعين والنافخ للعروق يدل على أنها دموية.

والمُكَسِّل المُبلد المُصَيِّر اللّون معه إلى الرصاصية الجالب للنوم والنعاس، يدل على أنها بلغمية.

فإن كمد اللون في تلك الحال، وفَسَدَ الذّكر، وكان الرأس أخف ثقلا، ولم يكن النوم بذلك المستولي ولم يكن سائر العلامات، دل على أنها سوداوية.

فإن كان شيء من هذه مع طنين ودوار وانتقال، دل على أن المادة تولد ريحا ونفخا وبخارا وانّ له حرارة فاعلة فيها وأما إن كان احتباس الفضول مع خفة الرأس دل على اليبس على الإطلاق.

فصل في الاستدلال مما يحسه الدماغ بلمسه من ثقل الرأس وخفته وحرارته وبرودته وأوجاعه

إن الأوجاع الأكّالة التي تخيل أن في رأس الإنسان دبيبا يأكل، واللدّاعة، فأنها تدل على مادة حارة، والضَرَبانية على ورم حار، ويؤكد دلالتها لزوم الحمى، والثقيلة الضاغطة على مادة ثقيلة باردة، والممدّة على مادة ريحية، والانتقال يؤكد ذلك،

والوجع الذي كأنه يطرق بمطرقة يدل على مثل البيضة[1] والشقيقة[2] المزمنة ، والوجع أيضاً يدل بجهته مثل أن الوجع الذي بمشاركة المعدة يكون على وجه، والذي بمشاركة الكبد على هيئة أخرى كما سنذكره، وقد يدل مع ذلك بدوامه ، فإن الوجع إذا دام في مقدم الرأس ومؤخره، انذر بالعلة المعروفة بقرانيطس[3].

فصل في الاستدلالات المأخوذة من أحوال أعضاء هي كالفروع للدماغ مثل العين واللسان والوجه ومجاري اللهاة واللوزتين والرقبة والأعصاب

أما الاستدلال من العين، في جملتها فمن حال عروقها، ومن حال ثقلها وخفتها من حال لونها في صفرته أو كمودته أو رصاصيته أو حمرته، وحال ملمسها، وجميع ذلك يقارب جدا في الدلالة لما يكون في الدماغ نفسه، وقد يستدل بما يسيل منها من الدمع والرمص، وما يعرض لها من التغميض والتحديق وأحوال الطرف، ومن الغؤور والجحوظ والعِظَم والصغر والآلام والأوجاع، فإن جفاف العين قد يدل على يبس الدماغ، وسيلان الرمص والدموع إذا لم يكن لعلة في العين نفسها يدل على رطوبة مقدم الدماغ، وعظم عروق العين يدل على سخونة الدماغ في الجوهر، وسيلان الدمع لغير سبب ظاهر يدل في الأمراض الحارة على اشتعال الدماغ وأورامها، وخصوصا إذا سالت من إحدى العينين، وإذا اخذ يغشي الحدقة رمص كنسج العنكبوت، ثم يجتمع فهو وقت الموت، والعين التي تبقى مفتوحة لا تطرف كما قد يكون في قرانيطس وأحيانا في ليثرغس[4] ويكون أيضا في قرانيطس عند انحلال القوة يدل على آفة عظيمة في الدماغ، والكثيرة الطرف تدل على اشتعال وحرارة وجنون، واللازمة ينظرها موضعا واحدا وهي المُبَرْسَمَة[5] والمبرسمة تدل على وسواس وملنخوليا، وقد يستدل من حركاتها على أوهام الدماغ، من اعتقادات الغضب والغم والخوف والعشق. والجحوظ يدل على الأورام أو امتلاء أوعية الدماغ. والصغر والغور يدل على التحلل الكثير من جور الدماغ، كما يعرض في السهر والقطرب[6] والعشق، وان اختلفت هيئاتها في ذلك كما سنفصله في موضعه، وكذلك قد يدل على حمرة الدماغ وقوباء[7] فيه. وأما المأخوذة من حال اللسان فمثل إن اللسان كثيرا ما يدل بلونه على حال الدماغ، كما يدل ببياضه على ليثرغس وبصفرته أولاً، واسوداده ثانيا على "قرانيطس"، وكما يدل بغلبة الصفرة عليه

---

١ البيضة: من أنواع الصداع.

٢ الشقيقة : من أنواع الصداع ، وهو الصداع النصفي وله أسباب كثيرة .

٣ وهو المعروف بالسرسام الحار ، وهو مرض التهابي يصيب الدماغ .

٤ مرض يصيب الذاكرة الحافظة في الدماغ ويسبب النسيان

٥ المبرسمة : المصابة بالبرسام

٦ القطرب : نوع من الأمراض النفسية

٧ القوباء التهاب يصيب غلاف الدماغ كالتهاب السحايا .

واخضرار العروق التي تحته على مصروعية صاحبه، وليس الاستدلال بلون اللسان، كالاستدلال بلون العين فإن ذلك شديد الاختصاص بالدماغ وأما لون اللسان فقد يستدل به على أحوال المعدة لكنه إذا علم أن في الدماغ آفة لم يبعد الاستدلال به.

وأما المأخوذة من حال الأعضاء العصبانية الباطنة، فذلك من طريق أحكام المشاركة، فإنها من الواجب أن تشارك الدماغ والنخاع كما إذا دامت الآفات عليها جلبت إلى الدماغ النوع من المرض الذي بها أو ربما أحدث بها ذلك من الدماغ، فالأعصاب إذا قويت وغلظت وقويت مسالكها التي تتعلق عليها دلت على قوة الدماغ ودل ضد ذلك على ضدها.

فصل في الاستدلال على العضو الذي يألم الدماغ بمشاركته

إن أكثر الأعضاء إيذاء للدماغ بالمشاركة هي المعدة، فيجب أن يستدل على ذلك من حال الشهوة[1] والهضم، وحال الجشاء والقراقر وحال الفُوَاق والغثيان، وحال الخفقان المعدي.

وينظر في كيفية الاستدلال من هذه على المعدة، حيث تكلمنا في المعدة.

ويستدل أيضا من حال الخواء والامتلاء، فإن مشاركات الدماغ للمعدة وهي ممتلئة أو ذات نفخة، يظهر في حال امتلائها.

وأما مشاركته إياها بسبب الحرارة والمِرّة الصفراء وأوجاعها التي تكون من ذلك ومن شدة الحس فيظهر في حال الخواء، وكثيرا ما يكون الامتلاء سببا لتعدل المزاج وسادا بين البخار الحار وبين الدماغ.

وأخص ما يستدل به موضع الوجع في ابتدائه واستقراره، فإن أمراض الدماغ بمشاركة المعدة قد يدل عليها الوجع إذا ابتدأ من اليافوخ، ثم انصب إلى ما بين الكتفين، ويشتد عند الهضم، وقد يمرض الرأس بمشاركته الكبد، فيكون الميل من الأوجاع إلى اليمين؛ كما إذا كان بمشاركة الطحال، كان الميل من الأوجاع إلى اليسار، وقد تكثر مشاركة الدماغ للمراق وما يلي الشراسيف فيكون الوجع مائلا

---

[1] أي الرغبة بالطعام

إلى قُدَّام جدا وقد يشارك الرَّحِم فيكون مع أمراض الرَّحِم، ودلائلها المـذكورة فـي بابه ويقف الوجع في حاق اليافوخ وأكثر مشاركات الدماغ للأعضاء يقع بـأبخرة تصعد إليه، وطريق صعودها إما ما يلي قُدَّام الشراسيف فيحس أولا بتمـددها إلـى فوق وتوتر وضربان في العرق الذي يليها، ويحس ابتداء الألم من قُدَّام، وإما ما يلي ناحية القفا فيحس ابتداء الألم من خلف، وتوتر العروق والشرايين الموضوعة مـن خلف، ويحس هناك بالضَرَبان، وإذا راعيت أعراض العضو المشارك فيجب أن لا يكون العَرَضُ عَرَضَ لذلك العضو في نفسه، بل لسبب مشاركته للدماغ لا مشاركة الدماغ له، فإنك كما تستدل من الغثيان على أن العلة الدماغية بشركة المعدة، فـلا يبعد أن تغلط فتكون العلة في الدماغ أولا، وتكون خفية وإنما يظهر الغثيـان فـي المعدة لمشاركتها للدماغ في علة خفية به، فيجب أن ترجع إلـى الأصـول التـي أعطيناك في الكتاب الأول التي تميز بها الأمراض الأصلية من أمراض المشاركة.

فصل في دلائل الأمزجة الرديئة الواقعة في الجِبِلَة

يرى "جالينوس" أن الحرارة تولد اختلاط العقل والهذيان، وليلحـق بهـذا الطـيش وسرعة وقوع البذاءات وافتنان العزائم وأن البرودة تولد البلادة، وسكون الحركـة، وليلحق بهذا بطء الفهم وتعذر الفكر والكسل، وأن اليبوسة تفعل السهر، ويدل عليها السهر، وليشترط في هذا ما لم يكن عن الرطوبات البورقية، ولم يكن مع ثقل فـي الدماغ، ودوام استفراغ الفضول أو غير ذلك من دلائل الرطوبـة، فـإن الرطوبـة المالحة والبورقية بشهادة "جالينوس" نفسه تفعل أرقاً كما في المشايخ، وأما الرطوبة فتفعل النوم المستغرق، واشترط مع نفسك الشرط المذكور.

ويرى "جالينوس" أن الدلالة على أن مزاجاً غالباً بلا مادة، هو عدم سيلان الفضول مع دلالة سوء المزاج، والدلالة على أنه غالب بمادة سيلان الفضول، ونحن نقـول: إنْ لم يكن سدد أو ضعف من القوة الدافعة، وعلامة ذلك ما ذكرناه وفرغنـا منـه، فدلائل حرارة المزاج للدماغ سرعة نبات الشعر في اول الـولادة، أو فـي الـبطن وسواده في الابتداء، أو تسوُّده بعد الشقرة سريعاً وجعودته وسرعة الصلع وسـرعة امتلاء الرأس وثقله من الأسباب الواقعة مثل الروائح ونحوهـا، وتأذيـه بـالروائح الحادة، وقلة استعمال النوم مع خفته وظهور عروق العينين، وذكاء مـا وسـرعة التقلب في الآراء والعزائم، كحال الصبيان، ويدل عليه اللمس وحمرة اللون، ونضج الفضول المنصبة والمنتفضة واعتدالها في القوام بالقياس إلى غيره.

وأما دلائل المزاج البارد، فزيادة نفض الفضول على ما ذكر من الشرط وسـبوطة الشعر وقلة سواده وسرعة الشيب، وسرعة الانفعال من الآفـات وكثـرة النـوازل وعروض الزكام لأدنى سبب، وخفـاء العروق في العينيـن وكثرة النوم، وتكون

صورته مثل صورة الناعس، بطيء حركة الأجفان والثبات على العزائم كحال المشايخ.
وأما دلائل المزاج اليابس فنقاء مجاري الفضول وصفاء الحواس والقوة على السهر وقوة الشعر وسرعة نباته لدخانية المزاج في السن الأول وسرعة الصلع وتجعيد الشعر.
وأما دلائل المزاج الرطب، فسبوطة الشعر وبطء النبات منه، وبطء الصلع وكدورة الحواس، وكثرة الفضول والنوازل واستغراق النوم.
وأما دلائل المزاج الحار اليابس، فعدم الفضول وصفاء الحواس وقوة السهر، وقلة النوم، وإسراع نبات الشعر في الأول، وقوته وسواده وجعودته وسرعة الصلع جداً، وحرارة ملمس الرأس وجفوفه[1] مع حمرة بينة فيه، وفي العين، وتنقل في العزائم وعجلة فيها وقوة الفهم والذكر وسرعة الأفعال النفسية.
وأما دلائل المزاج الحار الرطب فإنه إن كان ذلك المزاج غير بعيد جداً من الاعتدال، كان اللون حسناً والعروق واضحة والملمس حاراً ليناً، وكون الفضول أكثر وأنضج، والشعر أسبط إلى الشقرة غير سريع الصلع، ويكون التسخن والترطب سريعين إليه، وأما إن كان بعيداً منه فيكون مِسقاماً[2] قبُولا للنكايات من الحر والبرد[3] والأمراض العفنية في جوهره سريعاً، وتكون حواس صاحبه ثقيلة كدرة وعيناه ضعيفتان ولا يصبر عن النوم، ويرى أحلاماً مشوشة.
وأما دلائل المزاج البارد اليابس، فأن يكون الرأس بارد الملمس، حائل اللون خفي العروق فيه وفي العينين، بطيء نبات الشعر أصهبه رقيقه بطيء الصلع، خصوصاً إن لم يكن يبسه أغلب من برده، ويكون متضرراً بالمبرِّدات على الشرط المذكور وتكون الحواس صافية في الشيبة، فإذا طعن في السن ضعف بسرعة وهَرِم، وظهر التشنج والتعفن والتقبض في نواحي رأسه، ويكون سريع الشيخوخة وتكون صحته مضطربة فتارة يكون خفيف الرأس منفتح المسالك وتارة يكون بالخلاف.
وأما المزاج البارد الرطب فيكون الإنسان فيه كثير النوم مستغرقاً فيه رديء الحواس، كسلان بليداً كثير استفراغ الفضول من الرأس، ويدل عليه أيضاً بطء الصلع وسرعة وقوع النوازل، وأما دلائل الأورام وغيرها فسنقوله في التفصيل.

فصل في قوانين العلاج

إننا إذا أردنا أن ننقيأ مادة، فإن دلت الدلالة على أن معها دماً وافراً وليس في الدم نقصان أي مادة كانت، بدأنا بالفصد من القيفال، ومن عروق الرأس المذكورة في

---

١ أي ان الشعر يكون جافا خشنا

٢ مسقاما : كثير الأسقام والأمراض ، سريع الوقوع في المرض

٣ سريع التأثر بالحر والبرد

٤ الوداج : الوريدان الوداجيان

باب الفصد مثل عروق الجبهة والأنف وعروق ناحية الأذن، ويجب أن يقع فصدها في خلاف جانب الوجع.

فإن كان الأمر عظيماً والدم غالباً، فصدنا الوداج[1] وإنما نميل إلى الفصد – وإن غلبت الأخلاط الأخرى أيضاً فنبدأ به – لأن الفصد تقيؤ (استفراغ) مشترك للأخلاط، فإن كانت المادة دماً فقط كفى الفصد التام، وإن كانت أخلاطاً أخرى نظرنا فإن كان ذلك بشركة البدن كله استفرغنا البدن كله، ثم فصدنا الرأس وحده واستعملنا الاستفراغات التي تخصه، ولا نُقدِمُ عليها البتة إلا بعد استفراغ البدن إن كان في البدن خِلط، وذلك إن علمنا أن المادة فيه ناضجة، وذلك بمشاهدة ما يجلب إليه، إن لم يكن رقيقاً جداً أو غليظاً جداً، وإن كان المرض قد وافى المنتهى، وكنا قد تقدمنا بالإنضاج بالمَرُوْخَات[2] والنَّطُوْلات[3] والضمادات المُنْضِجَة[4] استفرغنا من الرأس خاصة بالغرغرة إنْ لم نَخَفْ آفة في الرئة، ولم تكن النوازل المستنزلة بالغرغرة من جنس خلط حاد لاذع، ولم يكن الإنسان قابلا لأمراض الرئة، وكان يمكنه الاحتراس عن نزول شيء رديء إلى الرئة، وكان حال الرأس أشد اهتماماً من حال الرئة، واستعملنا أيضاً المشمومات المُفَتِّحَة المُعَطِّسَة والسَّعُوْطات[5] والنَّطُوْلات لتجذب المواد من الرأس.

وربما ضمَّدنا الرأس بعد الحلق بأدوية مسهِّلة لحبس الخلط الذي فيه، أما الدم فإن كان في البدن كله، وكان حصل في الرأس مادة وافرة فصدت القيفال، وإن كان بعد لم يحصل وهو (آخذ) في الحصول فَصَدْتَ الأكحل، وإن خفت الحصول قبل أن يأخذ في الحصول، مثل أن يقع سبب جذاب للأخلاط حول الرأس من حر خارجي أو ضربة أو غير ذلك، فَصَدْتَ الباسليق، وإن شئت أن تجذب أكثر من ذلك فَصَدْتَ الصافن وحَجَمْتَ الساق فوق الكعب بشبر، وفصدت عروق الرِّجْل، وإن كان بمشاركة عضو فَصَدْتَ العرق المشترك لهما، إن أردت أن تستفرغ منهما جميعاً، وإن أردت الجذب إلى ناحية من استفراغ العضو المشارك فَصَدْتَ عِرْقاً يشارك العضو المتقدم بالعلة، ويقع في خلاف جهة الرأس، ثم إذا توجهت نحو الرأس وحده أو كان الدم من أول الأمر وحده فيه، فما كان واقعاً في الحُجُب الخارجة من القحف على ما سنذكره في الأمراض الجزئية، أو كان الوجع محسوساً بقرب الشؤون وأردت علاجاً خفيفاً، فالحجامة عند النقرة، وإن كان غائراً وكان لا يُرْجَى انجذابه إلى خارج القحف، فصدت عرق الجبهة خاصة إن كان الوجع مؤخراً، وبعد

---

١ المروخات : نوع من المراهم .

٢ النطولات : أدوية تمزج مع الماء الساخن أو الفاتر وتُصَبُّ على العضو .

٣ الضمادات المنضجة: أدوية توضع على الأورام والقروح والدمامل وتلف بضماد

٤ السعوطات : أدوية تستنشق من خلال الأنف

أخذ الدم يتناول المستفرغات المتخذة من الهليلج وعصارات الفواكه، إن بقيت حاجة، ويستعمل الحقن، وإن كانت العلة صعبة، مثل سكتة دموية فصدت من الوداج.

المقالة الثانية
في أوجاع الرأس وهو أصناف

الفصل الأول كلام كُلّي في الصُداع

الصداع ألم في أعضاء الرأس، وكل ألم فسببه تغير مزاج دفعة، واختلافه أو تفرق اتصال أو اجتماعهما جميعاً. وتغيُّر المزاج هو أحد الستة عشر المعروفة، وإن كان الرطب هو غير مؤثر ألماً إلا أن يكون مع مادة تتحرك، فتُفَرِّقُ الاتصال، وتَفَـرُّقُ الاتصال معلوم، وأصنافه بحسب أسبابه معلومة، واجتماع سببَيْ الألم معاً يكون في الأورام، والأورام كما علمت معدودة الأصناف، وأصنافها أربعة، وجميع ذلك قـد يكون في جوهر الدماغ نفسه، وقد يكون في الحجاب المطيف به[1]، وقد يكون فـي الجانبَيْن المطيفَيْن به، وقد يكون في العروق، وقد يكون في الأغشية الخارجة عن القحف لما بينها من العلائق المعروفة في التشريح الموصوف، وقد يكون بمشاركة غيره له: إما عضوٌ يصل بينه وبين أعضاء الرأس واشجةُ العصب[2] مثل المعـدة، الرحم، الحجاب وأعضاء أخرى إن كانت، أو عضوٌ يصل بينه وبين الدماغ واشجة العروق من الأوردة والشرايين مثل القلب، الكبد والطحال، وإمـا عضـوٌ يجـاوره مجاورةً أخرى مثل الرئة الموضوعة تحته، فيؤدي إليه آفته، وإما عضوٌ مشـارك لعضو من جهة، وللدماغ من جهة أخرى مثل مشاركته للكلية في أوجاعهـا، وإمـا بمشاركة البدن كله كما يكون في الحميات، وإما كان بمشاركة فقد يكـون بـأدوار ونوائب، بحسب أدوار ونوائب السبب الذي في العضو المشارك، مثل مـا يكـون بمشاركة المعدة إذا كان لانصباب المواد المرارية أو غيرها إليها أدوار، ومثل مـا يكون مع أدوار تزيُّد أصناف الحميات والصُداع، فقد ينقسم من جهة أخرى، فإن منه ما سببه صنف من الأسباب البادية، مثل صداع الخُمَار[3] ما دام صداع خُمَار، ولـم يرسخ لرسوخ سبب أزيَدْ من ذلك أو متولد من ذلك، ومثل صداع أكل شيء حـار نحو الثوم وغيره[4]، ومنه ما سببه سابق قد وصل فهو لابث فيلبث هو لأجله، وربما كان عرَضاً ثم صار مرضاً، وإذا بقي مرضاً بعد الحُميـات الحـارة أنـذر بعِلَـلٍ دماغية، ودلَّ على عجز الطبيعة عن دفع المادة بالكمال، برُعاف أو غيره من العلل التي ينذر بها سبات، وسكات، وجنون أو استرخاء، أو صمم بحسب جوهر المـادة وبحسب حركاتها.

---

١ أي الغشاء المحيط به وهو السحايا وما فوقها .

٢ اي ربطة عصبية لأن الاعضاء تتصل بالدماغ بواسطة الاعصاب.

٣ أي الصداع الذي يصيب شارب الخمر بسبب الكحول المتصاعد تأثيره إلى الدماغ .

٤ وهو صداع سببه تغير ضغط الدم وتسارع أو تباطؤ النبض

والصداع قد ينقسم من جهة مواضعه، فإنه ربما كان في أحد شِقَّيْ الرأس وما كان من ذلك معتاداً لازماً، فإنه يسمى شقيقة، وربما كان في مقدم الرأس وربما كان في مؤخر الرأس، وربما كان محيطاً بالرأس كله، وما كان من ذلك معتاداً لازماً فإنما يُسَمَّى: بَيْضَة وخُوْذَة تشبيها ببيضة السلاح التي تشتمل على الرأس كله.

والصداع قد يختلف أيضاً بالشدة والتوسط والضعف، فمن الصداع ما هو شديد جداً حتى إنه إذا صادف يافوخ صبي ليِّن العظام مَزَّقه وصدع درزه، ومنه ما هو ضعيف مثل أكثر ما يكون في ليثرغس، ومن الضعف ما هو لازم، ومنه ما هو غير لازم، وربما كان الصداع الذي سببه ضعيف يعرض لبعض دون بعض، فيعرض لِمَنْ حِسُّ دماغه قويّ، ولا يعرض لِمَنْ حِسُّ دماغه ضعيف، وبالجملة فإن مَنْ هو قوي حِسِّ الدماغ قابل بالتصدع من كل سبب مصدع، وإن ضعف.

وبالجملة فإن الدماغ يكون سريع القبول للمُصَدِّعات: إما لضعفه، وقد عرف في الكليات أن الضعف تابع لسوء المزاج، وإما لقوة حِسِّه فيتأذى من كل سبب، وإنْ خفّ. وأيضاً فإن من الصداع، ما لا أعراض له ومنه ما يؤدي إلى أعراض تختفي بنواحي الرأس: مثل أن يُحدث – أعني الصداع – لشدة الوجع – أوراماً في نواحي الرأس، ومنه ما يؤدي إلى أعراض تتعدى إلى أعضاء أخرى، مثل أن يتأدى أذاه وأضراره، أو (إيلامه) إلى أصول الأعصاب، فيحدث التشنج أو يتعدى شيء من ذلك إلى المعدة، فيحدث سقوط الشهوة والفُواق والغثيان وضعف الهضم ونحو ذلك.

واعلم أن الصداع المُزْمِن إما أن يكون لبلغم، أو لسوداء، أو ضعف رأس أو ورم صلب مُبْتَدأ[1]، أو حار قد صلب وهو الكثير والصادع، وجميع الأمراض قد تختلف فربما كان المرض مسلماً، والمسلّم هو الذي لا مانع من تدبيره بما يجب له في نفسه، ومنه ما ليس بمسلم بل هو ذو قرينة، وربما منعت عن تدبيره بالواجب مثل أن يكون صداع ونزلة فتُعارض النزلة الصداعَ في واجبه من التدبير.

والصداع أيضاً قد ينقسم باعتبار آخر، فإن من الصداع ما يعرض أحياناً للصحيح لا قلبَة به[2] ومنه ما إنما قد يعرض لذي أورام وأوصاب[3]، ومن الأبدان أبدان مستعدة للصداع وهي: الأبدان الضعيفة الرؤوس، الضعيفة الأعضاء الهاضمة ، فتتولد فيها أبخرة وتنصب الى معداتهم أخلاط مرارية ، فتصدِّع، وأيضاً فإن من المتناولات أشياء مصدِّعة، قد ذكرت في جداول الأدوية المفردة، وجميع الأفاويه مصدِّعة، خصوصاً السليخة والقسط، الزعفران، والدارصيني، والحماما، وجميع المبخِّرات مصدِّعة حارةً كانت أو باردة، لكنها إذا تعاقبت تدافعت، أعني إذا كان قد تقدم ما آذى بحرارة بخاره، وعقبه ما يبخر بخاراً بارداً أو بالعكس، وأما إذا كان الأذى ليس بالكيفية وحدها، بل وبالكمية فلا ينفع تعاقبها، بل يضر. وقد يكثر الصداع البارد للاحتقان في الشتاء، وإذا كان الصيف شمالياً قليل المطر وكان الخريف

---

١ كالتكلس الذي يصيب بعض أجزاء العمود الفقري خصوصا فقرات العنق .

٢ أي بدون سبب مرضي معروف أو ظاهر .

٣ أوجاع وأمراض

جنوبياً مطيراً كثر الصداع في الشتاء، وكثيراً ما يكون الصداع بسبب تأدية الرياح الأبخرة الخبيثة إلى الرأس.

فصل في تفصيل أصناف الصداع الكائن بسبب تفرق الاتصال

تفرق الاتصال قد يعرض في حُجُب الدماغ، وقد يعرض في جوهره، وقد يعرض في العروق فتتفتق، وربما كان كما تعلم من حركة الأبخرة والرياح ابتداءً أو لسدة، وربما كان لخلط أكال، وربما كان من ضربة أو سقطة أو قطع من خارج، والذي يكون من داخل، فربما لم يلتحم وبقي قرحة تؤذي الرأس وتديم التصديع. والضربة والسقطة ربما كانت خفيفة المُؤْنَة، فتعالج، وربما بلغت ان يتقلقل لها الدماغ، ويهلك. وقد ذكر بعض أطباء الهند أنه ربما كان السبب في الصداع دوداً تتولد في نواحي الرأس فتؤذي بحركتها وتمزيقها وأكلها، وقد استبعد هذا قوم، وليس بالواجب أن يُسْتَبْعَد فإن الدود كثيراً ما يتولد فيما بين مُقَدَّم الرأس وأعلى الخياشيم، فيجوز أن يتولد عن الحجب وإن كان الندرة.

فصل في تفصيل أصناف الصداع الكائن عن الأورام

الورم الذي يحدث عنه الصداع ربما كان في حُجُب الدماغ ، وربما كان حاراً ويُسَمَّى سرساماً حاراً، وربما كان بارداً ويسمى ليثرغس أي النسيان، وربما كان مُرَكَّباً ويسمى حال صاحبه السُّبَات السَّهري، وربما كان صلباً، وقد يكون في نفس الدماغ وجوهره فيكون إما حاراً فلغمونياً أو حمرة، وإما بارداً. وتفصيل جميع ذلك مما يأتيك عن قريب، وهذه كثيراً ما تنحلُّ بأن يخرج من الرأس في الأذن وغيره قيح أو صديد أو مادة مائية.

والصداع البُحْرَاني يكون من قبيل الصداع الذي سببه تحريك طبيعي على سبيل النفض ، والصداع الذي يكون بعقب هضم الطعام، يكون من قبيل الصداع الذي سببه تحريك طبيعي على سبيل التمييز.

وأما حصول المادة المؤذية في العضو فيجب أن نذكره من الأصول الكلية، بعد أن تعلم أنها إما أن تكون متقادمة الحصول والاحتباس، وإما أن تكون غذائية أي تولدت في الوقت عن الغذاء تولد كيموس رديء في جوهره وكيفيته، لفساد في نفس الغذاء أو ترتيبه أو قدره أو هضمه، أو سائر وجوه فساده المذكورة في بابه، ومن هذا القبيل صداع أكل الثوم والبصل والخردل، صداع الخُمَار وصداع مَنْ تناول المشروبات والمأكولات الباردة. وحركات المواد في الأعضاء يجب أن تتذكرها من الأصول الكلية والريح من جملة المواد المُصَدِّعة، ويُصَدِّع بالتحديد وذلك إذا ضاق عليه منفذ طبيعي، قد خلق أضيق مما ينبغي له في وقته أو طلب أن يحدث منفذاً غير طبيعي.

والبخار أيضاً من جملة ذلك ويفعل إما بكيفيته، وإما لمزاحمة الأخلاط في الأمكنة فتحركها، والرياح والأبخرة قد تتولد في البدن وفي الدماغ نفسه، وقد تستنشق من خارج، أو تأتي من جهة المسام ثم تحتقن في الدماغ فيصدع، ومن هذا القبيل صداع النَّتَن وصداع الطِّيب.

فصل في أصناف الصداع الكائن بالمشاركة

الصداع الكائن بالمشاركة، منه ما هو بمشاركة مطلقة ومنه ما هو بمشاركة غير مطلقة، والمشاركة المطلقة هو أنْ لا يتأدى إلى ناحية الدماغ من العضو المشارك شيء جسماني البتة، إلا نفس الأذى، وأما المشاركة غير المطلقة فأن يتأدى إلى جوهر الدماغ من ذلك العضو مادة خلطية أو بخار.

ومن القسم الأول: أصناف الصداع الكائن في التشنج والكزاز والتمدد، ورياح الأفرسة، وأوجاع المفاصل، ومثل ما يكون النقرس[1] وعرق النسا القويين، وربما كان السبب من الكيفيات المشاركة كيفية ساذجة من الكيفيات الطبيعية، أو كيفية غريبة رديئة لا تنسب إلى حر أو برد مثل الكيفيات السمية، فربما كان في بعض الأعضاء خلط سمي رديء الجوهر، فتتأدى كيفيته، وربما كان السبب مواد غير غريبة في طبائعها، وإنما أدت باشتداد كيفياتها، أو تزايد كمياتها، وربما كان السبب مادة غريبة تولدت في بعض الأعضاء تولداً غريباً فاسداً، كما يكون في احتقان الرحم، أو يكون لمن طال عهده بالجماع، أو حدث في مزاجه خلط رديء، وفي شيء من أطرافه، وربما صارت الكيفية المؤذية مسببة في حصول مادة مؤذية أيضاً وذلك على وجهين:

أحدهما: أن تُفسد تلك الكيفية ما تجده في نواحي الدماغ من المواد الجيدة أو ما يتأدى إليها من الغذاء الجيد.

والثاني: أن يُجعل الدماغ قابلاً للمواد الرديئة ، وهذا القبول على وجهين ، أحدهما قبولٌ عن جذب منه مثل أن يسخن منه الدماغ، فيجذب إليه بالسخونة المواد، والثاني: قبولٌ عن ضعف مقاومة، وقد علمت في الأصول أن العضو إذا ضعف قبل ما يصير إليه من المواد.

والمشاركة التي تكون مع البدن كله، فإما لمادة فاشية في البدن كله، والصداع البُحراني[2] من قبيله، وإما لكيفية فاشية في البدن كله، كما تكون في الحُمَّيَات.

وإذا اشتد الصداع في الحُمَّيَات الحادة كان اشتداده علامة رديئة بل قاتلة إذا قارَنَهُ سائر العلامات الرديئة، فإن انفرد دلَّ على بُحْرَان برعاف، وربما دل على بُحْرَان بقَيْء.

والأعضاء المشاركة للرأس أولها وأولاها المعدة فإنه قد يَفضُل في المعدة أخلاط أو يتولد فيها أو ينصب إليها مَرَار على أدوار، وغير أدوار، وتكون حلقة المَرَار بحيث ينصب المَرَار من وعائها الغليظ دون الرقيق إلى المعدة على ما شرحناه في بابه، أو يُحتَبَس فيها رياح أو يتصعَّد منها أبخرة، فيكون منه صداع، والخُمَار يصدع.

---

[1] النقرس : تورم في المفاصل بسبب زيادة حمض اليوريك وترسبه فيها في أكثر الأحيان.

[2] هو الصداع الذي يرافق الحُمَّيات بسبب تقلب حرارة الجسد بين الارتفاع السريع، والانخفاض السريع ويصاحبه عادة اضطراب في الضغط الدموي

ويسرع إليه البرد لتخلخل أطرافه، والرَّحِم مما يشاركه الدماغ مشاركة قوية، والمَرَاقُّ أيضاً والكبد أيضاً والطحال، والحجاب، والكلية، والأطراف كلها وناحية الظهر، وأول ما يشارك الدماغ ما يطوف به من الغشاء المُجَلِّل للقحف، وكثيراً ما يكون صداع المشاركة عند انتقال المادة من أورام الأعضاء الباطنة المشاركة إذا تحركت إلى فوق.

فصل كلام كلي في العلامات الدالة على أصناف الصداع وأقسامه

أما الصداع الكائن عن الأسباب الكائنة من خارج، مثل ضربة أو سقطة، أو ملاقاة أشياء حارة أو باردة أو سموم مجففة، أو رياح ذَفِرة طيِّبة أو منتنة، أو احتقان ريح في الأنف والأذن، فالاستدلال عليها من وجودها فإن غفل عنها رجع إلى آثارها فاستغل بالاستدلال منها على نحو ما نبين.

والذي يكون عن ضعف الدماغ، فيدل عليه هيجانه مع أدنى سبب ومع كدورة الحواس ووجود الآفة في الأفعال الدماغية، والذي يكون عن قوة حس الدماغ فيدل عليه سرعة الانفعال أيضاً عن أدنى سبب محسوس في الدماغ من الأصوات والمشمومات وغيرها، لكن الحس يكون ذكياً والمجاري نقية وأفعال الدماغ غير مؤوفة.

وأما الكائنة بالمشاركة، فأن تحدث وتبطل وتشتد وتضعف بحسب ما يحدث بالعضو المشارك من الألم، أو يبطل ويشتد ويضعف وإن لم يكن بمشاركةٍ كان في سائر أفعال الدماغ كظلمة في العين وسبات وثقل دائم، مع صلاح حال سائر الأعضاء، وإذا كانت الآفة في نفس حُجُب الدماغ وكانت قوية دلَّ على ذلك وصول الألم إلى أصول العينين، وإن كانت الآفة في الغشاء الخارج أو في موضع أخر لم يصل الألم إلى أصول العينين، واوجع مسُّ جلدة الرأس، والكائن بمشاركة المعدة فيدل عليه وجود كرب وغثي (غثيان)، أو قلة شهوة أو بطلانها أو رداءة هضم، أو قلته أو بطلانه بعد وجود الدليل السابق.

وربما كان الصداع بسبب في الدماغ، فأوجب في المعدة هذه الأحوال، والآفات على سبيل مشاركة من المعدة للدماغ، لا على سبيل ابتداء من المعدة، ومشاركة من الدماغ ، فيجب أن تَتَثَبَّت في مثل هذا، وتتعرَّف حال كل واحد من العضوَيْن في نفسه فتحدس السابق من المسبوق.

ومما يدل على ذلك في المعدة خاصة اختلاف الحال في الهضم وغير الهضم ، واختلاف الحال في الخواء والامتلاء، فان ألم المعدة إن كان من الهضم هاج على الخواء، وإن كان من خلط بارد كان في الخواء أقل ويسكنه الجوع، وربما هيج الجوع منه بخاراً فآذى، لكنه مع ذلك لا يسكنه الأكل تمام التسكين في أكثر الأمر، وربما سكّنه في الندرة، لكن الالتهاب والحرقة والجشاء يفرق بينهما ، وأنت ستعرف دلائل الجشاء في موضعه، وكذلك يفرق بينهما سائر العلامات التي تذكر في باب المعدة، وقد يدل على ذلك ما يخرج بالقيء ويدل عليه اختلاف الحال في الصداع بحسب اختلاف حال ما يرد على المعدة.

وكثير من الناس ينصب إلى معداتهم مَرَار بأدوار، فإذا هاج الصداع وأكلوا شيئا سكن فيكون ذلك دليلاً على أنه بمشاركة المعدة ، وكذلك يسكن إن قذفوا مَراراً، ويدل ذلك الدليل وقد يستدل عليه من جهة الألم، فإن الذي بمشاركة المعدة أكثره يبتدئ في الجزء المقدم من اليافوخ، وربما كان مائلاً إلى وسط اليافوخ، ثم قد ينزل، والذي يكون من الكبد، يكون مائلا إلى الجانب الأيمن، والذي يكون من الطحال يكون مائلا إلى الجانب الأيسر، والذي يكون بسبب المَرَاق يكون مائلاً إلى قُدَّام جداً، والذي يكون بسبب الرَّحم يكون في حاق اليافوخ ويكون أكثره بعد ولادة أو إسقاط أو احتباس طمث أو قلَّته، وأما علامة ما يدعى من صداع يتولد من دود، قال "الهندي": وعلامة الصداع الكائن من الدود أن يكون أكالٌ شديد، ونَتْنُ رائحةٍ، واشتداد الصداع مع الحركة وسكونه مع السكون، والذي يكون من الكلية، وأعضاء الصلب فيكون مائلاً إلى خلف جداً، والذي يكون بمشاركة الأوجاع الحادثة في أعضاء أخرى فيكون مع هيجانها واشتدادها، والذي يكون مع الحُمَّيَات والبُحْرَانات فيكون معها ويسكن ويضعف بسكونها وضعفها ، وقد يدل عليها ابيضاض البول مع شدة الحُمَّى ، لميل الأخلاط المرارية الى فوق ، وكثيراً ما تكون الأشياء الملطفة سبباً للصداع، بما يفتح من طريق الأبخرة إلى الدماغ، وإن كانت غير حارَّة مثل السكنجبين، وكذلك حال الشقيقة، والتدبير اللطيف ضار، لمن صداعه يوجب العلاج بالتدبير الغليظ، بسبب المرار وربما زاد الصداع في نفسه لشدة وجعه، فتجلب شدة وجعه مزيداً فيه فاعلم هذه الجملة.

فصل في العلامات المُنْذِرَة بالصداع في الأمراض:

البول الشبيه ببول الحمير يدل على أن الصداع كان فانحلّ، أو هو كائن ثابت، أو سيكون، وكذلك ابيضاض البول ورقته في الحُمَّيَات، وأوقات البُحْرَان، يدل على انتقال المواد إلى الرأس وذلك مما يصدع لا محالة[1].

فصل في تدبير كلي للصداع:

وفي علاج الصداع يقول ابن سينا أنه أسوة بغيره من العلل، في وجوب قطع سببه ومقابلته الضد (أي إعادة التوازن حسب نظرية الأخلاط) وبعد ذلك فإن من الأمور النافعة في إزالة الصداع، قلة الأكل والشرب وخصوصاً من الشراب (الخمر) وكثرة النوم ، ولا شيء للصداع كالتوديع (العيش في هدوء ودَعَةٍ بعيدا عن كل ما يثير) وتَرْكِ كل ما يحرِّك من الجماع ومن الفكر .

ومن الأشياء القوية في جذب مادة الصداع إلى أسفل دلك الرجلين فإنَّ كثيراً ما ينام عليه المصاب بالصداع، وربما صببنا الماء الحار على أطراف المصاب بالصداع ونُدِيْمُ ذلك، فيحس بأن الصداع ينزل من رأسه إلى أطرافه.

---

١ في ذلك الوقت كان النظر في قارورة البول التَّفْسِرَة من أهم الدلائل التي تساعد الطبيب على تشخيص المرض

ويحذر ابن سينا من أنَّ القيْء ليس من معالجات الصداع، وهو شديد الضرر، إلا أن يكون –الصداع – بسبب المعدة ويمشاركتها فينتفع بالقيء.

وربما كان الصداع عَرَضاً – لمرض – ثم صار مرضاً، وإذا بقي مرضاً بعد الحُمَّيَات الحارة أنذر بعِلَل دماغية.

والصداع قد يختلف بالشدة والتوسط والضعف، فمن الصداع ما هو شديد جداً، حتى إنه إذا صادف يافوخ صبي لين العظام مزقه وصدع درزه.

وكما أن الصداع يحدث متأثراً من أعضاء أخرى في الجسم، فإنه أيضا قد يؤثر في أعضاء أخرى، فيحدث التشنج أو يتعدى شيء من ذلك إلى المعدة، فيحدث سقوط الشهوة والفواق والغثيان وضعف الهضم ونحو ذلك[1].

ولبيان سبب الصداع يقول: "فيجب أن تتثبت في مثل هذا، وتتعرف حال كل واحد من العضوين في نفسه، فتَحْدُسَ السابق من المسبوق" وذلك دلالة على التثبت من كون الصداع في الدماغ أثر على المعدة أو المعدة سَبَّبَتْ الصداع .

وربما كان الصداع من ضربة أو سقطة أو قطع من خارج، والذي يكون من داخل فربما لم يلتحم وبقي قرحة تؤذي الرأس.

وتديم التصديع، والضربة والسقطة ربما كانت خفيفة فتعالج، وربما بلغت أن يتقلقل لها الدماغ (ارتجاج دماغ) ويهلك [2].

ويقول: إن الأعضاء المشاركة للرأس أولها وأولاها المعدة، ولذلك هناك أسباب غذائية للصداع سببها أكل بعض الأنواع كصداع الثوم والبصل والخردل، أو شرب الخمر كصداع الخمار وصداع تناول المشروبات أو الأطعمة الباردة، أو من الرياح والأبخرة كصداع النتن وصداع الطيب، وهذه كلها العوامل الحافزة لصداع الشقيقة.

وقد يكون الصداع نسائياً، أي بعد ولادة أو إسقاط أو احتباس طمث أو قلته، وهذا ما يحدث في صداع الشقيقة.

أما الصداع الناتج عن ضربة الشمس فعلاجه عند ابن سينا التبريد بالإيواء إلى المساكن الباردة واستعمال الضمادات المُبَرِّدة.[3]

أما الصداع الكائن عن مادة حارة دموية[4] فعلاجه بالفصد إذا كانت صحة المريض تسمح بذلك، وإن لم يكف الفصد في عروق الساعد، ورأيت في الرأس والوجه والعين امتلاءً واضحاً، فيجب فصد العروق التي يستفرغ (يتقيأ) فصدها من نفس الدماغ كفصد العروق التي في الأنف من كل جانب، وفصد العروق التي في الجبهة، فإنه عرق يستأصل فصده كثيراً من آلام الرأس[5].

---

١ القانون ج٢ ص٤٤

٢ القانون ج٢ ص٤٧

٣ ص ٥٥

٤ ويقصد الصداع الناتج عن ارتفاع ضغط الدم

٥ ص ٥٦

أما الصداع الذي سببه ضربة البرد الشديد فعالجه عند ابن سينا التكميد بما هو مسخن، وأن يحسروا عن رؤوسهم في الشمس، والمصرود[1] يحال بينه وبين الحركات البدنية والنفسانية والفكرية ويمنع الشراب البارد والبروز للبرد ، ومما يفيد أنواع السعوط[2].

أما الصداع الحادث عن تعاطي الكحول والخمور ويسميه ابن سينا صداع الخُمَار، فأول ما يجب فعله تنقية المعدة، ويقصد بالقيء وإن لم يجب القيء بإسهال المعدة، وينصح بالنوم فهو الأصل بعلاجه[3].

أما الصداع الناتج عن ضربة أو سقطة وتدبير من يعرض له زعزعة[4] فيجب أولاً تسكين الألم إما باستفراغ وإما بجذب إلى الخلاف لئلا يرم، وتعالج الجراحة إن حدثت لتندمل، وإن أصابت المريض الحمى واختلط العقل[5] فقد أخذ في التورم وهنا يجب اللجوء للفصد لمنع التورم.

ويقول: إنه إذا وصل الألم إلى حُجُب الدماغ كان فيه خطر، وإذا خرج بسبب الضربة دم من الدماغ فيجب أن يسقى صاحبه أدمغة الدجاج ما أمكن ثم يسقى عليه ماء الرمان الحامض[6].

فصل في الصداع المعروف بالبَيْضَة والخُوذَة:

هذا النوع من الصداع يسمى بَيْضَة وخُوذة لاشتماله على الرأس كله، وهو صداع مشتمل لابث ثابت مزمن، وتهيج صعوبته كل ساعة ولأدنى سبب من حركة، أو شرب خمر، أو تناول مبخر، ويهيجه الصوت الشديد، وربما هاجه الصوت المتوسط، حتى أن صاحبه يبغض الصوت والضوء والمخالطة مع الناس، ويحب الوحدة والظلمة والراحة والاستلقاء، ويختلفون فيما يؤذيهم من الأسباب المذكورة، فبعضهم يؤذيه شيء من ذلك وبعضهم شيء آخر، ويحس كل ساعة كأن رأسه يُطَرَق بمطرقة، أو يجذب جذباً أو يُشَقّ شقاً، ويصل وجعه إلى أصول العين.

و"جالينوس" يجعل السبب الجالب لهذه العلة ضعف الدماغ أو شدة حسه، والسبب المولّد لها خِلط رديء أو ورم حار أو بارد، على أنه كثيراً ما يكون عن ورم سوداوي أو صلب وأكثر ما يكون في وسط الحجاب، إما الخارج من القحف، وإما الداخل، وقد علمت أنه إذا كان السبب ورماً أو غيره إنما هو في الحجاب الداخل في القحف، أحس الوجع ممتداً إلى العين، لأن ذلك الغشاء يشتمل على العصبة المجوفة، ويمتد جزء منه إلى الحدقة، وإذا كان في الحجاب الخارج أحس الوجع بمس اليد

---

١ المصاب بضربة برد شديد

٢ ص ٥٩

٣ ص ٦٤

٤ ارتجاج الدماغ

٥ أخذ بالهذيان

٦ ص٦٦

وكره صاحبه وقوع المس عليه بالعنف، وأكثر ما يحدث عن أمراض سبقت، فضعف جوهر الدماغ وحجبه الداخلة والخارجة حتى صارت تتأذى بالحركات اليسيرة من حركات البدن الغذائية والبخارية والحركات الخارجة، وتقبل الفضول المؤذية، ومن الأطباء من لا يرعى في البيضة هذه الشرائط ، بل يقول بيضة لكل وجع يشتمل على الرأس كله خارج القحف أو داخلاً كان سببه من أبخرة في المعدة أو أبخرة في الرأس أو مواد، أو فلغموني في نفس الدماغ، أو حُجُبه، فيكون مع ثقل وضربان أو حمرة ، ويكون مع تلهب ولذع بلا كثير ثقل، أو ثقل عن الأخلاط الأخرى إن لم تكن حُمْرَة، وكان ثقل وكان هناك علامات الأخلاط الباردة ،ويعالج كلا بسببه إلا أن اسم البيضة في الحقيقة مستعمل عند المهرة من الأطباء على ما هو بالشرائط المذكورة[1].

فصل في الشقيقة:

فنقول هي وجع في أحد جانبي الرأس يهيج، ويحدُّها جالينوس بأنها الساترة المتوسطة، وربما كان سببه من داخل القحف وربما كان في الغشاء المجلّل للقحف، وأكثر ما يكون في عضل الصدغ، وما كان خارجاً فقد يبلغ إلى أن لا يحتمل المس، وتكون المواد واصلة الى موضعه، إما من الأوردة والشرايين الخارجة، وإما من الدماغ نفسه وحُجُبه، فيصعد أكثر ذلك من طريق الدروز، وقد يكون من أبخرة تندفع من البدن كله، أو عضو من ذلك الشِقّ، وأكثر ما تكون الشقيقة تكون ذات أدوار، وإنما تكون على الأغلب عن الأخلاط، ولا تكون شقيقة لها قدر من سوء مزاج مفرد، والتي تكون من الأخلاط فقد تكون من أخلاط حارة، ومن أخلاط باردة، ومن رياح وأبخرة، وقد علمت العلامات، وتجد مع البارد سكوناً بالتسخين وتمدداً قريباً، ومع الحار سخونة بالملمس وضرباناً في الأصداغ وراحة بالمبرّدات، وأيضاً فإن البارد يحس معه ببرد والحار يحس معه بحر وذلك عند اشتداد الوجع.

العلاج : علاجها الفصد على نحو ما علمت في البَيْضَة وغيرها، وخصوصاً عِرْق الجبهة والصُدْغ والإسهال والحقن.

وينفع فيها فصد الجبهة، وفصد عِرْق الأنف جداً، وإذا كان دوراً فيجب أن يُنَقّى البدن قبله، ويُبَدل المزاج بعد التنقية، فإن كانت المادة حارة جعلت المخدرات على الصدغين من الأفيون وقشور أصل اللفاح والشب والبنج والكافور، وبردت الموضع بما تدري مما ذكر في القانون، وقد ينتفعون بمداد الكتاب يطلي به الشق الذي فيه الشقيقة.

وأما المزمن الذي طالت مدته فهو بارد على كل حال، ويحتاج إلى التحليل وإلى ما يسخن بقوة، وقد ذكرنا أطلية ونطولات مشتركة وخاصة بالشقيقة في الأقراباذين فيستعمل ذلك، وإذا استعملت الأطلية وكنت قد استفرغت البدن ونقيته، فتقدم بمرخ عضل الصدغ في جهة الوجع بأصابعك وبمنديل خشن عند وقت الدور، ثم اطل،

---

١ ص٧٣

وإذا احتجت إلى التخدير واشتد الوجع الضارب فقد ينفع أن يُطلّى على الشريان في الصدغ الذي يلي الموضع بأفيون مع الأنزروت والقوابض، وأن يشد الآنك أو خشبة مهندمة عليه لتمنع من النبض القوي المحدث للوجع الضارب.

ومما ينتفعون به أن يبتدئوا فيدخلوا الحمام، ويكثروا من صب الماء الحار، ثم يُسْعَطُوا بدهن الفستق، فإن ذلك يخدر الوجع إلى الكتفين من ساعته.

ويتحدث ابن سينا عن التهاب الدماغ الحاد "Encephalitis Phrenitis" ويسميه تصحيفاً قرانيطس أو السرسام الحار مشيراً إلى تسمية السرسام بأنها فارسية، والسر هو الرأس، والسام هو الورم، ويعرفه بأنه الورم الحار في حجاب الدماغ الرقيق أو الغليظ دون جرمه، وربما وَرِم معه جوهر الدماغ مشاركة أو انتقالاً، وذلك شديد الرداءة يقتل في الرابع، فإن جاوزه نجا وأكثرُ مَنْ يموت بالسرسام يموت لآفة في النَفَس، وقلما يتخلص المشايخ - كبار السن - من هذه العلة.

وأرجى أصناف قرانيطس (أي أحسنها إنذاراً أو مآلا) أن يذكر العليل ما كان يهذي به بعد أن تَخِفّ حُمَّاه، وإذا عرض لهم هموريذوس (بواسير) كان دليلاً محموداً، وكثيراً ما ينحلّ قرانيطس بالبواسير إذا سالت[1].

ويقول: إن السرسام إذا كان منه (أي نتج عنه) اختلاط عقلٍ مركبٍ من بكاء وضحك ساعة بعد أخرى فهو رديء، وكذلك إذا كان انتقالا من ذات الرئة، لأنه يدل على شدة حرارة الخلط، وكذلك لو انتقل إلى غير الحقيقي، وإذا كان عرض أن دام الثقل في نواحي الرأس والرئة، ثم عرض تشنج وقيء زنجاري[2] مات العليل في ساعته، وأطول مهلته يوم أو يومان إن كانت القوة قوية[3]، وإذا شخص المُبَرْسَم[4] فتقيّأ مراراً أحمر، وهو ضعيفٌ فإنه يموت في يومه، أو قويٌ فبعد يومين، وما من أحد به ورم في نواحي الدماغ إلا ويكون بوله مائياً فيخلص.

ويقول:

وقد زعم بعض المُتَطَبِّبين[5] أنه ربما عرض مرض شبيه بقرانيطس من غير حُمَّى، وكونه من غير حُمَّى دليل على خلوه من الورم، قال: لكنه يكون شديد القلق والتوثب لا يملك صاحبه قراراً، ويكاد يتسلق الحيطان ويشتد ضجره وغمه، وعطشه وضيق نَفَسه، وإذا شرب الماء شَرِقَ به وقذفه، قيل: وهو قاتل من يومه في الأكثر، وربما امتد إلى أربعة أيام، ولن ينجو منه أحد، بل يعرض لهم أن تُسْوَدّ وجوههم وألسنتهم وتكون أعينهم جامدة وحالتهم كحالة الملهوفين، ثم تلين حركاتهم

---

١ ص٧٦ - ٧٧

٢ اي بلون الزنجار وهو مركب أزرق مُخْضَر.

٣ إذا كان الجسد قوياً يتحمل .

٤ للمصاب بالبرسام، والبرسام التهاب في الغشاء المحيط بالرئة.

٥ ربما يقصد ابن سينا بقوله بعض المتطببين الرازي

ويسقط نبضهم ويموتون، وأكثر موتهم بالاختناق، وتراه يعدو، ثم تراه إثر ذلك قد سقط ومات.

أقول: لا يبعد أن يكون السبب في ذلك مشاركة من الدماغ لعضو آخر كريم، مثل عضل النفس إذا عرض له تشنج عظيم، أو فساد آخر ينحو نحو الخُنَاق، ويصل إلى الدماغ، فيشوّشه ويفسده ويخلط العقل ويعطش بتجفيف نواحي الحلق والصدر.

وعن مقدمات ظهور السرسام يجملها ابن سينا في نسيان للشيء القريب، وحَــرَن[1] بلا علة - بلا سبب - وأحلام رديئة وصداع كثير وثقل، وصفار الوجه وسهر طويل ونوم مضطرب..

وإذا ورم الدماغ، تيبست أولاً أعينهم يبساً شديداً ثم أخذت تدمع وخصوصاً من إحدى العينين ورمصت[2] وتحمرُّ عروقها حُمْرة شديدة.. ويغفلون عن الآلام إن كانت بهم، بل لو مس شيء من أعضائهم المؤلمة بعنف لم يشعروا بها[3].

وأما نبضهم فيكون صلباً بسبب كون الورم في عضو عصبي لصلابة العرق، وضعف القوة مضغوطاً للمادة في نبضهم قوة ما، إلا أن يقاربوا الخطر، لأن اليباس يجمع ويشد، ويكون آخر الانقباض وأول الانبساط أسرع، ولا تخلو منشاريته عن موجية[4] *ما*[5] لأن الدماغ جوهر رطب، وقد يعرض لنبضهم أن يعرض مراراً، أو يعظم للحاجة، وأن يتواتر، وأن يختلف في أجزاء الوضع ويرتعش، وذلك مما ينذر بغشي اللهم إلا أن يكون جنساً من الاختلاف والارتعاش والارتعاد توجبه صلابة العِرْق، وقوة القوة، فلا ينذر به، وقد يعرض للنبض منهم أن يكون تشنجياً فينذر بتشنج[6].

وكثيرا ما يدلكون أعينهم وربّما مالوا إلى سكون وهدوء في أكثر البدن، إلا في اليدين، فإنه ربما يعبث بهما ويلقط التبن والزئبر[7]، وقد يكون ذلك في الأكثر مع تغميض، وقد يكون مع تحديق وضجر، وربما كسلوا عن الكلام الفصيح لا يزيدون على تحريك اللسان وربما حدث بهم تقطير بول بمعرفة منهم أو بغير معرفة، وهو في الحُمّيَات من الدلالات القوية على السرسام.

وعلامات السرسام الحقيقي تتقدم، ثم يعرض المرض، وأما غير الحقيقي فتتقدمه أمراض أعضاء أخرى، ثم تظهر علاماته .

وأما الكائن من جهة الحجاب الحاجز وعضلات الصدر، فتتقدمه علامات السرسام، وذات الجنب من وجع ناخس في الجنب عند التنفس، وضيق نفس ونبض منشاري

---

١ غضب

٢ أي يصبح فيها قذى بعد جفاف الدمع

٣ ص٧٩، ٨٠

٤ هو هنا يصف النبض وكأنه يصف تخطيطاً للقلب والنبض بواسطة الآلات الحديثة ، والعلماء العرب وصفوا رسم حركة النبض بهذه الصفات التي كانت هي الأساس لاختراع آلة تخطيط القلب والنبض ورسمه .

٥ أي ان هناك لغطا في القلب واضطرابا في الضغط والنبض .

٦ ص٧٩

٧ وبر القماش وما شابه .

وسعال يابس، أولاً ثم يرطب في الأكثر وينفث، ويكون مع حمى لازمة أكثر حرارتها في نواحي الصدر، وفي الحقيقي في نواحي الرأس ويكثر فيه تمدد الشراسيف إلى فوق، ويختص به حس وجع فوق الجمجمة غير شامل، ولا تكون العلامات المذكورة فيما سلف قوية كثيرة، ونَفَسه يكون مختلفاً يضعف مرة فيتواتر ويعظُم أخرى، ويكون ميله إلى الصغر والضعف أكثر ويكون مرة كالزفرة.

وأما في قرانيطس الحق[1] فيكون النَّفَس أعظم بل عظيما ويشترك السرسامان في قوة الاختلاط، ولكن يفارق السرسام التابع للسرسام الحق، بأنها تتبع في قوتها قوة الحمى وتخف مع خفة الحمى.

وأما الكائن لخلط في فم المعدة فإنه يحس معه بلذع في فم المعدة وغثيان وعطش ومرارة فم.

والكائن بسبب أورام أعضاء أخرى فيعلم ما يظهر من أحوالها فإنها ما لم تكن ظاهرة جلية لم تؤد إلى اختلاط العقل والسرسام البين ليعلم ذلك.

علامات أصناف الحقيقي في السرسام:

فنقول: أما الكائن عن الدم فأول علاماته أن عامة عوارضه المذكورة المشتركة تعرض مع الضحك، وتعرض له قطرات رعاف، ويعظم نفسه، وتدمع عينه وترمص، ولا يكون السهر الذي يعتريه بذلك وتكون خشونة اللسان فيه الى حمرة مائلة إلى السواد، ثم يَسْوَدّ، ويكون اللسان فيه ثقيلاً[2]، وربما كسل عن الكلام لثقل اللسان، وتكون خيالاته التي تتشنج له حمرا، وتكون عروق وجهه حمرا، وعينه ممتلئة ويعرض له تواتر قعود وقيام من غير حاجة إليهما[3].

وأما الكائن عن صفراء صحيحة فإنه يسهر كثيراً وتجف معه العينان شديداً جداً، ويخشن اللسان شديداً، ويَصفَرّ أولا ثم يسود، وتشتد الحمى ويكثر الولوع بمسح العينين، ويتخيلون أشياء صفراء وتدخل في أخلاقهم سَبُعِيَّة[4] وسَوَرَان[5] وحرص على الخصام وكأنه في هيئة من يريد أن يقاتل، وتدق أنوفهم خصوصاً في أطرافها ويعرض لجباهه انجذاب شديد إلى فوق.

وأما الكائن من صفراء محترقة وهو الرديء المهلك فأول علاماته أن عامة عوارضه تعرض مع جنون وضجر، ونفس عظيم وعبث، وتكون أعينهم كَدِرَة وتشبه صبار[6] أو كأنه هو. وأما علامات انتقاله فان كان ينتقل الى ليثرغس –

---

١ الحقيقي

٢ أي يكون كلامه غير واضح ويصعب عليه الكلام ويتقطع .

٣ ص٨١

٤ أي تصير اخلاقهم كأخلاق السباع وهي الحِدَّة والشراسة وسرعة الغضب .

٥ سَوَرَان : السوار وهو التوثب والعربدة ، والسوَّار هو الذي تثور الخمر في رأسه بسرعة .

٦ أي صفرة تخالطها حمرة .

وذلك أرجى لهم – رأيت العين تغور، والتغميض يدوم والريق يسيل والنبض يبطئ ويلين.
وأما علامات انتقاله الى سفاقلوس[1] والورم الدماغي: أن تظهر علامة سفاقلوس ويغيب سواد العين، ويظهر البياض في الأحيان ويأبى الاضطجاع إلا مستقلاً وينتفخ بطنه وتمتد شراسيفه ويكثر اختلاج أعضائه، وعلامة انتقاله إلى الدِّق[2] غؤور العينين وهدوء الحمى وقحل البدن وصغر النبض وصلابته.

في علاج السرسام:

أما المشترك لأصنافه الحقيقية، فالفصد من القيفال وإخراج دم صالح، بل كثير جداً وتبادر إلى ذلك كما تبدأ الأخلاط إن لم يمنع من ذلك مانع قوي، ويجب أن يكون فصده من احتياط في تعرف حالة من الغشي، هل وقع فيه أو قرب منه، ويحبس الدم عند القرب من الغشي ويحتال في معرفة ذلك، فإنه لا يظهر فيهم حال الإفاقة من حال الغشي ظهوراً كثيراً، ولكن النبض قد يدل عليه، فإنه إذا ارتعش أو انخفض واختلف بلا نظام حتى تجد واحدة عظيمة، وأخرى صغيرة دل على قرب الغشي.
وأسكِنْه بيتاً معتدل الهواء ساذجاً لا تزاويق ولا تصاوير[3] فيه، فإن خيالاته تولع بها بتأملها وذلك مما يؤذي دماغه وحُجُب دماغه، ويجب أن يكون في مسكنه وبالقرب من المشمومات الباردة، مثل النيلوفر والبنفسج والورد والكافور والتي عددناها لكم في القانون، وأصْحِبه[4] أصدقاءه الظرفاء المحبوبين إليه المشفقين عليه، ومن يستحي منه، فيكف بسببه عن تخليطه واضطرابه الضارين، واجتهد في تنويمه ولو بتقريب شيء من الأفيون من جبينه وأنفه، إن كانت القوة قوية، وإلا فإياك وذلك فإنه مهلك، بل استعمل مثل شراب الخشخاش وضمد رأسه بالخس، وأسقه بزر الخشخاش في ماء الشعير، على أن الأصوب أن يدافع بالفصد إن احتمله الوقت ولم يكن في تأخيره خطر، تفعل ذلك في الابتداء يومين أو ثلاثة، ثم إذا افتصد لم يبالغ إن أمكن حتى يبقى في البدن دم تقوى به الطبيعة على مصارعة البُحْرَانات.

فصل في الفلغموني العارض لنفس جوهر الدماغ:

أكثر ما يعرض هذا يعرض من دم عَفِن يورِّم الدماغ، وربما فرَّق الشؤون وخلْخَلَ الشبكة، ويكاد الرأس معه أن ينصدع وينشق، ويشتد معه الوجع وتحمر العينان وتجحظان جداً وتحمر الوجنتان جداً، وربما عرض معه قيء وغثيان بمشاركة المعدة، ويميل إلى الاستلقاء جداً على خلاف المعتاد من الاستلقاء، وعلى خلاف النظام، وهو يقتل في الأكثر في الثالث فإن جاوزه رُجِيَ (يرجى الأمل بشفائه)،

---

١ Cephalitis وهو الالتهاب الدماغي ، والكلمة أصلها يوناني .

٢ حمى معاودة يوميا

٣ أي أقرب ما يكون إلى البساطة

٤ أي أرسل معه

واعلم أن العلة ليست بصعبة، وإلا لما احتملها عضو بهذا القوام وبهـذا الشـرف، وعلاجه علاج السرسام وأقوى، وينفع منه فصد العِرْق الذي تحت اللسـان منفعـة شديدة، وذلك بعد فصد العرق المشترك والعروق الأخرى[1].

فصل في الماء داخل القحف:

إنه قد تجتمع رطوبة مائية داخل القحف وخارجه، فإن كان خارج القحف دل فيه ما سنذكره عن قريب، وإن كان داخل القحف – وموضعه فوق الغشـاء الصـلب – أحس بثقل داخل وعَسُرَ معه تغميض العين، فلا يمكن، وترطبت العين جداً، ودمعت دائماً وشخصت ولا حيلة في مثله[2].

فصل في الأورام الخارجة من القحف والماء خارج القحف من الرأس وعطاس الصبيان:

قد يعرض في الحجب التي من خـارج الرأس أورام حارة وباردة وقد يعرض – خصوصاً للصبيان – علة هي اجتماع الماء في الرأس، وقد يعرض للكبار أيضـاً هذه العلة، وهذه العلة هي رطوبة تحتبس بين القحف وبين الجلد، أو بين الحجابين الخارجين مائية ، فيعرض انخفاض في ذلك الموضع من الرأس وبكاء وسهر، أمـا الصبيان فيعرض لهم ذلك في أكثر الأمر إذا أخطأت القابلة فغمزت الرأس ففرقته، وفتحت أفواه العروق وسال إلى ما تحت الجلد دم مائي، وقد يكون أخلاط أخـرى غير الرطوبات المائية، فإن كان لون الجلد بحاله، وكان متعالياً منغمزاً مندفعاً فهـو الماء في الرأس، وإن كان اللون متغيراً واللمس مخالفاً وثم قوة وامتناع على الدفع، أو يحس بلذع ووجع فهو ورم من خارج القحف، وأما في الصبيان وغيرهم إذا كان في رؤوسهم ماء، وأكثر ما يكون هذا للصبيان فيجب أن يتعرف هل هو كثير، وهل هو مندفع من خارج إلى داخل إذا قهر، فإن كان كذلك فلا يعالج، وإن كـان قلـيلا ومستمسكا بين الجلد وبين القحف فأستعمل إما شقا واحدا في العرض. وأما إن كان كثيرا شقين متقاطعين، أو ثلاثة شقوق متقاطعة إن كان أكثر وتفرغ ما فيه، ثم تشد وتربط وتجعل عليه الشراب والزيت إلى ثلاثة أيام، ثم تحل الربط وتعالج بالمراهم والفتل إن احتجت إليها أو بالخيط والدرزان[3].

فصل في الشجة وقطع جلد الرأس وما يجري مجراه

التفرق الواقع في الرأس، إما في الجلد واللحم، وإما في العظم موضحة، أو مهشمة أو متقلة أو سمحاقاً، ومن السمحاق الفطرة، وهو أن يبرز الحجاب إلى خارج ويرم، ويسمن ويصير كفطرة ، ومنها الآمة والجائفة، وفيها خطر، ويحدث في الجراحات

---

١ ص٨٥

٢ ص٨٩

٣ ص٩٠

الواصلة إلى غشاء الدماغ استرخاء في جانب الجراحة، وتشنج في مقابله، وإذا لم يصل القطع إلى البطون بل إلى حد الحجاب الرقيق كان أسلم، وإذا وصل القطع إلى الدماغ ظهر حمى وقيء مراري، وليس مما يفلح إلا القليل[1].

وأقربه إلى السلامة ما يقع من القطع في البطنين المقدمين، إذا تـدورك بسـرعة فيُضَمّ، واللذان في البطنين المؤخرين أصعب، والذي في الأوسط أصعب من الـذي في المؤخر، وأبعد أن يرجع إلى الحالة الطبيعية، إلا أن يكون قليلاً يسـيراً، وتقـع المبادرة إلى ضمه وإصلاحه سريعاً، وأما العلاج فالمبادرة إلى منع الـورم بمـا يحتمل.

---

١ ص٩٢

المقالة الرابعة
في أمراض الرأس وأكثر مضارها في أفعال الحس والسياسة

فصل في السبات والنوم:

يقال سبات للنوم المفرط الثقيل، لا لكل مفرط ثقيل، ولكن لما كان ثقله في المدة والكيفية معاً[1]، حتى تكون مدته أطول، وهيئته أقوى، فيصعب الانتباه عنه، وإن نُبِّه. فالنوم منه طبيعي في مقداره وكيفيته، ومنه ثقيل، ومنه سبات مستغرق، والنوم على الجملة، رجوع الروح النفساني عن آلات الحس والحركة الى مبدأ تتعطل معه آلاتها عن الرجوع بالفعل فيها، إلا ما لا بُدَّ منه في بقاء الحياة وذلك في مثل آلات النَّفَس[2].

وقد يكون (السبات) من كثرة الديدان وحب القرع، وقد يكون من انضغاط الدماغ نفسه تحت عظم القحف أو صفحه أو قشره إذا أصاب الدماغ ضربة.

والسبات الكائن عن الدم فيعلم من انتفاخ الأوداج، وحمرة العينين والوجنتين وحمرة اللسان، وحس الحرارة في الرأس وما أشبه ذلك مما علمت، وإن كان الدم أو البلغم مع ذلك مجتمعاً اجتماع الأورام، رأيت علامات قرانيطس أو ليثرغس أو السبات السهري، وإن كان السبب فيه أبخرة تجتمع وترتفع من البدن في حُمَّيَات – وخاصة عند وجع الرئة والورم فيها المسمى ذات الرئة والأبخرة من المعدة – علمت كلاً بعلاماته، فإنه إن كان من المعدة تَقَدَّمَهُ سَدَر ودُوار ودَوِيّ وطنين وخيالات، وكان يخف مع الجوع ويزيد مع الامتلاء، وإن كان من ناحية الرئة والصدر تقدمه الوجع الثقيل، أو الوجع في نواحي الصدر وضيق النفس والسعال، وأعراض ذات الجنب، وذات الرئة، وكذلك إن كان من الكبد تَقَدَّمَهُ دلائل مرض في الكبد، وإن كان من الرحم تَقَدَّمَهُ علل الرحم وامتلاؤها، والذي يكون من ضربة على الهامة أو على الصدغ فيعرف بدليله.

والفرق بين السُّبَات وبين السكتة، أن المَسْبُوت يمكن أن يفهم ويُنَبَّه، وتكون حركاته أسلس من إحساسه، والمسكوت مُعَطل الحس والحركة .

ونبض المَغْشِيّ عليه أضعف وأصلب، والغشي يقع يسيراً مع تغير اللون إلى الصفرة وإلى مشاكلة لون الموتى وتبرد الأطراف.

وأما السبات فلا يتغير فيه لون الوجه، إلا إلى ما هو أحسن ولا ينحف رقعة الوجه والأنف ولا يتغير عن سحنة النوم إلا بأدنى تهيج وانتفاخ.

والفرق بين المسبوت وبين المختنقة الرحم، أن المسبوت يمكن أن يفهم ويتكلم بالتكلف، والمختنقة الرحم[3] تفهم بعسر ولا تتكلم البتة، وتكون الحركة – خاصة

---

١ ومن هنا كان التسمية "السبات الشتوي" للحيوانات والحشرات التي تقضي فصل الشتاء نائمة وتستيقظ مع الربيع .

٢ ص٩٣

٣ أي المصابة بالهستيريا واختناق الرحم هو الهستيريا.

حركة العنق والرأس والرجل – أسهل على المسبوت، والحس وفتح الأجفان أسهل على المختنق رحمها، ويكون اختناق الرحم سبباً يقع دفعة[1]، ويقضي سلطانه، وينقضي أو يقتل، والسبات قد يمتد ويكون الدخول في الاستغراق فيه متدرجاً، ويبتدئ بنوم ثقيل إلا أن يكون سببه برداً يصيب دفعة[2] أو دواء يشرب، فيعلم ذلك قطعاً.

علاج السبات والنوم الثقيل الكائن في الحميات:

أما السبات الذي هو عرض مرض في بعض الأعضاء فطريق علاجه فصد ذلك العضو بالتدبير ليتنقى ويزول ما به، ويقويه الدماغ حتى لا يقبل المادة، وذلك بمثل دهن الورد والخل الكثير لئلا ينوم الدهن إذا انفرد وحده وبعصارات الفواكه المقوية، وبعد ذلك النّطولات المبردة، ثم ينتقل إلى المحللة إن كان احتبس في الدماغ شيء، وقد عرفت جميع ذلك في القانون الذي يكون في الحميات، وفي ابتداء الأدوار، فيجب أن يبادر إلى ربط الأطراف وتحريك العطاس دائماً، وإشمام الخل وبخاره، وتعريق الرأس بدهن الورد والخل الكثير أو ماء الحصرم والرمان، والقوابض التي تكون لشرب المخدرات فيعالج بحسب ذلك المخدر وسقي ترياقه[3].

وأما الكائن لغلبة الدم فيجب أن يبادر إلى الفصد من القيفال وحجامة الساق، أو فصد الصافن، ويستعمل الحقنة المعتدلة.

ومن معالجاته أنه يسمع صاحبه ويرى ما يغمه، فإن الغم في أمثال هذه الأمراض التي يضعف فيها الفكر ويجمد، فهو يحرك النفس ويرده إلى الصلاح[4].

---

١ أي يحصل دفعة واحدة وليس بالتدريج

٢ أي صدمة برد شديد كالمنتقل من مكان حار شديد الحرارة مكث فيه فترة حتى سخن جسده إلى مكان شديد البرودة .

٣ ص٩٧

٤ ص٩٨

المقالة الخامسة

في أمراض دماغية آفاتها في أفعال الحركة الإرادية قوية

فصل في الدوار:

الدُّوَار: هو أن يتخيل لصاحبه أن الأشياء تدور عليه، وأن دماغه وبدنه يدور، فلا يملك أن يثبت بل يسقط، وكثيراً ما يكره الأصوات ويعرض له من تلقاء نفسه مثل ما يعرض لمن دار على نفسه كثيراً بالسرعة، فلم يملك أن يثبت قائماً أو قاعداً، وأن يفتح بصره، وذلك لما يعرض للروح الذي في بطون دماغه، وفي أوردته وشرايينه من تلقاء نفسه، ما يعرض له عندما يدور دوراناً متصلاً، والفرق بين الصرع والدوار، إن الدوار قد يثبت مدة، والصرع يكون بغتة ويسقط صاحبه ساكناً ويفيق، وأما السَّدَر، فهو أن يكون الإنسان إذا قام أظلمت عينه وتهيأ للسقوط، والشديد منه يشبه الصرع، إلا أنه لا يكون مع تشنج كما يكون الصرع[1].

وهذا الدوار قد يقع بالإنسان بسبب أنه دار على نفسه فدارت الأبخرة والأرواح فيه، كما يدور الفنجان المشتمل على ماءٍ مدةً، ويسكن فيبقى ما فيه دائراً مدةً.

وكلما كان البدن أضعف كان هذا الانفعال فيه أشد كما في المرضى، فإنه قد يبلغ المريض في ذلك مبلغاً بعيدا حتى أنه ليُدار به بأدنى حركة منه، لأنهم يحتاجون في الحركة الى تكلف شديد يتمكنون به من الحركة لضعفهم، فيعرض لروحهم أذى وانفعال وتزعزع.

وقد يكون الدوار إما من أسباب بدنية حاضرة في جوهر الدماغ، حاصلة فيه من أبخرة جائلة في العروق التي فيه وفي العصب، وإما من أخلاط محتقنة فيه من كل جنس فيتبخر بأدنى حركة أو حرارة، فإذا تحركت تلك الأبخرة حركت بحركتها الروح النفساني الذي إنما ينضج ويتقوَّم في تلك العروق، ثم يستقر في جوهر الدماغ، ثم يتفرق في العصب إلى البدن.

وقد يكون من محرك للروح من خارج ، مثل ضارب للرأس أو كاسر للقحف حتى يضغط الدماغ، والروح الساكن فيتبعه حركات مختلفة دائرة متموجة ، كما يحدث في الماء من وقوع ثقل عليه ، أو وقوع ضرب عنيف على متنه فيستدير موجه ، ووقوع مثل ذلك في الهواء والجرم الهوائي أولى لكنه لا يحس.

والدوار في المشايخ ينذر بسكتة، وقد يحل الدوار (إلى) صداع عارض، وقد يحل الصداع (إلى) دوار عارض[2].

ومن مقدماته أوجاع الرأس والدويُّ والطنين والثقل في الرأس، ويجد ظلمة ثابتة ويجد في الحواس تقصيراً حتى في الذوق والشم، ويحس في الشرايين المتقدمة ضرباناً شديداً ويصيب ثقلاً في الشم.وقد يكون بسبب مشاركة أعضاء أخرى من

---

١ ص١٢٣

٢ ص١٢٥

الجسم، فإن كان من الرحم تَقَدَّمَهُ اختناق واحتباس المني أو الطمث أو أورام فيه، وكذلك إن كان من المثانة.

المعالجات:

أما الكائن بسبب دوران الإنسان على نفسه ونظره إلى الدورات أو نظره من مكان عال، فيعالج بالسكون والقرار والنوم إن لم يسكن سريعاً، ويتناول القوابض الحارة ويكسر لقماً فيها ويتناولها.

وأما الكائن عن دم وأخلاط محتقنة في البدن، فيعالج بالفصد من القيفال، ثم من العرق الساكن الذي خلف الأذن، فانه أفضل علاج لجميع أصناف الدُوَار المادي.

وربما كوي كياً وخاصة فيما كان سببه صعود أبخرة من البدن في أي الطريق صعدت وتنفع الحجامة على النقرة وعلى الرأس أيضاً.

ويجب أن يجتنب صاحب الدُوار النظر إلى كل شيء دائر بالعجلة ويجتنب الإشراف من المغارات ومن القُلل والآكام والسطوح العالية.

فصل في الصرع:

الصرع علة تمنع الأعضاء النفسية عن أفعال الحس والحركة والانتصاب منعاً غير تام، وذلك لسدة تقع، وأكثره لتشنج كلي يعرض من آفة تصيب البطن المقدم من الدماغ فتحدث سدة غير كاملة، فيمنع نفوذ قوة الحس والحركة فيه وفي الأعضاء نفوذاً تاماً من غير انقطاع بالكلية، ويمنع عن التمكن من القيام ولا يمكن الإنسان أن يبقى معه منتصب القامة، لأن كل تشنج كما نبينه، فإما عن امتلاء وإما عن يبس، وإما عن قبض بسبب مؤذٍ، وكذلك الصرع، لكنه لا يكون عن اليبوسة، لأن الصرع يكون دفعة، والتشنج اليابس لا يكون دفعة، ولأن الدماغ لا يبلغ الأمر من يبسه أن يتشنج له أو يعطب البدن قبله، فيبقى أن سببه إما بقبض الدماغ لدفع شيء مؤذٍ هو إما بخار، وإما كيفية لاذعة أو رطوبة رديئة الجوهر، وإما خلط يحدث سدة غير كاملة في بطن الدماغ، أو أصول منابت العصب، وقد يكون ذلك من الخلط لحركة موجية تقع في الخلط، أو لغليان من حرارة مفرطة فيما يقع من السدة، لا تنفذ قوة الحس والحركة نفوذه الطبيعي، وبما لا تتم ينفذ منه شيء بمقدار ما، فلا يعدم الأعضاء قوة الحس وقوة الحركة بالتمام، وإما لريح غليظة تحبس في منافذ الروح على ما يراه الفيلسوف الأكبر "أرسطاطاليس" ويراه أحد أسباب الصرع، وإذا كان هناك خلط ساد فإن الدماغ مع ذلك أيضاً ينقبض لدفع المؤذي، مثل ما يعرض للمعدة من الفواق والتهوع، ومثل ما يعرض من الاختلاج إذا كان الانقباض والانعصار أصلاً في دفع الأعضاء ما تدفعه، وإذا تقبض الدماغ اختلفت حركاته، وتبعه تقبض العصب في الوجه وغيره، واختلاف حركاته.

وأما الإفاقة فإما أن تقع لاندفاع الخلط أو لتحلل الريح، أو لاندفاع المؤذي، وأما التشنج النازل إلى الأعضاء الذي يصحب الصرع فسببه أن المادة التي تغشي الدماغ، أو الأذى الذي يلحقه يلحق العصب أيضاً، فتكون حالها حاله، وذلك لعلل

ثلاث: اتباعها لجوهر الدماغ، وتأذيها بما يتأذى به، وامتلاؤها من الخلط المندفع إليها في بداياتها ليزداد عرضها وينقص طولها، وإنما كان الصرع يجري مجرى التشنج ليس مجرى الاسترخاء، فيفعل انقباضاً من الدماغ ويقلصها، ولا يفعل استرخاءً وانبساطاً لأن الدماغ يحاول في ذلك دفع شيء عن نفسه.

والدفع إنما يتأتى بالانقباض والانعصار، وكل تشنج مادي فإنه ينتفع بالحمى والصرع تشنج مادي، فهو ينتفع بالحمى والأورام إذا ظهرت به، فربما حلته ونقصت مادته، وكثيراً ما ينتقل المالنخوليا إلى الصرع، وكثيراً ما ينتقل الصرع إلى المالنخوليا، وقد ظن بعض الناس أنه قد يكون من الصرع ما ليس عن مادة، فإن عنى بهذا أن السبب فيه بخارا، وكيفية تضر بالدماغ، فيفعل فيه التقلص المذكور فلقوله معنى، وإن عنى أن سبب ذلك هو نفس المزاج الساذج إذا كان في الدماغ فيفعل الصرع، فذلك ما لا وجه له، لأن تلك الكيفية إذا كانت قد تكيَّف بها الدماغ، وَجَبَ أن يكون الصرع ملازماً إياها، ولا يكون مما يزول في الحال، بل سبب الصرع هو مما يكون دفعة ويزول في الحال، أو يغلب فيقتل، ومثل ذلك لا يكون كيفية حاصلة في نفس الدماغ ، بل مادة وكيفية تؤدي إليه وتنقطع، وذلك من عضو آخر لا محالة، والذي يعرض في الصرع لاضطراب حركة النفس لاختناقه وذلك الاضطراب لاضطراب التشنج، ويعرض في السكتة للاختناق ولاستكراه التنفس، فكأن الصرع تشنج يخص أولا الدماغ، والتشنج صرع يخص أولا عضواً ما، وكان حركة العطاس حركة صرع خفيف، وكأن الصرع عطاس كبير قوي، إلا أن أكثر دفع العطاس إلى جهة المقدم لقوة القوة، وضعف المادة، ودفع الصرع إلى أي وجه كان أمكن وأسهل، ويجب أن يحصل مما قيل: إن الصرع إذا كان في الدماغ نفسه، فالسبب فيه مادة لا محالة تفعل ريحاً محتَبَسَة في مجاري الحس والحركة، أو تملأ البطنين المقدمين بعض الملء، وهذه المادة إما دم غالب وكثير، وإما بلغم وإما سوداء وإما صفراء، وهو قليل جداً، وبعده في القلة الدم الساذج .

وقد قال "بُقراط": أن أكثر الغنم التي تصرع إذا شُرِّح عن أدمغتها وجد فيها رطوبة رديئة منتنة، وكل سبب للصرع دماغي، فانه يستند الى ضعف الهضم فيه فلا يخلو، إما أن يكون في جوهر الدماغ ومخِّيته، وهو أردأ، وإما أن يكون في أغشيته، وهو أخف، والصرع السوداوي القوي أردأ، وإن كان البلغمي أكثر، فإن السوداوي أسد لمنافذ الروح، والمخصوص عند بعضهم باسم أم الصبيان[1]، قاتل جداً، وإذا اتصلت نوائب الصرع قتل.

والفُوَاق نوع من التشنج، وإذا عرض للدماغ من مثل هذا السبب تشنج وانقباض، فإنه حينئذ يتبعه انقباض جميع العصب وتشنجه، وحكى "جالينوس" عن نفسه أنه كان يصيبه الفُوَاق عند تناوله الفلافلي، ثم الشرب للشرب بعده لتأذى فم المعدة بالحدة، وقد شاهدنا قريبا من ذلك لغيره، وقد حكى "جالينوس" وغيره، وشاهدنا نحن أيضاً بعده إن كثيراً ما كان يحس المصروع بشيء يرتفع من إبهام رجله لريح باردة، ويأخذ نحو دماغه فإذا وصل إلى قلبه ودماغه صُرع. قال "جالينوس": وكان إذا ربط

١ نوع من انواع الصرع يصيب الأطفال

ساقه برباط قوي قبل النوبة امتنع ذلك، أو خف، وقد شاهدنا نحن من هــذا البــاب أموراً عجيبة، وقد كُويَ بعضهم على إبهامه وبعضهم على إصبع آخر، كان البخار من جهته فبرأ (يذكر محقق القانون في الطب سعيد اللحام: أن بــين إبهــام القــدم والإصبع الذي يليه عصب يتصل بالفقرات العليا والأعصاب الرئيسية في النخــاع الشوكي، ودلك هذا العصب يزيل الصداع، ولا ريب أن إصــابته بآفــة يمكــن أن يصيب نوعاً من الصرع وكَيُّه يقطع صلته مع النخاع الشوكي والدماغ). ومن هــذا الباب الصرع الذي يعرض بسبب الديدان أو حب القرع (الدودة الوحيدة)، وضربٌ من الصرع مركب بالغشي يكاد الأطباء يخرجونه من باب الصرع ، وهــو فيــه، وضربٌ منه ومن قبيله يسمى اختناق الرحم، وهو إن المــرأة إذا عــرض لهــا أن احتبس طمثها لا في وقته فاحتقن، أو احتبس مَنِيُها لترك الجماع استحال ذلــك فــي رحمها إلى كيفية سمية، وكان له حركات وتبخيرات، فيُعرض أن يرتفع بخارها إلى القلب والدماغ فتُصْرَع المرأة، وكذلك قد يتفق للرجل أن يجتمع في أوعية المني منه كثير ويتراكم ويبرد ويستحيل إلى كيفية سمية فيصيبه مثل ذلك[1].

كذلك يتفق للمرأة صرع في الحمل، فإذا وضعت واستفرغت المادة الرديئة الطمثية زال ذلك، وقد حُكِيَ لنا صرع يبتدئ من العمود الفقري، وصرع يبتدئ من الكتف وغير ذلك، وإما أن يكون من المعدة، ومن المراق وبسبب تخم تورث سُــدَدًا فــي العروق، فلا تقبل الغذاء المحمود ويفسد فيها الخلط، أو يبقى فيها الغذاء المحمــود مختنقا للسدد، فيفسد، وكثيراً ما يتراجع إلى المعدة فاسداً، فيفســد الغــذاء الجديــد المحمود الكيموس، وكثيراً ما يعرض بسبب ذلك القيء للطعــام غيــر المهضــوم، وعلى كل حال كان الصرع بشركة أو بغير شركة فإن مبدأ الصرع القريــب هــو الدماغ أو البطن المقدم منه، والبطون الأخَر معه، لأن أول آفة يُعْتَدُّ بها تقع في حس البصر، والسمع، وفي حركات عضل الوجه والجفن، وإن كــان ســائر الحــواس والأعضاء المتحركة في الآفة، ولولا المشاركة في الآفة لسائر البطون لمــا بطــل الفهم، ولما تضرروا في التنفس، والصرع في أكثر الأمر يتقدمه التشنج ثم يكون من بعده الصرع، وذلك لأنه إذا استحكم التشنج كان الصرع، فإذا اندفع السبب المؤذي أو تحلّل الريح عادت الأفعال الحسية والحركية، وربما ظهر الخلط المندفع معاينــة في المنخر وفي الحلق، وكثيراً ما يكون الصرع بلا تشنج محســوس، وذلــك لأن المادة الفاعلة له تكون رقيقة وتفعل بالامتلاء لا بالرداءة الشديدة[2].

والصرع يصيب الصبيان كثيرا بسبب رطوباتهم، فربما ظهر بهم أول ما يولــدون وقد يكون بعد الترعرع، فإن أصيب في تدبيرهم زال وإلا بقي، ويجب أن يجتهد أن يزال عنهم ذلك قبل الإنبات (إنبات الشعر على عانتهم أي البلوغ)، وأبعد الصــبيان من ذلك من يعرض له من ناحية رأسه قروح وأورام ويكون سائل المنخرين.

وللدماغ رطوبة في أصل الخلقة من حقها أن تنبثق، فربما تنبثق في الرحم، وربمــا انبثقت بعد الولادة، فإن لم تنبثق لم يكن بدٌّ من صرع وأكثر الصرع الذي يصــيب

---

١ ص١٣١

٢ ص١٣٢

الصبيان فإنه قد يخف علاجه ويزول بالبلوغ إذا لم يعنه سوء التدبير وترك العلاج، والصرع قد يصيب الشبان، فإن كثر بعد خمس وعشرين سنة لعلة في الدماغ وخاصة في جوهره كان لازماً، ولا يفارق ويكون غاية فعل العلاج فيهم تخفيف من عاديته وأبطأ بنوائبه .

وقد قال "بُقراط": إن الصرع يبقى بهم إلى أن يموتوا، وأما المشايخ فقلما يصيبهم الصرع السددي، وقد يعين الأسباب المحركة للصرع أسباب من خارج، مثل التغذي في المطعم والمشرب والتخم، ومثل التعرض الكثير للشمس، مما يجذب من المواد إلى الرأس، وذلك لما يمنع من انتشار المواد في جهتي البدن فيحركها إلى فوق.

والجماع الكثير من أسبابه، ومن أسبابه التنعم والسكون وقلة الرياضة، ومن أسبابه الرياضة على امتلاء كما تتحرك لها الأخلاط الى تحلل غير تام، وتملأ التجاويف، ومن أسبابه ما يضعف القلب من خوف، أو وقع هدة[1] وصيحة بغتة، ومن أسبابه الصوم لصاحب المعدة الضعيفة وشرب الشراب الصرف أيضاً لما يؤذي المعدة، وهذه أسباب بعيدة توجب الأسباب القريبة، ونحن نجعل لهذه الأسباب باباً مفرداً، وقيل: إن المصروع إذا لبس سلاخ عنز كما سلخ وشرع في الماء صرع، وكذلك إذا دخن بقرن الماعز والمر والحاشي، وكثيراً ما ينحل الصرع بحميات يقاسيها صاحبه ، وخصوصا ما طال، والرِّبع[2] خاصة لشدة طوله ولتكوينه المادة السوداوية حتى ينحل والنافض القوي، فإن النفض يزعج ما تلحج بالدماغ من الفضول، والعرق الذي يتبع النافض ينفضه، وكما أن السكتة تنحلُّ إلى فالج، فكذلك كثيرٌ من الصرع ينحل إلى فالج، وقد زعم بعضهم أن البلغمي يصحبه ارتعاش واضطراب، لأن البلغم لا يبلغ من كثافته أن يسد المجاري سداً تاماً وأما السوداوي فقد يسد سداً تاماً، فيعرض منه قلة الاضطراب. وزعم بعضهم أن الذي يكثر معه الاضطراب فبالحَري أن يكون سببه الخلط الأقل مقدارا والأقل نفاذاً في المجاري، فيجعل الأمر بالعكس، ولا شيء من القولين بمقطوع به.

قال "روفس": إذا ظهر البرص بنواحي الرأس من المصروع دل على انحلال مادة الصرع، وعلى البرء، وكثيراً ما ينحل الصرع إلى فالج ومالنخوليا[3].

---

١ هدة : ضجة قوية مفاجئة او صوت قوي غير متوقع

٢ حمى الربع

٣ ص١٣٣

المتهيئون للصرع:

يعرض الصرع للمرطوبين بسنهم (بأعمارهم)، كالصبيان والمرطوبين بتدبيرهم كأصحاب التخمة والذين يسكنون بلاداً جنوبية الريح، لأنها تملأ الرأس رطوبة، والصرع للنساء والصبيان وكل من هو قليل الدم ضيِّق العروق أقل.

العلامات:

يقولون: إن العلامات المشتركة لأكثر أصناف المصروعين، صفرة ألسنتهم وخضرة العروق التي تحتها، وكثيراً ما يتقدمه تغير من البدن عن مزاجه، وثقل في الرأس خصوصاً إذا غضب، أو حدث به نفخ في البطن، ويتقدمه ضعف في حركة اللسان، وأحلام رديئة ونسيان، أو فزع وخوف وجبن وحديث النفس[1] وضيق الصدر، وغضب وحِدَّة، وليس كل صنف منه يقبل العلاج، والمؤذي منه هو الذي يتقدمه هز شديد واضطراب كثير قوي، ثم يتبع سكون شديد مديد وازدياد وضرر في التنفس، فيدل على كثرة مادة، وضعف قوة. فإذا أردت أن تعلم أن العلة في الرأس أو في الأعضاء الأخرى فتأمَّلْ هل يجد دائماً ثقلاً في الرأس، ودواراً وظلمة في العين وثقلا في اللسان والحواس واضطرابا في حركاته وصفرة في الوجه، فإذا وجدت ذلك مع اختلاط في العقل، ونسيان دائم أو بلادة أو رعونة ولم يكن يقل وينقص على الخلاء، وربما يحدث من لين الطبيعة، بالمستفرغات، فاحكم أن العلة من الدماغ وحده، ثم إن لم تجد في الأعضاء العصبية وفي الطحال والكبد ولا في شيء من الأطراف والمفاصل آفة، ولا أحَسَّ العليل بشيء يصعد إلى رأسه ودماغه من موضع، صحَّ عندك أن الآفة في الدماغ. وعلامة الصرع السهل أن تكون الأعراض أسلم، وأن يكون صاحبه يثوب إليه العقل بسرعة فيخجل كلما يفيق، وأن تسرع إليه إفاقته بالعطوسات والشمومات، وبما يحرك القيء مما يدخل في الحلق قاء به، أو لم يتقيأ، وعلامة الصعب منه عسر النفس وطول الاضطراب ثم طول الخمود بعده، وقلة إفاقته بالتشميم والتعطيس، ودون هذا ما يطول فيه الاضطراب ولا يطول الخمود، أو يطول فيه الخمود، ويقل الاضطراب، فعلامة ما كان سببه من ريح غليظة تتولد فيه أن لا يجد معه وقريبا منه ثقل، بل يجد دوياً وتمدداً، ولا يكون تشنجه شديداً، وعلامة ما كان منه سببه البلغم، فأن يكون الريق حاراً زَبَدِياً غليظاً كثيراً، ويكون في البول شيء كالزجاج الذائب ويكثر فيه الجبن والفزع والكسل والثقل والنسيان، وقد يتعرف من القيء أيضاً، ومن لون الزبد، وأيضاً من لون الدم، وقد يتعرف من السن والبلد والاسباب الماضية من الأغذية والتدابير، وبما يدل عليه السكون والدعة ولون الوجه والعين وسائر ما علمته في القانون، فإن كان البلغم مع ذلك فجاً بارداً كان النسيان والبلادة وثقل الرأس والبدن والسبات أكثر، ويكون الصرع أشد إرخاءً وإضعافاً وهذا النوع رديء جداً.

---

[1] الوسواس

وأما ماكان سببه من المعدة فعلامته اختلاج في فم المعدة، لا سيما عند تأخر الغذاء ورعدة وارتعاش، واهتزاز عند الصرع، وصياح وخصوصاً في ابتداء الأخذ ويكون معه انطلاق وبراز ودرور بول وامذاء وإمناء وخفقان وصداع شديد وخفة الصرع أو زواله باستعمال القيء وأحوال تدل على فساد المعدة وزيادة الصرع ونقصان بحسب تلطخ المعدة ونقائها، وربما يقتل هذا بتواتر الأدوار، فمن ذلك أن يفعل الخلط الذي فيها بكثرته وكثرة بخاراته، وهذا هو الخلط البلغمي في الأكثر، وربما خالطه غيره، فعلاماته أن يعرض الصرع في أوقات الامتلاء والتخمة، ويخف عند الخواء، وعند قوة استطلاع الطبيعة بالطعام ويكون على ترادف من التخم، فإن كان مع ذلك مخالطاً المادة الصفراوية وجد عطشاً ولهيباً ولذعاً واحتراقاً[1].

وأما ما كان من مادة سمية تطلع من بعض الأعضاء بواسطة العصب فإما أن يكون مبدؤه من خارج، وعلامة ذلك ظاهرة مثل لسع عقرب أو رتيلاء أو زنبور إذا وقع شيء من هذا اللسع على العصب، وإما أن يكون من داخل فيحس بارتفاع بخار منه إلى الرأس يظلم له البصر، فيسقط، وذلك العضو إما الرِّجل وإما اليد وإما الظهر وإما العانة، وإما شيء من الأحشاء كالمعدة أو الرحم، وأما علامة ما يكون من الديدان، فسيلان اللعاب وسقوط الديدان وحب القرع .

في الأسباب المحركة للصرع:

من الأسباب المحركة للصرع الانتقال إلى هواء مُعِين للصرع كما أن من الأسباب المزيلة له الانتقال إلى هواء مُعِين عليه، وكل حر مفرط شمسي أو ناري، وكل برد والجماع الكثير، والصرع قد يثيره كثرة الامطار وريحا الشمال والجنوب معاً، أما الشمال والبلاد الشمالية، فلحقنه المواد ومنعه التحلل، وأما الجنوب والبلاد الجنوبية فلتحريكه الأخلاط، وملئه الدماغ وترقيقه إياها وتثويره لها، ويهيج في الشتاء كثيراً، كما يهيج في الشمال وفي الخريف لفساد الأخلاط ، ويقل في البلاد الشمالية، لكنه يكون قاتلا لأنه لولا سبب قوي لم يعرض، والروائح الطيبة وغير الطيبة ربما حركته، والحركة ومطالعة الحركات السريعة والدائرة والاطلاع من الأشراف[2] وطول اللبث في الحمَّام، والحمَّام قبل الهضم وصب الماء الحار على الرأس[3].

أيضاً مما يحرك الصرع لتثويرها الأخلاط وتحريكه إياها، والتخمة وسوء الهضم والسهر والآلام النفسانية القوية من الغم والغضب والخوف والانفعالات الحسية القوية من سماع أصوات عظيمة مثل الرعد وضرب الطبول وزئير الأسد ،

---

١ ص١٣٦

٢ الأماكن المرتفعة

٣ ص١٣٧

والأصوات الصلالة[١] مثل صوت الجلاجل[٢] والصرّارة مثل صريف الناب الحاد، وكذلك من إبصار أنوار باهرة مثل البرق الخاطف للبصر ونور عين الشمس، ومن ملامسة حركات قوية كحركات الرياح العاصفة، وقد يهيج الصرع من الرياضة على الامتلاء، أريد بها التحليل او لم يرد[٣].

المعالجات:

أما صرع الصبيان فيجب أن يعالج بأن يصلح غذاء المرضعة، ويجعل مائلاً إلى حرارة لطيفة مع جودة كيموس، وتجتنب المرضعة كل ما يولّد لبناً مائياً أو فاسداً أو غليظاً وتمنع الجماع والحبل، ويجب أن يجنب هذا الصبي كل شيء فيه مغافصة ذعر[٤] أو إزعاج مثل الأصوات العظيمة، والجش كصوت الطبل والبوق والرعد والجلاجل وصياح الصائحين[٥]، وأن يجنَّب السهر والغضب والخوف والبرد الشديد والحر الشديد[٦].

كما يجب أن يجنَّب سوء الهضم، وأن يكلَّف الرياضة قبل الطعام برفق، ويحرَّم عليه الحركة بعد الطعام، فإن احتمل استفراغاً بالأدوية المستفرغة للبلغم رقيقاً فعل ذلك، وينفعهم أن يقيئوا أحياناً بماء العسل وان يسقوا الجلنجبين السكري والعسلي، ويشمموا السذاب وسائر الملطفات فإن التشميم بالمشمومات التي نذكرها ربما كفى الخطاب فيهم، ثم يعم المصروعين كلهم، أن يستعملوا الأغذية المحمودة التي لها ترطيب محمود غير مفرط، وليحترزوا من الامتلاء، وليحذروا سوء الهضم، وذلك بأن يكفوا ولا يبلغوا تمام الشبع، ومن لم تجر عادته بالوجبة قسم غذاءه الذي هو دون شبعه ثلاثة أقسام، فيتناول ثلثه غداء وثلثيه عشاء بعد رياضة لطيفة، ولا يستكثروا من الخمر، فإنها شديدة الملء للدماغ، ثم إن لم يكن بد من أن يستعملوا من الشراب شيئاً فقليل عتيق مروق، وإلى العفوصة، وأضر الأشياء بهم الشرب عقيب الاستحمام، وأيضا البرد المغافص، بل يجب أن يوقوا الرأس ملاقاة كل حر مفرط أو برد مفرط، ولا يبطئوا في الحمام، وعلى المصروع أن يجتنب اللحوم الغليظة كلها والقوية الغذاء، والسمك كله، بل لحوم جميع ذوات الأربع الكبار، ويقتصر على الفراريج والدراريج والطياهيج والعصافير الأهلية والجبلية والقنابر والشفانين والجداء والغزلان والأرانب، وقد قيل إن لحم الخنزير البري شديد النفع له، وقد يُمدح لهم لحوم الماعز لما فيها من التجفيف وقلة الترطيب، كما تكره لهم الحلاوات والدسومات ونحوها، ويجتنب البقول كلها، وخصوصا الكرّفس، فإن له خاصية في

---

١ الأصوات ذات الرنين كصوت اصطدام المعادن الصلبة

٢ الجلاجل: أصوات الجلجل وهو جرس صغير كالذي يعلق في رقبة الحمير أو الإبل وما ماثلها

٣ ص١٣٨

٤ مغافصة ذعر : الذعر المفاجيء

٥ في ايامنا هذه كصوت الرصاص واختراق الطائرات لحاجز الصوت

٦ ص١٣٨

خاصية في تحريك الصرع، فإن كان ولا بد فليستعمل الشاهترج والهندبا، وقد رُخِّص لهم في الخس، وأنا لا أحمده لهم كثير حمد، وكذلك رُخِّص لهم في الكزبرة لمنعها البخار من الرأس وأنا أكرهها، وإستكثارها لهم إلا في الدموي والصفراوي[1].

وأما السلق المسلوق في الماء ثم المصلح بالزيت والمرِّي وما يجري مجراه، فإن قُدِّم ناوله على الغذاء لتليين الطبيعة جاز، والسَّذاب من جملة البقول نافع برائحته شمًّا، واذا وقع الشبث والسذاب في طعامهم كان نافعاً، ويجب أن يجتنبوا الفواكه الرطبة كلها وجميع الفواكه الغليظة، إلا بعض القوابض على الطعام بقدر خفيف يسير جداً ليشد فم المعدة ويحدر الغذاء ويلين الطبيعة ويمنع البخار.

ويجب أن يجتنب الأغذية المُيَبِّسة المنقلة والمخدرة والمبخرة، وأما الشراب فإن الامتلاء منه ضار جداً، وأما القليل فإنه ينشط النفس ويقوِّي الروح ويذكيها، ويغني عن الاستكثار من الماء، فالاستكثار منه أضر شيء، والقيلولة الكبيرة وبالجملة النوم الكثير ضار، وخصوصا على امتلاء كثير، والإفراط من السهر أيضاً يضعف الروح ويحله، ومع ذلك فيملأ الدماغ أبخرة، وأول تدبير الصرع أجتناب الأسباب المُحَرِّكة للصرع التي ذكرناها والسكون والهدوء أولى به.

فإن احتيج إلى رياضة بعد الاستفراغ وتنقية البدن الذين نذكرهما فيجب أن يستعمل لا على الملء رياضة لا تبلغ الإعياء، ثم يُرَاح بعدها، ويجتهد في أن يكون رأسه منتصباً ولا يدليَّه ما أمكن ولا يحركَّه كثيراً فيجذب إليه المواد.

ويجب أن يحرك الأسافل في تحريكه الأعالي، ومما يجذب المادة إلى أسفل دَلْكُ البدن متدرجا من فوق إلى أسفل، يبتدىء من الصدر وما يليه فيدلكه بخرق خشنة حتى يحمر، ثم ينزل بالتدريج إلى الساق، ويكون كل ثان أشد من الأول، ويكون الرأس في الحالات منتصباً، وبعد ذلك يكلفه المشي، ويجب أن يريحه في موضع الرياضة ليعود إليه نفسه ويهدأ اضطرابه، وإنما يفارق موضعه بعد ذلك، فإذا جذب المواد كلها إلى أسفل جاز له حينئذ أن يدلك الرأس ويمشطه ليسخنه ويغير مزاجه.

ومما ينفعه المحاجم على الرأس والكي عليه تسخيناً للدماغ وبعد التنقية والإسهال والإراحة أياماً لا بأس أن يدخلوا الحمام، وأن يضع المحاجم على ما تحت الشراسيف منهم، وتسخن رؤوسهم بما علمت، وقد يُلقَمُ في وقت النوبة كرة تقع بين أسنانه وخصوصاً من الشعر لينة ليبقى فمه مفتوحا[2].

وإذا حان وقت النوبة وتمكنت من إقيائه بريشة مدهونة بدهن السوسن يدخلها فمه وخصوصاً إن كان للمعدة في ذلك مدخل ليقذفوا رطوبة انتفعوا بها في الحال، وإن كان استعمال القيء الكثير ضاراً بالصرع الدماغي[3].

---

١ ص١٣٩

٢ ص١٤٠

٣ ص١٤١

فصل في السكتة:

السكتة تَعَطُّل الأعضاءعن الحِسْ والحركة لانسداد واقع في بطون الـدماغ، وفـي مجاري الروح الحساس والمتحرك ، فإن تعطلت معه آلات الحركـة والتـنفس أو ضعفت فلم تسهِّل النَّفَس كان هناك زَبَد ، وكان ذا فترات كالاختناق، أو كـالغطيط فهو أصعب يدل على عجز القوة المحركة لأعضاء النَّفَس، وأصـعبه أن لا يظهـر النَّفَس، ولا الزَّبَد ولا الغطيط، وإن لم تعظم الآفة في التنفس ونفذ فـي حلقـه مـا يُوْجَر[١]، ولم يخرج من الأنف فهو وإن كان أرجى من الآخر، فليس يخلو من خطر عظيم ، وقد قال "بقراط": إن السكتة إذا كانت قوية لم يبـرأ صـاحبها وإن كانـت ضعيفة لم يسهل برؤه[٢].

ويقول ابن سينا بثاقب علمه : وقد يعرض أن يُسْكَت الإنسان – تصيبه سكتة – فلا يفرق بينه وبين الميت، ولا يظهر منه تنفس ولا شيء ، ثم إنه يعـيش ويسـلم .. والنبض يسقط تمام السقوط .. ولذلك استحب أن يُؤَخَّر دفن المُشْكِل من الموتى إلى أن تستبين حالته[٣]، ولا أقل من اثنتين وسبعين ساعة[٤].

وقد قال "بُقراط" : من عرض له – وهو صحيح – وجع بغتة في رأسه ثم أُسْـكِت فإنه يهلك قبل السابع إلا أن يعرض به حُمًّى، فيرجى – أيّ الحمى يرجى معهـا – أن تنحل الفضلة.

ويضيف: والسكتة قد تنحل في أكثر الأمر إلى فالج[٥] كما أنه إذا انبسطت مادة الفالج في الجانبين أحدثت سكتة[٦].

ويفرق ابن سينا بين السكتة والسُّبَات[٧] ويقول إن السكتة يتقدمها في أكثـر الأوقـات صداع وانتفاخ الأوداج ودوار وسدر[٨]، وظلمة البصر واختلاج[٩] في البـدن كلـه، وكسل وثقل.

---

١ أُوْجَرَ: صب الوَجُوْرَ في حلقه، والوَجُوْرُ: الدواء يصب في الحلق

٢ ص١٤٤

٣ لربما كان ابن سينا يصف حالة تشبه موت الدماغ

٤ ص١٤٥

٥ المراد أن السكتة الدماغية قد تؤدي إلى الفالج

٦ ص١٤٥

٧ النوم المفرط الثقيل، ومن هنا جاءت تسمية السبات الشتوي للحيوانات والحشرات التي تقضي فصل الشتاء نائمة وتستيقظ مع مطلع الربيع) .

٨ تحير بصره من شدة الحر – انظر القاموس المنجد

٩ اضطراب ورجفة

وما كان من ورم فلا يخلو من حمى ما.. ويكون الوجه مُحْمَرّاً والعينان مُحْمَرَّتَيْن جداً، وتكون الأوداج وعروق الرقبة ممتدة [1].

ومن علامات الفرق بين السكتة والسبات أن المسكوت يغط وتدخل نَفَسَه آفة، والمسبوت ليس كذلك، والمسبوت يتدرج من النوم الثقيل إلى السبات، والمسبوت يعرض ذلك له دفعة[2].

وعن أمراض العصب يقول ابن سينا أنها تعرض له أصناف الأمراض الثلاثة، ويعني بها المزاجية والآلية وانحلال الفرد المشترك وتظهر الآفة في أفعاله الطبيعية والحاسة والمحركة.[3]

وعن الفالج يميز ابن سينا بين ما يكون لأحد شقي البدن طولاً، ويكون الوجه والرأس معه صحيحاً، وما يسري في جميع الشِقِّ من الرأس إلى القدم، وإذا عمَّ الفالج الرأس كان سكتة.. ونتيجة ذلك بطلان الحس والحركة.

وقد يكون "من انضغاط شديد كما يعرض عند ضربة أو سقطة، وإذا مالت الفقرات وانكسرت فتضغط العصب الخارج منها الذي يكون يمنة أو يسرة، لأن مخارج العصب ليست من جهتي قدام وخلف[4].

أما ما يكون عن ورم فذلك يعرض في منابت الأعصاب وشُعَبها.

أما القطع الذي يعرض للعصب فما كان طولا، فلا يضر الحس والحركة، وما كان عرضاً فيمنع الحس والحركة من الأعضاء التي كانت تستقي من المجاري المتصلة بينه وبين الليف المقطوع.

ويقول إن النخاع مثل الدماغ في أنقسامه إلى قسمين، وإن كان الحس لا يميزه، وكيف لا يكون كذلك وهو ينبت أيضاً عن قسمي الدماغ، فلا يستبعد أن تحفظ الطبيعة إحدى شِقَيْه[5].

ويقول: إنه إذا كانت الآفة التي تفعل الفالج في شِقٍّ من بطون الدماغ، عم شِقَّ البدن كله وشق الوجه معه.

فإن كانت عند منبت النخاع كان البدن كله مفلوجاً دون أعضاء الوجه، وربما وقع مع ذلك خدر في جلدة الرأس لأن جلدة الرأس يأتيها العصب الحاسُّ من العنق.. وإن كان من العصب استرخى ما يخص ذلك العصب. ومن الفالج.. كثيراً ما يبقى معه الحس دون الحركة[6].

---

١ ص١٤٦

٢ أي دفعة واحدة بدون تدرج

٣ ص١٥٠

٤ ص١٥٢

٥ ص١٥٣

٦ ص١٥٣

ويذكر ابن سينا "إن من الفالج ما يكون بُحْرَاناً للقولنج"[1]، وكثيراً ما يبقى معه[2] الحس، لأن المادة تكون معه في أعصاب الحركة دون الحس.

وكثيراً ما يبقى معه[3] الحس، لأن المادة تكون معه في أعصاب الحركة دون الحس.

ويدلّل ابن سينا على ذلك بقوله: "وذكر بعض الأولين أن القولنج عمم بعض السنين، فقتل الأكثر ومن نجا نجا بفالج مزمن أصابه كأن الطبيعة نفضت تلك المادة التي كانت تأتي الأمعاء وردتها إلى خارج، وكانت أغلظ من أن تنفذ بالعرق فلحجت في الأعصاب[4] وفعلت الفالج[5].

ويقول: إن أكثر ما يعرض الفالج يعرض في شدة برد الشتاء.

ونبض المفلوج ضعيف بطيء متفاوت.. والبول قد يكون فيه على الأكثر بياضاً، وربما أحمر جداً لضعف الكبد عن تمييز الدم عن المائية، أو ضعف العروق عن جذب الدم.

وقد يعرض أن يكون الشق السليم من الفالج مشتعلاً كله في نار، والآخر المفلوج بارداً كأنه ثلج، ويكون نبض الشِقَّيْن مختلفاً، فيكون نبض الشق البارد ساقطاً[6]. وما كان من الأعضاء المسترخية والمفلوجة.. ليس يصغر ولا يضمر فهو أرجى مما يخالفه[7].

والفالج الحادث عن زوال الفقار قابل في الأكثر (للشفاء) والذي عن صدمة لم يدق العصب دقاً شديداً، فقد يبرأ افرط[8] لم يرج ان يبرأ والذي يرجى منه يجب أن يُبدأ فيه بالفصد[9].

وإن كان (الفالج) عن التواء أو سقطة أو ضربة أو قطع، فالسبب يدل عليه، وربما خَفِيَ السبب في القطع إذا كان العصب غائراً فيدل عليه أنه يقع دفعة ولا ينفعه تدبير.

---

١ البحران : التغيير الذي يحدث للعليل فجأة في الامراض الحمية الحادة ، ويصحبه عرق غزير، وانخفاض سريع في الحرارة ، ويقصد به يوم المناجزة بين المرض وطبيعة المريض.

القولنج : مرض معوي مؤلم ناتج عن التهاب القولون

٢ مع هذا النوع من الفالج

٣ مع هذا النوع من الفالج

٤ لحجت: دخلت في أضعافه ولصقت بها

٥ ص ١٥٣

٦ ساقطاً: منخفضاً

٧ يقصد أن الفالج الذي لا تصغر فيه الأعضاء المفلوجة ولا تضمر، أخف من الذي تصغر فيه، الأعضاء وتضمر.

٨ دق العصب بشدة

٩ ص١٥٤

أما الذي يقبل العلاج، فهو ما ليس عن قطع، بل مع ورم ونحوه[1].

المعالجات :

يقول ابن سينا إنه "في أمراض العصب الخمسة، أعني الخَدَر، والتشنج والرعشة والفالج والاختلاج" يكون الفصد في مؤخر الدماغ .أما تدبير غذائهم فإنه يجب أن تقتصر بالمفلوج في أول ما يظهر على مثل ماء الشعير وماء العسل.. واجتَهدْ في تجويعه واطعامه الأغذية اليابسة، ثم تعطشه تعطيشا طويلا.

والماء خير لهم من الشراب، فإن الشراب ربما تَحَمَّضَ في أبدانهم فصار خَلاً، والخل أضرُّ الأشياء بالعصب[2].

وفي علاج الفالج يقول إن "وضع الادوية على العضو المفلوج نفسه ، فمما لا ينفع نفعاً يُعْتَدُّ به ، وعليك بمنابت الاعصاب .. وعلى المبدأ الذي يخرج منه العصب المتجه إلى العضو المفلوج[3].

أمَّا (الفالج) الكائن عن القطع فلا علاج له البتة[4].

في التشنج:

يُعَرِّف ابن سينا التشنج بأنه "علة عصبية تتحرك لها العضل إلى مباديها (بداياتها) فتعصي في الانبساط ، فمنها ما تبقى على حالها فلا تنبسط ومنها ما يسهل عودة الى الانبساط كالتثاؤب والفواق[5].

وحسب نظرية الأخلاط الأربعة يعيد ابن سينا أسباب التشنج إلى مادة بلغمية أو سوداوية أو دموية.

ويقول: إنه إذا كان التشنج بلا ورم كانت المادة الفاعلة له مشتملة على العضل كله، وأما أن تكون حاصلة في موضع واحد ، ويتبعها سائر الأجزاء، كما تكون عن التشنج الكائن للورم عن مادة منصبة لضربة أو لقطع، أو لسبب آخر من أسباب الورم[6].

---

١ ص١٥٤

٢ ص١٥٥

٣ ص١٥٦

٤ ص١٥٨

٥ الفواق: ترجيع الشهقة العالية – وتسميها العامة الحازوقة –

٦ ص١٥٨

ويضيف : أرى أنه (التشنج) مما يعرض (يحدث) كثيرا ويزول في الوقت ، وقد يعرض كثيراً.. عقيب الخوانيق[1] وعقيب ذات الجنب[2] وعقيب السرسام.

كما يحدث التشنج – كما يقول ابن سينا – عن مادة سمية تتأدَّى إلى الدماغ والعصب، كما تعرض لمن لسعته العقرب على عصبه، وإما عن مادة غير سمية مثل ما يعرض للعصب من برد شديد يجمع العصب والعضل ويكثفه فيتقلص إلى رأسه.

ومن التشنج ما يعرض للمرضعات بمجاورة الثدي.. ومنه ما يعرض للسُّكَارَى.. وللصبيان لرطوبتهم، وكثيراً ما يعرض لهم في حُمَّيَاتهم الحادة، وعند اعتقال بطونهم[3] وفي سهرهم وكثرة بكائهم[4].

وبالجملة فإن الصبيان يسهل وقوعهم في التشنج.. ويسهل خروجهم عنه، أما البالغون فلا يسهل أحد الأمرين فيهم.

وأما من جاوز سبع سنين فلا يتشنج إلا لحمى صعبة جداً، ومن التشنج ما يعرض للخوف، أو بسبب الاعتماد على بعض الأعضاء وهو منقبض، وربما عن ضربة أو حمل ثقيل أو نوم على مهاد صلب، وهذا مما يزول بنفسه.

ويقول: إن التشنج الناتج عن الحُمَّيَات ليس بذلك الصعب الرديء، إنما الصعب الرديء ما كان في الحُمْيَات المُحْرِقة[5] والسرسام الذي يجفف العصب والعضل ويشوي الدماغ، وما كان في الحميات المزمنة[6].

كما يقع (التشنج) لمن شرب الأدوية المُخدِّرة كالأفيون.

---

١ الخوانيق: لفظ أطلقه القدماء على التهابات الحنك واللوزتين واللهاة وما يحيط بفوهة البلعوم ، ومن الخناقات الخناق الجرثومي (الخناق الديفتريائي) او الدفتيريا

في السبعينات قمت مع الدكتور محمود عبد القادر بإجراء بحث حول المضاعفات الفسيولوجية العصبية للدفتيريا ونشر في المجلات الطبية العالمية وهو يدرس الآن في الكتب العلمية الطبية للعلوم العصبية.

(مجلة العلوم العصبية سنة ١٩٧٩ ، ٤٢ صفحة ٢٤٣ – ٢٥٠)

٢ ذات الجنب نوعان أحدهما دَعَوْهُ البرسام وهو ذات الجنب المتسببة عن التعرض لبرد شديد ويتصف بوجع في الصدر مع سعال وصداع وارتفاع حرارة ، والآخر هذا ويدعى ذات الجنب الانصبابية، وغالباً ما يحدث بعد النوع الأول إن لم يُشْفَ، حيث يتكون سائل مصلي بين ورقتي غشاء الجنب يتراوح بين عدة غرامات إلى لترين حسب شدة الالتهاب ، ويعاني المريض من حمى عالية وضيق نفس وسعال جاف ، انظر فهرس الأمراض الملحق بكتاب "المنصوري" ص ٦٥٦.

٣ الإمساك

٤ ص١٥٩

٥ هي التي ترفع حرارة الجسم بدرجة خطيرة ولفترة اطول من سواها

٦ ص١٦٠

كما يمكن ان يقع التشنج قبل وبعد الإسهال، وبعد ألقيء أو لمشاركة الدماغ الـرَّحِم في أمراضها والمثانة، وقد يقع بسبب الديدان[1].

ومن التشنج الرديء ما كان خاصاً في الشفة والجفن واللسان، فيعلم أن سببه من الدماغ نفسه.. وربما اشتد التشنج حتى يلتوي العنق، وتصطك الأسنان.

ويقول: إن "كل من مات من التشنج مات وبدنه بعدُ حار"، وذلك مما يقتل بالخنق، لأن عضل التنفس تتشنج وتبطل حركتها. وكل تشنج يتبع جراحة فهو قتال وهو من علامات الموت في أكثر الأمر[2].

وفي علامات التشنج يقول: إن نبض المتشنجين مُتَمَدِّد مختلف في الموضع يصعد وينزل كسهام تنقلب من قوس رام، وتختلف حركات نقراته في السرعة والبطء، ومن الدلائل الدالة على حدوث التشنج احمرار الوجه ويظهر بالعينين حَوَل ومَيَلان، وفي التنفس انقطاع وانبهار، وربماعرض ضحك لا على أصل[3] وتعتقل الطبيعة.. والبول أيضا كثيراً ما يحتبس ويعرض لهم فُوَاق وسَهَر وصُداع ورعشة ووجع تحت مفصل العنق بين الكتفين وعند مفصل القطن والعصعص[4].

وفي العلاج يصف ابن سينا كما هو متوقَّع كل ما يعيد التوازن إلى الجسم حسب نظرية الأخلاط[5].

في الكُزَاز والتَّمَدُّد:

يعرِّف ابن سينا التَّمَدُّد بأنه: مرض آلي يمنع القوة المُحَرِّكة عن قبض الأعضاء التي من شأنها أن تنقبض لآفة في العضل والعصب.

أما الكُزَاز فقال إنه لفظ يستعملونه على معان مختلفة، فتارة يعنون به ما كان مبتدئا من عضلات الترقوة، فيمددها إلى قُدَّام وإلى خلف، وإما في الجهتين جميعاً، وربما قالوا كزَازاً لكل تمدد وربما قالوه للتشنج نفسه وربما لتشنج العنق خاصة ، كما عنوا به التمدد الذي يكون من تسخين، أو من برد مجمد.

ويقول: إن التمدد بالحقيقة هو ضد التشنج وداخل في جنس التشنج.. إلا أنَّ التشنج يكون إلى جهة واحدة، فإذا اجتمع تشنجان في جهتين متضادتين صارا تمدداً[6].

---

١ في الأمعاء

٢ ص١٦١

٣ أي يبدو المريض وكأنه يضحك

٤ ص١٦٢

٥ ص١٦٣-١٦٧

٦ ص١٦٨

ويصف عدة أنواع من الكزاز حسب خطورتها ومنها قوله: وقد يقع من الكزاز نوع رديء يبوسي تتقدمه حُمَّيات لازمة مع قلق وبكاء وهذيان ويَصفَرُّ لها اللون وييبس الفم والشفة ويَسْوَدُّ اللسان وتعتقل الطبيعة ويستحصف الجلد[1] وهو رديء[2].
وكل كزاز عن ضربة يصحبه فُوَاق ومغص واختلاط وذهاب عقل، فهو قتال، والكزاز يعرض كثيراً للصبيان .. وقد يتقدم الكزاز كثيراً اختلاج البدن وثقله وثقل الكلام، وصلابة في العضلات، وفي ناحية القفا إلى العصعص وعسر البلع.
وإذا بدأ الكزاز العام انطبق الفم واحمر الوجه واشتد الوجع وصار لا يسيغ ما تجرَّعه، ويكثر الطرْف وتدمع العين، ويقول: وقد رأينا نحن إذ بدأ الكزاز العام بامرأة انطبق فمها واصفرَّ وجهها وظهر لها اصطكاك أسنانها، ثم بعد زمان مديد أخضر وجهها وكانت لا تقدر ان تفتح فاها حتى بقيت زماناً طويلاً ممتدة مستلقية، بحيث لا يمكن لها أن تنقلب ثم بعد ذلك انحلَّ عنها الكزاز وانقلبت إلى الجانبين وتكلمت ونامت إلى الغد، فهذا ما شاهدنا من حالها وعالجناها.
وحول أسباب الكزاز يقول: إنها قد تعود إلى امتلاء أو يبوسة، وقد يكون لأذى يلحق الأعضاء العصبية وقد يكون من أورام.
ويقارن ابن سينا بين الكزاز والتشنج من حيث اوجه مشابهتما واختلافهما[3]. كل مرة وكل مدة[4].
ومن علامات الكزاز إن كان إلى قُدَّام، فأن يكون الشخص كالمخنوق مختنق الوجه والعين، وربما خُيِّل أنه يضحك لتمدد عضل الوجه منه، ويكون رأسه منجذباً إلى قُدَّام بارزاً مع امتلاء العنق لا يستطيع الالتفات، وربما لا يقدر أن يبول لتمدد عضل البطن وضعف الدافعة، وربما بال بلا إرادة، لأن عضلة المثانة منه تكون متمددة غير منقبضة، وربما بال الدم لانفجار العروق لشدة الانضغاط وربما عرض له الفواق[5].
وإن كان الكزاز إلى خلف وجدت الرأس والكتفين والعضلة منجذبة إلى خلف، ويعرض ذلك لامتداد عضل البطن إلى خلف بالمشاركة، وامتداد عضلة المَقْعَدَة، ولا يقدر أن يحبس ما في المِعَى[6] المستقيم والدقاق، ويشتركان في الاختناق والسهر والوجع ومائية البول وكثرة نفاخات فيه للريح، وفي السقوط عن الأسرَّة[7].

---

١ يشتد ويجتمع

٢ ص١٦٩

٣ ص١٦٨-١٦٩

٤ ص١٧٠

٥ ص١٧٠

٦ مفرد أمعاء

٧ ص١٧١

وفي علاج الكزاز يقول إن "الكزاز أولى بأن يُبادَر إلى علاجه من التشنج، لأن الكزاز مؤذ خانق قاتل".
وإذا غذي أصحاب الكزاز فيجب أن لا يلقموا من الطعام إلا لقماً صغاراً ضعافاً جداً، وان يزجوا بالحسو الرقيق لأن البلع يصعب عليهم فيرتد في مناخرهم ويضطربون ، فيزيد ذلك في علتهم.[1]

في اللَّقوَة:

يُعَرِّف ابن سينا اللَّقوَة بأنها: "علة آلية في الوجه ينجذب لها شقٌّ من الوجه غير طبيعية، فتتغير هيئة الطبيعية، وتزول جودة التقاء الشفتين والجفنين من شقٍّ، وسببه إما استرخاء وإما تشنج لعضل الأجفان والوجه، وأما الكائن عن استرخاء فإنه إذا مال شِقٌّ جذب معه الشّقَّ الثاني فأرخاه وغيَّره عن هيئته إن كان قوياً وإن كان ضعيفاً استرخى وحده".
ويفرق بين الشلل الاسترخائي والتشنجي في اللقوة ويقول: وعند بعضهم أن الاسترخاء في الجانب السليم، وهو جذب الأعوج وليس بمعتمد ومنهم "فولس"[2].
وأما الكائن عن التشنج وهو الأكثر فلأنه إذا تشنج شِقٌّ جذب الشق الثاني إليه.
ويقول: وقد قال بعضهم: إن الجانب المريض في اللَّقوَة هو الجانب الذي يُرَى سليما، وإن السبب فيه ، والجانب الصحيح يحاول جذبه للتسوية، وهذا غير سديد في أكثر الأمر.
وتأكيداً لرأيه السابق يقول ابن سينا: والتشريح وما علمته من حال عضل الوجه يعرفك فساد وقوع هذا عاما، لأن الحس يبطل معه لمن بطل فيه منهم من جانب اللقوة.
وكثير من الناس من يعرض له ورم في عضل الرقبة فيكون من جملة الخوانيق، فيصيبه من ذلك لقوَة ، ويصيبهم أيضاً فالج يمتد إلى اليدين، لأن العصب الذي يسقى منه عضل اليدين القوة المحرّكة مَنْبَتُهُ أيضاً من فقار الرّقبة.
وكلُّ لقوَة امتدت ستة أشهر فبالحَرِيِّ أن لا يُرْجَى صلاحها[3].
واعلم ان اللَّقوَة قد تنذر بفالج بل كثيراً ما تنذر بسكتة، فتأمل هل تصحبها مقدمات الصرع والسكتة، وقد زعم بعضهم أن المَلقوَّ يخاف عليه الفُجْأة إلى أربعة أيام، فإن جاوز نجا، ويشبه ان يكون ذلك بسبب سكتة قوية كانت اللقوة تنذر بها[4].

---

١ ص١٧١

٢ طبيب يوناني

٣ يقول الرازي : اذا جاوزت اللقوة ستة اشهر لم تكد تبرأ. الحاوي ج١ ص١٠٥

٤ ص ١٧٢

ولمعرفة الشَّقِّ المؤوف[1] يقول ابن سينا: إنه هو الذي إذا مُدَّ وأُصلِح باليد سهل رجوع الآخر بالطبع إلى شكله.
ومن علامات حدوث اللقوة أن يجد الإنسان وجعاً في عظام وجهه وخدراً في جلدته وكثرة من اختلاجه[2].

في الرعشة:

يعزو ابن سينا الرعشة إلى "اختلاط حركات إرادية بحركات غير إرادية" وهي آفة في القوة المحركة، كما ان الخدر آفة في (القوة) الحسَّاسة.
ويضرب أمثلة على حدوث الرعشة فإنها تحدث في حالات الخوف أو مخاطبة محتشم مهيب.. أو غمٍّ او فرح مشوش لنظام حركات القوة.. والغضب قد يفعل ذلك، كما تحدث من السكر المتواتر وكثرة شرب الماء البارد أو شربه في غير وقته.
والرعشة ربما كانت في جميع الأعضاء وربما في اليدين او الرأس وحده.
والرعشة في المشايخ لا تزول بعلاج[3].
وفي معالجة الرعشة ينصح ابن سينا بالاستحمام بمياه الحَمَّات[4].

في الخَدَر:

يُعَرِّف ابن سينا الخدر بأنه علة آلية تحدث للحس اللمسي آفة، وإما بطلاناً وإما نقصاناً مع رعشة.. وقد يوجد أحياناً خدر بلا عسر حركة لاختلاف عصب الحركة والحس .
وسبب الخدر قد يكون في الحُمَّيات القوية والحادة.. أو لبرد شديد أو لسع حيوان كالعقرب المائي أو مسّ الرعّادة المُسمَّى نارقاً[5]، أو شرب دواء كالأفيون.. أو لسدد من ضغط ورم أو ضغط شد ورباط أو ضغط يلوي العصب[6].
والخدر الغالب ينذر بسكتة أو صرع أو تشنج أو كزاز أو فالج عام، وخدر كل عضو إذا دام واشتد ينذر بفالج أو تشنج يصيبه.
وخدر الوجه ينذر باللقوة، وكثيراً ما يعقب ذات الرئة وذات الجنب والسرسام البارد خدر[7].

---

١ الذي به الآفة

٢ ص١٧٣

٣ ص١٧٦

٤ جمع حَمَّة وهي الطين الأسود المتغير والمقصود برك المياه المعدنية ، حيث تكثر المعادن في التراب

٥ السمك الرعاد سمك يطلق تياراً كهربائيا يؤذي من يمسه

٦ ص١٧٨

٧ ص١٧٩

وعلاج الخدر يكون بالفصد إذا قامت دلالة من امتلاء العروق وانتفاخ الأوداج ونوم وحمرةِ وجهٍ وعين.
ومن المعالجات النافعة للخدر رياضة ذلك العضو ودوام تحريكه[1].

الاختلاج:

الاختلاج حركة عضلانية وقد يتحرك معها ما يلتصق بها من الجلد.. والاختلاج قد يعرض من الأعراض النفسانية كثيراً، خصوصاً في الفرح وكذلك من الغم والغضب.

والاختلاج إذا عم البدن أنذر بسكتة أو كزاز.. وإذا دام بالوجه أنذر باللّقوَة.

وعلاج الاختلاج يكون بالكمادات المسخنة ولا يتناول ماء الجمد[2] ولا الخمر الكثير[3].

الصرع:

ويعرف ابن سينا الصرع بأنه "علة تمنع الأعضاء النفسية عن أفعال الحس والحركة والانتصاب منعاً غير تام" ويقول إن أكثر الصرع يقع لتشنج كلي يعرض من آفة البطن المقدم من الدماغ.. ولا يمكن الإنسان أن يبقى معه منتصب القامة[4].

وينقل ابن سينا عن جالينوس وما شاهده هو خصيصاً "أن كثيراً ما كان يحس المصروع بشيء يرتفع من إبهام رجله لريح باردة، ويأخذ نحو دماغه، فإذا وصل الى قلبه ودماغه صُرِع"..

وكان جاليونس إذا ربط ساقه[5] برباط قوي قبل النوبة امتنع ذلك أو خف، ويضيف ابن سينا: "وقد شاهدنا نحن من هذا الباب أموراً عجيبة، وقد كوي بعضهم على إبهامه وبعضهم على إصبع آخر كان البخار من جهته فبرأ"[6]. [7]

ويقول إن "الصرع يصيب الصبيان كثيراً، فربما ظهر بهم أول ما يولدون.. ويجب أن يجتهد أن يزال عنهم قبل الإنبات، وأكثر الصرع الذي يصيب الصبيان، وقد يخف علاجه ويزول بالبلوغ إذا لم يعنه سوء التدبير وترك العلاج.

---

١ ص١٧٩

٢ للماء المجمد

٣ ص١٨٠

٤ ص١٢٩

٥ للمريض

٦ ص١٣١

٧ يذكر محقق القانون في الطب سعيد اللحام : إن بين إبهام القدم والأصبع الذي يليه عصب يتصل بالفقرات العليا والأعصاب الرئيسية في النخاع الشوكي ، وذلك هذا العصب يزيل الصداع، ولا ريب إن أصابته بآفة يمكن أن يسببه نوعا من الصرع وكيه يقطع صلته مع النخاع الشوكي والدماغ

وقد يصيب الشبان، فإن كثر بعد خمس وعشرين سنة كان لازماً، ولا يفارق ويكون غاية فعل العلاج فيهم تخفيف من عاديته وابطأ بنوائبه، وينقل عن أبقراط قوله: إن الصرع يبقى بهم إلى ان يموتوا.

أما المشايخ فقلما يصيبهم الصرع، وقد يعين الأسباب المحركة للصرع أسباب من خارج مثل التغذي في المطعم والمشرب والتخم، ومثل التعرض الكثير للشمس، وكذلك الجماع الكثير، والتنعم والسكون وقلة الرياضة أو خوف مثل وقع هدة، ضجة مفاجئة أو صوت قوي[1].

ويقسم ابن سينا الصرع إلى عدة أنواع:

- الصرع السهل: وهو أن يكون صاحبه يتوب إليه العقل بسرعة.
- الصرع الصعب: وعلامته عسر النفس، طول الاضطراب، ثم طول الخمود بعده.
- وصرع بين الإثنين: وهو ما يطول فيه الاضطراب ولا يطول الخمود أو العكس يطول فيه الخمود ويقل الاضطراب[2].

ويضف ابن سينا علامات أسباب الصرع إذا كان من دم أو بلغم أو صفراء أو سوداء استمرارا للنظرية الأخلاط الأربعة.

كما يذكر ابن سينا سبباً آخر للصرع وهو المعدة وعلامته اختلاج في فم المعدة، ورعدة وارتعاش واهتزاز وصياح ويكون معه انطلاق وبراز ودرور بول وإمذاء وإمناء وصداع شديد.

ويقول إن سبب ذلك قد يكون لامتلاء المعدة وتخمتها أو لفراغها[3].

كما يمكن أن يكون الصرع ما سببه الكبد أو الطحال أو الرحم عند النساء بسبب احتباس طمث، أو مادة سمية ناتجة عن لسع عقرب أو رتيلاء أو زنبور دبور إذا وقع شيء من هذا اللسع على العصب، أو من الديدان في المعدة[4].

وعن مهيجات الصرع والأسباب المحركة له يذكر ابن سينا: الروائح الطيبة وغير الطيبة، مطالعة الحركات السريعة والدائرة، الحر المفرط أو البرد المفرط، بعض الأغذية كالعدس والثوم والبصل واللبن وكثرة الدسم في الطعام وكل حاد حريف، التخمة، الآلام النفسية القوية كالغم والغضب، والانفعالات الحسية القوية كالرعد وضرب الطبول والأصوات الصلالة[5] وصوت الجلاجل[6] والأنوار الباهرة كالبرق ونور عين الشمس[7].

---

١ ص ص ١٣٢-١٣٣

٢ ص١٣٤

٣ ص١٣٦

٤ ص١٣٧

٥ ذات الرنين كالأصدام للمعادن الصلبة

٦ الأجراس

٧ ١٣٧-١٣٨

أما عن المعالجات فيذكر ابن سينا أن علاج صرع الصبيان يكون بإصـــلاح غــذاء المرضعة، وتمنع الجماع والحبل، وأن يجنب الصبي كــل الأصـــوات المزعجــة، والغضب والخوف والبرد أو الحر الشديدين، وسوء الهضم وأن لا يبلغوا تمام الشبع وعليهم اجتناب السمك ولحوم ذوات الأربع الكبار، ويقتصر على الفــراريج، كمـــا تكره لهم الحلاوات والدسومات[1]. ويقول إن الاستكثار من الماء اضر شيء[2].

وفي وقت النوبة ينصح ابن سينا بتلقيم المريض كرة تقع بين أسنانه وخصوصا من الشعر لينة ليبقى فمه مفتوحا[3].

---

١ ص١٣٨

٢ كان أبقراط أول من لاحظ العلاقة بين السوائل والصرع، ولهذا اتجه لتحديد مقدار السوائل التي يتناولها الطفل ، وما زال هذا المبدأ العلاجي قائما حتى الآن. د. علي كمال ، الصرع مرجع سابق ص٢٤٥

٣ ص١٤٠

الطب في الاندلس

الأندلس هو الاسم الذي أطلقه العرب على شبه الجزيرة الايبيرية (إسبانيا والبرتغال حاليا) عندما فتحوها عام ٩٣هـ/ ٧١١م، وقال الرواة انه منسوب إلى اندلس بن طوبال بن نوح الذي سكن تلك المنطقة [1].

وقبل دخول طارق بن زياد الأندلس فاتحا، كان موسى بن نصير قد بعث أحد رجاله وهو طريف بن مالك النخعي مستطلعا تلك الديار، وذلك سنة ٩٢هـ/٧١٠م. ثم كان الفتح على يد طارق بن زياد الذي ما زال اسمه يطلق على الجزيرة التي تتوسط مضيق البحر الأبيض المتوسط عن المحيط الأطلسي ويطلق عليها Gibraltar وهي تحريف عن "جبل طارق".

ومن أوائل المؤلفات الطبية في الأندلس كناش في الطب في خمسة أجزاء ألفه يحيى بن اسحق ويسمى الابريسيم Aphorism معناه الفصول أو جامع المعرفة باللاتينية وليس من ابريسم الكلمة الفارسية التي تعني الحرير، حيث يقول القفطي "وذهب فيه مذهب الروم بحكم أن هذا النوع (من كتب الطب) لم يكن استقر بالأندلس ولا اشتهر".

وكان ابن اسحق هذا أحد وزراء عبد الرحمن الناصر (ت٣٥٠هـ/٩٦١م) الذي نال عنده حظوة وولاه الولايات الجليلة بعد إسلامه، وكان طبيباً صانعاً بيده (أي جرّاح) كما كان والده أيضاً طبيباً صانعاً بيده مشهوراً [2].

ومن أوائل الأطباء الذين رحلوا من المشرق إلى الأندلس أحمد الحراني وذلك أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن وكانت عنده مجريات حسان بالطب. وقد أدخل الحراني معجوناً هو الدواء المغيث الكبير لأوجاع الجوف وكان يبيع الشربة منه بخمسين دينارا [3].

وأبو الحكم الكرماني (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) الذي رحل إلى ديار المشرق وانتهى منها إلى حران وعُنّي هناك بطلب الهندسة والطب ثم رجع إلى الأندلس وسكن سرقسطة Zaragoza وجلب معه رسائل إخوان الصفا لأول مرة تدخل الاندلس [4].

---

١ د. السامرائي، مختصر تاريخ..، مرجع سابق ج٢ ص١٣١

٢ القفطي ٢٣٥؛ ابن أبي أصيبعة، ج٣ ص٦٨

٣ ابن ابي اصيبعه، ج٣ ص٦٧

٤ ابن ابي اصيبعه، ج٣ ص٦٤

ورحل الى القيروان عمر بن حفص بن برتق ولزم أبي جعفر بن الجزار ستة أشهر، وعندما عاد إلى الأندلس احضر معه كتاب ابن الجزار "زاد المسافر" وخدم بالطب الناصر (عبد الرحمن الناصر ت٣٥٠هـ / ٩٦١م) [١].

ومنذ أواخر القرن الحادي عشر إلى نهاية القرن الخامس عشر الميلاديين برعت في الطب في تونس عائلة الاطباء الصقليين المشهورة، وبرع اطباؤها في البحث والمداواة ومنهم أحمد الصقلي ومحمد بن عثمان الصقلي الذي عالج في كتابه "المختصر الفارسي" مرض الصرع بجانب عوارض الهرع – يعني الهستيريا – حيث كان يستعمل العطورات والبخارات في اشكالها التشنجية والصدمة الكهربائية بطريقة السمك الرعاد . وكانت عائلة الصقليين تنظر للمرضى بنظرة شاملة جسماً وروحاً حتى ترسخ في شأنهم القول الشائع في تونس حتى الآن "يا طبيب الصقلي داويني بكلي" [٢] [٣].

ومن الأطباء الذين تولوا مناصب هامة في الأندلس ابو عبد الملك الثقفي الذي تولى "خزانة السلاح" عند المستنصر وعبد الرحمن الناصر [٤].

١ المرجع السابق ص٧٢

٢ أي جسداً ونفسا

٣ د. سليم عمار، طب النفس والأعصاب في المغرب والاندلس، المجلة العربية للطب النفسي ١٩٩٤، عمان، المجلد الخامس العدد الاول – ايار ١٩٩٤ ص٧٣-٧٢

٤ ابن أبي أصيبعة، ج٣ ص٧٤

عائلة ابن زهر

أبو مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زُهْر
(٣٣٦-٤٢٢هـ / ٩٤٧ - ١٠٣٠م)

أبو العلاء زُهْر بن عبد الملك -(ت٥٢٥هـ / ١١٣١م)

أبو مروان عبد الملك بن زُهْر
(حوالي ٤٦٤-٥٥٧هـ/١٠٧٢-١١٦٢م)
صاحب كتاب "التيسير في المداواة والتدبير"

أبو بكر محمد (الحفيد أبو بكر)
٥٠٧ - ٥٩٦هـ/١١١٣ -١١٩٩م)
اخته (كانت تمارس القبالة)
وابنتاها عالمتان في الطب ومداواة النساء

أبو محمد عبد الله بن محمد
(٥٧٧ - ٦٠٢هـ / ١١٨٢ - ١٢٠٦م)

أبو العلاء محمد

عائلة ابن زُهْر

ومن أشهر العائلات الطبية في الأندلس عائلة ابن زُهْر التي ترجم ابن أبي أصيبعة لخمسة أطباء منها أشهرهم أبو مروان عبد الملك بن زُهْر (حوالي ٤٦٤ - ٥٥٧هـ / ١٠٧٢ - ١١٦٢م) أشهرهم وهو صاحب كتاب التيسير في المداواة والتدبير، وهو واسطة العقد في هذه الأسرة الأندلسية التي اشتهرت بحمل لواء الطب في الأندلس، واشتهر أبو مروان عند الأوروبيين في العصر الوسيط باسم (Abomeroan).

ويعد الجد أبا مروان عبد الملك بن محمد بن زُهْر (٣٣٦ - ٤٢٢هـ / ٩٤٧ - ١٠٣٠م) ممن أسهموا في ربط الصلات العلمية بين المشرق والمغرب، ذلك أنه تعلّم الطب في القيروان ومصر ثم رجع إلى الأندلس.

وخلف هذا أبا العلاء زهر وله علاجات مختارة تدل على قوته في صناعة الطب واضطلاعه على دقائقها، واشتغل أيضاً بعلم الأدب ومن شعره في الغزل:

يا راشقي بسهام مالها غرض	إلا الفؤاد وما منه لها عوض
وممرضي بجفون حشوها سقم	صحت ومن طبعها التمريض والمرض
امنن ولو بخيال منك يطرقني	فقد يسد مسد الجوهر العرض

ومن السهل ملاحظة القاموس الطبي في هذه الأبيات.

ومع أن كلاً من أطباء عائلة ابن زُهْر يحملون كنية "ابن زهر" إلا أنه إذا ذكر "ابن زُهْر" دون اتباع هذه الكنية اسماً أو كنية أخرى كان المقصود أبا مروان عبد الملك بن أبي العلاء بن زُهْر دون غيره من أطباء هذه الدوحة الطبية.

وينقل ابن أبي أصيبعة عن أبي يحيى اليسع في كتابه "المعرب من محاسن أهل المغرب" أن أبا العلاء بن زُهْر كان مع صغر سنه تصرخ النجابه بذكره ويخطب المعارف بشكره .. حتى برز في الطب إلى غاية عجز الطب عن مرامها وضعف الفم عن إبرامها. ويعدد ابن أبي أصيبعة له سبعة كتب [1].

وأجمع مؤرخو الطب العربي على أن ابن زُهْر "أبا مروان عبد الملك" واحد من أكبر الأطباء العرب والمسلمين عبر التاريخ فضلاً عن أنه كان في عصره أعظم الأطباء.

---

١ عيون الأنباء ج٣ ص١٠٦

وعمل أبو مروان طبيباً لدى أمراء المرابطين الـذين انتهـت دولـتهم سـنة ٥٤٢هـ /١١٤٧م، ثم أصبح مقرَّباً من الخليفة عبد المؤمن بن علي أول أمراء الموحدين الذين تغلبوا على المرابطين وآل إليهم حكم المغرب والأندلس[١].

ويرى د. ميشيل الخوري محقّق كتاب "التيسير في المداواة والتدبير" أن تفوق أبا مروان بن زُهْر يعود لثلاثة أسباب هي: "انقطاعه إلى الطب دون غيره من العلوم، وتجرده من قيود التقليد التي تمسّك بها سواه مـن أطبـاء عصـره، واعتماده على دقة الدراسة السريرية في تشخيص الأمراض ومداواتها" [٢].

وعن شهرة أبي مروان بن زُهْر يقول ابن أبي أصـيبعة أنـه كـان "حَسَـن المعالجة قد ذاع ذكره في الأندلس وفي غيرها من البلاد واشـتغل الأطبـاء بمصنفاته، ولم يكن في زمانه من يماثله في مزاولة أعمال صناعة الطب، وله حكايات كثيرة في تأتيه لمعرفة الأمراض ومداواتها مما لم يسـبقه أحـد مـن الأطباء إلى مثل ذلك.

وقرَّب أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي أول أمراء الموحِّدين أهـل العلـم وأكرمهم وولّى إحسانه اليهم واختص أبا مروان عبد الملك بن زُهْـر لنفســه وجعل اعتماده عليه في الطب وأناله من الأنعام والعطاء فوق أمنيته [٣].

ويروى ابن أبي أصيبعة قصة قد يكون فيها شيء من المبالغة عن استقصـاء أبي مروان في عمل دواء مسهل للخليفة عبد المؤمن الذي كان يكره شـرب الأدوية المسهلة ويقول "حدثني أبو القاسم المعاجيني الأندلسي .. أن ابن زُهْر أتى إلى كرمة في بستانه فجعل الماء الذي يسقيها به ماء قد أكسبه قوة ادوية مسهلة بنقعها فيه، أو بغليانها معه. ولما تشربت الكرمة قوة الأدوية وطلع فيها العنب وله تلك القوة، أتى الخليفة بعنقود منها وأشار عليه أن يأكل منه فلمـا أكل منه قال له يكفيك يا أمير المؤمنين فإنك قد أكلت عشر حبات من العنب وهي تخدمك عشرة مجالس (أي تسهله عشر مرات) فاستخبره عن علة ذلـك وعرَّفه به، ثم قام على عدد ما ذكره له ووجد الراحة فاستحسن منه فعله هذا وتزايدت منزلته عنده [٤].

كما يروي ابن أبي أصيبعة قصة شبيهة بذلك أنه "كان بإشبيلية حكيم فاضل في صناعة الطب يعرف بالفار، وكان أبو مروان بن زُهْر كثيراً ما يأكل التـين وكان الفار لا يأكل منه شيئا وكان يقول لأبي مروان أنه لا بد أن تعرض لك نغلة "دبيلة – ورم في الجلد" صعبة مداواتك بأكل التين.. وكان أبو مـروان

---

١ فاضل السباعي ، مناقشة ابن أبي اصيبعة في مقولته عمن دفع ابن زُهْر لتأليفه كتاب التيسير، المجلة العربية للثقافة، السنة ٤ العدد أيلول ١٩٨٤ ص٨د

٢ كتاب "التيسير .." لأبي مروان بن زُهْر تحقيق د. ميشيل الخوري، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الفكر بدمشق ١٩٨٣ المقدمة صفحة ط

٣ ابن أبي أصيبعة ج٣ ص١٠٧

٤ المرجع السابق ص ١٠٧ و ١٠٨

يقول له : لا بد لكثرة حميتك وكونك لم تأكل شيئا من التين أن يصيبك الشناج (التشنج) ، فلم يمت الفار إلا بعلة التشنج وكذلك عرضت علة الدبيلة في جنب أبي مروان وتوفي بها [1].

وذكر ابن أبي أصيبعة في موسوعته التاريخية الطبية أن لأبي مـروان عبـد الملك بن زُهْر سبعة كتب بالاضافة "للتيسير" وهي؛ كتاب الأغذية ألفـه لأبـي محمد عبدالمؤمن بن علي أول أمراء الموحدين، وكتاب الزينة تذكرة إلى ولده ابي بكر في أمر الدواء المسهل وكيفية أخذه. ومقالة في علل الكُلى، رسالة في علتي البرص والبهق كتب بها إلى بعض الأطباء بإشبيلية، وكتاب تذكرة ذكره بها لابنه أبي بكر أول ما تعلق بعلاج الأمراض [2].

كما له من الكتب مما لم يذكره ابن أبي أصيبعة كتاب "الاقتصاد في إصـلاح الأنفس والأجساد" أهداه لصاحب إشبيلية الأمير أبي إبراهيم بـن يوسـف بـن تاشفين [3].

وخلف أبا مروان عبد الملك بن أبي العلاء ابنه ابو بكـر محمـد المشـهور بالحفيد أبي بكر بن زُهْر الذي كان حافظاً للقرآن وسمع الحديث واشتغل بعلم الأدب والعربية ولم يكن في زمانه أعلم منه بمعرفة اللغة، ويوصف بأنـه قـد أكمل صناعة الطب والأدب، وعانى عمل الشعر وأجاد فيه، ولـه موشـحات مشهورة ويغنى بها وهي من أجود ما قيل في ذلك .. وأنه جيد فـي اللعـب بالشطرنج، وبلغ هذا الطبيب مكانة كبيرة حتى إنه لما توفي مسموماً من أحـد حساده الوزراء حضر الخليفه جنازته وصلى عليه صلاة الجنازة [4].

وكانت للحفيد أبي بكر أخت وابنتها عالمتين بصناعة الطب والمداواة ولهمـا خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء، وكانتا تدخلان إلى نسـاء المنصـور ولا يقبل المنصور وأهله ولداً إلا أخت الحفيد أو بنتها.

ومن موشحات الحفيد ابي بكر بن زُهْر المشهورة:

أيها الساقي اليك المشتكى	قد دعوناك وإن لم تسمع
ونديم همـت في غرتـه	وشربت الراح من راحته
كلما استيقظ من سـكرته	جـذب الزق إليه واتكـا

وسقاني أربعاً في أربع

وأنجب الحفيد أبا محمد عبد الله بن الحفيد الذي كان كثير الاعتناء بصـناعة الطب والنظر فيها والتحقيق لمعانيها واشتغل على والده ووقفه على كثير من

---

١ المرجع السابق ص ١٠٨

٢ ابن أبي أصيبعة، ج٣ ص١٠٩

٣ د. سامي حمارنه، تاريخ تراث ..، مرجع سابق ص٣٧٢

٤ د. فيليب حتي ، تاريخ العرب ص٦٦٢

أسرار علم هذه الصناعة وعملها، ومات وله من العمر ٢٥ سنة، وخلف ولدين الأصغر أبو العلاء اعتنى بالطب وكان له نظر جيد في كتب جالينوس[١].

١ ابن أبي أصيبعة، مرجع سابق ج٣ ص ص١٠٤ - ١٢١

أبو مروان عبد الملك بن زهر الإيادي
عبد الملك بن زهر

يعدّ أبو مروان عبد الملك بن زهر الإيادي واحداً من أكبر الأطباء العرب والمسلمين.

وولد ابن زهر في اشبيلية وتوفي فيها سنة (٥٥٧هـ - ١١٦٢م) فيما اختلف في سنة ولادته وبعضهم رجّح سنة (٤٦٤هـ - ١٠٧٢م) وهو التقدير الذي اعتمده المجلس الأعلى للعلوم في سوريا ليحتفل بالذكرى التسعمائة لمولده، حيث عقد أسبوع العلم الثالث عشر في جامعة حلب وجمعت الأبحاث المقدمة عن ابن زهر في كتاب [1].

وعبد الملك بن زهر احد الأطباء في عائلة اشتهرت في الطب فجده وأبوه وإبنه وحفيده وحفيدته وابنتها وحفيد ابنه كانوا أطباء ويجمع المؤرخون على أنه كان أشهرهم [2].

وعنه يقول ابن أبي أصيبعة "كان جيد الاستقصاء في الأدوية المفردة والمركبة، حسن المعالجة قد ذاع ذكره في الأندلس وغيرها من البلاد واشتغل الأطباء بمصنفاته ولم يكن في زمانه من يماثله في مزاولة أعمال صناعة الطب [3].

وكان ابن زهر أول طبيب يوصي بفتح القصبة الهوائية وبالتغذية الصناعية إما بطريق المريء أو بطريق المستقيم أثناء شلل المريء [4].

ومن أشهر كتبه "التيسير في المداواة والتدبير" وقد نشرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ١٩٨٣ بتحقيق د. ميشيل خوري وصدر عن دار الفكر بدمشق. وقد وضع بعض الباحثين هذا الكتاب في مرتبة الحاوي للرازي والقانون لابن سينا.

ومن المسائل التي بحثها أبو مروان ابن زهر سجح الأمعاء، وما يحدث في المريء من خدر.

ويأخذ ابن زهر في كتابه "التيسير" بذكر الأمراض وعلاجها مبتدئاً بعلل الرأس ثم يتسلسل بالنزول في ذكر أمراض باقي الأعضاء، وهي طريقة سلكها الكثيرون من الأطباء ذلك الزمان ومن سبقوه.

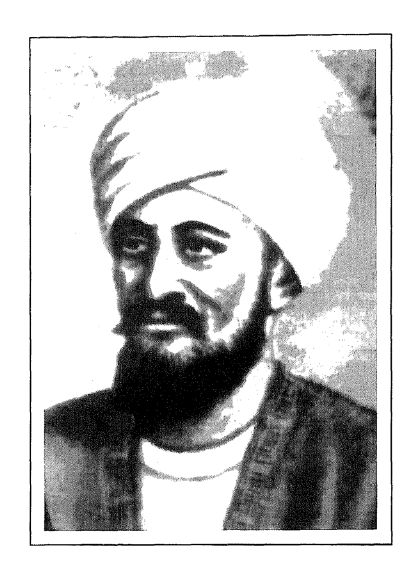
---

١ انظر مقال فاضل السباعي، مناقشة ابن أبي أصيبعة في مقولته عمن دفع ابن زهر لتأليف كتاب التيسير، المجلة العربية للثقافة، السنة الرابعة العدد ٧ أيلول ١٩٨٤ ص٥٨

٢ المرجع السابق ص٥٩

٣ عيون أنباء ج٣ ص١٠٦

٤ د. فؤاد سزكين، للمؤتمر العالمي الأول عن الطب الاسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢ ص١٤٢



صورة متخيلة لابن زهر ١٠٧٢-١١٦٢م

في سوء مزاج الدماغ :

كغيره من الأطباء الذين سبقوه يقسم ابن زهر الدماغ إلى ثلاثة أجزاء : المقدَّم من الدماغ والجزء الوسط والمؤخر من الدماغ.

ويعيد أسباب تغيير مزاج الدماغ إلى نظرية الأخلاط الأربعة وحدوث حرارة أو برودة أو رطوبة أو يبوسة أو "من ازدواج ما يمكن ازدواجه من هذه"[1].

ولأنه كان يعتقد أن الجزء المقدَّم من الدماغ هو موضع التخيّل، فإن أي تغيير في مزاج هذا الجزء حسب نظرية الأخلاط قد يعرض فيه "هذيان وفساد في التخيّل، حتى يتخيل الشيء في الوهم على غير ما هو في الحقيقة" ويقول "رأيت من يتخيل أن أحب الناس إليه ممَّن كان حاضره يريد قتله .. وإنما عرض ذلك للرجل المذكور لأن رأسه احتدم بحرارة الشمس".

وبما أن العلاج يكون بالضد فالحرارة يلزمها التبريد يذكر ابن زهر انه "لما صب على رأس الرجل المذكور ماء الورد والخل .. ويسير زيت مبردة من الماء .. ارتفع ما كان يشكوه"[2] .

كما يمكن أن يحدث سوء المزاج للدماغ الأوسط موضع الفكر "وتكون الأعراض اللاحقة بسببها أشد" فيحدث اضطراب في الفكر واختلال ولم يستقر ولم ينتج نتيجة صحيحة.

ويقول إن هذا الجزء لا يحتمل من قوى الأدوية ما يحتمله الجزء المقدم لأن العظام التي عليه أقل استحصافا[3]. ودروزها أيسر اندماجاً. وأنه هو الينبوع للدماغين المقدم والمؤخر فكأنه الأصل لهما وهو أقل احتمالاً للقوة الباردة[4].

وسوء المزاج البارد يعرض لصاحبه بطء في الفكر .. وإن غلب عليه اليبس فإن عقل صاحبه يختل ليس اختلالاً يظهر، لكن يأتي بأعمال لا تصدر عن ذي حزامة وحسن نظر.

أما الجزء المؤخَّر من الدماغ وهو موضع الذكر والحفظ فإنه احملها للأدوية.. وأن أعظمَه صلبة، ومسامه مسدودة وجرمه ثخين .. وهو أصلب جوهراً ويحتمل ما لا يحتمل سواه[5].

وإذا برد هذا الجزء تبع ذلك عسر الذكر فإن أفرط فقد الإنسان ذكره[6].

ولتقوية الأدمغة يقول إن لدماغ الأرنب خاصية في ذلك.

---

١ التيسير في المداواة والتدبير ص٧٨

٢ ص٧٨

٣ استحكاما

٤ ص٨٠

٥ منَ الدماغين المقدم والمؤخر

٦ ص٨١

الصرع :

يذكر ابن زهر أن الصرع إنما هو تشنج، والتشنج هو انجذاب العضلة إلى نحو أصلها [1].

ويقول إن الرطوبة قد تحدث التمدد ومتى كان التمدد، في الأجسام العصبية الآتية من الدماغ حدث التشنج فإن كان ذلك في عصبة من الأعصاب كان التشنج في العضلة التي ممر العصبة إليها وانقسامها فيها، وإن كان في الأصل والمبدأ (الدماغ) كان التشنج في جميع البدن [2].

ويضيف أن الصرع يحدث إذا انصب خلط غليظ في منافذ الروح النفساني .. فيجتمع الدماغ ليدفع عن نفسه ذلك فيتشنج البدن وتضطرب أعضاؤه ويكون الغطيط[3] بسبب أن القوة في بدن المصروع تضعف فتقصر حركة صدره عما كانت عليه ولاختلاط العقل كأنه ينسى التنفس حتى يشارف الاختناق فيتنفس بشدة ليتلافى ما فاته من التنفس فيعرض الغطيط [4].

ويقول "إن الصرع يكون على رتبة من عدة أيام كما تكون نوائب الحمَّى في وقت معلوم، وتَّرتُبُ نوائب الصرع يشترك مع ترتب نوائب الحمَّيات[5].

وكثيراً ما ربط القدماء بين حالات القمر والصرع وفي هذا يقول ابن زهر "قلما تكون من أثر القمر في الموجودات لدينا (أو الدنيا) وقد يعرف العوام فضلاً عن غيرهم تأثير القمر في القرع والقثاء .. لكن ذلك يخفى الا على الأفراد من الناس فكما للنوائب في الحمى تعلق على مذهب أبقراط بالقمر، كذلك له تعلق في أبواب الصرع، وليس هذا والكلام عليه من أعمال الطب نفسها التي لا غناء للطبيب –من حيث إنه طبيب– عنه[6].

ويفرِّق ابن زهر بين نوعين من الصرع ؛ الأول الصرع الذي يكون في اليقظة وهو صعب العلاج ويتنوع تنوعاً كثيراً، والصرع الذي يكون في النوم وجرت العادة بتسميته كابوساً وهو سهل العلاّج.

وعلاج الصرعَيْن أول ما يكون بالأغذية.. بالدجاج الفتايا، فهي أفضل الأغذية عموماً، قولاً مطلقاً لا مثنوية فيه [7].. وينصح بالإسهال عندما يكون القمر في

---

١ ص٨٢

٢ ص٨٣

٣ غط النائم: نخر وتردد نفسه صاعداً إلى حلقه حتى يسمعه من حوله

٤ ص٨٥

٥ يقصد هنا ان النوبات الصرعيه تحدث في أوقات معلومة .. كأوقات الحميات

٦ ص٨٦

٧ أي ليس فيه قول ثان

نقصانه ووضع الثوم في الدواء المسهل[1]. كما ينصح أن يعلّق في عنق العليل صرة من زمرد صحيح فإنه ينتفع بذلك[2][3].

أما الصرع المزمن فبرؤه صعب ويكاد يكون ممتنعاً، لكن العلاج يخف أمره وتتباعد نوبته [4].

أما الصرع الذي يكون بمشاركة بعض الأعضاء الموؤفة [5] للرأس، أي عضو كان، بما يصعد منه من أبخرة الخلط السوء إلى الرأس .. فيجتمع لذلك الدماغ ليدفع عن نفسه ما وصل من ذلك اليه فيعرض التشنج الذي يسمى صرعاً فإن كان العضو يداً أو رجلاً فاشدده قبل النوبة تكون أخف بكثير [6].

وينصح المصاب بالصرع بالابتعاد عن الثوم والبصل وما أشبههما لخصوصيتهما بالإخلال بالدماغ. وجنِّبه الفول وحذره منه لخصوصية الفول بالإخلال بالذهن. وتذكَّر أن بين الدماغ والمعدة من الاشتراك أمر عظيم، ألا ترى أن من كان في معدته مرار حاد ملتهب يختل ذهنه ويهذي، وما يحدث في غشاء الدماغ من آفة كثيرا ما يتقيأ المريض مراراً ويصيبه لذع في معدته.

وليس كل صرع قد ينحلّ إلى وسواس سوداوي والوسواس السوداوي قد ينحل إلى صرع[7].

وفي السكتة يقول ابن زهر إنها تحدث عندما يعدم الإنسان الحركة بغتة، وقد يموت اختناقا بسبب تعطل حركة الصدر، واما ان يبقى له شيء من حركته الإرادية يدافع عنه الاختناق.

والسكتة هي انصباب خلط غليظ شديد البرودة متناهي البرودة ينصب إلى الأشرف من بطون الدماغ حتى يملأه .

وينصح بتقريب الروائح الحادة كرائحة القطران والمسك إلى المريض .. وعرك القدمين والساقين منه[8].

وأما من كان من ذوي السكتة في تنفسه تفاوت ظاهر بين وبعسر ما يتنفس فأظن أن الموت يعاجله[9].

---

١ ص ص٨٦ - ٨٧

٢ ص٨٨

٣ خاصية الأحجار الكريمة في الشفاء كانت موضع العديد من كتب القدماء اليونان والهنود والعرب

٤ ص٨٩

٥ التي بها آفة

٦ ص٨٩

٧ ص٩٠

٨ ص١٠٣

٩ ص١٠٤

البيضة :

يعرف مرض البيضة بأنه "وجع شديد يتقدمه في أكثر الأحوال صداع مزمن. ويبلغ من شدة الوجع أن لا يحتمل العليل أن يسمع صوتاً شديداً وذلك بسبب العصبة الآتية بحس السمع إلى الأذن فإن الدماغ يكون مؤوفاً يتألم من ذلك" [1].

وينقل حالة مشابهة عن جالينوس يشتكي فيها العليل من الضوء الساطع في العصبة المجوفة الآتية بحس النظر إلى الدماغ، فمتى يكون الدماغ مؤوفاً يتألم منه وهذا الوجع يصل إلى العينين.

ويقول إن الوجع أما ان يكون في الغشاء المحيط بالقحف وأما في أغشية الدماغ نفسه حيث يكون أشد إيلاماً، ويكون صاحبه أقل احتمالاً للأصوات والنور [2].

ويناقش ابن زهر الوجع الذي يحس به العليل في العظم بزعمه ويقول "والعظم إما أن يكون لا حس له وإما أن يكون له حس غليظ" وقد اضطرب رأي جالينوس في ذلك وخاصة في الإسنان، ويقول ابن زهر: "اعتقد أن للأسنان حساً ولست أقول حساً غليظاً بل حساً جيداً، وأظن أن لسائر العظام بعض حس. وقد زعم كثيرٌ من الأطباء أنه لا يكون حس إلا بوصول الحس في عصبة تنقسم في العضو الذي يكون يحس ، ولما رأوا العظم لا تنقسم فيه عصبة نفوا الحس عنه.

ويتساءل: إذا كان العظم لا يحس لأن العصبة لا تنقسم فيه إلى أعصاب دقاق كالشعر، فيجب من ذلك أن تكون العظام لا تغتذي ولا تنمي ولا تهضم في ذاتها غذاءها، لأنها لا ينقسم فيها من الأوراد ما يكون كالشعر في جوهر العظام [3].

ويقول إن جوهر العظم واليبس قد غلب عليه بافراط يكون حسه حساً غليظاً ضعيفاً جداً .. وكلما كان العظم أصلب وأيبس كان حسه أخفى وأضعف. وما ظهر إلي هذا إنما هو على القياس .. فإني لم أباطش [4] التشريح وأتحققه في تشريح في الحيوان الميت فضلاً عن الحي مع أن اختبار ذلك عسر جداً [5].

---

١ ص١١٧

٢ ص١١٨

٣ ص١٢٢

٤ أمارس

٥ ص١٢٣

وفي الشقيقة :

يقول ابن زهر إن الشقيقة اسم جرت عوائد الناس أن يجروه على ألسنتهم وذلك وجع في قسم الرأس والعليل قد يحس بأنه غائر في الرأس .. وهذا الداء يخالف "البيضة" بأنه في قسم واحد وأسبابه تشبه أسباب البيضة.

وفي علاج الشقيقة ينصح بالفصد وشرب ماء الشعير وتجنب ما يكون عنه أبخره حادة مثل الأنبذة وأكل التفاح الحلو[1].

كما يتحدث عن الأمراض التي تصيب الرقبة كالسدد والرض والفسخ والخلع والتشنج والرعشة وانتقاص الاتصال، ويقول إن السدة تعرض في الأوراد والأعصاب وفي النخاع نفسه وعلاجها هو التفتيح وتلطيف الأخلاط بالأدوية الملطفة، وعلاج هذا شامل لجميع السدد في البدن وكذلك علاج الرض والفسخ.

ويقول إن الخلع يزيد إذا كان في الرقبة، فإن النخاع إذا تهتك أو ورم تبع ذلك استرخاء أسفل البدن جملة، فإن كان شديدا تبعه الموت بلا زمان، وان كان يسيراً مثل أن يناله تألم فيرم بعض التورم، وإن كان التورم في نصف واحد يحدث الفالج من الجهة الوارمه في البدن عموماً[2].

وفي ذكر الرعشة يقول إنها تحدث في الرقبة كما تحدث في سائر البدن، وهذا العرض إنما هو مقاومة ومغالبة بين ثقل العضو وبين القوة التي جعلها الله للحيوان في أعضائه، فمرة يغلب ثقل العضو فيميل إلى أسفل، ومرة تغلب القوة فتشيله وترفعه إلى فوق فتكون الحركتان متعاقبتين، واجتماعهما يسمى الرعشة.

والرعشة تكون إما بعقب مرض وإما بعقب استفراغ أو بسبب برد شديد على الدماغ والنخاع، وإما ضربة على الرأس، وإن برىء الجرح تكون القوة النفسانية قد اختلت فتحدث الرعشة.

وعن العلاج يذكر أن رؤوس الأرانب نافعة لخاصية فيها لا تبلغ عقولنا إلى معرفة سببها وإنما هي مقصورة على ما قدر الله لها إدراكه لا تتجاوزه.. وما أحسن وأبدع قول جالينوس حين أقر في أمور أنه لا يعرفها[3].

---

١ ص١٢٥

٢ ص١٢٦-١٢٧

٣ ص ١٢٨ -١٢٩

النخاع :

يشبه ابن زهر النخاع كالساقية العظمى فيوصل إلى جميع البدن الحس والحركة مما هو تحته بينابيع وسُبُل تنبت منه وهي الأعصاب.

ويقول إنه إذا أصاب الإنسان ثلج على رأسه فيعرض نوع من الخدر فيما تحته[1].

ويقول إن النخاع هو الأصل، فباختلاله تختل جميع الأعصاب مما تحته، وليس باختلال عصبة أو أعصاب يختل النخاع. ولذلك وضع النخاع سالكاً في الفقارات صيانة له ومحافظة عليه لأنه أصل[2].

وفي إحدى رسائله الطبية، وقد كتبها لابنه، يذكر ابن زهر فوائد ومضار العديد من الأشربة والخضروات والفواكه والمأكولات استمراراً لمقولة "المعدة بيت الداء" فيقول مثلاً: تذكر .. أن اللبن له خصوصية في الإضرار بالدماغ، واعلم أن للوز خاصة في حفظ جوهر الدماغ والنخاع، وأن السمسم وإن كان مزاجه قريباً من مزاجه فإنه يخل بالدماغ، وتذكر أن النرجس شمه يذهب بصرع الصبيان، وقد جربته بعد نظر مراراً يفعل شمه ما ذكر جالينوس في الفاونيا [3].

وفي كتاب القانون لأبن زهر الذي ألفه اقتضابا لتسهيل قراءته وتخف مؤونته جاء في فصل السدد العارضة في الأعضاء الشريفة من البدن حسب قوله "أما الدماغ على عِظَمه في ذاته وافراط شرفه فإن السدد فيه كثير لبرد مزاجه الطبيعي. وآفات سدد الدماغ عظيمة قد تكون عنها السكتة والفالج ويكون عنها الخدر التام والاسترخاء ويكون عنها ضرب من الرعشة ويكون عنها الموت الوحي – يقصد الموت السريع من وحى الذبيحة وذبحها ذبحاً وَحِيّاً أي سريعاً – عندما يعرض في الجزء من الدماغ الذي يكون دهره في انفتاح وانغلاق وهذا الجزء يعرف بالدودة.

وتكون السدة في الدماغ في الجزء المتصل بالرأس .. وأما إن عرضت السدة في شق واحد من الدماغ فإنما يحدث الفالج، وأما إن شملت الجزأين[4] فإنه تسوء حال الانسان وتختل حركاته ويجري أمره إلى اختلال[5].

وفي فصل فيما يصيب الحواس الخمس يقول "والسمع هو بالعصب الوارد من الدماغ إلى الأذن، فإن عرض في هذا العصب سدة ذهب السمع. وأما البصر

---

١ ص١٣٥

٢ ص١٣٦

٣ الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية ج١، ص٣٠٠

٤ يقصد جزءي الدماغ

٥ الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، مرجع سابق ج١ ص٣٠٥

وآلاته فمن أجزاء العصبة المنفردة الآتية من الدماغ وهي أشرف ما في العين، وهذا العصب إذا عرضت فيه سدة كان العمى الذي لا برء منه.
والشم يكون بالعصب الآتي من الدماغ بحس ذلك، ويعرض في ذلك العصب السدة كما يعرض في سائر العصب. المرجع السابق [١] .
وعالج ابن زهر حالات الشلل الذي يصيب البلعوم بثلاث طرق:
الأولى : أن يحفظ حيوية المريض بأن يوضع في ماء فاتر به بعض الأملاح المعدنية فتتشرب إلى جسمه عن طريق الامتصاص الجلدي غير أنه لم يحبذ هذه الطريقة.
الثانية: أن يغذى المريض بأنبوب ينقل الطعام إلى معدته عن طريق البلعوم.
الثالثة: الحقن الشرجي بمادة مغذية [٢].
وكان ابن زهر يؤكد أن أوضاع الكواكب تحدّد الوقت المناسب لاجراء مداخلات جراحية للمرضى .. وكانت حركات النجوم تؤثر على اتخاذه للقرارات في معالجة الأمراض[٣].

---

١ ص٣٠٨

٢ في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، د. عامر النجار، مرجع سابق ص٢٢٧

٣ Sami Hamarneh,The Genius of Arab Civilization op.cit. 190

ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي

من أشهر الأطباء الجراحين المسلمين، أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي (٣٢٤ – ٤٠٤هـ / ٩٣٦ – ١٠١٣م) وكتابه المشهور "التصريف لمن عجز عن التأليف" يتحدث فيه عن تراجع مكانة الجراحة "العمل باليد" لأن العمل باليد مَخَسَّة في بلدنا، وفي زماننا معدوم البتة، حتى كاد يندرس علمه وينقطع أثره" .

وعرف عن أبي القاسم أنه كان يعقّم آلاته الجراحية بمادة الصفراء للتأكيد من تطهيرها قبل إجراء العملية، وقد أثبت الطب الحديث أن هذه المادة تقلل من حضور البكتيريا.

وعالج أبو القاسم الشلل الناشيء عن كسر فقرات الظهر[1].

وقد عرض الزهراوي ٢٧٨ صورة للأدوات المستخدمة في الجراحة، ومنها ما كانت من اختراعه نفسه حيث لم يسبقه أحد في استعمالها.

وأجمع مؤرخو الطب على أن الزهراوي كان أعظم جراحي العصور الوسطى حتى أن جيرارد كريمونا (١١١٤ – ١١٨٧م) أعظم مترجمي الغرب من لغة الضاد إلى اللاتينية قام بنفسه بترجمة مقالة الزهراوي الجراحية مع الرسوم البديعة الإتقان فانتشر عمله بذلك في تقديم الصناعة إلى الغرب في القرن الثاني عشر الميلادي[2].

وتعرض الزهراوي للقلب وقال ان نوبة الهبوط تحدث للصدمات المفاجئة أو الارهاق العصبي[3].

وعلّم الزهراوي تلاميذه كيفية خياطة الجروح خياطة داخلية لا تترك أثراً والخياطة بإبرتين وخيط واحد مثبت بهما، واستعمل الخيطان المأخوذة من أمعاء القطط في جراحة الأمعاء عند الإنسان[4].

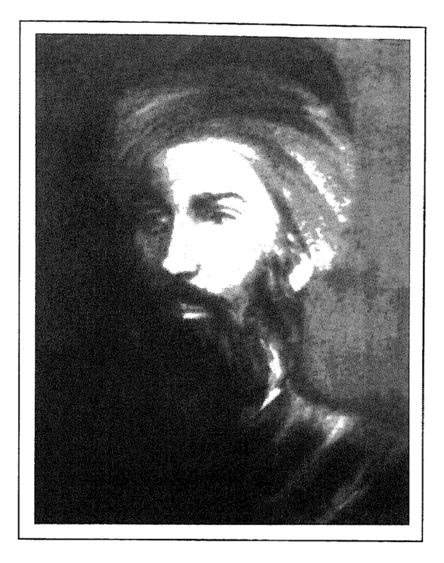
---

١ تاريخ العلوم عند العرب، مرجع سابق ص١٧٥

٢ د. سامي حمارنه، للمؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢ ص٢١٥

٣ نور حسين شودري، للمؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ،١٩٨١ ط٢ ص١٣١

٤ د. محمد مرحبا، مرجع سابق ص٢٦٣



رسم متخيل للطبيب أبو القاسم الزهراوي
(اعلام ومفكرون، الاكاديمية الاسلامية للعلوم، عمان الأردن)

مخطوطة من الخزانة الحسينية
بالمكتبة الملكية في الرباط، للزهراوي

ويقول ابن أبي أصيبعة عن الزهراوي "كان طبيباً فاضلاً خبيـراً بالأدويـة المفردة والمركبة، جيد العلاج وله تصانيف مشهورة في صـناعة الطـب، وأفضلها كتابه الكبير المعروف بالزهراوي، وله كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف وهو من أكبر تصانيفه وأشهرها وهو كتاب تام في معناه" [1].

وفي كتابه يذكر الزهراوي عدداً من الأطباء الذين سبقوه وكتـبهم وممـن ذكرهم كثيراً – حسب عدد المرات التي جاء ذكرها في الكتـاب – تنازليـاً "جالينوس فقد ذكره حوالي ١٩٠مرة، الرازي وكتابه المنصوري ١٢٠ مرة، اسحق بن عمران ٨٨ مرة، يوحنا بن ماسويه وابن الجزار (أبـو جعفـر، أحمد) ٨٠ مرة لكل منهما وديسقوريدس ٤٨ مرة.

وقد اشتهر الزهـراوي فـي كتابـات الغـربيين باسـم : Acaravius أو Alsanaravius وهما الرسم اللاتينـي للزهـرأوي، كمـا سـمي باسـم Abulcasis بالنسبة لكنيته أبي القاسم.

أما كتابه "التصريف لمن عجز عن التأليف فأطلق عليـه اسـم Servitoris Liber وهي ترجمة تقريبية لعبارة كتاب التصريف" [2].

وفي أحد أزقة قرطبة في الأندلس هناك شارع يحمل اسم ALBUCASIS تخليداً لذكرى ابي القاسم الزهراوي [3].

وقد وضع الزهراوي خبرته وعلمه في كتاب "التصريف لمن عجـز عـن التأليف" وهو مؤلف من ثلاثين مقالة مقسمة إلى قسمين أساسـيين بـاطني وجراحي، والقسم الجراحي إلى ثلاثة أجزاء، الجزء الأخير منها لجراحـة الدماغ والأعصاب وبخاصة إصابات الرأس والـدماغ وكسـور الجمجمـة واستعمال جهاز تَرْبَنَة الجمجمة.

لقد تمت ترجمة هذا المؤلف الكبير إلى لغات عدة أدت إلى امتداد أثره فـي بقاع كثيرة، ويمكن القول بأن أول طبعة حديثة مترجمة إلى اللغة اللاتينيـة ظهرت في أكسفورد عام ١٧٧٨ وهي ترجمة "جون شاننغ"، أما أول ترجمة للكتاب باللغة الفرنسية فقد قام بها "لوسيان ليكليرك" الفرنسـي عـام ١٨١٦ وأصدر لوكو عام ١٩٠٨ طبعة عربية مصورة مع أشكال توضيحية وطبعه إلى الإنجليزية مع الأصل العربي ورسم الآلات عام ١٩٧٣، لقـد حظـى كتاب التصريف بأهتمام عالمي وكان الكتاب الاساسي للجراحة في أوروبـا لخمسة قرون خلت .

وقد اقتبس الأوروبيون عنه الكثير من الأشياء وطوروها.

---

١ عيون الانباء، ج٣ ص٨٥

٢ أنظر الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، مرجع سابق ج١ ص١٢٠.

وأيضاً The Genius of Arab Civilization op.cit p١٩٠

٣ تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين، مرجع سابق ص٣٥٢

يمكن تقسيم ما قدَّمه أبو القاسم الزهراوي لجراحة الأعصاب إلـــى جـــزأين رئيسيين :

أولاً : مساهمات علمية عامة تضم ما يلي :

- جمع أبو القاسم الزهراوي ما بلغه جراحة الأعصاب، وبنى عليه نوعاً جديداً من الجراحة أكثر علماً معتمداً في ذلك على علم التشريح.
- كان أبو القاسم هو أول من وصف كسور الجمجمة وما تؤول إليه وكان أول من وصف الكسر المنخسف في الأطفال.
- كان أبو القاسم هو الأول من نادى بأن يعرف الجراح التشريح الجزئي الذي سيجري فيه عمليته.
- توصل الزهراوي إلى استخدام التخدير لتخفيف الآم المريض في أثناء إجراء العملية الجراحية.
- فهم وأدرك إن الألم يجب أن يفهم على أنه ليس مرضاً وإنما هو عرض وعليه يجب علاج سبب الألم وليس الألم نفسه.
- اعتبر النظافة أساساً لعلاج الجروح، وطالب بتعقيم الجروح واستعمل الكحول لذلك مخالفاً لكثيرين ممن عاصروه.
- وصف الزهراوي النزيف داخل الجمجمة وخارجها وإصابات الرأس.

ثانياً : مساهمات تقنية :

- لقد اخترع أبو القاسم الزهراوي آلة تمنع الاختراق غير الإرادي لجمجمة المريض حين التَّرْبَنَة لها، ويكوّن هذا الجهاز من قطعة معدنية قطرها أكبر من قطر الثقب المصنوع بواسطة جهاز التَّرْبَنَة، وهذا التعديل على هذه الآلة موجود لغاية اليوم.
- وصف وقام بإجراء عملية شق للقحف بنفس الطريقة التي نقوم بها اليوم، أي أنه قام بإجراء ثقوب عديدة في الجمجمة ثم وصل ما بينها.
- ركز على العناية الفائقة قبل إجراء جراحة الدماغ وذلك بإزالة كل العظام والخشونة الناتجة عن الإصابة والعمل على أن تكون معقمة ونظيفة.
- ومن المثير للاهتمام أنه نادى بأن تكون الأدوات الجراحية جاهزة لحالات الطوارىء أي أن تكون معقمة ونظيفة.
- هذا وقد أشار باستخدام مساعِدات وممرضات من النساء وذلك عند إجراء العمليات الجراحية لنساء بغرض الطمأنينة والراحة النفسية.
- استعمل الزهراوي آلات لشد الرقبة وانزلاق الفقرات.

ويقول الدكتور جارسيا باليستر الاستاذ بجامعة غرناطة بأسبانيا :

" إن أبا القاسم الزهراوي كان أعظم جراحي المسلمين في العصور الوسطى قاطبة، وأنه كان نقطة البدء لكل انواع جراحات الجمجمة والدماغ في اسبانيا وأوروبا الغربية" [١].

وكان أبو القاسم الزهراوي أول جراح أرسى القواعد العلمية لجراحة الأعصاب بأن علم ونشر مقولته الداعية إلى ضرورة إتقان تشريح المنطقة قبل إجراء الجراحة فيها.

وقد وصف بطريقة متقنة كسور الجمجمة ومآلها، ونخص منها ذكر الكسر الغائر الذي نسميه الآن "كسر كرة التنس الغائر" مؤكداً أن هذا النوع من الإصابات يحدث غالباً في الأطفال.

ووصف وسيلة منع المثقاب من اختراق تجويف الجمجمة وذلك بوضع قطعة معدن أوسع من قطر المثقاب فتقوم بعمل السدادة لمنع المثقاب من اختراق الأم الجافية والمخ.

كما وصف وأجرى عمليات شق الجمجمة بنفس الطرق الحديثة وذلك عن طريق إجراء ثقوب صغيرة متعددة يجري توصيلها ببعضها بشق حتى تتاح الفرصة لرفع جزء من عظام قبوة الجمجمة، كما أوصى في حالة كسر الغائر بإزالة فتات العظام، وهذا ما يوافق الطب الحديث[٢].

ويلخص الدكتور لوسيان لوكليرك وهو أحد المتخصصين في دراسة الزهراوي مكانة هذا العالم العربي في تطور الطب العالمي بقوله : يعبِّر أبو القاسم الزهراوي في تاريخ الطب أسمى تعبير عن علم الجراحة عند العرب وهو أيضاً أكثر المراجع ذكراً عند الجراحين في العصر الوسيط، ثم قال : وقد احتل الزهراوي في معاهد فرنسا مكانة بين بُقراط وجالينوس فأصبح من أركان هذا الثالوث العلمي [٣].

وقد استحق الزهراوي كما قال لوكليرك أن يبقى في تاريخ الطب الرمز الأول المعبر عن الجراحة بوصفها علماً متميزاً وقائماً على معرفة التشريح، وأما آلات الجراحة التي رسم صورها في كتابه فهي تجديد حميد يجعل ذكراه باقية لا تفنى وهو تجديد ما لبث أن ظهرت ثمراته في مؤلفات من جاء بعده[٤].

---

١ د. خوسيه ازكريدو ورفاقه، فضل الجراح الاندلسي المسلم الزهراوي على جراحة الأعصاب، المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢ ص٣٨٩

٢ د. خوسيه ازكريدو ورفاقه، فضل الجراح الاندلسي المسلم أبو القاسم الزهراوي على جراحة لأعصاب، المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢ ص٣٨٩

٣ الطب والأطباء في الاندلس الإسلامية، مرجع سابق ج١ ص١١٩ نقلا عن لوكليرك تاريخ الطب العربي"

٤ المرجع السابق ص١٢٥

وقد نجح الأطباء العرب المسلمون في اكتشاف نباتات لها قوة التخذير، وكان الطبيب العربي أبو القاسم الزهراوي (٩٣٦ - ١٠١٣م) يستخدم خليطاً من نباتات الزوان والشيلم والسيكران لإنامة المريض فترة طويلة تكفي لإجراء العمليات الجراحية التي كان يقوم بها الزهراوي نفسه. كذلك كان استخدام الاسفنجة المخدرة فناً عربياً أصيلاً دخل إلى أوروبا عدة طرق وبقي مستعملا حتى القرن الثامن عشر[١].

١ د. محمد السمري، مجلة العربي العدد ٤٠٢، الكويت ايار ١٩٩٢ ص١٤٠

التصريف لمن عجز عن التأليف
للزهراوي

يقول الزهراوي ان أمراض الرأس تسعة عشر مرضا وهي: الشقيقة، السدر والدوار، السرسام، الحمرة، الورم الفلغموني، كثرة النوم، السبات السَّهَري والسبات العام والسبات الذي يكون من إفراط السهر، النسيان، العشق، السكتة، الفالج، اللقوة، التشنج والامتداد والاسترخاء، الارتعاش، الاخلاج والهذر، الماليخوليا (والهذيان)، بطلان الذكر، الرعونة، القطرب، الكابوس، الصرع [1].

كغيره ممن سبقوه، يقسم الزهراوي أعضاء الجسم إلى ما يلي:

الأعضاء الرئيسة:

أربعة : الدماغ والكبد والقلب والأنثيان، وهي أس الإنسان، أشرفها وأشدها تأكيداً في بقاء الإنسان هو الدماغ ويليله القلب ثم الكبد ثم الأنثيان.

الأعضاء الخادمة :

الدماغ تخدمه الأعصاب وبه وبها يكون الحس، والقلب تخدمه العروق الضوارب (الشرايين) ومنه وبها تكون الحياة، والكبد تخدمها العروق غير الضوارب (الأوردة) ومنها وبها تكون التغذية، والأنثيان تخدمها أوعية المني ومنها يكون التناسل من الذكور والإناث.

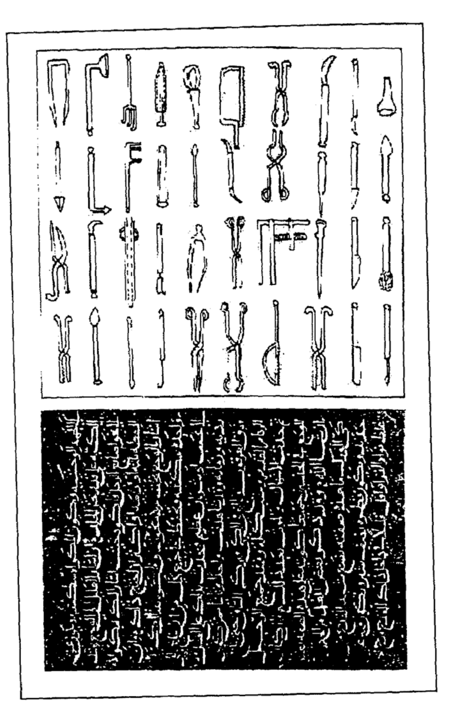
الأعضاء البسيطة :

وتسمى الأعضاء المتشابهة الأجزاء وهي العظام والغضاريف والعصب والعضل والعروق الضوارب والسواكن واللحم والشحم والمخ والأربطة، وتتكون من الأخلاط الأربعة وإنما سميت متشابهة الأجزاء لأن الجزء منها إذا انفصل عن صاحبه أشبهه [2].

---

١ تم الاعتماد في هذا الكتاب بشكل رئيسي على نسخة مصورة لكتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" عن مخطوطة بشير آغا ٥٠٢ مكتبة السليمانية في استانبول - منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية - يصدرها فؤاد سزكين في إطار جامعة فرانكفورت المانيا ١٩٨٦ ونشكر القائمين على مركز المخطوطات والوثائق في الجامعة الأردنية الذين سمحوا لنا بالاطلاع عليها وعلى اشرطة ميكروفيلم لنسخ أخرى من مخطوطات كتاب التصريف وسيشار فيما بعد إلى هذا المرجع: هكذا التصريف نسخة سزكين

٢ انظر: الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، محمد العربي الخطابي ج١ دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٨ ص١٣٨



ادوات جراحية استعملها الزهراوي
(تلطف د. عبد الهادي الخليلي بارسالها مع الشكر)

القوى

ثلاثة:

١) نفسانية وابتداؤها من الدماغ

٢) وحيوانية وابتداؤها من القلب

٣) وطبيعية وابتداؤها من الكبد

وأصناف القوى النفسانية ثلاثة:

١) المدبرة وهي السياسية

٢) والمحركة بإرادة

٣) الحساسة

وبالقوة المديرة يكون التخيل والفكر والذكر، وأما **القوة المحركة بارادة** فتحرك العضل بالعصب فتتحرك بها الأعضاء بإرادة، وذلك أنه لا يكون مشيٌ ولا بطشٌ ولا تقلب نظر ولا شيء من حركات الأعضاء الإرادية إلا بعضل فيه عصب يحرك ذلك العضو، وجنس القوى المحركة بإرادة واحد وهو جنس القوى النافذة من الدماغ والنخاع في العصب إلى العضل المحرك لأعضاء الحركة الارادية، غير أن أنواعها تختلف بحسب الأعضاء المحرّكة فتسمى حركة اليد بطشاً وحركة الرجل مشياً وهكذا.

وأصناف القوى الحساسة خمسة: اللمس والبصر والسمع والشم والذوق، وألطف الحواس البصر.

الأرواح

أصنافها ثلاثة : حيوانية ونفسانية وطبيعية.

فالروح الحيوانية تنبعث من القلب في العروق الضوارب وتخدم القوى الحيوانية بأن ينبت منها في البدن ما يحيا به.

والروح النفسانية تتولد في الدماغ عن الروح الحيوانية ثم تنبعث من الدماغ في العصب وتخدم القوى النفسانية بتأديه الحس والحركة.

والروح الطبيعية تنبعث من الكبد وتنبت في العروق غير الضـوارب وتخـدم القوى الطبيعية بأن تؤدي عنها الغذاء اليها.

الأرواح في تصور الأوائل عبارة عن بخارات، وذلك أن الدم له في كـل مـن الكبد والقلب والدماغ انطباخ بخار، فالبخار الذي يكون من الدم عند كونه فـي الكبد يسمى الروح الطبيعي، والبخار الذي يكون من دم القلب يسـمى الـروح الحيواني، والبخار الذي يكون منه في الدماغ يسمى الروح النفساني [1].

وفي المقالة الثانية من كتاب التصريف يذكر الزهراوي الأمـراض وأقسـامها وضروبها وعلاماتها وأعراضها ووسائل علاجها سائراً على مذهب القدماء في البدء بعلل الرأس والدماغ.

---

١ المرجع السابق ص١٤٠

الصداع وأسبابه

للصداع أسباب من داخل أو أسباب من خارج ، فالذي يكون سببه من داخل يأتي إما من سوء مزاج وحده، وأما من مشاركة عضو آخر كالمعدة والكبد والطحال والكليتين، وإما أن يكون على طريق البحران [١].

والبرء من المرض كالصداع الذي يكون من قِبَل القيء العارض من الأمراض، وأما أن يكون على غير طريق البحران كالذي يكون من حُمَّى الغِبّ أو المُحْرِقة أو نحوهما من الحميات.

والذي يكون سببه من خارج فهو الصداع المتولد من حر الشمس أو برد الهواء أو الضربة أو السقطة تصيب الرأس، أو من حمل شيء ثقيل يؤلم الرأس، أو من استنشاق روائح نتنة أو حادة كالمسك والبخور ونحوه أو من شرب النبيذ.

ويبيِّن المؤلف علامة كل صنف من أصناف الصداع وفيما يلي تلخيص لأهم ما ذكره في ذلك:

علامة الصداع الذي يكون من قِبَل الرأس وحده: إما أن يكون ثابتاً لازماً على أكثر الأحوال وإما أن يعرض في الصدغين [٢].

علامة الصداع الذي يكون من الورم أن يجد صاحبه صداعاً شديداً مقلقاً وكأن رأسه يضرب بالمطارق مع حمى وهذيان واختلاط، ويدوم صداعه ما دام الورم، وتجسأ عيناه وتحمر العروق التي فيها.

والصداع الذي يؤلم أصول العينين يدل على أن الألم داخل القحف، وأن كان العليل يحس به من خارج، والذي يكون مع امتداد بلا ثقل يدل على ريح غليظة وأن ينتقل الصداع من مكان إلى مكان.

وعلامة الصداع الذي يكون عن مشاركة الأعضاء:

- إن كان مِنْ قِبَل المعدة فالصداع يكون من اليافوخ في وسط الرأس قبالة المعدة وبعد ألم المعدة.
- والذي يكون مِنْ قِبَل الكبد أن يحدث في الشق الأيمن ويعقب ألم الكبد.
- والذي يكون مِنْ قِبَل الطحال أن يحدث في الشق الأيسر ويعقب ألم الطحال.
- والذي يكون مِنْ قِبَل الساقين والقدمين أن يحدث في مقدم الرأس وأن يحس العليل كأن النمل تدب في قدميه وساقيه، فإذا شُدَّت رجلاه أو قدماه أو صُبَّ عليهما ماء حار سكن ذلك وخف.

---

١ ترجمة يونانية ومعناها يوم المناجزة بين المتغالبين، وسبق شرحه والمقصود يوم المناجزة بين المريض والمرض

٢ التصريف نسخة سزكين ص ٦٠

- والذي يكون مِنْ قِبَل الكليتين ان يجد العليل الصداع في القفا والنقرة ويعقب ألم الكليتين.

وعلامة الصداع الذي يكون مِنْ قِبَل البُحْرَان أن يحدث في اليافوخ في وسط الرأس قبالة المعدة مع ارتعاش واضطراب في الشفة السفلى وقيء وتقلب نفس ودوار وأن يهيج بعدما يمضي على الحُمّى أيام كثيرة.

وعلامة الصداع الذي يكون في غير البُحْرَان في الحُمَّيات بلا ورم في الدماغ أن يهتاج عند حرارة الحمى ويسكن عند انحطاطها.

وعلامة الذي يكون من حَرِّ الشمس أن يحس العليل بحرارة في جلدة الرأس وباحمرار العينينْ وشدة العطش.

وعلامة الذي يكون من شرب النبيذ ما يحدث في المعدة من سرعة الهضم أو إبطائه، وما يجده المصاب من ثقل في المعدة [1]. [2]

البيضة : صداع مزمن شديد مؤلم عسير البرء، يحس صاحبه كأن رأسه يضرب بالمطارق بأشد ما يكون ولا يقدر أن يبصر الضوء ولا أن يسمع صوتاً عالية [3].

الشقيقة: وجع مؤذٍ يأخذ أحد شِقَّيْ الرأس وأكثر ما تأخذ هذه العلة بأدوار.

السَّدَر والدُّوَار: تحدث هذه العلة عن بخار غليظ، أو كثير ويكون ذلك البخار مما يهيج إما مِنْ قِبَل الرأس وحده وإما مِنْ قِبَل ما يرتفع اليه من بعض الأعضاء كالمعدة ومَرَاقٍّ البطن والكليتين.

وقد يهيج الدوار بإكثار النظر إلى دوران اللوالب والأرْجِيَة وجري البكرة وانصباب المياه في الأودية والفوارات وبركوب السفن في البحر ونحوها، ويحدث أيضاً من استدارة المرء حواليه أو من نظره إلى قعور عميقة من موضع مشرف.

وللدُّوار علامات بحسب الأحوال، فمنها أن السدر يهيج مرة ويسكن مرة، ومنها انتفاخ عروق الصدغين والحرارة، ومنها قلة العطش وأن يرى العليل أشياء تَخَيَّل له بيضا مع كثرة النوم والثقل في الرأس، ومنها السهر الدائم والالتهاب في الرأس ونخس بلا ثقل، ويخيل للبصر شيء شبيه بصفائح ذهبية، ومنها ثقل مع سهر وتخيل أشياء شبيهه بصفائح سود، ومنها أن يحدث الألم في مقدم

---

١ التصريف - نسخة سزكين ص ٦١،٦٢

٢ وعلى العموم يذكر الزهراوي حوالي ٢٦ نوعا من الصداع يعيد بعضها إلى نظرية الأخلاط الأربعة التي كانت شائعة آنذاك

٣ التصريف - نسخة سزكين، ص٦٦

الرأس خاصة وتحدث مِنْ قِبَل السدر والدوار للعليل علة كالتهوع [1] والقيء لابتداء تحرك العلة منها ويحدث الدوار أيضاً إذا أكثر الإنسان من الطعام والشراب ويخف عند خلاء المعدة.
وعلامة السدر والدوار الذي يكون مِنْ قِبَل الكليتين أن يجد العليل دبيباً في موضعهما وكأنه يصعد إلى النقرة ثم يحدث السدر في أثر ذلك [2].

السرسام : ورم حار يعرض في الدماغ ويكون حدوثه إما في نفس الدماغ وإما في الغشاء الشبكي الذي على الدماغ إذا فار من القلب وغلا وارتفع بخاره إلى الدماغ.
وعلامة الذي يكون من نفس الدماغ شدة الوجع في الرأس وأصول العينين ونتوّهما واحمرار الوجه وظهور الورم في عرق العينين والصدغين وثقل الرأس مع سبات وقلق شديد وفزع وهذيان وأرق.
وعلامة الورم في الحجاب المُغَشّي على الدماغ أن يحس العليل بالأعراض السالفة لكن بصورة أخف وأقل، وأن يحس بوجع تحت الجفن.
واختلاط العقل الحادث من ألم الحجاب لا يكون دائما بل يحدث ويسكن ، أما الاختلاط الذي يعرض من ألم الدماغ نفسه فإنه يزيد قليلا قليلا ويدوم بعد سكون الألم وانكسار الحمى [3].

الورم المعروف بالفلغموني: ورم يعرض في الدماغ يحدث من الدم إذا احتد وعفن داخل الأوراد والعروق التي في الدماغ وعلامته أن يعرض للعليل نفخ في الدماغ حتى يتصدع قحف الرأس فتنفصل خياطاته وشؤونه [4] مع الوجع الشديد الراسخ، ويعرض للعليل الغثيان والقيء الكثير لاشتراك الدماغ مع المعدة بالعصب الذي يأتي إليها، وتبرز العينان وتحمران وينتفخ الوجه والرأس كله ويرم، ويكون ذلك مع حمى حادة لازمة قوية جداً واختلاط العقل.

الحُمْرَة: ورم علامته الوجع الشديد في الرأس كله مع التهاب قوي جداً وبرد في الوجه، وصفرة ويبس شديد في الفم وخشونة في اللسان وعطش وحمى حادة وسهر وقلق واختلاط في العقل [5].

---

١ التهوع: تكلّف القيء

٢ التصريف – سزكين ص ٦٧

٣ ص٦٨ – سزكين

٤ الشؤون : دروز الرأس

٥ سزكين – ص٦٩

وفي الجزء الأول من كتاب "التصــريف لمــن عجــز عــن التــأليف" يــتكلم الزهراويعن السكتة – وهي ما يسميها بالفالج العظيم ويصفها بدقة في أنها تنتج عن اضطرابات مختلفة في الدورة الدموية داخل المخ أو ما يسمى "apoplexy Cerebral" ويقسمها إلى ثلاثة أحوال :

الأول وهي المزمنة أي التي لا يبرأ منها المريض.

الثانية وهي التي يبرأ منها المريض.

الثالثة وهي التي تقتل سريعاً.

وهذه التقسيمات لا تخرج كثيراً عما يجري في العصر الحاضر.

السبات: لا يختلف قول الزهراوي كثيراً عمن سبقوه في الســبات. ويقــول إن السبات الذي يكون من إفراط في السكر فكثيراً ما يوقع في أمراض مثل الســكتة والفالج والرعشة [١].

السكتة: هي الفالج العظيم وتكون على ثلاثة أوجه: إما أن تكون السكتة قويــة مزمنة فهذه لا برء منها، وإما أن تكون ضعيفة يرجى البرء منهــا وذلــك فــي الندرة، وإما أن تكون قوية جداً فتقتل سريعاً.

وعلامة السكتة القوية المزمنة أن يتنفس العليل بأشد ما يكون من الاستكراه مــع نَفَس يسير يهم أن ينقطع ويبقى العليل كذلك زمناً يسيراً.

وعلامة السكتة الضعيفة بخلاف ما وصفنا، فيكون النَّفَس من غير مجاهــدة ولا استكراه لنظام واحد.

وعلامة السكتة القوية أن تنقطع فيها الأفعال المدبِّرة الثلاثــة: التخيــل والفكــر والذكر، وينقطع الحس والحركة من جميع الأعضاء مع جفوف النَّفَس والزَّبَد.

ومقدمات السكتة الصداع الشديد الذي يعرض بغتة وانتفــاخ الأوداج مــع دوار وشعاعات بتخيل البصر وبرد الأطراف واختلاج في البدن وعسر في الحركــة واصطكاك الاسنان في النوم والنسيان والبلادة.

والسكتة نوعان: بلغمية ودموية، فعلامة الأولى: ترهُّل البــدن وبيــاض اللــون والشيخوخة وإدمان الأغذية الباردة وطول البطالة، وعلامة الثانية حمرة الوجــه وبروز الأوداج والعروق، وترى العليل وكأنه مختنق وأن يكون مدمنا للأغذيــة الكثيرة الاغتذاء، وللشراب الحلو الغليظ وأنبذة الفواكه [٢].

ونلاحظ وصفاً إكلينيكياً دقيقاً في وصف الزهراوي للسكتة ومنها ملاحظته لحالة التنفس كعلامة لشدة السكتة، وكذلك تعريفه الدقيق للغيبوبة من السكتة القوية [٣].

---

١ نسخة سزكين ص٧٢

٢ سزكين ص٧٤

٣ وهي التي تنقطع فيها الافعال المُدَبِّرة الثلاثة وهي التخيل والذكر الحس والحركة

وكذلك ملاحظته لمقدمات السكتة من صداع شديد مفاجيء ودوار وتخيلات بصرية[1] وكذلك إداركه الصحيح بأن خروج الزَّبَد من الفم علامة سيئة لحالة المريض[2].

وفي علاج المصاب بالسكتة يقول إنه إذا كان العليل ممن يطمع في علاجه إذا كانت قوته تسمح بذلك، فينصح بالاجتهاد في فتح فمه أو إدخال الأصابع فيه أو ريشة مغموسة في دهن لمساعدته على التقيؤ.

ومن رأيت الزَّبَد يطلع من فمه فلا تعالجه، وكذلك إن عرضت السكتة في سن الشباب فلا تعالجه.

وعلاج السكتة الدموية، فإن كان امتلاء الدم بيِّناً فافصد في القيفالين أو أحجمه على الساقين وقلل غذاءه [3].

ويتحدث أيضاً عن الفالج Hemiplegia الناقص أي الشلل النصفي البسيط، غير المصحوب باضطراب شديد في درجة الوعي، أما القوي منه فهو ما يسمى بالطب الحديث بشلل العصب المخي السابع أو شلل العصب الوجهي Facial Palsy لكن يبدو ان الزهراوي لم يستطع أن يتبين أن عصب حس الوجه مختلف عن العصب المحرك لعضلات الوجه واعتبرهما عصباً واحداً، وهذا يرجع بالطبع إلى عدم المام الأطباء في ذلك الزمان بالتشريح الكامل للجسم.

ونجد عنده أيضاً ملاحظات إكلينيكية دقيقة للشلل، وذكره أن الوجه يميل نحو الجانب الصحيح وكذلك تفرقته بين شلل العصب وتشنج العصب السابع Facial Spasm وفي هذا النوع الأخير يذكر أن الوجه ينجذب نحو الجانب المريض بعكس الشلل، وهذا يماثل تماماً المفهوم الطبي الحديث.

كما استطاع تشخيص حالات الشلل الناتجة عن قطع الأعصاب، وهو ما يسميها بالاسترخاء، ويطلق عليها اليوم بمرض العصب المحرك السفلي، وإدراكه للأسباب المتعددة لذلك ومنها إخراج العمود الفقري الذي ينتج في معظم الأحوال عن تدرن العمود الفقري.

الفالج : هو انسداد مجاري العصب التي يسلك فيها الروح بلزوجة البلغم، فإن تكونً هذا البلغم في جزء واحد من أجزاء الدماغ بطلت تلك الجهة يمنة كانت أو يسرةً، ويسمى فالجاً ناقصاً، فإن عرض الانسداد في جميع بطون الدماغ حدث من ذلك السكتة.

---

١ هلاوس بصرية Visual Hallucinations

٢ د. محمد رضا عوضين، قراءة جديدة وتحقيق لصفحات من كتاب التصريف للزهراوي، أبحاث المؤتمر العالمي الثاني عن الطب الاسلامي، الكويت ١٩٨٢ ص ٥٤٧

٣ التصريف – سزكين ص٧٥

والفالج نوعان : إما أن يكون عن بلغم لزج – وعلامته الاسترخاء الظاهر وأن يجد العليل أعراض السكتة – وإما أن يكون عن ضربة أو سقطة – وعلامته أن يسترخي البدن كله أو بعض اعضائه [1].

اللقوَة: انسداد منافذ العصب المؤدي حسه وحركته إلى عضو الخد فيسترخي ذلك الجانب ويميل إلى الجانب الصحيح (السليم) فلا يقدر العليل على تغميض عينيه إلتي في تلك الجهة، وقد تحدث اللقوَة عن تشنج يحدث في العصب المؤدي حسه إلى ذلك الموضع فيجذب الجانب الآخر نحوه.

وفي اللقوَة يفرِّق الزهراوي بين شلل العصب وتشنجه، ففي شلل العصب الذي يؤدي إلى اللقوَة "فيسترخي ذلك الجانب ويميل إلى الجانب الصحيح"، أما في تشنج العصب فعلامته "شدة جلدة الجهة في ذلك الجانب" أي الجانب الاخر وهذا يماثل تماماً المفهوم الطبي الحديث.

لكن الذي أخطأ به الزهراوي هو عدم تمييزه بين عصب حس الوجه والعصب المحرك لعضلات الوجه فاعتبرهما عصباً واحداً ويظهر ذلك من قوله "يكون ذلك من بلغم غليظ لزج يسد منافذ العصب المؤدي حسه وحركته إلى عضلة الخد" .

ومن علامات اللقوَة استرخاء الجانب المصاب وضعف حركته وقلة تمدده وانجذاب الجفن إلى أسفل وكثرة الرطوبة والريق.

ومن علاماتها إذا كانت عن تشنج العصب : شدة جلدة الجبهة وتمددها وقلة الريق [2].

التشنج : هو انجذاب عضو من الأعضاء نحو أصله، فمتى حصل في عضل الجفن انطبق وإن حدث في العين حدث الحَوَل، ومتى حدث في أوعية المني حدث الإمناء الدائم، ومتى حدث في البدن كله كان الصرع.

وإن حدث في ذلك العضو حركة من غير إرادة سمي ذلك كزَازاً.

ويعرض التشنج بسبب امتلاء مفرط أو تخم من أغذية أو سُكْرٍ كثير ونوم طويل وبطالة ورفاهية.. أو بعد استفراغ مفرط أو بعقب حمى حادة [3].

الامتداد : هو نوع من التشنج وأصنافه ثلاثة؛ فإما أن يكون التمدد في العصب وعضلات العضو المؤخر، وإما في العصب والعضلات المقدمة، وإما فيهما جميعا.

---

١ سزكين ص٧٥

٢ سزكين ص٨٥

٣ في الوصف السابق نلاحظ كيف ميز الزهراوي بين التشنج spasm وبين الحركات اللا إرادية (Involuntary Movements)

وسببه إما من داخل البدن أو من خارجه، ومن داخله يكــون مــن امــتلاء أو استفراغ والذي من الخارج يكون إما عن ضربة أصابت العصب ، وقد يعرض لهم ضيق في النفس وزفير وامتداد عضلات الفكين وربما عرض لبعضهم شبه الضحك وكشف الأسنان وتكون وجوههم محمرة أبداً وأعينهم منتفخة، ويخيِّــل لهم البول لكنهم لا يقدروا أن يبولوا لضعف القوة الدافعة، وربما جرى البــول كأنه الماء لاسترخاء العضلات وربما خرج مع البول شيء من الدم.

ويعرض لبعضهم التشنج كثيراً وهذه العلة كثيراً ما تعــرض للصــبيان، فــإذا جاوزوا عشر سنين فلا يرجى لهم البرء منها.

وإن عرض للعليل حُمًّى مع التشنج والتمدد فقد انحل مرضــه وبــرئ منــه، وإنعرض التمدد والتشنج في أثر الحمى فلا يرجى لهم البرء البتة وهو في أكثر الأمر قاتل [1].

(ويعتبر الزهراوي إن التمدد Tonic Spasms ضرب من التشنج ويصف في التمدد علامات إكلينيكية دقيقة تقارب ما يعرف اليوم بمرض الكزاز (التيتانوس) ومنها قوله "وربما عرض لبعضهم سبب الضحك وكشف الاسنان" وهي ما تسمى اليوم التكشيرة الساردونية Risus Sardonicus وهــي علامــة أساســية فــي تشخيص المرض).

الارتعاش : يكون من ضعف القوة المحركة للعضل والعصب، وضعفها يكون إما من سوء مزاج بارد أو مركب يغلب على آلات الحركة الإرادية، وإما لعارض نفساني كالفزع والخوف، وإما لسقوط قوة يعقب مرضاً من الأمراض، وإما لضعف القوة في سن الشيخوخة، وإما في شرب الماء البارد بغير اعتدال إثر عَرَق كثير أو حمّام أو شرب النبيذ الصلب المضر بعصب الدماغ.

الاختلاج: شبيه بالارتعاش وأكثر ما يكون في الأبدان الباردة وفيمن يكثر مــن شرب الماء الصادق البرد ومن يسافر في الأصقاع ذات الثلوج والبرد الشديد.

الخدر: يكون من شيئين : إما من دم غليظ كالذي يعرض للمجذومين، وإما من خلط غليظ لزج بلغماني يمس جوهر العصب الذي تجرى فيه القــوة المحركــة فتمنع سلوك الروح النفساني أن ينفذ إلى ذلك العضو فينخدر كما يعوق السحاب شعاع الشمس من النفوذ في الهواء، ولا ينبغي أن يتوانى في شــأنه؛ لأنــه إذا أدمن أدى إلى الفالج.

ومن علامات الخدر في أحواله المختلفة حمرة في اللون إلى سواد، أو ترهــل البدن مع بياض اللون وثقل الرأس ، وقد ينشأ ذلك عن ســابق الإقبــال علــى الأدوية والأطعمة والأشربة الغليظة.

---

١ سزكين ص٧٦

الاسترخاء: يقول الزهراوي ان الاسترخاء العارض لبعض الأعضاء عن آفة تعرض للعصب الذي يتفرع من الدماغ أو فقارات العنق يكون سببه من داخل البدن أو من خارجه.

والذي من داخل البدن يكون عن الامتداد أو عن الاستفراغ، وأما عن خراج يخرج من أحد فقارات الظهر فيمنع العصب عن فعله فيسترخي ذلك العضو المحرك له.

والذي يكون من خارج البدن سببه إما من قطع عرض في العصب فلم يتصل وأما سقطة أو ضربة أحدثت في العصب هشماً، والاسترخاء الذي حدث من ذلك لا علاج له»[1].

وفي الفقرة السابقة يتحدث الزهراوي عن حالات الشلل الناتجة عن قطع الأعصاب والتي يطلق عليها اليوم مرض العصاب المحرك السفلي Lower Motor Neurone Lesion وإدراكه للأسباب المؤدية لذلك، ومنها خراج العمود الفقري الناتج في معظم الأحوال حسب المفهوم الحديث عن تدرّن العمود الفقري أو ما يسمى بمرض بوت Pott's Disease[2].

---

١ نسخة سزكين ص٧٧

٢ د. محمد رضا عوضين مرجع سابق ص٥٤٧

الصرع

يسمى باليونانية إبلييسيا ومعناه "أخذ الحواس"
والصرع قد يكون قوياً صعباً وقد يكون ضعيفاً سهلاً، والصرع أكثر ما يحدث للأطفال ثم للمراهقين، وقلما يعرض للمكتهلين والمشايخ.
ومقدمات الصرع : حزن لغير علة وتيه العقل ونسيان لما قرب من تبلد وأحلام رديئة وصداع وامتلاء وكابوس – إذا عرض متواتراً – واصفرار الوجه واضطراب اللسان وربما عض العليل على لسانه .
وأعراضه: السقوط المفاجيء وزوال العقل وفقدان الحس وبطلان الحركة وظهور الزبد على الفم وفساد القوى النفسانية المدبِّرة الثلاث : التخيل والفكر والذكر، مع التمدد وتشنج البدن كله، وربما عرض لبعضهم سيلان المني وخروج البراز والبول من غير إرادة، ومنهم من إذا أحس بالصرع هرب عن الناس واستتر عنهم حتى يفيق، ومنهم من لا يحس به حتى يقع بغتة، فإن كان بقرب نهر أو بئر سقط فيها.
ومن علامات الصرع بياض اللون وترهل الجسم، وأن يكون المصروع ساكناً لا يصيح ولا يقلق[1].

وحول تجمع الماء في رؤوس الصبيان يقول الزهراوي:
إن هذا السقم كثيراً ما يعرض للصبيان عند الولادة إذا ضغطت القابلة رأس الصبي بغير رفق، وقد يعرض أيضاً من علة خفية لا تعرف، ولم أر هذه العلة في غير الصبيان وجميع من رأيت منهم أسرع إليه الموت ولذلك رأيت ترك العمل فيه، وقد رأيت صبياً منهم قد امتلأ رأسه ماء والرأس يعظم في كل يوم حتى لم يطق الصبي يقعد على نفسه لعظم رأسه والرطوبة تتزايد حتى هلك، وهذه الرطوبة إما أن تتجمع بين الجلد والعظم وإما أن تتجمع تحت العظم على الصفاق، والعمل في ذلك إن كانت الرطوبة فيما بين الجلد والعظم وكان الورم صغيراً فينبغي أن يشق في وسط الرأس شقاً واحداً بالعرض ويكون طول الشق نحو عقدتين حتى تسيل الرطوبة وهذا هو رأس المبضع.

---
١ سزكين ص٨٢،٨٣

فإذا كانت الرطوبة أزيد والورم أعظم فاجلعها شقين متقاطعين، وإن كانت الرطوبة تحت العظم وعلامته أن ترى خياطات الرأس مفتوحة من كل جهة والماء ينخفض إذا عصرته بيدك إلى داخل وليس يخفى عليك ذلك فينبغي ان تشق في وسط الرأس ثلاثة شقوق.. وبعد الشق تخرج الرطوبة كلها ثم تسد الشقوق بالخرق والرفائد ثم تطليه من فوق بالشراب والزيت إلى اليوم الخامس، ثم تحل الرباط وتعالج الجرح بالفتيل والمراهم ولا تترك شد الرأس باعتدال ويتغذى العليل بكل غذاء جاف قليل الرطوبة إلى أن يقوى العضو ويبرأ إن شاء الله تعالى.

وصفة أخرى من الشق أن تنظر حيث يظهر عظم الماء واجتماع الماء لأنه قد يكون في مؤخر الرأس أكثر أو في مقدمه أو في اليمين أو في الشمال تورد الشق حيث يظهر لك الورم وامتلاء الماء فشقه على ما يمكنك وتحفظ أن تقطع شرياناً فيحدث نزف فيموت العليل من ذلك النزف مع استفراغ الرطوبة"[١].

ويفرق الزهراوي[٢] بين حالتين من ذلك فيقول "وهذه الرطوبة إما أن تجتمع بين الجلد والعظم ما نسميه القيلة السحائية[٣] وإما أن تجتمع تحت العظم على الصفاق" وإن كانت الرطوبة تحت العظم وعلامته ان ترى خياطات الرأس مفتوحة من كل جهة" ما نسميه مَوَه الرأس[٤] ثم يقول "ولم أر هذه العلة في غير الصبيان وجميع من رأيت منهم اسرع اليه الموت فلذلك رأيت ترك العمل به"، إلا أنه على الرغم من ذلك يشرح كيفية التخلص من هذا الماء جراحياً[٥].

وربما كان وصف الزهراوي ومحاولة إخراج السائل من رؤوس الصبيان بالجراحة كانت مقدمة لتأثر جراح إيطالي "بإحداث ثقب في الرأس صغير بواسطة الكي ليخرج منه السائل"[٦].

كما تميز الزهراوي بوصف الخطوات العملية لجراحة الجمجمة وما يجب على الجراح تحضيره من أدوات خاصة لكل نوع من الإصابات فقال "فإن كان كسر العظم قد بلغ إلى الغشاء المغشي على الدماغ وكان مع هشم ورض فينبغي أن تقطع الجزء المتهشم المرضوض على ما إني واصِفُه لك وهو أن تحلق رأس العليل المجروح فإن عرض لك عند الكشف على العظم نزف دم أو ورم حار

---

١ أنظر د. سيمون حايك، أبو القاسم الزهراوي أشهر طبيب في القرون الوسطى، أبحاث المؤتمر العالمي الثاني في الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨٢ ص٤٩٩،٥٠٠ عن مخطوطة كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف للزهرأوي بدير الاسكوريال - إسبانيا

٢ في الوصف السابق

٣ MENINGOCELE

٤ HYDROCEPHALUS

٥ د. محمود الحاج قاسم، جراحة الأطفال عند العرب والمسلمين، أبحاث للمؤتمر العالمي الثاني عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨٢ ص٢٢٨

٦ د. سيمون حايك مرجع سابق ص٤٩٩

فقابل ذلك بما ينبغي وهو أن تحشو الموضع بخرق مغموسة في سراب ودهن ورد وفق الجرح حتى يسكن الورم وتأمن النزف ثم تأخذ في تقويم العظم وذلك يكون على أحد وجهين من العمل، فأما الوجه الواحد فهو أن تقطع العظم بمقطع لطيف ضيق الشفرة، فإن كان العظم قوياً صلباً فينبغي أن تثقب حوله قبل استعمالك القاطع بالمثاقب التي سموها غائصة"[1].

ويتحدث الزهراوي عن أمراض تصيب الحواس فتعطلها جزئياً أو كلياً، ومنها في عدم الشم أو نقصانه، نلاحظ أن الأسباب التي يعزوها الزهراوي لذلك لا تختلف كثيرا عن مفاهيم الطب الحديث، ومنها تمييزه بين عدم الشم الخلقي Congenital والمكتسب.

كما استطاع أن يتتبع بدقة تدعو للدهشة أسباب عدم الشم المكتسب من نهاية العصب في بطني الدماغ السطح الحجامي للغص الجبهي [2] حتى بدايته في الأغشية المخاطية بالأنف.

ونلاحظ وصفه الدقيق لعظمة المشاش ذات الثقوب الكثيرة التي تنفذ منها ألياف عصب الشم [3].

وكذلك تأكيده على قلب رأس المريض إلى خلف عن التسعيط وجذب النفس إلى دماغه حتى يحس بالدواء فيه، وهذا يتفق مع الطب الحديث، وذلك حتى يصل الدواء إلى الجيوب الأنفية التي تقع اعلى الانف وعلى جانبيه.

---

١ د. محمود الحاج قاسم، جراحة الأطفال عند العرب والمسلمين ، مرجع سابق ص٢٢٩

٢ السطح الحجاجي للفص الجبهي Orbital Surface of Frontal Lobe

٣ الصفيحة المصفوية للعظم الغربالي "Cribriform plate of ethmoid bone"

الطرش

ثقل السمع وهو أن لا يسمع الإنسان الصوت المنخفض ويسمع الصوت المرتفع، وأن لا يزيد على طول الزمان إلى أن يصير صمما وهذا لا علاج له ولا برء منه، ويكون كالصمم الطبيعي الذي يولد الإنسان به.

والطرش على ضربين : طبيعي – كما تقدم الكلام – أو عرضي ومن أسبابه سوء مزاج يغلب على آلة السمع، أو سدة أو ورم يحدث في الزوج الرابع من عصب الدماغ الذي به يكون حس السمع، أو يكون بعقب البرسام الحار أو من لحم زائد نابت في مجرى الأذن وإما من وسخ يجتمع فيه فيسده، أو من دم يخرج من الأذن من غير ضربة أو قرحة تدفعه الطبيعة فيسد السمع.

ومن الأسباب الخارجية أن يلحق بالأذن برد شديد أو ريح قوية أو يبس شديد أو من ماء يدخل فيها عند الاستحمام أو السباحة أو من هوام أجسام غريبة تدخل فيها فتثبت في الصماخ أو عن ضربة أو قطع أو هتك يصيب عصبة الحس، أو من دواء مؤذ كالزئبق والأفيون، أو من روائح الأشياء المصعدة كالزئبق والزرنيخ والكبريت، أو من سماع أصوات مدوية كصوت الرعد أو هدم عظيم أو صوت سريع ولا سيما إذا جاءت هذه الأصوات بغتة.

وعلامة الصمم الطبيعي والمستحكم العرضي أن لا يسمع صاحبه صوتاً لا منخفضاً ولا مرتفعاً وأن لا يكون مزمناً وأن لا يقبل علاجاً البتة.

وإن كانت الآفة في العصبة التي بها يكون حس السمع فانظر في الأذن، فإن لم ير فيها ورم ولا سدة ولا وسخ، علمتَ أن العلة في العصبة فإن كانت آفة عن ورم في العصبة لحق صاحبها القشعريرة والحميات والنافض[1].

وعلامة الذي يكون عن ضربة وهتك اصاب العصب أو الدماغ وهو ما أخبر به العليل وبدا للحس، فهذا لا علاج له ولا سيما أن تقاوم [2]، والطرش الطبيعي لا علاج له[3].

---

١ سزكين ص٩٤،٩١

٢ لا مانع من محاولة العلاج

٣ سزكين ص٩١

وجع الأذن

يعرض من داخل البدن إما مِنْ قِبَل العصب الذي يجيء إلى الاذن، واما مِنْ قِبَل الدماغ، والفرق بين الذي يكون من ألم العصب ويكون من ألم الدماغ أنه في ألم الدماغ يوجع معه الوجه أو بعض الأعضاء، والذي من ألم العصب فيكون الوجع في نفس الأذن[1].

---

١ التصريف – نسخة سزكين ص٩٢

المقالة الثلاثون
للزهراوي

المقالة الثلاثون من كتاب "التصريف" للزهراوي هي أطول مقالات الكتاب وخصصها للجراحة، وربما إن هذه المقالة هي السبب الأول التي جعلت الزهراوي يشتهر كجراح عظيم.

وخصص الزهراوي هذه المقالة لما أسماه "العمل باليد" ، حيث يبدو أن الجراحة تراجعت في زمنه ولذلك نراه يعلل الأهداف والأسباب التي جعلته يقوم بتأليف هذه المقالة وهي الأخيرة في الكتاب ويقول "لمّا أكملت لكم يابني هذا الكتاب الذي هو جزء العلم في الطب بكماله وبلغت الغاية فيه من وضوحه وبيانه، رأيت أن أكمله لكم بهذه المقالة التي هي جزء العمل باليد لأن العمل باليد مخسة [1] في بلدنا وفي زماننا معدوم البتة، حتى كاد أن يدرس علمه وينقطع أثره، وإنما بقى منه رسوم يسيرة في كتاب الأوائل قد صحفته الأيدي وواقعه الخطأ والتشويش حتى استغلقت معانيه وبعدت فائدته ، فرأيت أن أحييه وأؤلف فيه هذه المقالة على طريق الشرح والبيان والاختصار وأن آتي بصور حدائد الكي وسائر آلات العمل، إذ هو من زيادة البيان ومن وكيد ما يحتاج إليه، والسبب الذي لا يوجد صانع محسن بيده في زماننا هذا لأن صناعة الطب طويلة وينبغي لصاحبها أن يرتاض قبل ذلك في علم التشريح الذي وصفه جالينوس حتى يقف على منافع الأعضاء وهيئآتها ومزاجاتها واتصالها وانفصالها ومعرفة العظام والأعصاب والعضلات وعددها ومخارجها والعروق النوابض والسواكن ومواضع مخارجها، ولذلك قال أبقراط: إن الأطباء بالاسم كثير وبالفعل قليل ولا سيما في صناعة اليد، وقد ذكرنا نحن من ذلك طرفاً في المدخل من هذا الكتاب لأنه من لم يكن عالما بما ذكرنا من التشريح لم يخل ان يقع في خطأ يقتل الناس به كما شاهدت كثيرا ممن تصور في هذا العلم وادعاه بغير علم ولا دراية" [2].

---

١ ان العمل باليد محسنة في بلدنا" هكذا جاءت في نسخة معهد ويلكم وفي العديد من الكتب التي تحدثت عن الزهراوي . لكن الصحيح هو ما اثبتناه "ان العمل باليد مخسة في بلدنا" حتى يستقيم الكلام فهو يتحدث عن تراجع الجراحة والعمل باليد.

ويبدو ان السبب في ذلك هو خط النساخين. فقد وردت كلمة "مخسة" واضحة في نسخة مصورة لكتاب التصريف عن مخطوطة بشير آغا ٥٠٢ بمكتبة السليمانية في استانبول – منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية – يصدرها فؤاد سزكين في اطار جامعة فرانكفورت – المانيا ،١٩٨٦ وتوجد نسخة عنها في مكتبة الجامعة الاردنية – مركز للمخطوطات والوثائق

٢ للمقالة الثلاثون للزهراوي نشرت في كتاب منفصل باللغة العربية مع ترجمة بالانجليزية بعنوان:

ALBUCASIS On Surgery and Instrument, Edited by M.S Spink and G.L. Lewis, The Welcome Institute of the history of Medicine , London , ١٩٧٣, p٣-٤

ورتب الزهراوي هذه المقالة على ثلاثة أبواب:

الباب الأول :

في الكي بالنار والكي الحاد وهو مبوب ومرتب من القرن إلى القدم (من اعلى الرأس إلى الاسفل) وصور الآلات وحدائد الكي وكل ما يحتاج أليه في العمل باليد، وهو مقسم إلى ستة وخمسين فصلاً.

الباب الثاني :

في الشق والبط والفصد والحجامة والجراحات وإخراج السهام ونحو ذلك، وهو مقسم إلى سبعة وتسعين فصلاً.

الباب الثالث :

في الجبر والخلع وعلاج الوثي ونحو ذلك وهو مقسم إلى خمسة وثلاثين فصلاً.

ومن هذه المقدمة نرى أن الزهراوي الذي عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي هو أول من اهتم بالتأليف في الجراحة العامة بوصفها علماً متوقفاً على معرفة التشريح أولاً، كما أنه أول طبيب صوَّر آلات الجراحة وأن بعضها هي من اختراعه وأول من استعملها في عملياته الجراحية.

وأكد الزهراوي في هذه المقدمة أن العمل باليد بدون أن يرتاض الطبيب (يتمرن) في علم التشريح يوقعه في خطأ يقتل الناس به، ويروي ما شاهده من مثل هؤلاء الأطباء خاصة أن العمل باليد خطير وهو "ينقسم إلى قسمين: عمل تصحبه السلامه وعمل يكون معه العطب في أكثر الحالات" وينبه تلاميذه لكي يأخذوا الحذر والحيطة والتثبت واستعمال الطريق الأفضل المؤدي إلى السلامة والابتعاد عن الأمراض الخطرة العسيرة البرء وعدم الدخول في شبهة معالجة الأمراض الخطرة بدون التأكد من النجاح، فهو أبقى وأرفع في الدنيا والآخرة لأقداركم، فقد قال جالينوس في بعض وصاياه : لا تداووا مرض سوء فتسموا أطباء سوء [1].

وفي بداية الباب الأول يعرض الزهراوي عدة مبادىء عامة في الكي ويقول "إن الكلام في كيفية منفعة الكي ومضاره كلام طويل وعلم دقيق وسر خفي وقد تكلم فيه جماعة من الحكماء واختلفوا فيه" .

ويقول "إن الكي بالنار في الأمراض الباردة الرطبة نافع، ويفضله على الكي بالدواء المحرق (الحاد) لأن أثر النار لا يتعدى فعله العضو الذي كوي، ولا يضر بعضو آخر متصل به إلا ضرراً يسيراً، والكي بالدواء المحرق قد

---

[1] المقالة الثلاثون – معهد ويلكم، ص٧

يتعدى فعله إلى ما بعد من الأعضاء وربما أحدث في العضو مرضاً تعسر مداواته وربما قتل.

ومع أن الزهراوي يؤيد الرأي القائل بأن الكي بالنار قد ينتفع به في مرض حار يابس إلا أنه يحذر من استعمال ذلك" إلا من قد ارتاض ودرب في باب الكي دراية بالغة" ويقول عن نفسه "وقد اتضح لنا ذلك بالتجربة لطول الخدمة والعناية بالصناعة والوقوف على حقائق الأمر" .

وعن زمان الكي بالنار وإن كان الربيع افضل الزمان يقول : إن الكي قد يصلح في كل زمان ولا سيما إن كان الكي من أوجاع ضرورية قوية لا تحتمل التأخير لما يخاف منها أن يعقب ببلية هي أعظم من يسير الضرر مِنْ قِبَل الزمان (اي مع مرور الوقت)[1].

ويحذر من الاعتقاد أن الكي يبرىء الأمراض تماماً، لا بل قد يعود المرض وقتاً ما على حسب مزاج العليل وتمكن مرضه وقوته وما يتهيأ في جسمه من اجتماع الفضول فيه وإهمال نفسه في اكتسابها من الأغذية ونحو ذلك من الأسباب، إلا أن يكون المرض لطيفا وفي عضو قليل الفضول والرطوبات مثل كي الضرس عن الوجع ونحوه فقد يمكن أن لا يعود المرض إلا قليلا"[2].

وأما قول العامة إن الكي آخر الطب فهو قول صواب .. ومعنى ذلك أننا متى استعملنا ضروب العلاج في مرض من الأمراض ولم تنجح تلك الأدوية ثم استعملنا آخر شيء الكي فنجح [3].

والكي بالذهب أفضل وأحسن من الكي بالحديد كما قالوا، إلا أنك إذا حميت المكواة في النار من الذهب لم يتبين لك متى يحمى على القدر الذي تريد لحمرة الذهب [4] ولانه يسرع إليه البرد[5].

وعالج الزهراوي العديد من الأمراض بالكي بالنار، وهي طريقة قديمة جداً، فبسبب نظرية الأخلاط الأربعة اعتقد قدامى الأطباء أن بعض الأمراض والأوجاع سببها رطوبات فاسدة، ولذلك عالجوها بالضد، أي بالنار وهي الحار اليابس.

وابتدع الزهراوي كثيراً من أدوات الكي للأمراض المختلفة من الرأس إلى القدم، ومن المكاوي التي استعملها المكواة الزيتونية، السكينية، الهلالية، المسمارية، ذات السفودين، وذات السفافيد الثلاثة وغيرها.

وفي كي الرأس يقول إن كية واحدة تنفع من الأمراض التي سببها غلبة الرطوبة والبرودة على الدماغ كالصداع والنزلات ووجع الاسنان والفالج

---

١ المقالة الثلاثون – معهد وينكم ص١١

٢ المقالة الثلاثون – معهد وينكم ص١٢

٣ تنجح، فنجح : هكذا وردتا في نسخة معهد "وينكم" والصحيح ما أثبتناه عن نسخة سزكين.

٤ وتفسيره العلمي ان حرارة الذهب النوعية اعلى من الحديد

٥ التصريف – القسم الثاني – نسخة سزكين ص٤٦٢ – ٤٦٣ أو المقالة الثلاثون – معهد وينكم ص١٥

والصرع والسكات .. وإنك تأمر العليل أولاً بالاستفراغ بالأدوية المسهلة ثلاث أو أربع ليال حسب قوته ثم تأمره أن يحلق رأسه بالموسى ثم تقعده بين يديك متربعاً ، ثم تضع بأصل كفك على أصل أنفه بين عينيه فحيث انتهى إصبعك الوسطى فعلّم ذلك الموضع بالمداد ثم إحم بالمكواة الزيتونية (يرسمها) ثم أنزله على الموضع المعلّم بالمداد نزلة تعصر بها يديك قليلاً حتى ترى العظم ثم خذ شيئاً من ملح فحله بالماء وشرب فيه قطنة مشربة في السمن واتركها عليها ثم عالجه بالمرهم الرباعي إلى ان يبرأ إن شاء الله[1].

ويضيف: انه إذا حدث في جملة الرأس وجع مزمن واستعمل الأيارجات والسعوطات والأدهان وخاصة إن كان قد كُوي الكيَّة الواحدة (السابقة) فلم ينفعه شيء، فإذا كان العليل قوي البنية وكان يجد برداً شديداً فاكوه كية أخرى فوق الكية السابقة قليلاً ثم اكْوِهِ على كل قرن من رأسه حتى يتبين العظم، وأخرى في مؤخر الرأس في الموضع الذي يعرف بالفأس لكن هذه الكية تكون خفيفة [2].

وفي كي الشقيقة غير المزمنة يقول إنه إذا حدث في شِقّ الرأس وجع مع صداع وامتد الوجع إلى العين فاستفرغ العليل بالأدوية المُنَقِّية للرأس، فإن لم ينجح ذلك فالكي فيها على وجهتين، إما الكي بالدواء الحاد المحرق وإما بالحديد.

ويتم الكي في الصدغ على موضع الوجع، ويتم حرق نصف الجلد مع التحذير من حرق الشريان وإلا فيحدث النزف ثم يتم العلاج كما سبق [3].

وفي كي الشقيقة المزمنة يقول إنه إذا لم ينفع العلاج السابق فيتم الكي حتى يتم قطع الشريان لكنه يحذر من قطع العصب المحرك للفك وإلا فيحدث التشنج [4].

وإذا حدثت بإنسان شقيقة مزمنة أو صداع مزمن شديد ونحو ذلك وعولج بضروب علاج الطب فلم ينجح فقد جربنا في هذه الأمراض سَلّ الشريانات من الأصداغ أو كَيَّها [5].

وفي الفصل الثالث من الباب الثاني يشرح الزهراوي كيفية سَلِّ الشريانين اللذين في الأصداغ ويقول إنه "إذا حدث بإنسان شقيقة مزمنة أو نزلات حادة من قبل رطوبات حريفة وحرارة في عضلات الأصداغ أو صداع مزمن شديد ونحو ذلك وعولج بضروب علاج الطب فلم ينجح ذلك ، فقد جربنا في هذه الأمراض سَلِّ الشريانات من الاصداغ أو كَيها، ووجه العمل في سَلِّها أن يحلق الشعر الذي في الأصداغ وتقصد الشريان الظاهر في الصدغ، فإنه

---

١ التصريف – سزكين – القسم الثاني ص٤٦٣؛ معهد ويلكم ص١٧

٢ نسخة ويلكم ص٢١

٣ نسخة ويلكم ص٢٥

٤ نسخة ويلكم ص٢٧

٥ التصريف نسخة سزكين القسم الثاني ص٤٧٨

يتبين لك من نبضه وقل ما يخفى إلا في الفرد من الناس أو عند شدة البرد، ثم تأخذ المبضع (يرسمه) ثم تسلخ به الجلد برفق حتى تصل إلى الشريان ثم تلقي فيه سنارة وتجذبه إلى فوق حتى تخرجه من الجلد، أو تقطع جـزءاً منـه ولا تحدث نزفاً، وينبغي أن تربطه في مكانين بخيط قوي، وإن شئت تكْويـه كيّـاً حتى تنبتر أطرافه فيقوم مقام هذا العمل[1].

وفي كي اللقوَة ينصح بتجنب كي النوع الذي يحدث من جفاف وتشنج العصب، أما اللقوَة الناشئة عن بلغم فيقول إنه إذا لم ينفع علاجها بالأدوية فيكوى العليل ثلاث كيات، واحدة عند أصل الأذن والثانية أسفل قليلاً من صدغه وثالثة عـن مجتمع العينين [2] واجعل كيّك في ضد الجهة المريضة، لأن الاسترخاء يحـدث في الجهة التي تُظَنُّ مريضة [3].

وفي كي السكتة : إذا لم يكن بالعليل حمًّى فاكوه أربع كيات على كل قن مـن رأسه كية، وأخرى في وسط وكية في مؤخر الرأس وقد يكوت أيضاً كية على فم المعدة فيكون أبلغ [4].

في كي الفالج: ينصح كما في كي السكتة مع إضافة ثلاث كيات على فقـارات العنق، وإن لم ينفع ذلك فاكوه أربع كيات على فقارات ظهره إذا كان متحمّلاً[5].

ولا يختلف كي المصروع عن كي المسكوت أو من به فالج [6].

علاج الماء الذي يجتمع في رؤوس الصبيان : إنه بهذا السقم كثيراً ما يعرض للصبيان عند الولادة أو إذا ضغطت القابلة رأس الصبي بغيـر رفـق، وقـد يعرض أيضاً في علة خفية لا تعرف، ولم أر هذه العلة في غيـر الصـبيان، وجميع من رأيت منهم أسرع إليه الموت، فلذلك رأيت ترك العمل به ، ولقـد رأيت منهم صبياً قد امتلأ رأسه ماء والرأس يعظم كل يوم حتـى لـم يطـق الصبي يقعد على نفسه لعظم رأسه والرطوبة تتولد (تتزايد) حتى هلك[7]، وهذه الرطوبة إما أن تجتمع تحت العظم على الصفاق أو كانـت مـا بـين الجلـد والعظم، فإذا كان الورم صغيراً فينبغي أن تشق في وسط الرأس شقاً واحـداً بالعرض بطول عقدين حتى تسيل الرطوبة ، وإن كانت الرطوبة أزيد والورم أعظم فاجعلهما شقين متقاطعين (يرسمهما كالصليب) وان كانت الرطوبة تحت العظم وعلامتها أنه يرى خياطات الرأس مفتوحة من كل جهة والماء ينخفض إذا عصرته بيدك فينبغي أن يشق في وسط ثلاث شقوق (يرسمها على شـكل

---

١ نسخة ويلكم ص١٨١،١٧٩

٢ الشفتين في نسخة معهد ويلكم

٣ التصريف القسم الثاني ص٤٦٠ نسخة ويلكم ص٣١

٤ نسخة ويلكم ص٣٣

٥ نسخة ويلكم ص٣٧

٦ التصريف – القسم الثاني ص٤٦٥ نسخة ويلكم ص٣٩

٧ نسخة ويكلم ص١٧١

حرف T بالانجليزية ومقلوبة ⊥) وبعد الشق تخرج الرطوبة كلهـا ثـم تسـد الشقوق بالخرق والرفائد [1].

ويشرح الزهراوي مرض تجمع الماء في رؤوس الصبيان فيه من الرطوبـة ويفرق بين حالتين:

- الأولى نوع تجتمع فيه الرطوبة بين الجلد والعظم[2] .

- الثانية تجتمع فيه الرطوبة تحت العظم وعلامته أن ترى خياطـات الـرأس مفتوحة من كل جهة [3] ونجده يقول "إن هذه العلة تسرع إلى المـوت" ولـذلك رأى ترك العمل بها [4].

وفي جراحات العنق يقول إنه إذا حدث جرح في العنق وقُطع عصب فليس فيه حيلة، غير أنه يجتنب علاجه بما يقبض قبضاً شديداً لأنهـا تـؤذي العصـب وتشنجه ولا يوضع على الجرح شيء بارد البتة، ويعالج بالأدوية اللينة كالزيت والدهن.. وإن حدث في الجرح قيح فَبُطَّهُ في أخفض مكان فيه[5].

الكسر في خرز الظهر والعنق:

عظام العنق قلما يعرض لها كسر، وأكثر ما يعرض لها المرض، وكذلك فقار الظهر، فإذا عرض ذلك لأحد فإنظر فإذا رأيت يده قد استرخت أو ماتت ولـم يعد يقوى على تحريكها لا بالبسط ولا بالقبض، أو نخستهما بإبرة فلم يحـس بذلك ولم يجد ألماً فاعلم أنه لا يبرأ ، وهو هالك في أكثر الاحوال ، وإن كـان قادراً على تحريك يديه ويحس فيهما بالقرص والنخس فاعلم أن نخاع العظم قد سلم وأن العليل يبرأ بالعلاج إن شاء الله.

فإن أصاب خرز الظهر مثل ذلك فإنظر إلى رجلي المصاب فإن كانتـا قـد استرختا وحدث فيهما ما حدث في اليدين ثم إذا اضطجع على ظهره خرج منه الريح والبراز بدون إرادة وإذا استلقى على بطنه خرج البول من غير إرادة، وإذا استلقى على ظهره وأراد البول لم يستطع ذلك، فاعلم أنه هالك،فـإن لـم يعرض له شيء من ذلك كان الأمر أخفّ.

وعلاج ما حدث من ذلك أن تعمد إلى تسكين الورم بأن تضع علـى الفقـارة المرضوضة دهن الورد وحده، أو مع فصوص البيض مشوية تضع عليه ذلك مرات في النهار، حتى إذا سكن الورم الحار فاحمـل علـى الموضـع أحـد الضمادات المقوية المنشفة وشد عليه بالرباط وأمر العليل بالسكون وأن لا ينام

---

١ التصريف - القسم الثاني ص٤٧٨ نسخة ويلكم ص ١٧١، ١٧٣

٢ Menigngocele

٣ Hyrocephalus

٤ . محمد كامل حسين، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ص١١٢

٥ لتصريف - نسخة سزكين القسم الثاني ص٥٢٢

إلا على الجهة التي لا يجد معها وجعا حتى يبرأ إن شاء الله، فإن كان قد حدث عند الرض في العظم شظية فينبغي أن تشق على الجلد وتنزع ذلك العظم ثم تجمع شفتي الجرح إن كان كبيراً بالخياطة ثم تعالجه بالمرهم الملحم حتى يبرأ إن شاء الله.

وإن فعلت كل ذلك ولم يثبت المفصل وسقط واسترخى ولم يستطع رفعها إلى فوق فاعلم أن عصبها التي في الرأس المنكب قد انقطعت أو امتدت أو استرخت فاعلم حيئذ أن المفصل لا يثبت في موقعه أبداً [1].

وفي فك المعصم : بعد جبرها إذا لم يستطع العليل قبض شيء واسترخت اليد فاعلم أن العصب انقطع أو رض فلا حيلة فيه إلا أن يشد بالكي فربما نفع وربما لم ينفع [2].

وقد حدث فك خرزات الظهر والعنق الفك التام أو زالت خرزات كثيرة عن موضعها فلا علاج فيه لأن الموت يسرع إلى العليل، وعلامة ذلك أن براز العليل يخرج من غير إرادة ولا يستطيع إمساكه، وكثيراً ما يسترخي منه بعض أعضائه [3].

ويعالج الزهراوي نتوء خرزة الظهر بالكي وعلى الأغلب يقصد بذلك الحدبة الناتجة عن تدرن الفقرات [4].

ويتكلم الزهراوي عن الشق على الخنازير [5] التي تعرض في العنق كثيراً فيقول "تعرض هذه الأورام في العنق وتحت الإبطين وفي الأربيتين وتكون كثيرة وتتولد بعضها من بعض وكل خنزيرة منها تكون في داخل صفاق خاص. وأنواع هذه الخنازير كثيرة منها متحجرة ومنها خبيثة لا تجيب إلى العلاج" وخلاصة قوله في علاج الخنازير قوله أنه كان يستأصل الغدد الليمفاوية من الرقبة، وإن كانت ملتصقة في الوريد الودجي أو الشريان السباتي فإنه يربطها ويشقها ويتركها حتى تسقط، أما إذا كانت تحولت إلى خراج بارد فيكتفي بأن يشق عليها ليستخرج الصديد [6].

---

١ نسخة سزكين التصريف – القسم الثاني ص ٥٥٣-٥٥٤

٢ نسخة سزكين التصريف – القسم الثاني ص ٥٦٣

٣ نسخة سزكين التصريف – القسم الثاني ص ٥٦٣

٤ د. محمد الحاج قاسم، جراحة الاطفال عند العرب والمسلمين، أبحاث المؤتمر العالمي الثاني عن الطب الإسلامي، الكويت، ١٩٨٢ ص٢٢٩

٥ Scrofula Tuberculous Lymphandenitis

٦ المرجع السابق ص٣٩٤

أبو بكر محمد بن عبد الملك القيسي الأندلسي
ابنُ طفيْل

يعد أبو بكر محمد بن عبد الملك القيسي الأندلسي (توفي ٥٨١هـ/١١٨٥م) من أشهر الأطباء الذين نشأوا في الأندلس وتوفي في مراكش، بعد أن رأس سلك الأطباء المرافقين لركب الخليفة.

وترك ابن طفيل موسوعة طبية كتبها شعراً في أكثر من ٧٧٦٥ بيتاً من الرجز، وهو من بحور الشعر العربي السهلة الوزن للحفظ، وغالبا ما عمد كثير من الأطباء كابن سينا وغيره إلى نظم الطب على هذا البحر تسهيلاً للطلبة وغيرهم في الحفظ.

وتوجد من موسوعة ابن طفيل نسخة مخطوطة واحدة في مدينة فاس بالمغرب، وصلت إلى السلطان أحمد المنصور الذهبي الذي حبسها على خزانة جامعة القرويين بفاس عام ١٠١٠ هـ/ ١٦٠١ م).

وتحتوي الأرجوزة على سبع مقالات ابتدأها على عادة الأطباء الذين سبقوه بأمراض الرأس وختمها بأمراض القدم، حيث يقول :

يكون بالرأس ابتداء الذكر ثمتْ بالرِّجل انتهاء الأمر!

وقد تناول ابن طفيل في أرجوزته الأمراض العصبية والنفسية[١] في المقالتين الأولى والثانية. وفي المقالة الأولى عالج ابتداء من الباب الحادي عشر عدداً من المواضيع التي تتناول الأمراض العصبية والنفسية معاً لتداخلهما واتصال بعضها الآخر، فقد تحدث عن الصداع، والسرسام الحار، والسرسام البارد، والسبات، والأرق، والدوار، والمالينخوليا، والفالج، واللقوة، والتشنج، والاختلاج، والخدر، وقد عالج هذه الأمراض في ٧٢٨ بيتاً يتجاوز مجموع كلماتها سبعة آلاف كلمة.

إن قراءة متأنية لهذه الأشعار ومقارنتها بأرجوزة ابن سينا، تبين أن ابن طفيل قدَّم معلومات تتسم بالطموح إلى التطور والرغبة في تقديم خدمات أكثر فعالية للمريض الذي يشكو من هذه الأمراض.

---

١ Neuro - psychiatry

وفي حديثه عن الصداع يقول ابن طفيل راجزاً:

كل صداع عارض في الرأس		من أحد الأخلاط ذات البأس
أو ورم من أحــد الأخـــلاط		أو من رياح صعبة الإفراط
وقد يــكون ذاك عن بُحْــرَان		من شدة الحُمَّى على الإنسان
أو من أدنـــى برود الهــــواء		أو ضربة في الرأس بالسواء
وقد يكون عارضاً من خارج		يعرض من لهيب حر هايج
أو سقطة أو حمل شيء جاف		جنى عليه الضر بالإسراف
أو لاشــتمام المسك والبخور		أو من شارب زائد كثيـــر

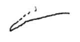
الى آخر هذا الباب الطويل الذي يعــرض فيــه لأيــارج (أقــراص) الحكــيم جالينوس، كما يعرض فيه الفصد كعلاج لبعض الحالات.

وما زالت بعض التعابير الطبية القديمة موجودة على ألسنة العامة في المغرب، ومنها مرض السرسام، الذي يدعون به – محرفا – على من يكرهونه بقولهم : "الله يعطيه شرشام"، الأمر الذي يبين تتبع الطبقات الشعبية لما كان يروج حولها من مصطلحات طبية.

ويمكن جمع عشرات بل ومئات الأمثال والأقوال الشعبية في مختلف الأقطار العربية التي تتحدث عن الطب بمفاهيمه التراثية.

قصيدة الصداع لابن طفيل

من مكتبة كلية القرويين



أبو الفرج بن موفق الدين يعقوب بن اسحق
ابن القف الكركي

انتهت رئاسة الطب في أواخر عصر الايوبيين وصدر حكم المماليك في سورية ومصر والجزيرة العربية بعدد وافر من مشاهير الأطباء ومن أشهرهم أبو الفرج بن موفق الدين يعقوب بن اسحق بن القف الكركي (٦٣٠ - ٦٨٥هـ / ١٢٣٣ - ١٢٨٦م).

وقد ولد ابن القف في الكرك وعمل في قلعة عجلون عقداً من الزمن وأبدع في ممارسة المهنة والتعليم في دمشق.

وكان من أهم مآثره كتاب "عمدة الإصلاح في عمل الجراح" - أو العمدة في صناعة الجراحة - وكتاب "جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض"[١].

وكان والده موفق الدين صديقاً لابن أبي أصيبعة، فسأله الوالد أن يعلم ولده ابن القف الطب، فلازمه حتى حفظ الكتب الأولية والمتداول حفظها في صناعة الطب.

وبعد أن اشتد ساعده مارس الطب في دمشق، ثم انتقل إلى قلعة عجلون أيام السلطان الظاهر بيبرس.

وفي مدة خدمته في قلعة عجلون صنف ابن القف الكركي كتاب "الشافي في الطب" ويعتبر أول كتاب طبي ينشر في الأردن آنذاك [٢].

العمدة في صناعة الجراحة

يعد ابن القف الكركي أعظم جراحي العرب بعد الزهراوي (٣٢٨ - ٤٠٤هـ / ٩٣٩ - ١٠١٣م) وقد قام بخدمة العساكر في قلعة عجلون بعد تحريرها حوالي١٢٦٢م، ومكث هناك طبيباً جراحاً لعقد من الزمن [٣].

وبعد أن عاد ابن القف إلى دمشق ثانية أواخر عام ١٢٧٢م ليتسلم البيمارستان في قلعتها قام بتصنيف كتابه العُمدة في صناعة الجراحة" ليستفيد منه الجرائحيون (الجراحون) وذلك أن الحكيم علم الدين بن أبي حليقة رئيس الأطباء بالديار المصرية والشامية وطبيب الملوك ورد مرة إلى دمشق فاستعرض الأطباء والكحالين والجرائحية فلم يجد أجهل من الجرائحية، وما وجدهم يحفظون من كتاب الشافي في الطب شيئاً (ألف هذا الكتاب ابن القف في عجلون عام ٦٧٠هـ / ١٢٧٢م) بل يتقلدون الأعمال بالحديد أو العمل باليد، ومن غير نقل عن أي كتاب أو مرجع.

---

١ أنظر "جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض" لابن القف الكركي، تحقيق د. سامي حمارنه، منشورات الجامعة الأردنية- عمان ١٩٨٩)

٢ د. سامي حمارنه، محاضرة ضمن الموسم الثقافي للعام الدراسي ١٩٨٥/١٩٨٦ بجامعة اليرموك، ١٩٨٨ ص ٧٣

٣ العمدة في صناعة الجراحة تصنيف ابن القف الكركي ج١، تحقيق وتقييم د. سامي حمارنه، منشورات الجامعة الأردنية ١٩٩٤

وقد رجا أحد منهم سائلاً ابن القف أن يصنف لهم كتاباً في الجراحة، يشتمل على العمل منه والعلم، فوضع لهم هذا الكتاب وألزم الحكيم علم الدين الجرائحية بحفظه وإجادة العمل فيه [1].

وفي تشريح الفقرات يقول إن الفقرات تبتدىء من مؤخَّر الرأس وتنتهي إلى العصعص (Coccyx) ويسمى هذا جميعه الصلب، وعدد فقراته ثلاثون فقرة وتنقسم إلى خمسة اقسام :

- العنق وفقراته سبع
- الظهر وفقراته إثنتا عشرة فقرة
- الحقو أو القطن وفقراته خمس
- العجز وفقراته ثلاثة
- العصعص وفقراته ثلاث

وهي جميعها متقوبة في وسطها ثقب بالطول ينحدر فيه النخاع وتنبت منه أعصاب من الجانبين. وفقرات العنق أوسع الفقرات جميعها، لانها مسلك لمبدأ النخاع الذي هو أغلظ باقي أجزائه [2].

وفي تشريح الأعصاب:

يقول ابن القف: الأعصاب بعضها نابت من الدماغ وبعضها من النخاع.

والأعصاب الدماغية (ومعظم محمولها هي القوى الحساسة) سبعة أزواج وإن كان بعض أطباء اليونان ظنوا أنها ثمانية وجعلوا الزائدتين الشبيهتين بحلمتي الثدي من جملة الأعصاب.

فالزوج الأول يأتي إلى العينين، الأيمن منه يتياسر قليلاً، والأيسر يتيامن قليلاً، ثم يلتقيان على نقطة داخل القحف، ثم يفترقان فيأتي الأيمن إلى العين اليمنى والأيسر إلى العين اليسرى [3].

والزوج الثاني منشؤه خلف الزوج الأول، وينبث في عضل العين ليعطيها الحركة.

والزوج الثالث هو المسمى عند الأطباء بالذواق، لأن منه منشأ عصب الذوق، ومنشؤه هو الحد المشترك بين مقدم الدماغ ومؤخَّره، فإذا خرج من ثقب القحف انقسم كل فرد منه إلى أربع شعب : أولها يدخل في منفذ العرق السباتي وينزل من الرقبة إلى الأعضاء التي في الصدر دون الحجاب ويتصل بشيء من الزوج السادس فينفذ ما يداخله من الحس اللمسي [4] Sensation Tactitle.

---

١ المرجع السابق ص ص٢٥ – ٢٦

٢ ص٦٤

٣ ص٨٥

٤ ص٨٦

وثانيها وهو أصلب من الأول يخرج من ثقب الصدغ وينبث فيه، وتخالطه شعبة من الزوج الخامس تفيده حس اللمس والحركة، وصارت هذه الشعبة أصلب من الأولى لأنها مكشوفة ولأنها تفيدها الحركة.

وثالثها يخرج من ثقب الزوج الثاني ويتصل معظمه بالعين ويتشعب الزوج الثالث في شعب، الأولى تأتي المأق الأصغر وهو الكائن عند الصدغ، ينبث في عضله فتفيده حس اللمس والحركة، والثانية تأتي المأق الأكبر (وهو اللحاظ)، (المأق أو الموق الاصغر والأكبر)

INNER AND OUTER CORNER OF THE EYE NASAL AND TEMPORAL OCULUS، واللحاظ (Canthus)، والجفون (Eyelids)، وغشاء الأنف المستبطن (Olfactory nerve of the nasal mucous membrane) وتتفرق فيه وفي الأنف إلى الغشاء المستطبن له، والثالثة تمر في الوجه وتنقسم إلى قسمين: أحدهما ينبث في الفم ويفيده حس اللمس، ويتصل بالأسنان والأضراس، وثانيهما يتوزع في الشفة العليا وطرف الأنف ويفيدهما حس اللمس والحركة (معا).

ورابعهما بانقسام شعب هذا الزوج ينحدر في اللحى الأعلى ويتفرق أكثرها في طبقة اللسان، ويوصل إليه حس الذوق، وبقيته يتفرق في أصول الأسنان التي في اللحىالأسفل وفي الشفة السفلى، وحسه اللمسي يأتي اليه مع القوة الذائقة، وصار عصب الذوق من هذا الزوج وإن كان يجب أن يكون من عصب أصلب من عصب السمع، لأن محسوسه أغلظ من محسوس عصب السمع، نقول، وذلك لأن عصب الذوق مستور فاستغنى عن الصلابة، وعصب السمع مكشوف فاحتاج إلى فضل (زيادة) في الصلابة.

والزوج الرابع منشؤه خلف الثالث، وهو أصلب منه ويخالطه في خروجه ثم ينبثُّ جميعه في الحنك، فيعطيه الحس والحركة، وصار هذا الزوج أصلب من الذي قبله، لأنه متصل بعضو هو الحنك ولأنه يعطيه القوة المحركة. وقد علمت أن آلة قوة الحركة يجب أن تكون أصلب، ولأنه يلاقي أنواع الطعوم الحارة والباردة والصلبة والخشنة وغير ذلك، فاحتاج إلى فضل (زيادة) في الصلابة، ولما كان هذا حالة انبثَّ في مكان يليق به.

والزوج الخامس منشؤه خلف الرابع من جانبي الدماغ، وكل فرد منه ينقسم في العظم الذي هو مسلكه قبل خروجه منه في قسمين: أحدهما عظيم والآخر صغير، ولذلك ظن أن كل فرد منه زوج، فيأتي العظيم من كل قسم إلى الصماخ الذي من جهته فيتفرق فيه ويعطيه حس السمع[1].

وأما (القسم) الصغير فإنه يخرج من العظم الحجري في ثقب مُلولب يسمى الأعور أو الأعمى وسمي بهذا الاسم؛ لأن أحد أطباء اليونانيين أدخل فيه شعرة خنزير فلم يكمل دخولها (أو مرورها) فيه، ثم أدخل فيه شعرة ليف، فلم يكمل دخولها فيه لكثرة عطفاته والتوائه فظن أنه أعور – أي أنه غير نافذ- فاشتهر

---

[1] ص٨٧

عنه هذا اللقب بين الجمهور حتى سموه بهذا الاسم وصار مسلكه كذلك. ثم إنـــه احتاج أن يكون قوامه صلباً لكونه متصلاً بأعضاء صلبة احتـــاج إذاً أن يكـــون مسلكه صلباً ومعوجاً.

أما الصلابة فليستفيد منه صلابة وأما التعريج فلكي يبعد عن مبدئه، فإن هذا يقوم مقام بعد المسافة، والعصب متى بعد عن مبدئه صلب قوامه، فإذا برز انبثّ في الخد في عضل الصدغين ليعطيهما الحس والحركة الإرادية أيضاً.

(الصماخ: هو القناة السمعية الخارجية Meatus or auditory canal والعظـــم الحجري Petrosal وهو جزء من العظم الصدغي Temporal .

وأما الزوج السادس فإنه ينبت من مؤخَّر الدماغ حيث طرفا الـــدرز اللامـــي – وقوامه أصلب من قوام ما قبله من أعصاب الدماغ، ثم أن كل فرد منـــه قبـــل خروجه ينقسم إلى ثلاثة اجزاء وتخرج جميعها في ثقب واحد تحوي عليها الأم الجافية.

(الـــدرز اللامـــي: Lamboid suture، الأم الجافيـــة Dura mater or pachymeninx).

ثم (هذه) إذا برزت من القحف تشعبت ثلاثة شعب:

أحدها ينبثّ في عضل الحلق وفي أصل اللسان ليعين الـــزوج الســـابع علـــى تحريكه.

وثانيها وهو أكبر من الأول ينبثُّ في العضلة العريضة التي على الكتف، وذلـــك لتقوى على تحريك العضو المذكور.

وثالثها وهو أعظمها جميعا ينحدر إلى الأحشاء في مصـــعد العـــرق الســـباتي ويندرج عليه غشاء خلق له، وينحدر في الرقبة ملاصقا للشريان السباتي، ثـــم ينحدر إلى أسفل مجاوراً للمريء ثم يجاور الحنجرة ويتفرع منه شعب آخر يأتي عضلها الراجع إليه، (وبعدها) ينحدر إلى الصدر وعند انحداره تتشعب منه شعبة أخرى تصعد إلى فوق، وتتصل بعضل الحنجرة المنجذبـــة (والمنحـــدرة) إلـــى أسفل – ولهذا سمي الزوج الراجع.

وذكر جالينوس في رابعة عشر (كتاب) عمل التشريح، أنه هو أول من عـــرف هذه الشعبة وسماها بهذا الاسم، ثم ما بقي من ذلك إذا مر بالرئة وتشـــعب منـــه شيء فيها، ثم في القلب عند مروره به، ثم أنه (بعدها) يخترق الحجاب وينحـــدر إلى أسفل، فإذا حاذى فم المعدة انبثّ معظمه فيه، وأعطاه الاحساس به مما يكون سبب الشعور بعوز الغذاء، ثم إن باقيه يتفرق في الأحشاء مخالطاً الزوج الثالث، وينتهي في تشعبه إلى العظم العريض – الذي في أقصى الصلب [1].

وأما الزوج السابع فمنشؤه في مؤخَّر الدماغ، وهو الموضع الذي إليـــه انتهـــاء الدماغ وابتداء النخاع، فإذا خرج كل فرد من القحف انقسم إلى (عدة) أقســـام، أجلها وأعظمها ينبثُّ في جوهر اللسان تعطيه الحركة، بخلاف العصب الـــذوّاق فإنه يتشعب في ظاهر، وذلك لأن المذوقات تلاقي ظاهره لا باطنه.

---

١ ص٨٨

وأما هو بكليته فإنه يحتاج إلى الحركة وباقي أقسامه تأتي إلى عضل الترسي والعضلتين السفليتين من أضلاع العظم الشبيه باللام، يخالطه شيء من شعب الزوج الثالث والرابع – فهذا بما يتعلق بالعصب الدماغي.
(العضل الترسي .The scutiform m والعظم اللامي Os hydoideum والعصب الدماغي Encephalic Nerve)
أما (العصب) النخاعي النابت من فقرات الرقبة، فإنه يكون فيه ثمانية أزواج: الأول الخارج من الفقرة الأولى، وذلك من ثقب موجودة فيه، والثاني من الفقرة الثانية، والثالث من ثقب بين الثانية والثالثة، والرابع بين الثالثة والرابعة والخامس بين الرابعة والخامسة، والسادس بين الخامسة والسادسة، والسابع بين السادسة والسابعة والثامن بين السابعة والأولى من فقرات الصدر– فهذه كيفية خروج الأزواج الثمانية من فقار الرقبة.
أما الزوج الأول فهو دقيق صغير، أما دقته فلأجل ضيق الفقرة الأولى، وذلك لصغر جرمها، وأما صغره فلأن الاعضاء القريبة منه تأتيها أعصاب من الدماغ لقربها منه، فإذا خرج هذا (الزوج) انبثَّ في العضل المحرك لمفصل الرأس الملتئم من عظمة الصدر وعظمة الفقرة الأولى، ويتصل بالزوج الثاني من أعصاب الرقبة.
والزوج الثاني أغلظ من الأول لسعة ثقبه الخارج منه، فإن جرم الفقرة الثانية أعظم من جرم الأولى، ثم إذا خرج الفرد الأول من هذا الزوج صعد إلى أعلى القفا على وَرْب، ثم انعطف إلى قُدّام، وانبثَّ بعضه حول الأذن ومن القفا، ثم يصعد إلى أن ينتهي إلى الهامة، ويعطي ما هناك من الأغشية والجلد من الجانبين قوة الحركة والحس اللمسي. والثاني من هذا الزوج ينبثُّ في العضلة التي خلف العنق وفي العضلة العريضة التي على الكتف، فيفيدها الحس والحركة[1].
والزوج الثالث أعظم من الزوج الثاني لسعة الثقب وذلك لكبر الفقرة، وعند خروجه من ثقبه ينقسم كل فرد منه إلى قسمين: أحدهما (يصير ويتشعب) إلى خلف، ينبثُّ في العضل الذي هناك لا سيما في العضلة المجانبة للرأس والرقبة، ويتفرق في ذلك إلى أجزاء شبيهة بنسج العنكبوت ثم يصير إلى النخاع الشوكي في العمود الفقري، ثم إلى الجلد الكائن عند أصل الأذن، وفي العضلة المحدقة (أو المحيطة) بها. ويصير منه شعب عنكبوتية (تتوجه) إلى عضلة الصدغ، والقسم الآخر يتوجه إلى قدَّام ويختلط بالزوج الثاني والرابع ويتفرق منه شعب في العضل المحرك للرأس والرقبة إلى قدَّام، وتنبثق منه شعب أيضاً إلى الأذن تعطيها الحس والحركة.
والزوج الرابع ينقسم كل فرد منه إلى جزءين: مقدَّم ومؤخَّر، فالمقدَّم رقيق شبيه بنسج العنكبوت يميل إلى أسفل ويأتي الحجاب والغشاء الذي يقسم الصدر إلى نصفين، وينبث في جرمه، وأما المؤخَّر فينعطف إلى خلف ويغور في العمق، حتى يصل إلى فقرات العنق التي هناك. وتتشعب منه شعب تتصل بالعضل المشترك بين الرأس والرقبة من قدَّام وخلف. ثم تميل إلى قدَّام وإلى عضلات

[1] ص٨٩

الخد والاذنين وتنبثق من هذه الشعب شعبة إلى عضل الترقوة وإلـى الموضـع المشرف من الكتف.
والزوج الخامس ينقسم كل فرد منه إلى قسمين: أحدهما صغير والآخر كبيـر، فالصغير يأتي قدّام البدن، وينبث في عضل الخدين وفي العضل الـذي يحـرك الرأس والرقبة إلى قدّام، والكبير ينقسم (بدوره) إلى قسمين؛ القسم (الأول منـه) يصعد إلى أعلى الكتف وينقسم في العضل الذي هناك، ويخالطه شيء من شعب الزوجين السادس والسابع، والقسم الآخر ينحدر إلـى الغشـاء القاسـم للصـدر بنصفين، ويخالطه في ذلك شيء من الازواج: الرابع والسادس والسابع.
أما الزوج السادس، فهو أغلظ الأزواج الخمسة السابقة، لسـعة الثقـب وكثـرة الأعضاء التي تتفرق فيه، وعند خروجه يأتي كل فرد منه شيء إلـى الحجـاب ينبث فيه والباقي من كل فرد ينقسم إلى ثلاثة اقسام:
القسم العلوي منه يصير إلى عنق الكتف.
والأوسط (يصير) إلى الموضع الغائر من الكتف، وينقسم في الأكثر إلى ثلاثـة اقسام:
اثنان منهما (متجهان) إلى المفصل الموضوع في وسط الكتف، والثالث يصـير إلى الموضع الأسفل وتتفرق منه شعب تنبث في العضل الحافظ للكتف، وما بقي منه يصير إلى الجلد – وينقسم في المواضع الخارجة هناك[1].
والقسم الثالث السفلي وهو أخفضها يأخذ شعبة منه إلى الحجاب والباقي ينبث في الاعضاء التي هناك.
وأما الزوج السابع فهو أغلظ من السادس حسب معرفتي وعند خروجه ينقسم كل فرد منه إلى قسمين : فالأرفع منهما يخالط الزوج الثالث، والمـنخفض (منهمـا يخالط) السادس بعد أن ينشق إلى نصفين، ثم يصير من هـذا المجمـوع شـعبة صغيرتمن هناك إلى العضل القريب، وشعبة كبيرة وهي باقية تأتي إلى العضـد تنبث في جميع عضلاته والقسم الثاني المنخفض فإنه ينقسم إلى عصبتين: العليـا منهما أعظم من السفلى، ومع ذلك فكلاهما تصيران إلى العضد، وتتشعب منهما إلى الابط وإلى مفصل الكتف.
وأما الزوج الثامن فإن فردَيْه عند خروجهما يتصلان بالزوج التاسع ثم يفترقان ثم ينقسم كل فرد منهما إلى قسمين: يتصل كل واحد منهما بشعبة من الزوج السابع، وهما الخاليان من اختلاط شعبة السادس، ويتشعب بعد ذلك إلى شعب صغيرة لا يدركها الحس، يأتي بعضها إلى المواضع المرتفعة من الكتف، وبعضـها إلـى المواضع الغائرة والبعض إلى معظم لحم الكتف، والبعض على عضـل اليـد، وتتشعب أيضاً منه اجزاء في عضلات الأضلاع والقص.
أما النابت من فقرات الصدر فاثنا عشر زوجاً: الأول يخرج من ثقب مشترك بين الفقرة الأولى والثانية من فقرات الصدر، والثاني بين الثانية والثالثة، والثالث بين الثالثة والرابعة، والرابع بين الرابعة والخامسـة، والخـامس بـين الخامسـة والسادسة، والسادس بين السادسة والسابعة، والسابع بـين السـابعة والثامنـة،

---

[1] ص٩٠

والثامن بين الثامنة والتاسعة والتاسع بين التاسعة والعاشرة، والعاشر بين العاشرة والحادية عشر، والحادي عشر بين الحادية عشر والثانية عشر، والثاني عشر من الثانية عشر فقط، فهذا وجه خروج الاثني عشر زوجاً من اثنتي عشرة فقرة.
وهذا الازدواج يعمُّها كلها؛ إذ إن كل زوج يخرج منه جزء يذهب إلى خلف، وهذا يتصل بعضل الصلب والعضلات التي منشأها عند عظم الصلب – وأما الذي يخص كل زوج منه (فيكون هكذا):
إن الزوج الأول عند خروجه يمر بين الضلع الأول من أضلاع الصدر وينبث بعضه في العضل الذي فيما بين الاضلاع، وبعضه في عضل الصلب، وبعضه يمتد إلى الاضلاع الأولى من أضلاع الصدر، ويصير إلى الكتف معطياً الحس والحركة ما يقرب منها، ثم يمر إلى العضد ويتوزَّع في عضله، ثم ينحدر إلى الساعد وينبثّ في عضله أيضاً، ثم إلى الاصابع وينبث في عضله، ولذلك صارت اليد تتألم في حالة ذات الجنب[1].
(والزوج) الثاني ينبث معظمه في عضل الصلب، ثم يمر إلى الإبطين ويتفرع في العضلات التي هناك وكذلك الثالث.
وأما الرابع والخامس والسادس والسابع، فكلها تنضم وتمر إلى الابط في الجهتين وتنتسج في العضل الموضوع هناك، ثم تصعد إلى مفصل الكتف ثم إلى العضلة العريضة التي هناك، ثم تنبث أطرافه (وتتشعب) في الجلد الكائن هناك فتفيده الحس والحركة، والبعض الآخر ينبث في العضلات الكائنة بين الأضلاع، وأما باقي أزواج العصب فإنها تنقسم كانقسام الأزواج الأولى وتنبث فيما انبثّ فيه.
واما النابت من القطن فهو خمسة أزواج: بعضها يدخل إلى الباطن وينبث في عضل الصلب، والبعض (الآخر) يخرج وينبث في عضل المتن(الظهر) وفي عضل البطن، وما يخص بالأزواج الثلاثة العليا (السادسة والسابعة والثامنة فإنها هي) التي يخالط فروعها شيء من عصب الدماغ(وأهمها ما) يختص بالزوج السادس والزوجان الباقيان فإنهما يتشعبان معا في شعب تتجه إلى الرجلين ويُضاف إلى ذلك شعبتان صغيرتان من شعب الزوج الثالث. غير أن هاتين الشعبتين لا تتجاوزان مفصل الورك بل تتفرقان في العضل الذي فيه.
أما شُعَب عصب البطن فإنها تنتهي إلى القدم، وأما النابت من العجز فثلاثة أزواج: الأول ينبثُ في عضل القطن ويعطيه الحس والحركة، والباقي (الثاني والثالث منهما) يتفرقان في عضل المقعدة وكذلك في عضل الإحليل والأنثيين والمثانة والرحم، وفي الأجزاء الإنسية من عظم العانة، وفي العضل الناشيء منه، وأخيراً ينبثّ منه في عضل الجلد الذي هناك.
وأما العصعص فإن منه ثلاثة أزواج تنبث في الأعضاء التي حوله وتعطيه الحس والحركة، كما ينبثُ من أجزاء النخاع فرد من العصب ينبث في عضل الدبر والقضيب وغير ذلك من الأعضاء المجاورة له، فيظهر مما ذكرنا أن الأعصاب النابتة من النخاع هي واحد وثلاثون زوجاً وفرد لا أخ له [2].

١ ص٩١
٢ ص٩٢

وحول تفرق الاتصال إذا وقع في العصب ينصح ابن القف بزيادة الاهتمام بـــه لئلا يقع صاحبه في تشنج، ثم في اختلاط ذهن لوصول الآفة إلى الـــدماغ مـــن الأعصاب، غير أنه إذا وقع التفرق طولاً كان أقل خطراً ممـــا إذا وقـــع ذلـــك عرضاً.
ويحذّر ابن القف من إصابة العصب (المتهتك) بالبرد، وذلك لأنه يؤذي العصب ويشنّجه ويدعو إلى الاجتهاد في تسكين الألم ولو باستعمال المخدرات [١].

وفي تشريح الدماغ:

يقول ابن القف: إن جوهر الدماغ هو جرم أبيض اللون رطب القـــوام والمـــزاج وهو ينقسم طولياً إلى قسمين، وفي عرضه ثلاثة اقسام تسمى بطـــون، والمقـــدَّم الأمامي منها ألْيَن من الأوسط وهو (بدوره) ألْيَن من المؤخَّر، ويتصغر تصغراً متدرجاً إلى النخاع.
وينبت من المقدَّم مما يلي الجبهة زائدتان، من كل نصف زائدة، شبيهتان بحلمَتَيْ الثدي بهما يكون الإحساس بالأرائح على ما سنعرفه، وفي وسط الـــدماغ بـــين المقدَّم والمؤخَّر منفذ يسمى الدودة، وجوهره قريب من جـــوهر الغشـــاء ولـــه مفاصل بالعرض [٢].
أما سعته فعند البطن المقدَّم أوسع مما هو عند المؤخَّر، ويحيط بهذا المجرى من الجانبين لحم غددي يسمى الأليتين (الأليتان : من البنى الدماغية وتســـميتها مـــن باب التشبيه الشكلي بالأليتين ويسميان في عصرنا بالســـويقتين) (أو العنبتـــين) فعندما تنطبخ الروح في البطن المقدم ينفذ إلى المؤخَّر في المجرى المذكور.
وفي مثل هذه الصورة يتقلَّص المجرى ويزداد عرضه وتتباعد الأليتان، وعنـــد انتهاء البطن المقدم وقبل الوصول إلى الأوسط، مكان ينصب إليه الدم: ويسمى البِرْكَة، وفيه ينطبخ ومنه ينفذ في الدودة المذكورة، وعند نفوذه ينسد المجـــرى وتتمدد الدودة وتنطبق عليها الزائدتان المذكورتان، وفي جوهر الدماغ أجـــزاء حمر مستديرة الشكل: تسمى التزريد (convolutions) إلا الزائدتين الشبيهتين بالأليتين فإنهما خاليتان من التزريد [٣].
ويحيط بالدماغ غشاءان يسميان (أميّ) الدماغ: أحدهما رقيق القوام يلي الـــدماغ ويســـمى المشـــيمي (arachnoid membrane = like a spider web) والأمُّ الرقيقة (the pia mater) وهو غشاء ينسج فيه أوردة وشرايين ويداخل الدماغ في نهاية البطن الأوسط.

---

١ العمدة في صناعة الجراحة ص٩٣٣

٢ الدماغ brain or encephalon حسب رأي الكركي من نصفين وثلاثة بطون وهي ما يقرره التشريح الحديث: المقدَّم prosencephalon والمتوسط من الدماغ mesencephalon وفي القسم الوسطاني منفذ الدودة Vermis cerebelli في المخيخ cerebellum النصفين الإثنين (نصف الكرة المنحية) cerebral hemispheres في الجهاز العصبي المركزي من القحف cranium المحقق

٣ ص١٤٤

وثانيهما غليظ القوام يلي القحف (cranium) ويسمى الأمُّ الجافية (the dura mater) وتنشأ من هذا الغشاء زوائد تصعد إلى القحف وتنفذ من الشؤون (sutures of the skull) وتخرج إلى خارج القحف، ويتولَّد منها غشاء آخر فوق القحف وتحت الجلد، يسمى السِّمحاق (periosteum) أو غشاء العظم (the bones around) وتنشأ الأمّان: الأمّ الجافية والأمّ الرقيقة من أطراف عظام القحف المسماة بالإبرية [1].

وللدماغ فضول (فضلات) تتولد مما يتصاعد إليه من أبخرة البدن، وما يفضل من غذائه ويحتاج إلى دفعها واخراجها فما لطف منها، يتحلل بالتحلل الخفي ويخرج من الشؤون، وما غلظ هيىء في أسفله منافذ تخرج منها. ففضلة ما يتولد في البطن المقدم، ينحدر إلى المنخرين في ثقب ملولبة (كاللولب) في الأمّ الجافية، ثم في المصفاة في ثقب (ملولبة) أيضاً، ثم ينحدر إلى المنخرين يحميه الهواء الخارج [2].

وأما فضول البطن الأوسط والمؤخَّر فإنها تخرج من أعلى الحنك في مجريين ينحدران على تأريب (مَيْل) إلى الفم، يتصل أحدهما بالآخر، ويجتمعان إلى مجرى مستدير مُجَوَّف عميق ولا يزال يضيق، إلى أعلى الحنك، وهذا المجرى أعلاه يسمى الابزن[3] ، وأسفله يسمى القمع[4] وجوهره غشائي ويحيط به التحامية في مروره غدة موضوعة تحته شبيهة بأكره مفرطحة وهي التي تملأ الخلل الكائن بين أقسام الطبقة الشبكية ثم يمر بالعظم والشبيه بالمصفاة في أعلى الحنك - فهذه هيئة الدماغ [5].

وأما فائدته فمعلومة: وهو إفادة ما عداه الحس والحركة- وليس بيان هذا إلى الجرائحي، وأما وضعه في أعلى البنية، فليكون للعين مطلع على المؤذيات فتهرب منها، وعلى النافعات فتقرب إليه، وصار لونه يميل إلى البياض، لأنه بهذا يصلح أن يكون مبدأ للافعال الصادرة عنه، وصار قوامه رطباً وكذلك مزاجه وذلك ليسهل انطباع ما ينطبع فيه من المعاني، وتشكيل ما يتشكل فيه من

---

١ ١- أمُّ الدماغ الحنونة أو الناعمة pia mater وهي الأقرب إلى داخل الدماغ innermost بين الأغشية الثلاثة التي تغطي الدماغ والعمود الفقري والحاوية أعماق الشقوق والأتلام السحائية meninges والغشاء العنكبوتي المعروف في الإنجليزية arachnoid or cobweb وإذا أصيبت بالتهاب هنا سميت بالتهاب السحايا الرقيقه leptomeningitis .

٢- الأمُّ الجافية dura mater وهي الأقصى outermost والأكثف قواماً toughest والأكثر تليُّفاً من الأغشية الثلاثة (وأن الدماغ الأغشية السحائية) فحين يصير الالتهاب فيها يسمى بالتهاب السحايا الثخينة pachymeningitis وللشيمي هو الغشاء الوعائي الخلوي، chorioplacental فوفي بعض النسخ :"وينفذ منه الدودة المذكورة وعند نفوذه ينسد (أو يستد) المجرى"، أما لفظة الشؤون sutures أو درز والجمع دروز في القحف s-crani والدرز السهمي هو s-sagittalis والسمحاق هو غشاء العظم في البدن من الأصل الاغريقي periosteum وسمحاق القحف pericranium .

٢ المصفاة cribrum آلة لكل ما يصفي بالشراب وغيره sieve

٣ الحَوْض

٤ funnel

٥ ص١٤٥

المحسوسات لئلا يجف بكثرة الحركات، ولتنبت منه أعصاب لدنة، وقسم في طوله حتى يصير كل بطن منه بطنين وذلك لما علم ما في التزويج من المنفعة. وصار مقسوماً في عرضه إلى الاقسام المذكورة لأنه مبدأ لقوى متعددة فاحتيج إلى بطون متعددة أيضاً ليصلح كل بطن منها ما لا يصلح له الآخر وصار ألينها، البطن المقدم ليصلح ان تنبت منه أعصاب لدنة لينة، وذلك ليسهل إدراكها وصار أصلبها المؤخَّر ليصلح ان تنبت من أعصاب صالحة للحركة.

وأما الفائدة من الزائدة الشبيهة بحلمتَيْ الثدي فسنعرفه، وأما الدودة فالفائدة منها أن تكون منفذاً ومجرى لما شأنه أن ينفذ من المقدَّم إلى المؤخَّر، وصار جوهره قريباً من جوهر الغشاء، ليقبل التمديد عند الاتساع والانغلاق، وخلقت مفاصلها عرضاً ليتم لها ذلك، لانها متى كانت طولاً أو وارباً لم يتم لها ذلك، وصار طرفها عند المقدَّم أوسع، لأن الدم هناك كثير غليظ فاحتاج هذا الطرف إلى السعة لئلا ينسد، وجعل يحيط به الأليتان وذلك لتزاحمه لإحكام إطباقه.

وأما المَعْصَرَة فالفائدة منها أن يطبخ الدم فيها، وأما التزريد فليداخل جوهر الدماغ، الروح الحيواني ويجود طبخه، وصارت الأليتان خاليتين من التزريد ليستحكم انطباقهما وانغلاقهما، وصار يحيط بالدماغ غشاءان ليقياه وليمنعا وصول الآفات إليه ويحصرا فيه حرارته الغريزية، ويجمعا جوهره، وصار الرقيق يليه للين جوهره فلا يؤذيه لصلابة جوهره، والغليظ يلي القحف ليكون أيضاً واسطة بين الرقيق وجوهر العظم.

وينشأ من هذا الغشاء رباطات تتصل بالشؤون، وذلك ليرتفع عن جوهر الدماغ وصارت فضول الدماغ، اللطيفة تخرج من شؤون الدماغ لأنها بالطبع تطلب الأعالي فجعل خروجها من جهة ميلها ليكون ذلك أسهل وأرفق والغليظ من أسفل لذلك أيضاً.

وصار البطن المقدَّم مستقلاً في دفع فضوله أو فضلاته بمجرى واحد لأنه عظيم. وأشرك بين الأوسط والمؤخَّر في بطن، لأن أكثر فضول المؤخَّر يندفع من النخاع، وصار مجرى الفضلات مستقيماً ليكون انحدارها بالتدرج لئلا ينسد المجرى وسمي أعلى مجرى الأوسط والمؤخَّر أبزن لأنه يجمع الفضلات وأسفله قمع لمشابهته له [1].

وخلق جوهره غشائياً ليقبل التمديد عند الحاجة، والانضمام عند الاستغناء، وأما الغدة فالفائدة منها ان تدعم الشرايين المنتسجة وتحفظ أوضاعها وتملأ الخلل الكائن بينها.

في تشريح النخاع:

النخاع هو رسول الدماغ وخليفته ونسبته إليه كنسبة نهر عظيم جار من عين عظيمة، ونسبة الأعصاب النابتة منه كنسبة السواقي والجداول من النهر، وأما كيفية نباته فإن البطن المؤخَّر إذا انتهى إلى آخره، استدقَّ وانحدر في ثقب

---

١ ص١٤٦

الفقرات يحاط به، أمَّا الدماغ: الرقيقة والجافية ويحيط بهما غشاء صلب القوام ينبت من عظم القحف.

ويحيط بهذا الغشاء رطوبات كثيرة لزجة، ثم إنه عند انحداره كلما بعد عن الدماغ يدق، فإذا وصل إلى آخر الفقرات انتهى إلى غاية الدقة، وأما قوامه فهو دون الدماغ في اللين وأكبر من العصب وشابهه في اللون، وأما كيفية نبات الأعصاب منه فقد عرفته فهذه هيئة النخاع.

وأما فائدته فمعلومة؛ وهو أن أعضاء البدن على نوعين قريبة من الدماغ وبعيدة عنه، فالقريبة يأتيها حسها وحركتها من الدماغ، لأنه لم يخش من أعصابه آفة لقرب المسافة،والبعيدة يحتاج عصبها أن يقطع مسافة بعيدة وذلك ما يعرضها للآفات.

ولما كان الحال هكذا تلطّف الخالق تعالى ذكره وأرسل جزءا من الدماغ في فقرات الظهر ليعطي ما يجاوره من الأعضاء المذكورة حساً وحركة، وصار يحيط به، أمَّا الدماغ لتحفظا جوهره، وصار يحيط به غشاء ثالث صلب القوام وذلك أنه لما كان دائم الحركة مع الفقرات في الانثناء والانحناء والانتصاب كان معرضاً للآفات فاحتيط في أمره، وحفظ جوهره بإحاطة هذا الغشاء له – تبارك الصانع الحكيم – [1].

وصارت تحيط بهذا الغشاء رطوبات كثيرة لتليِّنه وترطِّبه لئلا يستولي عليه الجفاف بسبب دوام الحركة، لا سيما وهو مستعد لذلك بسبب صلابة قوامه، وصار يدق عند بعده من الدماغ لقلة الأعضاء المحتاجة إلى إفادة الحس والحركة، وصار ينتهي في آخره إلى غاية الدقة، ليصلح أن تنبت منه فرد من العصب، وصار قوامه من قوام الدماغ أعصاب الحركة، وصار شبيهاً بالدماغ في اللون وقريباً منه في قوامه، لأنه صالح أن يفيد غيره بعضاً مما يستفاد من الدماغ [2].

في تشريح آلة الشم:

قد عرفت أنه تنبت من مقدم الدماغ زائدتان شبيهتان بحلمتَيْ الثدي، فإذا برزت هاتان الزائدتان فارقتا لين الدماغ، ولم يلحقهما صلابة العصب، ولكل واحدة منهما أصل غليظ ثم يدق قليلاً قليلاً إلى آخره، ولكل منهما ثقب خفي عن الحس، وعلى ما ذكره جالينوس في تاسعة عمل التشريح، وموضعهما داخل

١ من المفيد أن نذكر أن الكركي أوضح هنا أموراً مهمة وإيجابية تتفق وعصرنا الحاضر فيما يختص بهذا التفاعل الأكيد بين النخاع والدماغ والأعضاء الأخرى في البدن، ليس القريبة منهما حسب وإنما البعيدة في المسافة أيضاً، بسبب الاتصال الذي يربط بينها ضمن الأعصاب وغيرها، كما هو معروف في التشريح العصري في حالتيّ الصحة كما في حصول الآفات المترتبة على ذلك وقت المرض، ثم أن التعبير "أرسل جزءا من الدماغ في فقرات الدماغ"معبر جداً وصحيح تشريحياً.
والألفاظ المتابعة :"الانثناء والانحناء والانتصاب وصف دقيق معبر عن فكرة التمايل والتردد والانعطاف حتى الاعوجاج والتعرج ثم القيام والارتفاع والنهوض واقفاً مستقيماً منتصباً – المحقق

٢ ص١٤٩

القحف، والرائحة تصل إليهما في ثقبَيْ الأنف المعروفتين بالمنخرين ويفرق بينهما الغضروف الداخل وقد عرفته.
فإذا انتهيا إلى وسط الأنف انقسما إلى قسمين: أحدهما يمر على تأريب إلى أقصى الفم، والآخر يصعد حتى ينتهي إلى العظم المشاشي، الشبيه بالمصفاة في ثُقب ملولبة. ثم ينتهي إلى الأم الجافية فالزائدتين اللتين يكون بهما إدراك الروائح،ولذلك صار متى حصل لهما آفة تغير إدراكهما ومتى حصل في مجرى الرائحة سدة تمنع وصول الرائحة اليهما، اختل عليها إدراك الروائح، وصار نباتهما من مقدَّم الدماغ لأنه أرطب فيكون أوفق للإدراك ولأن البطن المذكور[1] محل للقوة المدركة للآرائح ولغيرها من الحواس الخمس، وهي الحس المشترك، وصارتا اثنتين لما في التزويج من المنفعة، وصار أصلهما غليظاً ليستقرا في مكانهما، وخلق فيهما ثقب لتنفذ فيهما الرائحة إلى باطنها وصار وضعهما داخل القحف ليكونا في موضع حريز، وليبعدا عن قبول الآفات [2].
ويقول ابن القف "إن النخاع الذي يظن أنه واحد في ذاته هو مقسوم إلى قسمين، والدليل على ذلك اختصاص المادة الموجبة للفالج بأحد شِقَّيْ البدن دون الشِّقِّ الآخر، بحيث أنّ الأعصاب النابتة منه تعطي ما تنبت فيه الحس والحركة على ما ينبغي، ولما كان حال المحاذاة هذا الحال، روعيت في الجذب مع اختلاف الجهة [3].
وفي عملياته الجراحية من المؤكد أن ابن القف الكركي استعمل أدوية مخدرة كالبنج الذي يقول عنه أنه "يخدِّر وينوِّم شماً وضماداً على الجبين" وأنه إذا دق وخلط بعصارة الخس وطلي به الثدي الوارم ورماً حاراً نفع منه "إلا أنه يفسد العقل"[4].
ويقول عن الأفيون وهو عصارة الخشخاش الأسود المصري، وقيل لبنه أنه "يخدر الذهن وينوِّم ويسكّن الأوجاع طلاءً ويحبس الإسهال" [5].
وعن الأدوية النباتية يقول ابن القف عن البندق أنه "إذا دُقّ وسُعِط به مَنْ به اللقوَة بماء العسل، أبرأها في ثلاثة أيام، وينفع من الصرع والفالج والسدد والماليخوليا" [6].

جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض

ينصح ابن القف بالتقليل من الشراب مرة أو مرتين في الشهر مع الاعتدال، وليس إلى حد السُّكر بالإسراف فيه والتواتر، فإنه يفسد الذهن ويبلّد الحواس

---

١ ربما بطون الدماغ الثلاثة Prosen, Mesen, Rhombencphalon
٢ ص١٥٦
٣ العمدة في صناعة الجراحة ص٢٨٦
٤ ابن القف الكركي، العمدة في صناعة الجراحة، ص٣٧٠
٥ المرجع السابق ص٣٥٨
٦ ابن القف الكركي، العمدة في صناعة الجراحة ص٣٧٠

ويورِّث السكتة أو الصرع وأمراض الأعصاب والفالج والرعشة والتشنج الامتلائي والكزاز [١].

ويحذر في فصل خاص فيما يجب أن يراعى عند استعمال الشراب من الشرب على المعدة وهي خالية من الغذاء الذي يكسر حدَّة بخاره وسرعة صعوده إلى الدماغ ومخالطته إياه "والدماغ نفسه قابل فيلدغه ويؤذيه ويستحثه ثم يتأدى الأذى إلى الأعصاب لأنه أصلها".

ويبين متى يجب على الشارب التوقف عن الشراب وذلك إذا أخذ النعاس يغلب والغثيان يثور، وأفعال الدماغ تشوش؛ لأن ذلك يدل على امتلاء بطون الدماغ أبخرة وعلى طفو الطعام على فم المعدة مما يدل على امتلائها وعلى اضطراب القوى الدماغية بسبب كثرة الأبخرة المتصاعدة إليه[٢].

ويربط ابن القف بين بعض الأمراض ونفع ألبسة معينة للمصابين بها، ومنه الحرير ويقول عنه: أنه يزيل الهموم والغموم، ولذلك صار ينفع أصحاب الماليخوليا والقطرب والمراقية [٣] وغيرها من الأمراض السوداوية [٤].

ويفرد ابن القف فصلاً خاصاً في كتابه جامع الغرض بعنوان "في شراء العبيد" وكان شراء العبيد شائعاً عند أمم كثيرة وفي أوقات معينة، ولذلك قام عدد من الأطباء بالكتابة حول صحة العبد الجيد وما يهمنا هنا هو الدلالات الطبية التي يتحدث عنها ابن القف.

ويقول "إن كانت حركة العين جامدة ولون بياضها أكمد وحركة أجفانها ثقيلة بحيث أنه يكون في يقظته كأنه قد انتبه من نومه،.. فيدل على أن في دماغه مادة باردة فاسدة وربما أعقبها صرع أو غيره من الأمراض الرديئة.

ثم انظر إلى لسانه، فإن كان عظيماً غليظاً ثقيل الحركة في الكلام.. فدلالة هذه على امتلاء دماغه، واسترخاء أعصاب لسانه وضعفه.. وإن كان لسانه قصيراً يدل على أن بعض أعضائه قد حصل له تشنج وإن كان يتلجلج في الكلام ولم يكن ذلك عن صغر سنه وحيائه.. فهذا يدل على ضعف عضلات لسانه وأعصابه" [٥].

---

١ جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض، ابن القف، مرجع سابق ص٢٠٦

٢ المرجع السابق ص ص٢٠٥ و ٢٠٦

٣ القطرب: داء في الدماغ سببه حالة عدم استقرار المريض في مضجعه. المراقية: تعود إلى حالات وعلل سوداوية ترافقها التهابات وبثور وقد تكون مميتة.

٤ المرجع السابق ص ٤٤٢

٥ المرجع السابق ص ص٤٥١-٤٥٢

التعليم الطبي
عند العرب والمسلمين

حض الإسلام بشكل واضح على العلم، فكانت أول كلمة نزلت من الله على نبيه "إقرأ"، كما أن الحديث الشريف: "أطلب العلم ولو في الصين"[1] يختصر مكانة العلم في الدين الإسلامي.

كان أول معلم وأول تلميذ في الطب هو الأب الطبيب وإبنه الذي يوجهه أبوه ليرث الحرفة.

ويقول ابن خلدون: إن هذه الطريقة في تعليم الطب كانت سراً مغلقاً على بعض العوائل. وتعليم الصناعات بهذا التحفظ مألوف، وعمل به العرب كما عمل به كل الأقوام التي سبقتهم، حيث كان الطب عند اليونانيين -كما مر معنا- إلى أيام ابقراط حكراً على نسل اسقليبيوس إله الطب، وكانوا يعلمونه بإشارات ورموز لا يعرفها غيرهم حتى جاء ابقراط فأباح الطب[2].

وحتى الحكم الأموي كانت مدرسة الاسكندرية لا تزال تعمل بتدريس الفلسفة والطب، وكان من أطبائها يومئذ عبد الملك بن أبي الكناني، وهو عربي من نصارى الكوفة، أسلم على يد صديقه ومريضه الأمير عمر بن عبد العزيز الذي كان بصحبة ابيه الوالي على مصر. فلما أفضت الخلافة إلى عمر، نقل التدريس الى انطاكية وحران وتفرق في البلاد. وكان عمر بن عبد العزيز يستطب ابن ابجر ويعتمد عليه في صناعة الطب[3].

ويتعبر د. كمال السامرائي أن مدرسة انطاكية التي أسسها ابن ابجر، أول معهد لتعليم الطب في العصور الإسلامية[4].

ولعب "بيت الحكمة" في بغداد – ثم بيت الحكمة في الرقادة بتونس – دورا ضخما في نشر العلوم الطبية، فكان بيت الحكمة ببغداد مدرسة لتعليم الطب والترجمة.

ولم يقتصر التعليم على تلاميذ الطب، انما قام به أطباء مشهورون للاستزادة من علم غيرهم، فهذا أبو الحسن عيسى بن حكم الدمشقي (١٢٢ – ٢٢٧ هـ / ٧٣٩ – ٨٤١ م) يسافر إلى الهند ثلاث سنين لتعلم أصول الطب الهندي والتميز في ذلك. ذلك أن الخليفة هارون الرشيد أصيب بعلة صعبة لم يستطع الأطباء شفاءه منها وكان من بينهم الدمشقي نفسه ويوحنا بن ماسويه، فأرسل الخليفة إلى صاحب الهند الذي بدوره بعث له طبيباً، "إمغيث" وفي ثلاثة أيام تعافى من دائه ونال الشفاء، وبعد عودة ذلك الطبيب الذائع الصيت الى بلاده – أسلم هذا الطبيب في زيارته –

---

١ وكانت الصين آنذاك أبعد بلاد يمكن تصورها

٢ د. كمال السامرائي، تعليم الطب في العصور الإسلامية، المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢ ص.

٣١٤ وسيشار فيما بعد إلى هذا المرجع هكذا "د. سامرائي، تعليم الطب ..."

٣ ابن أبي أصيبعة، مرجع سابق. ج٢ ص ٢٤

٤ د. السامرائي، تعليم الطب..، مجع سابق

اصطحبه الدمشقي وأبو بكر الأصم[١].وكانت قصور الخلفاء العباسيين مكانا لحوارات العلماء والأطباء والفقهاء والشعراء، وكثيرا ما خرجت من هذه المجالس فكرة تأليف الكتب الطبية.

كما قام عدد من الأطباء بتأليف كتب طبية وأهدوها للخلفاء والأمراء، وقام هؤلاء باجزال العطايا للأطباء. فقد أهدى أبو بكر الدمشقي "الرسالة الكافية الياقوتية" إلى الخليفة هارون الرشيد، بل وعرفت "بالهارونية"..

كما ألف الرازي كتابة "المنصوري في الطب" للأمير منصور بن اسحق حاكم الري في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي.

كما كان الأطباء يؤلفون كتبا ويهدونها لأصدقائهم الأطباء ومن ذلك "النوادر الطبية أو الفصول الحكمية" ليوحنا بن ماسويه الذي أهداه لتلميذه سابقا وزميله وصديقه لاحقا حنين بن اسحق العبادي.

كما أهدى ابن ماسويه كتاب "حيلة البرء" لجالينوس الذي نقله من اليونانية إلى اللسان العربي إلى ابنه حنين[٢].

وألف بختشيوع "كتاب التذكرة" لابنه جبريل[٣].وكانت دراسة الطب غالبا ما تورث من الآباء للأبناء، وضمن عائلات معينة الا ما ندر، فحين أراد حنين بن اسحق العبادي (١٩٤-٢٦٠ هـ / ٨٠٩ - ٨٧٥م) تعلم الطب على يوحنا بن ماسويه، كان يوحنا يباعده من قبله ذلك أنه كان من أبناء الصيارفة من أهل الحيرة، وأهل جنديسابور خاصة ومتطببوها ينحرفون عن أهل الحيرة، ويكرهون أن يدخل في صناعتهم أبناء التجار[٤].

وكان الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ هـ / ٧٦٧ - ٨٢٠م) يقول : لا أعلم علما بعد الحلال والحرام أنبل من الطب، إلا أن أهل الكتاب قد غلبونا عليه ويقول إن المسلمين (في البدايات) "ضيعوا ثلث العلم ووكلوه الى اليهود والنصارى"[٥].

وجدير بالذكر أن بعض أعظم الأطباء العرب والمسلمين تعلموا الطب بأنفسهم من قراءة الكتب وعلى رأسهم ابن سينا الذي يقول : " ... ثم رغبت في علم الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه، وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة، فلا جرم أني برزت فيه في أقل مدة حتى بدأ فضلاء الطب يقرأون عليّ علم الطب، وتعهدت المرضى فانفتح علي من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف"[٦].

---

١ د. سامي حمارنة، الطبيب عيسى بن حكم الدمشقي ورسالته الهارونية، بلاد الشام في العصر العباسي، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان ١٩٩٢، ص ٥٤٥

٢ د. سامي حمارنة، الطبيب الرائد يحى بن ماسويه، مجلة مجمع اللغة العربية. دمشق تشرين الأول ١٩٩٤، ص ٧٥٤ و ٧٥٥

٣ ابن النديم، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران ١٩٧١ ص ٣٥٥

٤ ابن أبي أصيبعة ج ٢، ص ١٣٩

٥ الطب والأطباء بالمغرب، عبد العزيز بن عبد الله، المطبعة الاقتصادية- الرباط ١٩٦٠ ص٣

٦ ابن أبي أصيبعة ج ٣، ص ٤

وقال ابن رضوان المصري إنه تعلم الطب من الكتب لأن دراسته على المعلمين تكلفه أجورا لا طاقة له عليها.

وفي مصر بلغ ابن رضوان أعلى الرتب في العلوم الطبية، وكان أبوه فراناً ويقول عن نفسه "ذهبت في سفرة طويلة جدا - بعد أن بلغ العشر سنوات من عمره - من الجيزة للقاهرة - لاحظ كيف عد هذه السفرة طويلة جدا - فدخل القاهرة فما وجد مكتبة إلا دخلها، ورجى صاحبها أن يبقى عنده ساعات يتعلم فيها، فإذا وجد في وقته فضلة كان يساعد صاحبها في كتاباته ودراساته[1].

وكان أول من أمر بامتحان الصيادلة هو الخليفة المأمون، وبامتحان الأطباء الخليفة العباسي المقتدر بالله سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م، ومنه سائر المتطببين من التصرف إلا من امتحنه الطبيب سنان بن ثابت بن قرة.

وينقل ابن أبي أصيبعة عن ثابت بن سنان قوله:"ولما كان في سنة تسع عشرة وثلاثمائة (هـ) اتصل بالمقتدر أن غلطاً جرى على رجل من العامة من بعض المتطببين فمات الرجل، فأمر ابراهيم بن محمد بن بطحا بمنع سائر المتطببين من التصرف إلا من امتحنه سنان بن ثابت، وكتب له رقعة بخطه بما يُطلقله من الصناعة، فصاروا إلى والدي وامتحنهم وأطلق لكل واحد منهم ما يصلح أن يتصرف فيه. وبلغ عددهم في جانبي بغداد ثمانمائة رجل ونيفا وستين رجلاً سوى من استغنى عن مهنته باشتهاره بالتقدم في صناعته، وسوى من كان في خدمة السلطان[2].

وتدل الفقرة السابقة أنه تم منع من لم يتقدموا للإمتحان وينجحوا، من ممارسة المهنة، ويحملوا شهادة بالسماح لهم بممارسة الطب، حسب التخصص الذي يصلح أن يتصرف فيه كل واحد منهم.

واستثني من الفحص من اشتهر بالتقدم في صناعة الطب، والأطباء الذين كانوا في خدمة السلطان، ذلك أن السلاطين لم يكونوا يعينون أطباء عندهم إلا بعد فحصهم كما حصل مع الرازي الذي تم اختياره من بين خمسين طبيبا، ومن ذاعت شهرتهم. ومن ذلك أيضا ما حدث عندما سقى جبرائيل بن عبيد الله بن بختشيوع دواءً مسلاً لأمير ميافارقين، فقال الأمير للطبيب امتحاناً له: ما عمل (الدواء) معي شيئاً. فقال له جبرائيل: النبض يدل على نفاذ دوائي والأمير أصدق. فضحك الأمير[3].

ويعتقد أن كلمة صيدلاني هي اشتقاق من صندلاني، حيث كانت تغلت رائحة خشب الصندل على دكاكين العطارين فسمّوا الواحد منهم صندلاني، ومن هنا جاءت كلمة صيدلية[4].

---

١ أنظر د. سامي حمارنة، محاضرة بعنوان التثقيف الطبي في العصر الذهبي، نشرت ضمن كتاب للموسم الثقافي لعام ١٩٨٦/٨٥ الدراسي في جامعة اليرموك، منشورات جامعة اليرموك ١٩٨٨ ص ٦٦

٢ عيون الأنباء، مرجع سابق، ج ٢ ص ٢٠٤؛ القفطي ص ١٣٠

٣ القفطي ١٠٥

٤ د. محمد رجائي، صفحات من تاريخ الطب، الزهراء للإعلام لعربي، القاهرة ١٩٨٨ ص ٨٩)

وينقل ابن أبي أصيبعة أن أمين الدولة بن التلميذ (المتوفى سنة ٥٦٠ هـ) عندما فوض إليه الخليفة رئاسة الطب ببغداد، واجتمع إليه سائر الأطباء ليرى ما عند كل واحد منهم من هذه الصناعة، كان من جملة من حضر شيخ له هيئة ووقار وعنده سكينة، وكانت لذلك الشيخ طريقة ما بالمعالجة، ولم يكن عنده من علم صناعة الطب إلا التظاهر بها. فسأله أمين الدولة: ما السبب في كون الشيخ لم يشارك الجماعة فيما يبحثون فيه حتى نعلم ما عنده ؟ فماطل في الجواب .. ثم دنا من أمين الدولة، وقال له : يا سيدي إعلم أنني قد شخت، وأنا أوسم بهذه الصناعة، وما عندي إلا معرفة اصطلاحات في المداواة اتكسب بها، وعندي عائلة، فسألتك بالله لا تفضحني بين هؤلاء الجماعة. فقال أمين الدولة: على شريطة أن لا تهجم على مريض بما تعمله بفصد ولا بدواء مسهل إلا لما قرب من الأمراض، فقال الشيخ: هذا مذهبي منذ كنت، ما تعديت السكنجبين والجلاب[1].

وكان البيمارستان المركز الرئيسي لتدريس الطب.

وينقل ابن أبي أصيبعة عن أبي الفرج الكحال[2] وصفه لإحدى حلقات الدروس الطبية للطبيب أبي المجد بن أبي الحكم "أنه شاهده في البيمارستان (النوري بدمشق) يجلس في الإيوان الكبير وجميعه مؤثث، ويحضر كتب الإشتغال. وكان نور الدين (زنكي) قد وقف على هذا البيمارستان جملة كبيرة من الكتب الطبية، فكان جماعة من الأطباء والمشتغلين يأتون إليه، ويقعدون بين يديه، ثم تجري مباحث طبية ويقرئ التلاميذ، ولا يزال معهم في اشتغال ومباحثة، ونظر في الكتب مقدار ثلاث ساعات، ثم يركب إلى داره"[3].

وعلى هذا الأستاذ دَرَسَ كبير مؤرخي الطب الذين أنجبهم العالم العربي وهو الدمشقي موفق الدين أبو العباس أحمد بن أبي أصيبعة (١٢٠٣ – ١٢٧٧م) وكان طبيباً وابن طبيب عيون، صاحب كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء، وهو مجموع متقنة لسيرة أربعمائة طبيب من عرب ومسلمين ويونان، والذي يعد من أشهر كتب التاريخ الطبي عند العرب، ولا يدانيه في مكانته سوى كتاب "أخبار العلماء بأخبار الحكماء" لعلي بن يوسف القفطي(١١٧٢ – ١٢٤٨م) الذي ولد بصعيد مصر وقضى معظم حياته في حلب وتولى فيها الوزارة في عهد سلاطينها الأيوبيين[4].

ويصف ابن أبي أصيبعة ما يمكن تسميته بالتعليم السريري، الذي يقوم به الأطباء بحضور الطلبة عند فحص المريض، ومثال ذلك ما رآه نفسه من أستاذه مهذب الدين الدخوار، حيث يقول: "رأيته يوماً في قاعة المحمومين (بالميمارستان) وقد وقفنا عند مريض، وجست الأطباء نبضه فقالوا عنده ضعف، ليعطي مرقة الفرّوج للتقوية. فنظر إليه وقال إن كلامه ونظر عينيه يقتضي الضعف، ثم جس نبض يديه

١ ابن أبي أصيبعة، ج ٢، ص ٢٧٢

٢ طبيب عيون

٣ عيون الأنباء، ج ٣، ص ٢٥٧

٤ د. فيليب حتي، تاريخ العرب، المرجع السابق، ص ٧٧٩

وقال : جسوا نبض يده اليسرى فوجدناه قوياً. فقال: أنظروا نبض اليمنى وكيف هو قريب كوعه قد انفرق العرق الضارب شعبتين، فواحدة بقيت التي تجس والأخرى طلعت في أعلى الزند، وامتدت إلى ناحية الأصابع فوجدناه حقاً. ثم قال إن من الناس وهو نادر من يكون النبض فيه هكذا، ويشتبه على كثير من الأطباء ويعتقدون أن النبض ضعيف، وانما يكون جسهم لتلك الشعبة التي هي نصف العرق فيعتقدون أن النبض ضعيف[1].

كما كانت مجالس الأطباء وبيوتهم مكانا لتلقي دورس الطب (النظرية) حيث برز فيها أسلوب التعليم بالمساءلة والاستجواب والمناقشة بين الأطباء والأعيان، ومنهم "العالم الفاضل مهذب الدين أبو محمد عبد الرحيم بن حامد ويعرف بالدخوار".

وكان الشيخ مهذب الدين إذا تفرغ من البيمارستان وافتقد المرضى من أعيان الدولة وأكابرها وغيرهم يأتي إلى داره ثم يشرع في القراءة والدروس والمطالعة .. فإذا فرغ من ذلك أذن للجماعة فيدخلون إليه ويأتي قوم بعد قوم من الأطباء والمشتغلين، وكان يقرأ كل واحد منهم درسه، ويبحث معه فيه ويُفهمه إياه بقدر طاقته[2].

كما كان للحكيم شمس الدين بن اللبودي (ت ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م) مجلس للاشتغال عليه بصناعة الطب، وكذلك للحكيم موفق الدين السلمي (ت ٦٠٤ هـ/ ١٢٠٦ م) حيث كان له مجلس عام للمشتغلين عليه بالطب.

وكانت لمدارس العلم أوقاف للصرف عليها، وخصصت للطلبة أرزاق من الأوقاف فكان الطالب في المستنصرية مثلاً يُعطى ديناراً في الشهر بالإضافة إلى الورق والحبر والزيت (لإضاءة سراجه) والبسط والطعام الذي يجهز من مطبخ المدرسة"[3].

ووقف مهذب الدين بن علي الدخوار داره مدرسة يدرِّس فيها الطب وهي "بدمشق شرقي سوق المناخليين، وجعلها مدرسة يدرس فيها من بعده صناعة الطب، ووقف لها ضياعاً وعدة أماكن يستغل منها ما ينصرف في مصالحها وفي جامكية (راتب) المدرس وجامكية المشتغلين بها".

وقبل وفاته وصى الدخوار أن يكون المدرِّس فيها الحكيم شرف الدين علي بن الرحبي، الذي بدأ التدريس فيها سنة (٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م.) ثم خلفه في التدريس الحكيم بدر الدين المظفر إبن قاضي بعلبك (ت٦٧٠ هـ / ١٢٧١م.)، بناء على منشور من ملك دمشق الذي جعله أيضاً رئيساً على سائر الحكماء في صناعة الطب وذلك سنة (٦٣٧ هـ/١٢٣٩م إبن أبي أصيبعة، ج ٣، ص ٣٩٩).

ويؤكد علي بن العباسي (توفى ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م.) على أهمية متابعة الطبيب بقراءة كتب الطب "وأن لا يمل من ذلك ولا يضجر منه في كل يوم"[4].

---

١ عيون الأنباء، ج ٣ ص ٣٩٦

٢ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، مرجع سابق، جـ ٣ ص ٣٩٧

٣ د. محمود الحاج قاسم، مرجع سابق ص ٣٣٧

٤ كامل الصناعة الطبية ج ٢، ص ٨

أو ليس هذا هو جزء مما نعنيه اليوم بالتعليم الطبي المستمر! "كما ينبغي لطالب هذه الصناعة أن يكون ملازماً للبيمارستان ومواضع المرضى كثير المداولة لأمورهم وأحوالهم مع الأستاذين من الحذاق من الأطباء"[1].

ومن الأمثلة على ضرورة بذل الجهد في الدرس والتحصيل وتحمل المشقة في سبيل الكفاءة العلمية قول موفق الدين عبد اللطيف البغدادي (٥٥٧ - ٦٣٩ هـ): "ومن لم يعرق جبينه إلى أبواب العلماء لم يعرق في الفضيلة .. ومن لم يحتمل ألم التعليم لم يذق لذة العلم".

وقام البغدادي نفسه بالسفر كثيراً طلباً للعلم حيث يقول : "ولما لم يبق في بغداد من يأخذ قلبي ويملأ عيني ويحل ما يشكل عليّ، دخلت الموصل"، ثم ذهب إلى دمشق وعكا والقاهرة وبلاد الروم.

ويضيف: "عليك بالأستاذين في كل علم تطلب اكتسابه، ولو كان الأستاذ ناقصا فخذ عنه ما عنده حتى تجد أكمل منه، وعليك بتعظيمه وتوجيهه، وإن قدرت أن تفيده من دنياك فافعل، وإلا فبلسانك وثنائك"[2].

وكان الطلبة يرحلون من أماكن سكنهم للدارسة على بعض الأطباء، والاستماع إلى محاضراتهم في مجالسهم أو في المساجد وفي المستشفيات، أو يستمعون إلى الإجتماعات والمحاورات بين الأطباء.

ولم يكن الطبيب العربي يأخذ آراء من سبقوه بالتسليم المطلق، بل كان يخضعها للبحث العلمي والمشاهدة والتجريب.

وعلى الرغم من الاحترام الذي كنّه الأطباء لمن سبقوهم وتبجيلهم إلا أن التحرر الفكري والانحياز للحقيقة العلمية هو الذي جعل طبيباً مثل عبد اللطيف البغدادي يؤكد خطأ جالينوس كقوله بأن عظم الفك الأسفل عظمان، فقد رفض البغدادي الإستكانة لهذا الرأي دون التثبت، فعندما علم البغدادي أن في المقطم[3] رمماً[4] ذهب وشاهد هذه العظام ويقول: "والذي شاهدناه من حال هذا العظم[5] إنه عظم واحد ليس فيه مفصل ولا درز أصلاً في أشخاص كثيرين تزيد على ألفي جمجمة فلم نجده إلا عظماً واحداً في كل ما شاهدناه"[6].

وكان يتم تدريس الطب أحيانا بالمساجد، بالإضافة إلى باقي العلوم، وممن درسوا الطب في الجامع الطولوني محمد بن عبد الله المصري (ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م.) وعمر بن المنصور البهادري (ت ٨٢٤ هـ / ١٤٢١م.)[7].

---

١ المرجع السابق ص٩

٢ ابن أبي أصيبعة، ج٣ ص٢٤٢-٣٤٣

٣ جبل

٤ عظام يبدو أنها بانت من مقبرة جرفتها السيول أو ما شابه

٥ عظم الفك الأسفل

٦ د. منصف المرزوقي، الطب الإسلامي وجالينوس، مرجع سابق، ص ١٠٦

٧ د. محمود الحاج قاسم، مرجع سابق، ص ٣٢٣

كما ألقى في الجامع الأزهر دروساً في الطب والفلك موسى بن ميمون وموفق الدين أبو محمد عبد اللطيف البغدادي الذي كان يقرئ الناس في الجامع الأزهر زمان صلاح الدين الأيوبي وحتى وفاة إبنه الملك العزيز سنة (٥٩٥ هـ / ١١٩٨م.)[١].

ويقول ابن أبي أصيبعة: إنه لما أقام الشيخ مهذب الدين المعروف بالدخوار بدمشق "شرع في تدريس صناعة الطب، واجتمع إليه خلق كثير من أعيان الأطباء وغيرهم يقرأون عليه، وأقمت أنا بدمشق لأجل القراءة عليه، ثم لازمته أيضا وقت معالجة المرضى بالبيمارستان فتدربت معه في ذلك وباشرت أعمال صناعة الطب.

وكان في ذلك الوقت معه في البيمارستان المعالجة للمرضى الحكيم عمران وهو من أعيان الأطباء وأكابرهم في المداواة والتصرف في أنواع العلاج فتضاعفت الفوائد المقتبسة من إجتماعهما، ومما كان يجري بينهما من الكلام في الأمراض ومداواتها ومما كانا يصفاه للمرضى"[٢].

ويصف ابن أبي أصيبعة نفسه كيف كان يتعلم على الطبيب الدخوار ويقول: "وكنت بعدما يفرغ الحكيم مهذب الدين (الدخوار) والحكيم عمران من معالجة المرضى المقيمين بالبيمارستان (بدمشق)، وأنا معهم أجلس مع الشيخ رضى الدين الرحبي، وهو من أكبر الأطباء سناً وأعظمهم قدراً وأشهرهم ذكراً، فأعاين كيفية استدلاله على الأمراض، وجملة ما يصف وما يكتب لهم، وأبحث معه في كثير من الأمراض ومداواتها"[٣].

وكان التلاميذ يرافقون الأطباء في الدخول إلى قاعات المرضى ويلاحظون ما يقوم به الطبيب في تشخيص الأمراض وملاحظة القوارير[٤] وإعطاء العلاج وإجراء العمليات الجراحية. وبعد سنين يُؤذن لهم بفحص المرضى وإبداء رأيهم في أمراضهم وعرض الأمر على رئيس القسم.

وأحيانا كان يجلس رئيس البيمارستان[٥] في صدر المجلس وحوله الأطباء وحولهم الطلاب المتقدمون، ودونهم الجدد المبتدئون، وذلك لبحث الحالات الصعبة.

وكان الطبيب إذا أعياه تشخيص داء أو معالجة مريض، أو أشكل عليه الأمر، يعرض هذا على رئيس القسم، ثم إذا أعياهما الأمر عرض على رئيس الأطباء، وعندئذ يجمع الرئيس الأطباء لفحص المريض وتداول طريقة معالجته[٦].

ويقول القلقشندي إنه : كان على رئيس الأطباء النظر في أمر طائفته، ومعرفة أحوالهم، ويأمر المعالج أن يعرف أولاً حقيقة المرض وأسبابة وعلاماته، ثم ينظر في السن، والفصل والبلد، وحينئذ يشرع في تخفيف الحاصل، وأن لا يستغرب

---

١ د. سالم نجم، تجربة كلية طب الأزهر في تعريب العلوم الصحية، الموسم الثقافي السابع لمجمع اللغة العربية الأردني ١٩٨٩ ص ٥٩

٢ عيون الأنباء، ج٣، ص ٣٩٥

٣ عيون الأنباء، ج ٣، ص ٣٩٦

٤ الإدرار

٥ الساعور

٦ د. فرح الحوني، مرجع سابق، ص ٢٠٧

الدواء، ولا يقدم على الأبدان إلا ما يلائمهما، ولا يخرج عن عادة الأطباء ولو غلب على ظنه الإصابة حتى يتبصر فيه برأي أمثاله، ويتجنب الدواء ما أمكنته المعالجة بالغذاء، والمركب ما أمكنته المعالجة بالمفرد، ويتجنب القياس إلا ما صح بتجريب غيره مثل من أخذ في علاجه. وأن يحذر التجربة فإنها خطر، مع الاحتراز في المقادير والكيفيات وفي الاستعمال والأوقات. ولا يأمر باستعمال دواء ولا ما يستغرب في غذاء حتى يحقق حقيقته، ويعرف جديده من عتيقه، ليعرف مقدار قوته في الفعل[1].

وكان رئيس الأطباء في دمشق في فترة المماليك (٦٤٨ – ٩٢٢ هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٦ م) هو الذي يأذن لهم في التطبيب وفي الشروط الواجب توفرها فيه أن يكون حاذقاً ماهراً متقدماً على غيره في الفن والمعرفة بالعقاقير وما فيها من نفع وضرر، والمعرفة بالأمراض وطرق علاجها[2].

أما رئاسة الجراحين فيتولاها رئيس الجراحين الذي يحكم على الجراحين والمجبرين ويأذن لهم بالجراحة والتجبير. وعلى متولي هذه الوظيفة أن يكون حاذقا فإنها صناعة كلها خطر، ويكون مع الجيش في أوقات الحرب ليخفف عنهم ويجبر كسورهم ويشد أزرهم ويداوي جراحهم[3].

كما تبين وثيقة أخرى أن جمعاً من أهالي القدس الشريف، من علماء وأرباب الوقار طلبوا من القاضي تعيين الحاج مصلح شيخاً ومتكلماً على سائر الأطباء والجراحين والحكماء وأستاذاً إلى أنه بلغ في صنعته الغاية والإتقان، واستجاب القاضي لطلبهم لكونه أهلا لها ولكونها وظيفة جده وأبيه[4].

وفي العهد العثماني (٩٢٢ – ١٣٣٨ هـ / ١٥١٦ – ١٩١٨ م) لم يكن ليستطيع الطبيب مزاولة المهنة إلا بإذن شيخ الطائفة.

وفي وثيقة لسنة (٩٧١ هـ / ١٥٦٣ م) يبين د. العسلي أن الشيخ شمس الدين الحكيم رأس الأطباء في القدس حضر بين يدي القاضي بأمر شريف سلطاني، وارد على يديه مأمور فيه أن لا يعمل طبيباً ولا جراحاً ولا شرابياً[5] بالقدس الشريف إلا بإذنه وإجازته، وكل من خالف ما أمر به الأمر الشريف كان مستحقاً للتأديب[6].

وأجاز رئيس الجراحين بالمستشفى المنصوري في القاهرة عام ١٠١١ هـ / ١٦٠٢ م شمس الدين محمد "بأن يتعاطى في صناعة الجراحة من أتقن معرفته

---

١ صبح الأعشى – القلقشندي، مرجع سابق ج ١١، ص ٩٨ و ٩٩

٢ د. كامل العسلي، مرجع سابق، ص ١٣٢

٣ المرجع السابق ص ١٣٣

٤ د. العسلي، مرجع سابق ص ١٦٦

٥ صيدليا

٦ د. كامل العسلي، مرجع سابق، ص ١٦٣

وهو أن يعالج الجراحات التي تبدأ بالبطء، ويقلع السنان[1] ما ظهر له من غير شرط، وأن يفصد من الأوردة ويبتر الشرايين[2].
وفي الأمراض المشتركة بين عدة تخصصات طبية، فعلى الطبيب أن يستشير غيره عند معالجة مثل هؤلاء المرضى، ومثال ذلك طبيب العيون حيث يقول القلقشندي إنه على رئيس الكحالين[3] أن لا يصرف منهم[4] إلا من عرف بحسن المداوة والملازمة في العلاج، ويأمر كلاً منهم أن لا يُقدِم على مداواة عين حتى يعرف حقيقة المرض، وأن يلاطفها بما يناسبها من الغذاء وأن يستشير الأطباء الطبائعية[5] فيما أهمَّ، مما لا يستغنى عن رأي مثلهم فيه[6].
وكانت لقاءات الأطباء ومنافراتهم ومحاوراتهم الطبية عاملاً مهما في تقدم الطب. ومثال ذلك ما كان بين ابن بطلان البغدادي وابن رضوان المصري، فكانت بينهما المراسلات العجيبة والكتب البديعة الغريبة، ولم يكن أحد منهم يؤلف كتاباً ولا يبتدع رأياً إلا ويرد الآخر عليه.
وسافر ابن بطلان النصراني من بغداد إلى ديار مصر قصداً منه إلى مشاهدة على بن رضوان والاجتماع به، فأقام هناك ثلاث سنوات، وجرت بينهما وقائع كثيرة. وبعد خروجه من مصر ألّف إبن بطلان كتاباً رد عليه إبن رضوان[7].
ومنذ صدر الإسلام كانت المساجد مراكز للعلم والتعليم، بل أن بعضها كان يُتَّخَذ أصلا للتدريس، وتصلى به صلاة الجمعة فقط، وأنه لم تكن تدرس بها العلوم الدينية وحدها، إنما كانت تدرس بها علوم أخرى كالطب والفلك.
وكانت مناوبة الأطباء واجبة في البيمارستان على جميع الأطباء، وقد تمتد إلى ثمان وأربعين ساعة[8].
واهتم الأطباء العرب بجمع الكتب الطبية، فمثلاً كانت لموفق الدين بن المطران خزانة في الكتب الطبية وغيرها ما يناهز عشرة آلاف مجلد خارجاً عما استنسخه، حيث كان في خدمته ثلاثة نُسّاخ يكتبون له ابداً ولهم منه الجراية.

---

١ الأسنان

٢ توفيق الطويل، لقطات علمية من تاريخ الطب العربي، مجلة عالم الفكر مجلد ٥ عدد ١ ابريل – يونيو ١٩٧٤ الكويت ص ٢٥٩

٣ أطباء العيون

٤ يمنحه رخصة المهنة

٥ المختصون بعلاج الأبدان، وهم الأطباء العامّون، وأطباء الأمراض الباطنية حالياً

٦ صبح الأعشى – القلقشندي ج ١١، ص ٩٩

٧ ابن أبي أصيبعة، ج ٢، ص ٢٣٩

٨ جرجيس فتح الله، ملحق – تراث الإسلام – جمهرة من المستشرقين، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٨ ط ٣، ص ٥١٠

وكان لا يفارق المطالعة على باب السلطان، أو أين توجه[1].
وكان يقسم الأطباء في البيمارستان إلى أطباء طبائعيين[2] والأطباء الخواص[3]، والكحالين[4] والجرائحيين[5] والمجبرين[6].
وكان في البيمارستان الجديد الذي جدده عضد الدولة أربعة وعشرون طبيبا.
أما ساعور (مدير) البيمارستان العضدي فقد اختاره عضد الدولة من خمسين طبيبا من ضمن مائة طبيب مشهورين حينئذ ببغداد وأعمالها، فاختار منهم عشرة، ثم ثلاثة ثم أنه ميز فيما بينهم فبان له أن الرازي أفضلهم[7].
وكان للرازي نظام مستقر في العمل في البيمارستان، تعرض الحالات على الناشئين من الأطباء، فإن لم يعرفوها عرضت على من هم أكبر منهم، فإن عجزوا عن تناولها عرضوها على الرازي. وكان يبدي رأيه في هذه الحالات الصعبة ويدون تلاميذه ما يقوله.
وألف الرازي نوعين من الكتب الطبية، كتبه في العلم النظري، وهي واضحة منسقة كالمنصوري، وكتبه في الطب الأكلينكي وهي مجموعة مشاهداته، وهي بطبيعتها غير منسقة وعليها اضطراب كالحاوي.
ومن كتبه في التعليم النظري كتاب الفصول الذي ألفه ليكون مدخلا إلى الصناعة وطرقاً للمتعلمين، وفيه يشير إلى إطناب جالينوس وإيجاز أبقراط وقد ردد تلميذه علي بن العباس ذلك في مقدمة كتابه كامل الصناعة.

---

١ ابن أبي أصيبعة ج ٣ ص ٢٩٣

٢ طبيب عام

٣ اختصاصي

٤ أطباء العيون

٥ الجراحين

٦ أطباء العظام

٧ ابن أبي أصيبعة، ج ٢ ، ص ٣٤٤

المستشفيات

يُعَدّ الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، أول من أنشأ مستشفى في الإسلام، وذلك سنة (٨٨هـ/٧٠٦م) وجعل فيه الأطباء وأجرى عليهم الأرزاق، واهتم برعاية العميان والمجذومين، حيث جعل للمجذومين مكاناً خاصاً بهم، وأمرهم بعدم الخروج وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق، وأمرهم بالاّ يسألوا الناس وجعل لكل مُقْعَد خادماً، ولكل ضرير قائداً [١].

واقتدى الحجاج بن يوسف في هذا العمل مع مجذومي أهل العراق. وقام الخليفة العباسي المهدي بتشييد الملاجىء ودور الزَّمْنَى (المصابون بالأمراض المزمنة) وأمر بالعناية بهم وتدبير امورهم.

أما أمثال هؤلاء في أوروبا فقد أمر الملك فيليب ملك فرنسا سنة ١٣١٣م بحرقهم لتخليص الناس من شرهم [٢].

يعتبر بيمارستان الرشيد أول ما أنشىء من المستشفيات في بغداد وأسسه هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦- ٨٠٩م) وأشرف على بنائه وتنظيمه طبيبه الخاص جبرائيل بن بختيشوع [٣].

وكان يطلق على المستشفيات الإسلامية كلمة بيمارستان الفارسية [٤].

ثم حُرِّفَتْ الكلمة بفعل العامة إلى كلمة "مارستان" ثم أصبحت تطلق على مستشفى المجانين وحده، وذلك عندما اصبحت خالية من المرضى إلا من المصابين بالأمراض العقلية [٥].

وكانت هذه المستشفيات تبنى في مواقع مختارة، وغالباً على ربوات الأنهار وجوانبها.

ويذكر ابن أبي أصيبعة أن الرازي كان في جملة من اجتمع على بناء البيمارستان العضدي، وأن عضد الدولة استشاره في الموضع الذي يجب أن يبنى فيه البيمارستان وأن الرازي أمر بعض الغِلمان أن يعلّق في كل ناحية من جانبي بغداد شقة (قطعة) لحم، ثم اعتبر (اختيار) التي لم يتغير ولم يسهك [٦] فيها اللحم بسرعة، فأشار بأن يبنى في تلك الناحية وهو الموضع الذي بني فيه البيمارستان العضدي.

وأمر عضد الدولة أن يحضروا له ذكر الأطباء المشهورين حينئذ ببغداد وأعمالها فكانوا متوافرين على المائة، فاختار منهم خمسين بحسب ما علم من جودة أحوالهم

---

١ المستشفيات الإسلامية، د. عبد الله السعيد، دار الضياء، عمان - ١٩٨٧ ص٤٤؛ وكذلك د. أكرم منيب الدجاني، الموسم الثقافي الخامس لمجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٧، ص٤٩ نقلاً عن خطط للقريزي

٢ د. فرج الهوني، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، الدار الجماهيرية للنشر، مصراته - ليبيا، ١٩٨٦ ص٢١٨-٢١٩

٣ د. كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، مرجع سابق.ص٥٣٩

٤ بيمار - مريض ، ستان - دار أو مكان اي دار المرضى

٥ المستشفيات الإسلامية، مرجع سابق ص٤٨

٦ يتفسخ وتخرج منه ريح كريهة بسبب عفنه

وتمهُّرهم في صناعة الطب، فكان الرازي منهم، ثم إنه اقتصر من هؤلاء على عشرة فكان الرازي منهم، ثم اختار من العشرة ثلاثة فكان الرازي أولهم، ثم إنه ميز فيما بينهم فبان له أن الرازي أفضلهم فجعله ساعور[1] البيمارستان العضدي[2].

وعندما جدَّد عضد الدولة البيمارستان في بغداد كانت نوبة جبرائيل بن عبيدالله بن بختيشوع (ت٣٩٦هـ/١٠٠٥م) في الأسبوع يومين وليلتين[3].

وكان الأطباء يتفقدون المرضى في البيمارستان باكراً ويسجلون ملاحظاتهم على لوح خاص يثبت عند كل سرير مريض[4].

وفي الفسطاط كان الأمير أحمد بن طولون أول من أسس مستشفى في العاصمة المصرية، وكانت المعالجة فيه مجانية وربما كانت مجانية للفقراء، أما للميسورين فكان كراء المقعد (أجرة السرير) في اليوم إثني عشر درهماً"[5].

وأسس كافور الإخشيدي بيمارستان في مصر، وصلاح الدين الايوبي اثنين.

وقد عرفت البيمارستانات "المستشفيات" في البداية في بغداد ومن ثم في المدن الكبيرة وتقسمت إلى عدة أنواع.

وكان هناك المستشفى الكبير، ويتكوَّن في العادة من جناحين واحد للرجال وآخر للنساء، ويلحق بهما جناح للأمراض العقلية. ثم عرفت المستشفيات الخاصة بالمجانين وأخرى سيارة متنقلة، وعسكرية – مستشفيات ميدان – ومستوصفات أقيمت بالقرب من المساجد، ثم مآوي العجزة والنساء كالتي أمر ببنائها المأمون[6].

وقُسِّمت المستشفيات إلى عدة أقسام حسب نوع الأمراض مع تخصيص مستشفيات خاصة لأمراض معينة كالجذام مدركين خطورة العدوى.

وكانت قاعات المستشفى تدفأ شتاءً وتطرح فيها الأطايب كالبخور وأوراق الحناء، كما كانت تعزف فيها الموسيقى.

وكانت لكل بيمارستان قاعة يتلقى فيها الطلبة المحاضرات النظرية، وينسخون فيها المخطوطات الطبية، وكان باب التطبيق العملي لهم مفتوحاً مع المرضى، بإشراف الأطباء المسؤولين.

وكان المرضى قبل دخولهم البيمارستان يُفحَصون أولاً في القاعة الخارجية (العيادة الخارجية)، فمن خَفَّت علته أسْعِف وكُتِبَ له العلاج، وصُرِف له من صيدلية البيمارستان مجاناً، أما من استدعت حالتهم الدخول فكانت تُسَجَّل أسماؤهم في سجل المرضى، ثم يدخلون الحمام ويغتسلون ثم يُلبسون ثياباً نظيفة.

---

١ رئيس أطباء

٢ عيون الأنباء، ج٢ ص ص٣٤٣-٣٤٤

٣ القفطي ١٠٣

٤ د. يوسف غوانمه، الحياة العلمية في بلاد الشام، آفاق الإسلام،العدد٢ حزيران، ١٩٩٣ الدار المتحدة للنشر عمان ص١٥٢

٥ صبح الاعشى، ج٣ ص٣٣٧

٦ تراث الإسلام، جمهرة من المستشرقين، دار الطليعة، بيروت ط٣،١٩٧٨ ملحق للمعرب جرجيس فتح الله

وكان السلطان حريصاً على الإلمام بكل ما يجري في المستشفيات يزورها من وقت لآخر ويفتش عليها ويستجوب المسؤولين والمرضى ليطمئن على سير الأمور.

وكان لكل بيمارستان رئيس يديره ويسمى الساعور [1] وكان هذا المنصب من أهم المناصب في الدولة.

وكان يتم التفتيش على البيمارستان من قبل المحتسب أو صاحب الحِسْبَة (قاضي الحسبة) الذي كان يتفقد أحوال المرضى ودرجة العناية بهم، والطعام المقدم لهم ونظافتهم واعتناء الأطباء بهم، وكان له الحق في منع المقصِّر والمخطيء من الأطباء أو الصيادلة في الاستمرار بممارسة مهنته [2].

وقد طلب الوزير علي بن عيسى بن الجراح من سنان بن ثابت ابتعاث الأطباء إلى الحبوس يوميا وأن تحمل إليهم الأدوية والأشربة لمعالجة المرضى فيها.

ثم طلب إليه إيفاد متطببين إلى السواد (الريف) وخزانة للأدوية والأشربة يطوفون في السواد ويقيمون في كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة إليه، ويعالجون من فيه مرض ثم ينتقلون إلى غيره .

وفي تونس عُرِفَتْ دور المجذومين التي أقيمت خارج المدن لاجتناب العدوى وحفظ صحة السكان، وأوقفت لهذه الدور التي سميت "بالدمنة" الأراضي والبساتين المُثمِرَة رفقاً بمن يسكنها من "المُبْتَلين" وكان الأمراء والأتقياء يزورون المجذومين ويعطفون عليهم، بل إن هشام بن سرور التميمي (ت ٣٠٧هـ) كان يذهب إلى دار الجذماء في عيد الفطر وعيد الأضحى ويجعلهم صفوفاً ويطعمهم بيده ويدهن رؤوسهم "تقرباً إلى الله بجبر خاطرهم ولو أدى به ذلك إلى العدوى"[3].

وكانت هناك أنواع أخرى من المشافي ومنها الحربية التي ترافق الجيش في الحرب والسلم، فقد كان ابن المطران مثلاً يرافق صلاح الدين الأيوبي في حروبه وكانت له خيمة حمراء خاصة به، وكان بيمارستان جيش السلطان محمود السلجوقي يُنْقَل على أربعين جملاً [4].

ومن هذه المشافي أيضاً بيمارستان السبيل وهي نوع آخر من الإسعاف المتنقل أيام السلم، فقد كانت ترافق قوافل الحجاج [5] وكانت هذه القوافل تجهز بمواد الإسعاف والأدوية وبرفقة طبيب وممرضين، وأول من قام بعمل هذا النوع هو معاوية بن أبي سفيان.

كما أنشِئَتْ دور المراضع والمياتم وخُصِّصِتْ للأطفال الذين فقدوا أمهاتهم وأول من خصص داراً كاملة الاثاث واللوازم لذلك الغرض هو مظفر الدين كوكبوري

---

١ وهي كلمة سريانية تعني متفقد المرضى

٢ د. أكرم الدجاني، المشافي والتمريض في التراث الطبي الإسلامي، الموسم الثقافي الخامس لمجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨٧، ص ص ٥٥ – ٥٨

٣ الطب العربي التونسي، الحيكم أحمد بن ميلاد، ١٩٨٠، ص١٧٠ – ١٧٣

٤ القفطي ٢٦٤

٥ كالبعثات الطبية المرافقة للحجيج حاليا

(٥٤٩ – ٦٣٠هـ) صاحب إربل (اربيل)، فقد خصّص مُرْضِعات وعَيَّن خدماً وطبيباً للعناية بصحتهم.
وتم تخصيص دور للعجزة والمكافيف والمقعدين لإيوائهم وإطعامهم، وأول من جمعهم في دور خاصة هو الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ – ٩٦هـ)، وأعطى لكل أعمى قائداً يعينه في تنقله والعناية به وخَصَّص لكل مُقعَدٍ خادماً يقوم بشؤونه [١].
وهناك نوع من العيادات الخاصة، ففي عام ٩٢٣م أقام الوزير ابن الفرات في بغداد عيادة جامعة على نفقته الخاصة للموظفين العاملين تحت أمرته، وكان يحق لهم التداوي فيها ونيل كل أسباب العلاج والعناية بلا مقابل كلّما ألمَّ بهم مرض أو وهن [٢].
ويذكر ابن أبي أصيبعة في كتابه أن نصير الدولة بن مروان كانت له ابنة مرضت فآلى على نفسه أنها متى برئت أن يتصدق بوزنها دراهم، فلما عالجها زاهد العلماء [٣] أشار على نصير الدولة أن يجعل جملة هذه الدراهم التي يتصدق بها تكون في بناء بيمارستان ينتفع الناس به، ويكون له بذلك أجر عظيم وسمعة حسنة، فأمره ببناء البيمارستان وأنفق عليه أموالاً كثيرة ووقف له أملاكاً تقوم بكفايته وجعل فيه من الآلات وجميع ما يحتاج إليه كثيراً جداً، فجاء لا مزيد عليه في الجودة [٤].
وينقل ابن أبي أصيبعة عن ثابت بن سنان في تاريخه قوله "أنه عندما فتح والدي سنان بن ثابت بيمارستان السيدة الذي اتخذه لها بسوق يحيى، وجلس فيه ورتّب المتطببين وقبل المرضى وهو كان بناه على دجلة، وكانت النفقة عليه في كل شهر ستمائة دينار.
وأشار والدي على المقتدر بالله بأن يتخذ بيمارستاناً ينسب إليه، فأمره باتخاذه فاتخذه له في باب الشام وسماه البيمارستان المقتدري وأنفق عليه من ماله في كل شهر مائتي دينار [٥].
وكان يقبل في المستشفيات الإسلامية المرضى بدون أدنى تمييز للدين أو اللون أو الجنسية أو ذكر أو أنثى، وتقدم لهم الجرايات بغض النظر عن فقر المريض أو غناه، ومما جاء في وقفية المستشفى المنصوري الذي بناه منصور بن قلاوون في القرن الثالث عشر الميلادي "ويقيم المرضى الفقراء من الرجال والنساء لمداواتهم إلى حين برئهم وشفائهم. ويفرّق على القوي والضعيف والغني والفقير والمأمور

---

١ د. أكرم الدجاني، مرجع سابق ص ص٦٤ – ٦٥
٢ زيغريد هونكه، مرجع سابق، ص٢٣١
٣ هو أبو سعيد منصور بن عيسى وكان نصرانياً نسطورياً
٤ عيون الأنباء، ج٢ ص٢٥٧
٥ طبقات الأطباء، ج٢ ص٢٠٤

والأمير والمترف والصعلوك من غير اشتراط للتعويض بل لمحـض فضـل الله الكريم"[١].

وكان يتم الإنفاق علي البيمارستان الذي لبدر المعتضدي بالمحرم، من وقف سجاح أم المتوكل على الله[٢].

وكان الوقف في يد أبي الصقر وهب بن محمد الكلوذاني، وحدث أن آخـر مـا يصرف إلى نفقة البيمارستان ويضيّقه، فكتب سنان بن ثابت[٣] إلى الحسن علي بن عيسى الوزير يشكو إليه هذا الحال، ويعرفه ما يلحق المرضى من الضرر بذلك، وقصور ما يقام لهم من الفحم والمؤن والدثار وغير ذلك من مقدار حاجتهم فوقع على ظهر رقعته إلى أبي الصقر : أنت أكرمك الله تقف على ما ذكره وهو غلط جداً وما أحسبك تسلم من الإثم فيه. فعرّفني أكرمك الله ما النكتة في قصور المال ونقصانه في تخلف نفقة البيمارستان هذه الشهور المتتابعة، وفي هذا الوقت خاصة مع الشتاء واشتداد البرد. فاحتلْ بكل حيلة لما يطلق لهم ويعجل حتى يدفأ من في البيمارستان من المرضى والممرورين[٤] بالدثار والكسوة والفحم ويقام لهم القوت ويتصل لهم العلاج والخدمة، وأعجبني بما يكون منك في ذلك وأنفذ لي عملا يدلني على حجتك، واعْنَ بأمر البيمارستان فضل عناية إن شاء الله تعالى[٥].

ولعل دار المرفطين[٦] التي شُيِّدت في بغـداد عـام ١١٧٣م كانـت مـن أكثـر المستشفيات تطوراً، فقد كان القاضي يزور المستشفى ويقوم بجولة مع الأطبـاء يطلع خلالها على أحوال النزلاء، وعندما يتفق الأطبـاء مـع القاضـي علـى أن المريض أصبح جاهزاً للخروج للمجتمع، كان القاضي يقرر ذلك ويعطي المريض خمسة دنانير من الذهب ليبدأ حياته من جديد، وفي هذا بدايـة للتأهيـل النفسـي وللممارسة القانونية في حقوق المرضى النفسيين، وهذه الممارسة تحاكي قوانين الصحة النفسية المعمول بها في الكثير من الدول الآن[٧].

وبعد تحريره القدس (٥٨٣هـ / ١١٨٧م) قام صلاح الـدين الأيـوبي بإنشـاء بيمارستان فيها عرف فيما بعد بالبيمارستان الصلاحي "ووقف عليـه مواضـع، ووضع فيه ما يحتاج من الأدوية والعقاقير وفوّض النظر والقضاء في هذا الوقـف إلى القاضي بهاء الدين بن تميم المشهور بابن شداد لعلمه بكفاءته"[٨].

---

١ ت راث الإسلام،جمهرة من المستشرقين، دار الطليعة بيروت ط٣، ١٩٧٨ ص٥١٠، نقلا عن تاريخ البيمارستانات في الإسلام للدكتور احمد عيسى

٢ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص٢٠٣

٣ في أيام تقلده الدواوين من قبل المقتدر بالله، وكان يتقلد البيمارستانات في بغداد وغيرها

٤ المصابون بالجنون السبعي – مانيا

٥ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج٢ ص٢٠٣

٦ للمرضى العقليين والنفسيين

٧ د. علي كمال ود. وليد سرحان، مآثر الحضارة العربية الإسلامية في الطب النفساني، المجلة العربية للطب النفسي، المجلد الأول العدد١ تشرين الثاني ١٩٨٩ – عمان ص ٦٠

٨ د. كامل العسلي، مقدمة في تاريخ الطب في القدس، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٩٤، ص١٠٠

ويورد د. العسلي عدداً من العقارات التي وقفها صلاح الدين الأيوبي للبيمارستان ومنها ٣٨ بيتا و١٧ مخزنا (منها ١١ داخل البيمارستان نفسه) و ٣٥ دكانا وغيرها [١].

وذكر بعض الرحّالة الأوروبيين الذين زاروا بلاد الشام في القرن السادس الهجري / الثالث عشر الميلادي أن البيمارستان الصلاحي في بيت المقدس كان يتسع لألف سرير [٢].

وبنى السلطان نور الدين زنكي (١١٤٨ – ١١٧٤) البيمارستان النوري في دمشق وكان يديره الطبيب الشهير أبو الحكم. وقد بنى هذا البيمارستان بالأموال التي أخذها لقاء إطلاق حرية ملك الفرنجة [٣].

وقد عمل في هذا البيمارستان ما يزيد على عشرين طبيباً منهم أبو المجد بن أبي الحكم الباهلي، فقد جعل نورالدين زنكي عندما أنشأ البيمارستان أمر الطب إليه فيه وأطلق له جامكية (راتبا) وجراية. وكان أبو المجد يدور على المرضى ويتفقد أحوالهم وبين يديه المشارفون والقوام لخدمة المرضى، فكان جميع ما يكتبه لكل مريض من المداواة والتدبير لا يؤخّر عنه ولا يتوانى في ذلك. وكان بعد ذلك يأتي ويجلس في الإيوان الكبير في البيمارستان ويُحضر كتب الطب، حيث كان نور الدين قد وقف على هذا البيمارستان جملة كثيرة منها، وكان جماعة من الأطباء والمشتغلين يأتون إليه، ويقعدون بين يديه ثم تجرى مباحث طبية ويقرىء التلاميذ لمدة ثلاث ساعات [٤].

ومن أشهر من خدم بالبيمارستان النوري مهذب الدين عبد الرحيم بن علي المعروف بالدخوار (ت ٦٢٨هـ/١٢٣٠م) والذي التحق أيضاً بخدمة نورالدين زنكي وعساكره والتردد إليهم.

وتولى الدخوار رئاسة أطباء ديار مصر بأسرها وأطباء الشام. كما تولى الدخوار تدريس الطب، وممن درس عليه الطبيب المؤرخ ابن أبي أصيبعة، وكان قد وقف داره بدمشق وجعلها مدرسة يدرّس فيها من بعده صناعة الطب.

وفي نهاية حياته "عرض له ثقل في لسانه واسترخاء فبقي لا يسترسل في الكلام.. ثم زاد به ثقل لسانه حتى إذا حاول الكلام لا يفهم ذلك منه إلا بعسر، وفي أوقات يعسر عليه الكلام فيكتبه في لوح وتنظره الجماعة [٥]. [٦]

---

١ المرجع السابق ص١٠٥

٢ د. يوسف غوانمه، الحياة العلمية في بلاد الشام في أوائل الحكم العربي الإسلامي، مجلة آفاق الإسلام، الدار المتحدة للنشر، العدد الثاني حزيران ١٩٩٣، عمان، ص١٥٢

٣ اقرأ عن أبي المجد محمد بن أبي الحكم في عيون الأنباء، ابن أبي أصيبعة، ج٣ ص٢٥٦

٤ المرجع السابق ص٢٥٧

٥ جماعة الدارسين

٦ ابن أبي أصيبعة/ ج٣ ص٣٩٠ – ٣٩٩

وممن خدم فيه أيضاً مُهَذَّب الدين بن النقاش، الذي قدم إلى دمشق من بغداد "وكان أوحد زمانه في صناعة الطب" وتوفي في دمشق سنة (٥٧٤هـ / ١١٧٨م) ولم يتخذ امرأة ولا خلف ولدا"[١].
وكذلك موفق الدين بن المطران (ت ٥٨٧هـ /١١٩١م) الذي كانت "له همة عالية في تحصيل الكتب حتى إنه مات وفي خزانته من الكتب الطبية وغيرها ما يناهز عشرة آلاف مجلد خارجاً عما استنسخه، وكان في خدمته ثلاثة نساخ يكتبون لـه ولهم منه الجامكية والجراية، وكان أبداً لا يفارق في كمه مجلداً يطالعه أين توجه"[٢].
كما خدم في نفس البيمارستان مُهذَّب الدين بن الحاجب [٣].
وكذلك شمس الدين بن اللبودي (ت ٦٢١هـ/١٢٢٤م) "علاّمة وقته وأفضل أهل زمانه في العلوم الحِكْمية وفي علم الطب" [٤].
كما عمل في البيمارستان النوري مؤيد الدين أبو الفضل بن عبد الكريم المهندس، وكان يعرف بالمهندس لجودة معرفته بالهندسة وشهرته فيها قبل أن يتخلى (عنها) بمعرفة صناعة الطب [٥].
ومن الأطباء الذين عملوا في هذا البيمارستان موفق الدين عبد العزيز السلمي (ت ٦٠٤هـ/١٢٠٧م) الذي كان "شديد الشفقة على المرضى وخصوصاً لمن كان منهم ضعيف الحال يتفقدهم ويعالجهم ويوصل إليهم النفقة وما يحتاجونه من الأدوية والأغذية [٦].
ومن أشهر الأطباء الذين درسوا الطب في دمشق وخدموا في البيمارستان النوري رضي الدين الركبي (ت ٦٣١هـ/١٢٣٣م) والذي يقول عنه ابن أبي أصيبعة انه "لو اعتبر أحد جمهور الأطباء بالشام لوجد إما أن يكون منهم من قرأ عليه أو من قرأ على من قرأ عليه" [٧].
ومن أسماء الأطباء السابق ذكرهم يتبين كم كان هذا البيمارستان مشهوراً ودوره ودور الأطباء الذين عملوا فيه على العناية بالطب وتعليمه.
ولم يكن تأسيس المستشفيات وقفاً على الخلفاء والسلاطين والأغنياء وإنما دأب أيضاً على تأسيسها الأطباء من أمثال سنان بن ثابت بن قره وابنه ثابت بن سنان.
وكان للأطباء على وجه العموم، من أولي الأمر، الإحسان الكبير والأفضال العزيزة كما كانت تعطى لهم جراية وعلوفة الدابة التي يركبونها [٨].

---

١ ابن أبي أصيبعة، ج٣ ص٢٦٧
٢ المرجع السابق ص٢٩٨
٣ المرجع السابق ص٢٩٣
٤ المرجع السابق ص٣٠٣
٥ المرجع السابق ص٣١٢
٦ المرجع السابق ص٣١٤
٧ المرجع السابق ص٣١٧
٨ بدل تنقلات حاليا

وفي حكم المماليك (١٢٥٠ – ١٥١٧م) كان أول عمل وقائي لهم سلّم مصر من الدمار الذي حلّ في بغداد على يد جيش هولاكو التتري هو هزيمة الجيش التتري في وقعة عين جالوت (١٢٦٠م).

ومن المماليك الذين أولّوا الطب عنايتهم السلطان المنصور قلاوون (١٢٧٩ – ١٢٩٠م) الذي ابتنى البيمارستان المنصوري في القاهرة، وقد قيل إنه بنى هذا البيمارستان بعد أن نذر نذراً خلال إقامته بالبيمارستان النوري في دمشق مصاباً بوجع البطن، بأن ينشيء مثله في القاهره إذا شفي من مرضه، وقد أكمل بناء هذا البيمارستان عام ١٢٨٤م. وكان فيه أقسام خاصة يفصل المرضى فيها حسب أمراضهم؛ فالحُمِّيَات في مكان خاص وكذا الإسهال والرمد وغيرها. وفيه صيدلية وحمامات ومطابخ. وكان رئيس الطبابة فيه يلقي الدروس في غرفة مجهزة باللوازم، وكان للبيمارستان وقف يدر عليه ما يزيد عن مليون درهم في السنة وابوابه مفتوحة لمداواة الجنسين. وبلغ من مكانة السلطان قلاوون في عنايته بالطب والمرضى أن أصبحت جبته المحفوظة في قبته بعد وفاته مقصد النساء العاقرات والمرضى والصم يلمسونها آملين الشفاء تبركاً به[1].

ومما جاء في كتاب الوقف الشرعي الذي أمر بكتابته السلطان الملك المنصور قلاوون. ليكون دستوراً للبيمارستان المنصوري الذي أنشأه في القاهرة "هذا البيمارستان لمداواة مرضى المسلمين الرجال والنساء من الأغنياء المثرين والفقراء المحتاجين، بالقاهرة ومصر وضواحيها من المقيمين بها والواردين إليها من البلاد والأعمال على اختلاف أجناسهم وأوصافهم، وتباين أمراضهم وإصاباتهم من أمراض الأجسام قلت أو كثرت، اتفقت أو اختلفت وأمراض الحواس، خفيت أو ظهرت، واختلال العقول التي حفظهم أعظم المقاصد والأغراض.. يقيم فيه المرضى إلى حين برئهم وشفائهم، ويُصرَف ما هو معدٌّ فيه للمداواة ويفرِّق.. للغني والفقير، والمأمور والأمير والأعمى والمبصر، والمفضول والفاضل والمترف والصعلوك، والمليك والمملوك، من غير اشتراط لعوض من الأعواض، ولا تعويض بإنكار على ذلك ولا اعتراض بل لمحض فضل الله وأجره الكريم"[2].

وكان عميد البيمارستان المنصوري طيلة نصف قرن أبو الحسن علي بن النفيس مؤلف كتاب "شرح تشريح القانون" وفيه صورة واضحة عن الدورة الدموية الصغرى والتي نُسيَت فيما بعد اكتشافها بقرنين ونصف القرن إلى سرفيتوس الإسباني أو هارفي الإنجليزي، حتى جاء العالم المصري محيي الدين التطاوي، فأثبت سبق ابن النفيس لهذا الاكتشاف وذلك في رسالة دكتوراه قدمها لجامعة برلين في الربع الأول من هذا القرن، وأيَّد ذلك عدد من كبار مؤرخي الطب في العالم.

---

١ د. فليب حتي، تاريخ العرب، مرجع سابق، ص٧٧٠

٢ المستشفيات الإسلامية، مرجع سابق ص٦٩-٧٠

وقد عاش ابن النفيس كل حياته عزباً، ولما توفي سنة (٦٨٧هـ/١٢٨٨م) أوقف كل ما يملكه على البيمارستان المنصوري الذي خدم فيه حوالي خمسين عاما [١].

وفي العصر المملوكي عرفت بلاد الشام نظام التأمين الصحي قبل غيرها من البلدان وخصوصا بالنسبة للحجاج المسيحيين الذين يحجون إلى بيت المقدس، فقد كان يدفع الحاج عند دخوله إلى أرض فلسطين "بنيان فينسيان"[٢] بدل معالجته في البيمارستان، ويدفع هذا المبلغ مرة واحدة، بغض النظر عند المدة التي يبقاها الحاج في البيمارستان سواء كانت يوماً واحداً أو سنة كاملة [٣].

وكان الغرض من إنشاء البيمارستانات التي كانت تدعم عن طريق نظام الأوقاف الدينية أن تكون مثالاً على النزعة الخيرية للإسلام [٤].

وكان يحرص أشد الحرص على تغذية المرضى، فكانت علامة الشفاء عند الأطباء أن يأكل المريض رغيفاً ودجاجة كاملين، وكان المرضى يعطون قبل خروجهم من المستشفى ثياباً ومبلغاً من المال. ولهذا حدثت بعض حالات التمارض، وروي أن شاباً عجمياً تظاهر بالمرض ولكن أمره لم يخف عن الطبيب الفاحص فأدخله المستشفى رغم ذلك وأبقاه ثلاثة أيام وبعدها جاء إليه وقال له مازحا: إن مدة الضيافة العربية قد انتهت [٥].

ومن حصل له الشفاء والعافية كان ناظر المستشفى يصرف له كسوة من ريع وقف المستشفى.

وعندما كان يموت مريض في المستشفى كان الناظر يصرف ما تدعو إليه الحاجة في تكفين الميت وغسله وأجرة غاسله وحافر قبره [٦].

وبفضل تعاليم الإسلام في احترام الشيخوخة ورعايتها فقد ابتكر الأطباء المسلمون "طب المسنين" وهو ما يسمى اليوم (Geriatrics) وكان أول من أشار إلى ذلك ابن سينا في كتابه القانون، وكان في المستشفيات الإسلامية قسم خاص بكبار السن كتب عليه "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا" [٧]. [٨]

---

١ د. السامرائي، تاريخ تراث، مرجع سابق ج٢ ص٦٥ نقلا عن احمد عيسى، البيمارستانات في الإسلام، وعند بعض المحققين هذا أمر مشكوك فيه فمن الثابت أنه تزوج وكان له ولد

٢ نقود مدينة فينيسيا

٣ د. يوسف غوانمه، الحياة العملية في بلاد الشام، مرجع سابق ص١٥٢

٤ و.ر. جونز، الأوقاف، والبيمارستانات، المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢ ص٢٩١

٥ تراث الإسلام، جمهرة من المستشرقين، مرجع سابق ص٥١١

٦ المستشفيات الإسلامية، مرجع سابق ص٥١

٧ سورة الاسراء آية ٢٤

٨ د. احمد شوقي الفنجري، فضل الإسلام على الطب، المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢ ص٦٠٦

وقد سبق العرب غيرهم في العناية بمعالجة المجانين وسموهم بالأبرياء وهي تسمية تدل على إنسانية ورحمة، واتبعوا أساليب لم يسبقهم إليها أحد في معاملتهم وعلاجهم.

وكان يتم عزل المجانين في دور خاصة بهم في بداية الأمر، قبل تأسيس البيمارستانات، حيث تم إلحاق قسم لهم فيها، وكانوا محط رعاية واهتمام الحكام والأمراء، وخصصت لمن خُشيَ أذاه حجرات معزولة ذات شبابيك حديدية ما زالت تظهر حتى الآن في البيمارستان الكاملي في حلب. وخصص لهؤلاء أطباء ومشرفون يتعهدونهم بالأشربة المسكّنة والمرطّبة وعُزِفتْ لهم الموسيقى أحياناً، وأحياناً خُصِّص للمرضى منهم خدم يساعدونهم على الاستحمام وتلبيسهم الثياب النظيفة، وإسماعهم القرآن الكريم وتعليمهم الصلاة والتنزه بهم في الهواء الطلق[1].

وكان الخلفاء والأمراء يزورون دور (الأبرياء) كل يوم جمعه إلى أن آذى أحدهم أحد الأمراء فاكتفى بعد ذلك بالسؤال عن أحوالهم.

ولم تكن البيمارستانات المؤسسات الطبية الوحيدة التي يتم فيها معالجة المرضى، فقد كان الأطباء يقومون بالمعالجة في أماكن أخرى كالقصور السلطانية وعند الأغنياء، والقلاع والحصون التي يرابط بها الجيش، ورأينا كيف أن الطبيب "ابو الفرج بن القف الكركي" قام بخدمة العسكر في قلعة عجلون لمدة عقد من الزمن في الفترة ١٢٦٢ – ١٢٧٢م وألف فيها كتابه "الشافي في الطب"[2].

---

١ د. فرج الهوني، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، الدار الجماهيرية للنشر، مصراته، ليبيا ١٩٨٦، ص٢١٧ – ٢١٨

٢ ابن القف الكركي، العمدة في صناعة الجراحة، تحقيق د. سامي حمارنه، ج١ ص٢٠

علماء موسوعيون

حض الإسلام بشكل واضح على العلم فكانت أول كلمة نزلت من الله على نبيه "اقرأ"، كما أن الحديث الشريف "طلب العلم ولو في الصين [1] يختصر مكانة العلم في الدين الإسلامي.

وكان العلماء المسلمون والعرب موسوعيين ولم يتخصصوا في حقل واحد فقط، وإن اشتهر بعضهم بحقل أو علم معين.

وكان من سمات المثقّف اليوناني أن يكون مُلِمّا بالعلوم العلوية التي تشمل في اعتبارهم علم اللغة والفلك والحساب والموسيقى والطب والفلسفة، وكان جميع أطبائهم الكبار من الفلاسفة أيضا، وقد انحدر هذا التقليد إلى العلماء العرب فكان كبار الأطباء المسلمين من الفلاسفة المشهورين بنفس الوقت[2].

وكان الرازي في ابتداء نظره يضرب بالعود ثم أنه أكب على النظر في الطب والفلسفة فبرع فيهما براعة المتقدمين[3].

كما عُني الرازي بعلم الكيمياء وما يتعلق بهذا الفن ، وله تصانيف أيضاً في ذلك، حيث كان الرازي يقول أنا لا أسمي فيلسوفاً إلا من كان قد علم صنعة الكيمياء، لأنه قد استغنى عن التكسب من أوساخ الناس، وتنزّه عما في أيديهم ولم يحتاج إليهم [4].

وللرازي كتاب إيساغوجي وهو المدخل إلى المنطق وكتاب هيئة العالم، غرضه أن يبين أن الأرض كروية وأن الشمس أعظم من الأرض والقمر أصغر منها، وكتاب في كيفية الإبصار يبين فيه أن الإبصار ليس يكون بشعاع يخرج من العين، وكتاب في تناقض قول الجاحظ في كتابه في فضيلة الكلام وما غلط فيه على الفلاسفة، وكتاب في العلم الإلهي على رأي إفلاطون، وكتاب في عذر من اشتغل بالشطرنج [5].

ومن أقوال الرازي: من لم يعن بالأمور الطبيعية والعلوم الفلسفية والقوانين المنطقية وعدل إلى اللذات الدنيوية فاتهمْه في علمه، لا سيما في صناعة الطب [6].

وقيل إن الرازي كان في أول أمره صيرفياً (جامع ضرائب)، ويستدل ابن أبي أصيبعة على ذلك بقوله: إني وجدت نسخة من المنصوري قديمة قد سقط آخرها

---

١ وكانت الصين آنذاك أبعد بلاد يمكن تصورها

٢ د. كمال السامرائي، تعليم الطب في العصور الاسلامية، المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١، ط٢ ص٢١٩

٣ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص٣٤٤

٤ المرجع السابق، ص٣٤٩

٥ المرجع السابق ص٣٥٢ - ٣٥٣

٦ ابن أبي أصيبعة ج٢ ص ٣٥٠

واحترق أكثرها من عتقها ومكتوبٌ عليها : كناش المنصوري تأليف محمد بن زكريا الرازي الصيرفي، واخبرني من هي عنده أنها خط الرازي[1].
ومع أن يوحنا بن ماسويه (ت٢٤٣هـ/٨٥٧م) كان طبيباً مشهوراً، إلا انه برع في الترجمة حتى ولاه الخليفة المأمون سنة ٢١٥هـ/٨٣٠م رئاسة بيت الحكمة ودائرة الترجمة فيها، وهو أول من تولى هذا المنصب.
كما كان حنين بن اسحق العبادي طبيباً ومترجماً، فأصبح رئيسا لبيت الحكمة، فقد كان يترجم من اللغة اليونانية إلى السريانية أو العربية.
أما ابن سينا فيقول عن نفسه ولم يكمل الست عشرة سنة "وأحضرت معلم القرآن ومعلم الأدب وأكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب، حتى كان يقضي مني العجب.. ثم جاء بخارى أبو عبد الله النائلي وكان يُدّعى المتفلسف، وأنزله أبي دارنا رجاء تعلمي منه، ثم ابتدأت بكتاب ايساغوجي (المدخل للمنطق) على النائلي .. وكان أي مسألة قالها لي أتصورها خيراً منه، ثم أخذت اقرأ الكتب على نفسي وأطالع الشروح حتى أحكمت علم المنطق.. ثم توفرتُ على العلم والقراءة سنة ونصفاً فأعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة"[2].
وكتب ابن سينا في مختلف أنواع العلوم فكتب عن الصخور والزلازل والهالات حول بعض النجوم وتكوين المعادن والزيوت (النفط) تحت الارض.
كما كتب عن الموسيقى، ويقول جورج سارتون إن الجزء الموسيقي في كتاب "الشفاء" لابن سينا كان له التأثير العظيم على رسالة الفارابي الموسيقية "الكتاب الكبير في الموسيقى" وفي هذا الفصل في "الشفاء" يذكر الاصطلاحات والتركيبات والتفاصيل التي أدت فيما بعد إلى علم الإيقاع الموسيقي[3].
وكان ابن سينا فلكياً، فقد جرى ليلة بين يدي الأمير علاء الدولة ذكر الخلل الحاصل في التقاويم بحسب الأرصاد القديمة، فأمر الأمير الشيخ به .. واستخدام آلاته... ظهر كثير من المسائل فكان يقع الخلل في أمر الرصد لكثرة الأسفار وعوائقها [4].
ووضع ابن سينا في حال الرصد آلات ما سبق إليها [5].
وفي أحد مجالس الأمير علاء الدولة جرى حديث في مسألة لغوية فتكلم ابن سينا بما حضره فالتفت أبو منصور الجبائي [6]وقال للشيخ ابن سينا: إنك فيلسوف وحكيم ولكن لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها، فاستنكف الشيخ من هذا الكلام

---

١ المرجع السابق ٣٥٠

٢ ابن أبي أصيعة، ج٣ ص٤؛ القفطي ص٢٦٩

٣ الحكيم محمد سعيد والدكتورة سعديه راشد، ابن سينا، فيلسوف وعالم، المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ، ٢ ص١٨٢

٤ القفطي، ص٢٧٥؛ ابن أبي أصيعة، ج٣ ص١٠

د ابن أبي أصيعة، المرجع السابق ص١٢

٦ احد علماء اللغة العربية

ومضى في درس اللغة العربية ثلاث سنين وانشأ ثلاث قصائد ضَمّنها ألفاظاً غريبة من اللغة، كما عمد إلى حيلة بأن الف ثلاثة كتب كل واحد منها على طريقة أحد علماء اللغة؛ ابن العميد والصابيء والصاحب، وقام بتجليد هذه الكتب وتعتيقها كأنها كتاب قديم، وأوعز للأمير أن يعرض الكتاب على أبي منصور الجبائي، وأنه وجد هذا الكتاب في الصحراء وقت الصيد، فنظر فيها أبو منصور وأشكل عليه كثير مما فيها، فيما كان ابن سينا يدل أبا منصور الكتب التي وردت فيها هذه الألفاظ ففطن أبو منصور ان تلك الرسائل من تصنيف الشيخ فتذكر ما كان منه واعتذر اليه[1].

وقرض ابن سينا الشعر فأبدع فيه. وشكا إليه الوزير أبو طالب العلوي آثار بثر بدأ على جبهته ونظم شكواه شعراً فقال (من البحر البسيط) :

صنيعة الشيخ مولانا وصاحبه	وغرس أنعامه بل نشء نعمته
يشكو إليه أدام الله مدته	آثار بثر تبدّى فوق جبهته
فامنن عليه بحسم الداء مغتنماً	شكر النبي له مع شكر عترته

فأجابه ابن سينا:

الله يشفي وينفي ما بجبهته	من الأذى ويعافيه برحمته
أما العلاج فاسهال يقدمه	ختمت آخر ابياتي بنسخته
وليرسل العلق الماص يرشف منه	دم القفال ويغني عن حجامته
واللحم يهجره إلا الخفيف ولا	يدني إليه شراباً من مدامته
والوجه يطليه ماء الورد معتصراً	فيه الخلاف مدافاً وقت هجعته
ولا يضيق منه الزر مختنقاً	ولا يصيحن أيضاً عند سخطته
هذا العلاج ومن يعمل به سيرى	آثار خي،ر ويكفي أمر علته [2]

وعلى الرغم من أن ابن سينا لم يشتهر كشاعر فإن أشهر أشعاره الطبية هي "الأرجوزة" المشهورة التي يتحدث فيها عن أعضاء الجسم وأفعالها والاستدلال بها والأمراض وأعراضها، ويقسّمها إلى قسمين الجانب النظري والجانب العملي [3].

ومن قوله في الأرجوزة في الاستدلال بأفعال الدماغ :

٣٤٤ العقل ما استقام في تصوره	وفكره وصح في تذكره
٣٤٥ وحركات الجسم والإحساس	دل على سلامة في الراس
٣٤٦ وإن أصاب هذه أعراض	ففي الدماغ خلت الأمراض

---

١ ابن أبي أصيعة، ج٣ ص٤١١؛ القفطي د٢٧٥

٢ ابن أبي أصيعة، مرجع سابق، ج٣ ص٢١

٣ انظر الأرجوزة لابن سينا في "مصادر ودراسات في تاريخ الطب العربي - ٥ من مؤلفات ابن سينا، دراسة وتحقيق د. محمد زهير البابا منشورات جامعة حلب والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص١١٦ - الارقام قبل الابيات تسهيلا للرجوع للارجوزة

وفي ذكر العلامات الرديئة المأخوذة من الأفعال يقول:

٦٩٤ كراهة الضـــوء ودمع جار   بشـــدة التحريك وازورار
٦٩٨ وان تشـــكل بشـــكل منكر   وقد بدا يعنى بنتف الزئبر [١]
٧٠٠ وصرة الأسنان دون عادة   وولع اليدين بالوســـــاده
٧٤٦ ومرض الحجاب والأعضاء   يشارك الدماغ في الأدواء [٢]
٧٤٧ إن سلمت من هذيان دائـــم   فإن ذا المريض جد سالم

وينصح ابن سينا بالفصد في امتلاء العروق وانفجار الدم وفي علل متفرقة ويقول:

١١٩٢ وفي امتـــلاء العرق والرعـــاف   وفي البواسيـــر [٣] من الآناف
١١٩٦ وفي الصـــداع والدوار والبخـــر   ووجـــع السن وشعر ينتثـــر
١١٩٨ والصرع والسبل [٤] أو في الطرفة   وتوتة [٥] أو في ذهاب الشهوة

ونظم الطبيب المظفر بن أحمد الاصفهاني ديوانا عارض فيــه ديــوان الحماســة (لابي تمام) بيتاً بيتاً وذلك في عهد ملكشاه السلجوقي (٤٦٥ – ٤٨٥هـــ/ ١٠٧٢ – ١٠٩٢م) [٦].

وممن اشتهروا بالطب والفلسفة معاً الرازي وابن سينا وابن رشد، وقــد عــرف الرازي بفلسفته التي تشوبها روح المعتزلة، أما ابن سينا فقد قدَّم بعض الأطبــاء طبه على فلسفته وبعضهم فلسفته على طبه، والفلاسفة من مؤيديه قدَّموا فلســفته على طبه، أما غيرهم فقدَّم طبه على فلسفته.

وأما ابن رشد فهو أشهر من نار على علم في علم الفلسفة إلى جانب كونه طبيبــا وقاضياً، حتى وصل الأمر إلى أن تشيع له فريق من مفكري وفلاســفة أوروبــا وسموا بالرشديين، (Averroista) أما خصــومه فســموا باللارشــديين (Anti-Averroista) ومن فريق الرشديين كان روجر بيكون (ت١٢٩٤م) والامبراطور فردريك فن هوهنشوتوفن [٧].

---

١ الزئبر : وبر القماش وكان يعتقد أنه إذا أصيب الدماغ بتورم تخيل لصاحبه أن زئبراً على ثيابه فيقوم بالتقاطه.

٢ يقول : إن مرض الحجاب والصدر يشارك الدماغ في المرض، وإن لم يكن هناك هذيان فإنه يدل على سلامة الدماغ، فإذا اعتل الدماغ نفسه كان الهذيان دائماً

٣ البواسير في الآناف يقصد الزوائد الانفية

٤ السبل والطرفة: من أمراض العين.

٥ التوتة: ورم دموي في الوجه ويعزوه العامة لوحام المرأة في أكل التوت ومن هنا جاءت التسمية

٦ كارل بروكلمان، تاريخ الادب العربي، دار المعارف، ج١ ص٨٠

٧ توفيق قربان، اللباب والقشور، مطبعة صفدي، ساوباولو- البرازيل، ج٢، ١٩٧٩ ص٣٣٦ و ٣٤١

وكان ابن رشد آخر علماء الفلاسفة الذين ألفوا في اللغة العربية، ولـم يقـم فـي الاسلام بعده من بلغ درجته، وحتى في أوروبا ظلت فلسفة ابن رشد مسيطرة على عالم الفكر من أواخر القرن الثاني عشر حتى آخر السادس عشر [1].

وكان الفيلسوف الطبيب ابن طفيل (ت١١٨٥م) وزيراً لسلطان الموحدين ورئيسـا لأطبائه فجمع الوزارة والطب، كما كان مألوفـا أغلـب الأحيـان فـي الدولـة الإسلامية، لكن ابن طفيل اعتزل الطبابة في البلاط ١١٨٢م فخلفه فيها صديقه ابن رشد، ومن أهم آثار ابن طفيل قصته الفلسفية "حي بن يقظان" وتعد هذه القصة من أمتع ما في أدب العصور الوسطى وأروع القطع الفنية المبتكرة فيه، ونقلها إلـى اللاتينية ادوارد بوكوك سنة ١٦٧١م ثم نقلت إلى اكثر اللغات الأوروبية [2].

---

١ د. فليب حتي، تاريخ العرب، مرجع سابق، ص٦٦٨

٢ المرجع نفسه، ص٦٦٦

علاقة الأطباء بالحكام

في طبيعة العرب الكرم فكيف يكون الأمر عندما يتعلق ذلك بطبيب يشفيهم ويعيد الصحة إليهم ؟!.

لقد كان كرم الخلفاء والأمراء وتشجيعهم للعلم والعلماء وخاصة الأطباء سبباً في قدوم العلماء والأطباء من كافة الأمصار إلى حاضرة الخلافة مما عمل على تقدم الطب .

ويمتدح علي بن العباس المجوسي (ت حوالي ٣٨٤هـ/٩٩٤م)الملك عضد الدولة البويهي، الذي ألف له كتابه "كامل الصناعة الطبية" وينقل قولاً لكسرى أنو شروان جاء فيه " إذا أراد الله بأمة خيرا جعل العلم في ملوكها والمُلك في علمائها" [١].

وكان ابن أثال النصراني من الأطباء المتميزين في دمشق، ولما ملك معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠ هـ/٦٦١ - ٦٨٠م) دمشق اصطفاه لنفسه وأحسن إليه، وكان كثير الافتقاد له والاعتقاد فيه، والمحادثة معه ليلاً ونهاراً .

وقيل إن ابن أثال كان خبيراً بالسموم وقتل بالسم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد الذي رشَّحه المقربون من معاوية ليتولى الخلافة بعده، وفضلوه على ابنه يزيد، لكن فيما بعد قتل ابن أثال ثأراً من ابن أخ عبد الرحمن بن خالد [٢].

كما كان معاوية يستطب أبا الحكم وكان طبيباً نصرانياً يعتمد عليه في تركيبات الأدوية لأغراض قصدها منه [٣] .

وكان تياذوق طبيباً فاضلاً ومشهوراً في دولة بني أمية، وخدم الحجاج بن يوسف الثقفي (٤٠-٩٥هـ/٦٦٠-٧١٤م) بصناعة الطب وكان يعتمد عليه ويثق بمدلولاته وكان له منه الجامكية (الراتب) الوافرة والافتقاد الكثير [٤] .

وقد قرب الخلفاء والأمراء في الدولة الإسلامية الأطباء وجعلوهم من مستلزمات الحكم.

وقبل أن يصبح خليفة للمسلمين تعرف الطبيب عبد الملك بن أبجر الكناني على عمر بن عبد العزيز[٥] وأسلم على يديه، فلما أفضت الخلافة إليه سنة ٩٩هـ/٧١٧م ، نقل ابن أبجر التدريس إلى انطاكية وحران بعد أن كان يقيم

---

١ انظر "كامل الصناعة الطبية" تأليف علي بن العباس المجوسي، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت ـ المانيا ج١، المقدمة

٢ ابن أبي أصيبعه، ج٢ص٢٥

٣ المرجع السابق، ص٢٨

٤ ابن أبي أصيبعه، ج٢ص٣٢

٥ عندما كان مع أبيه الوالي على مصر

ويتولى تدريس الطب في الإسكندرية، وكان عمر بن عبد العزيز يستطب ابن أبجر ويعتمد عليه في صناعة الطب [1] .

وعندما انتقلت الخلافة إلى العباسيين ، ومن دمشق إلى بغداد ، التفت العباسيون شرقا فأحضر الخليفة أبو جعفر المنصور سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م الطبيب جورجيوس بن جبرائيل بن بختيشوع الذي كان آنذاك رئيساً لأطباء جنديسابور، لمداواته من علة في معدته [2] .

ويعتبر دخول جورجيوس إلى بغداد الشرار الذي أوقد نهضة الطب عند العرب[3].

وفي العصر العباسي وصل الثراء عند بعض الأطباء أن تزينوا بأزياء الخلفاء ونافسوهم في مسكنهم وحياتهم .

وقد بلغ بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع "من عظم المنزلة والحال وكثرة المال ما لم يبلغه أحد من سائر الأطباء الذين كانوا في عصره وكان يضاهي المتوكل في اللباس والفرش" [4] .

وقد عد الخلفاء والملوك والأمراء الأطباء جزءاً من مستلزمات الحكم، فلا بد للحاكم وحاشيته أن يكونوا بصحة جيدة وكذلك جنوده .

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل قلدوهم المناصب العالية، فهذا ابن سينا أصبح وزيراً .

كما أن الخليفة المعتصم خول طبيبه سلمويه وهو نصراني أن يكتب رسائله ويختمها بختم الخليفة، بل إنه كان يقول :"إن طبيبي عندي أكبر من قاضي القضاة" بل وكان يسميه "أبي" ولما مات سلمويه امتنع المعتصم من أكل الطعام يوم موته، وأمر أن تحضر جنازته ويصلى عليه بالشمع والبخور على زي النصارى الكامل، ففعل وهو يبصرهم ويباهي في كرامته، وحزن عليه حزناً شديداً [5].

ويقول الرهاوي :" ان الحاصل على الخصال اللائقة بالحكم هي أو أكثرها لائقة بالطبيب أيضاً" وينقل عن أرسطو قوله :"تفقد من الحاكم أربع خصال؛ أن يكون حسيباً، وأن يكون عالماً، وأن يكون ورعاً، وأن يكون غير عجول". كما ينقل عنه " أن الحاكم يزين الحكم وهو يوحشه" وإذا نقلت هذه الأقاويل إلى الطبيب وجدتها به لائقة وعليه واجبة [6].

ومن المهم التنبيه إلى أن علاقة الخلفاء والحكام مع الأطباء لم تكن دائماً أعطيات وهدايا بل أن بعض كبار الأطباء دفع ثمناً باهظاً لهذا القرب، خاصة عندما كان يفشل في علاج أحدهم أو يكثر حساده وتكثر المكائد والدسائس حوله.

---

١ ابن أبي أصيبعه، ج٢ص٢٤

٢ ابن أبي أصيبعه، ج٢ص٣٧

٣ د.كمال السامرائي، مختصر تاريخ..، مرجع سابق ص٣٣٦

٤ ابن أبي أصيبعه، ج٢ص٦٢

٥ ابن أبي أصيبعه، ج٢ص١٠٦

٦ كتاب آداب الطبيب، اسحق بن علي الرهاوي، تحقيق د. كمال السامرائي و د. داود سلمان علي، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية" بغداد ١٩٩١ ص٢٢

فهذه علاقة جبرائيل بن بختيشوع مع الرشيد والمأمون تتأرجح بين منتهى الرضى عنه وإكرامه عندما كان ينجح في العلاج وبين التهديد بقتله وسجنه ومصادرة ممتلكاته عندما كان يفشل في ذلك [1].

ويقول الرازي في رسالة كتبها إلى أحد تلاميذه "واعلم أن من أصعب الأشياء للطبيب خدمة الأمراء ومعالجة المترفين والنساء، فإن الطبيب الحر السيرة إذا اشتغل بصناعته فإنه يعيش بخير ويكون عليهم أميراً، ومن عاداته أن يأمر وليس أن يؤمر أبداً" [2].

وكما كان الخلفاء يجزلون العطايا للأطباء إذا نجحوا بعلاجهم، ويغضبون إذا فشلوا بذلك . وكان الشعراء كذلك فمدحوا بعض الأطباء وهجوا غيرهم بحق أو بدون حق .

وممن مدح طبيباً عبد العزيز الصقلي الذي يقول :

يا وارثاً عن أب وجد   فضيلة الطب والســداد
وحاملاً رد كل نفس   همت على الجسم بالبعاد
أقسم لو قد طببت دهراً   لعـــاد كــوناً بلا فســـاد

وعندما فشل أحد الأطباء بعلاج نفس الشاعر من حمى قال يهجوه :

ودبرها بتدبير لطيف   حكاه عن سنين[3] أو حنين
وكانت نوبة في كل يوم   فصيرها. بحذق نوبتـــين[4]

١اقرأ عن هذا الموضوع في عيون الأنباء، ج٢ص٤٥

٢د. سامي حمارنة، تاريخ تراث..، مرجع سابق ص١٩٨

٣سنين : تصغير سنان بن ثابت الطبيب، وحنين يقصد حنين بن اسحق .

٤انظر : د. شوكت الشطي، اللب في الإسلام والطب، مرجع سابق ص٢٨٥

أجور الأطباء

تقاضى الأطباء أجوراً عن معالجتهم المرضى منذ القدم، ففي حضارة وادي الرافدين ومصر القديمة كان الطبيب يستوفي أجوراً تناسب مكانته العلمية والعملية ومكانة المريض الاجتماعية [١].

وقد حددت شريعة حمورابي أجور الأطباء على النحو التالي :

المادة ٢٢١ : إذا جبر طبيب عظماً مكسوراً لسيد أو شفاه من مرض مؤلم فعلى المريض أن يدفع للطبيب خمسة شياقل من الفضة.

المادة ٢٢٢ : إذا كان المريض مملوكاً وعالجه طبيب وشفي من مرضه فعلى صاحب المملوك أن يدفع للطبيب شيقلين من الفضة [٢] .

وفي الحضارة الإغريقية كان أبقراط يأخذ أجوراً عينية من الأغنياء والمترفين كالأساور والحلي الذهبية والفضية أوالهدايا الثمينة، فيما لم يكن يأخذ من المرضى الفقراء.

ولم يكن لأبقراط رغبة في خدمة أحد من الملوك لطلب الغنى، ولا في زيادة مال يفضل عن احتياجه الضروري، ولذلك رفض دعوة من أحد ملوك الفرس عندما عرض للفرس وباء، على الرغم من كتابته إلى ملك اليونانيين يستعين به على إخراجه إليه، مع وعد بعطية كبيرة من الذهب لأبقراط .

وبقي أبقراط في بلدته يعالج المساكين والفقراء وفي مدن أخرى، ودار هو بنفسه جميع مدن اليونانيين [٣].

وفي الحضارة العربية الإسلامية كان يتقاضى الأطباء أجوراً عالية من الخلفاء والأمراء والأغنياء، بالإضافة إلى الأعطيات والخلع حتى إن كبار الأطباء باروا الخلفاء في اللباس والرغد والسكن .

وينقل اسحق بن علي الرهاوي في كتاب أدب الطبيب عن عيسى بن ماسه الطبيب أنَّ يوحنا بن ماسويه أخبره أنه اكتسب من صناعة الطب ألف ألف درهم.

وحكي عن إسرائيل بن زكريا الطيفوري أنه وجد (حزن من المحبة) على أمير المؤمنين المتوكل لما احتجم بغير إذنه، فافتدى المتوكل غضبه بثلاثة آلاف دينار وضيعة تغلُّ في السنة خمسين ألف درهم[٤].

---

١ د. محمود الحاج قاسم، الطب عند العرب والمسلمين، الدار السعودية للنشر، ١٩٨٧ ص٣٦٦

٢ د. كمال السامرائي، مختصر تاريخ..، مرجع سابق ص٥٣

٣ ابن أبي أصيبعه، ج١ ص٤٥-٤٦

٤ اسحق بن علي الرهاوي، كتاب أدب الطبيب، تحقيق د. كمال السامرائي و د. داود علي، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٩٢ ص١٥٠

ويقول د. عبد الحليم منتصر أنه "قدّر ما جمعه جبرائيل بن بختيشوع في خدمته في عهد الرشيد والمأمون بمقدار ٢,٥ مليون جنيه استرليني" [١,٢].
وكان جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع طبيب عضد الدولة وخاصته، وعندما جدد البيمارستان في بغداد صار (جبرائيل) يأخذ رزقين وهما برسم الخواص ثلاثمائة درهم وبرسم البيمارستان مثلها [٣].
وعندما عالج مهذب الدين بن ألد خوار (المتوفى سنة ٦٢٨هـ) الملك العادل وابنه الملك الكامل، كان ما وصله من ذلك إثنا عشر ألف دينار، وأربع عشرة بغلة بأطواق ذهب والخلع الكثيرة من الثياب الأطلس وغيرها [٤].
وكان أغلب الأطباء العرب والمسلمين من أمثال الرازي وابن سينا وغيرهم يعالجون الفقراء مجاناً، وكان ابن جزله البغدادي معروفاً بعطفه على المرضى ومساعدته الفقراء، وكان لا يأخذ أجراً من أهل حارته ويزودهم بالأدوية مجاناً.
ومن الأطباء من كان يأخذ معيشته من التجارة، ويمارس الطب احتسابا، كالطبيب كمال الدين الحمصي الذي كان يتردد على البيمارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين زنكي ويعالج المرضى فيه احتسابا، ثم ألزم بعد ذلك بأن قررت له فيه جراية [٥].
ونفهم من الفقرة السابقة أن أطباء المستشفيات كانوا يتقاضون رواتب شهرية، أو سنوية ، فقد كان "لجبرائيل بن بختيشوع في الشهر عشرة آلاف درهم ومعونة في السنة مائة ألف درهم وصلات دائمة وإقطاعات" [٦].
ولعطفه على الفقراء ألف الرازي كتاباً أسماه "طب الفقراء" وهو قاموس طبي شعبي فيه وصف كل الأمراض وظواهرها وطرق علاجها ووسائلها الموجودة في كل بيت.
وكان بعض الأطباء يعملون في أكثر من مكان واحد، ويقول ابن أبي أصيبعه عن الطبيب عزالدين بن السويدي (ت ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) أنه كان طبيباً مباشراً في البيمارستان النوري بدمشق وفي بيمارستان باب البريد، وتردد إلى قلعة دمشق وكان مدرساً بالمدرسة الدخوارية وكانت له جامكية (راتب) في هذه الأربع جهات [٧].

---

١ هذا الرقم كتب بأسعار نهاية الستينات
٢ د.عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم – ودور العلماء العرب في تقدمه، دار المعارف بمصر، ١٩٧١ ط٤ ص١٢٦
٣ القفطي ١٠٣
٤ ابن أبي أصيبعه، ج٣ص٣٩٤
٥ ابن أبي أصيبعه، ج٣ص٣٢٩
٦ ابن أبي أصيبعه، ج٢ص١١٩
٧ عيون الأنباء، ج١ص٤٣٥

وقد كره العرب أن يتكسب الطبيب بعلمه وصنعته، حتى إن عبد الودود بن عبد الملك الطبيب ألف كتاباً سماه "رسالة في ذمّ التكسُّب بصناعة الطب"[١].

١ د. نشأت حمارنة، مقدمة حول طب العيون العربي، مقال في مجلة التراث العربي، ص١٧٧

الأخلاق الطبية في الإسلام

علاقة الإسلام بالطب هي عنصر جزئي ينطلق من حقيقة كبرى تحكم نظرة الإسلام للإنسان (بكونه إنساناً أوّلاً وليس فقط مسلماً، فقد كرمه الله وحمله مسؤولية حمل أمانة الله على الأرض).

وقد كرَّم الإسلام الأطباء الذين يحفظون صحة الإنسان ويردونها إلى العليل، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "العلم علمان : علم الأديان وعلم الأبدان" أي جعل علم الأبدان "الطب" نصف العلم.

ومما ينسب إلى الإمام الشافعي قوله "لا أعلم علماً بعد الحلال والحرام أنبل من الطب" [1].

وطبقاً لتعاليم الإسلام فإن الله قد جعل لكل داء دواء. وهذا يعني أن علينا الاستقصاء والبحث حتى نجد الدواء الذي قد يتم عن طريق التشخيص والعلاج بالأدوية أوالعمليات الجراحية أو العلاج الإشعاعي أو التمرينات البدنية أو الروحية أو التكيف الغذائي أو أي توليفة أخرى [2].

ويعترف الإسلام بالمرض كحالة تصيب أعضاء الجسم، فرسول الله يقول لسعد بن أبي وقاص حين أصيب بمرض في القلب "إنك رجل مفؤود فأت الحارث بن كلده أخا ثقيف فإنه رجل يتطبَّب". وعلى ذلك فالمرض ليس ناتجاً عن الشياطين والنجوم والأرواح الشريرة، ولذلك منع الإسلام كل المعالجات المبنية على هذه المعتقدات الخاطئة مثل التَّطيُّر والتمائم والعِرَافة، ويقول رسول الله "من علق تميمة فقد أشرك" [3].

وحديث الرسول عن الطاعون ما هو إلا أسلوب الحجر الصحي الحديث للأمراض الوبائية، فعن أسامه بن زيد قال رسول الله "إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها".

لقد حافظ أطباء الحضارة الإسلامية العربية على تعاليم أبقراط في ميثاقه وأدخلوا عليها بعض التحسينات بما يوافق ما دعت إليه الشريعة الإسلامية.

ومما أضافوه نصهم على الصفات الجسمية للطبيب وحسن ملبسه فلأن استكمالها في الطبيب أدعى لثقة المريض.

ومنها الدعاء للمريض بالشفاء كنوع من المواساة بالكلمة الطيبة [4].

---

١ الذهبي، الطب النبوي، القاهرة ١٣٤٩هـ ص١٠٧

٢ د.أحمد القاضي، ما هو الطب الإسلامي؟، المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، ط٢ الكويت، ١٩٨١ ص٥١

٣ د.إبراهيم الصياد، نظرة الإسلام للطب، للمؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١، ط٢ ص٥٩

٤د. محمد ناظم النسيمي، قواعد وآداب مزأولة الطب في التراث الإسلامي، المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢ ص٦١٩

وفي مناقب الأطباء ينقل ابن أبي أصيبعة عن عبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع أن الخليفة المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ / ٨٤٧ - ٨٦١م) طلب من حنين بن اسحق أن يصف له دواء يقتل به عدواً له، فرفض حنين قائلاً إن الدين والصناعة تمنعنا من ذلك، فقد جعل الله في رقاب الأطباء عهداً مؤكَّداً بإيمان مغلَّظة أن لا يعطوا دواءً قتالاً،ومع أنه قيل أن الخليفة حبسه سنة إلا أنه كان غير مكترث بما هو فيه، وعندما أيقن الخليفة صدقه أكرمه ورفعه بين الأطباء وقلّده أمور الترجمة في بيت الحكمة[1].

وفي تاريخها الطويل لم تخل الحضارة العربية الإسلامية من وجود بعض الأطباء الذين لم يلتزموا بآداب المهنة، لكن هؤلاء وجهوا بتقريع الملتزمين منهم بتلك الآداب، فكان الرازي من أوائل من تنبهوا إلى ذلك، فكان "يزرع في نفوس تلاميذه الفضيلة وحسن الأخلاق مؤكدا لهم قدسية مهنة الطب، محارباً قولاً وعملاً كل أنواع الشعوذة في أي مكان كانت وفي أي صورة ظهرت" [2].

وهاجم الرازي جهلاء المتطببين الذين كانت غايتهم ابتزاز أموال المساكين والبسطاء، وحاول رفع مستوى المهنة علمياً وأخلاقياً[3].

وينصح الرازي الطبيب أن لا يدع مساءلة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علته من داخل ومن خارج ثم يقضي بالأقوى.

كما ينبغي للمريض أن يقتصر على واحد ممن يوثق به من الأطباء فخطؤه في جنب صوابه يسير جداً، وقال "من تطبب عند كثيرين من الأطباء يوشك أن يقع في خطأ كل واحد منهم" [4].

وهذا صحيح في وقتنا الحاضر عندما يتنقل المريض إلى عدد من الأطباء فيصبح بالتالي الضحية.

وكان الرازي رؤوفاً بالمرضى مجتهداً في علاجهم بكل وجه يقدر عليه، مواظباً في غوامض صناعة الطب والكشف عن حقائقها وأسرارها وكذلك في غيرها من العلوم بحيث أنه لم يكن له دأب ولا عناية في جُل أوقاته إلا في الاجتهاد والتطلع فيما دوّنه الأفاضل من العلماء في كتبهم [5].

ومن كلام الرازي قوله "الاستكثار من قراءة كتب الحكماء والإشراف على أسرارهم نافع لكل حكيم عظيم.

ومن الإضافات التي أضافها الإسلام مؤسسة الحِسبَة، فأصبحت وظيفة المُحتَسِب تستوعب تحت سلطتها كل فئات المجتمع في أخلاقها العامة وسلوكها الاجتماعي والاقتصادي.

١التقفطي ١٢١؛ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص١٤٤- ١٤٥

٢زيغريد هونكه، مرجع سابق ص٢٤٦

٣ د. سامي حمارنه، الصناعة الطبية في عصر الإسلام الذهبي، مرجع سابق ص٥٨٧

٤ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص٣٥١

٥ ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص٣٤٦

وكانت الرقابة على مهنة الطبابة والصيدلة في سلم هذه الاختصاصات، وكـــان المُحْتَسِب يقوم بهذه المراقبة حفاظاً على سلامة المجتمع وصيانة آداب الطبابـــة ووقايتها من أخطار الجهلة والمشعوذين الدخيلين عليها.

وتعرضت كتب الحسبة بإسهاب لهذه المراقبة ووسائلها وطرقها وكان منها أنــــه على المحتسب أن يأخذ عهد بُقراط على الطبيب المجاز[1].

وقد عُرِفتْ المسؤولية الطبية قديماً، ففي شرائع حمورابي هناك عدة مواد تعاقب الطبيب الجراح إذا فشل في العلاج (المادتان ٢١٨ و ٢١٩) وربما إن القســوة في العقاب سببها اعتبار الطب الجراحي عملاً خارجاً عن عقيدة القوم القائمــة على العلاج الروحي، فإذا فشل الطبيب في عمله الجراحي وجب عقابه[2].

وفي الإسلام يقول الحديث الشريف "من تطبب ولم يُعلّم عنه طب فهو ضـــامن" أي من لم يشتهر بممارسة الطب فهو ضامن لخطئه وعليه التعويض للمتضرر.

وعلى المحتسب "أن لا يمكّن أحداً من العطارين من بيع غرائب العقاقير إلا ممن لا يستراب به بخط متطبب لمريض" [3].

وهذا يشبه منع بيع الصيادلة للعقاقير خاصة الخطرة إلا بوصفة طبية وبتوقيع لا يشك به من الطبيب.

وكان من صلاحيات المُحْتَسِب مراقبة دكاكين الصيادلة وكشف الغش والتـدليس الذي يمارسه بعضهم، واحتوت بعض الكتب التي كان يرجع إليهـا المحتسـب طرق غش الصيادلة المشهورة، ومنها كتاب "نهاية الرتبة في طلـب الحسـبة" للشيزري ومما جاء به "ومن غشوشهم المشهورة أنهم يغشون الأفيون المصـري بشياف ماميثا – وهو نبات له عصارة" ويذكر عدة طرق للغش وكيفية كشفها.

ويضيف أنه أعرض عن ذكر أشياء في هذا الباب لم يذكرها مخافة أن يتعلمها من لا دين له فيدلّس بها على المسلمين، وأنه أمسك عن أشياء أخـرى ذكرهـا مؤلف أحد كتب الكيمياء "فرحم الله من وقع في يده ذلك الكتاب، فمزقه وحرقـه تقرباً إلى الله عز وجل".

ولم يكتف البعض بذلك بل كانوا يدَّعون أن لديهم كل أصناف الأدوية معتمـدين على أن الطالب عادة يكون غير ملمٍّ بها، وحدث أن المأمون سأل يوسف لقـوة الكيميائي عن ذلك فقال: ان رأى أمير المؤمنين أن يضع إسما لا يُعْرَف ويوجِّـه إلى الصيادلة في طلبه ليبتاعه فليفعل، ووضع المأمون إسم "سـقطيثا – وهـي ضيعه قرب مدينة السلام، وأرسل جماعة لطلبها من الصيادلة فلما عادوا أحضر كل واحد منهم شيئاً مختلفاً" [4].

١محمد بسيس، مرجع سابق ص٦٢٦

٢د. كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، مرجع سابق ص٥٣

٣صبح الأعشى، القلقشندي (توفي ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) دار الفكر، بيروت ١٩٨٧ج١١ ص٩٦

٤ الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، مرجع سابق ص٣٢٢

وكان المُحْتَسِب وهو من أرفع الموظفين رتبة في الدولة يحرص على التأكد من حيازة الأطباء الآلات المفروضة لصناعتهم واجتيازهم الامتحانات المطلوبة منهم، وعلى ألا يسلموا آلاتهم إلى غير المرخصين[1].

وكان للمُحْتَسِب الحق في أن يدخل البيمارستان ويتفقّد حال المرضى ودرجة العناية بهم والطعام الذي يقدم لهم ونظافتهم والتحقق من عدم غش العلاجات عند الصيادلة، وعند اكتشافه أي خطأ في تلك الخدمات له أن يعاقب صاحبها بالمنع من مزاولة المهنة، إذا كان طبيبا أو صيدلانيا، وربما وصل العقاب لإقامة حد التعزيز عليه [2].

ومع أن الأطباء كانوا يأخذون كافة الاحتياطات العلمية والأخلاقية في أعمالهم، إلا أن المحتسب كان يؤدي دورا لضمان الإشراف على المصالح العامة للمسلمين حتى لا يقع تقصير من بعضهم، حيث تقع مسؤولية على الطبيب. ومما جاء ذكره على سبيل المثال في كتاب "معالم القربة في أحكام الحسبة لابن الأخوة" "وينبغي للطبيب إذا دخل على المريض وسأله عن سبب مرضه وما يجد من الألم، ثم يرتب له قانونا (وصفة طبية) من الأشربة وغيره من العقاقير ثم يكتب نسخة لأولياء المريض بشهادة من حضر معه عند المريض، فإذا كان الغد حضر ونظر إلى دائه وقارورته (بوله) وسأل المريض هل تناقص به المرض أم لا، ثم يرتب له ما ينبغي على حسب مقتضى الحال ..

وهكذا إلى ان يبرأ المريض أو يموت، فإن برىء أخذ الطبيب أجرته وكرامته[3] وإن مات حضر أولياؤه عند الحكيم المشهور[4] وعرضوا عليه النسخ التي كتبها لهم الطبيب، فإن رآها على مقتضى الحكمة وصناعة الطب من غير تفريط ولا تقصير قال : هذا قضاء بفروغ أجله، وإن رأى الأمر بخلاف ذلك، قال لهم : خذوا دية صاحبكم من الطبيب، فإنه هو الذي قتله بسوء صناعة الطب وتفريطه[5].

وفي الجرائم كان يتم انتداب الطبيب للكشف عن الجرحى، ومثال ذلك "عندما طلب أحمد اليغموري الظاهري (نائب السلطنة المعظمة بالقدس الشريف) سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣م من قاضي القدس شرف الدين عيسى بن غانم أن يندب شهوداً للوقوف على حالة مجروح من أهل تقوع من أعمال القدس، فأمر القاضي ثلاثة شهود بالتوجه للكشف عن حالة الجريح وصحبهم جرائحي (جرّاح) من ارباب

١ د. احمد فؤاد باشا، التراث العلمي للحضارة الإسلامية، دار المعارف، ط٢ ١٩٨٤ص١٧٧

٢ د. فرح الموني، مرجع سابق ص٢٠٧

٣ربما يقصد ما يكرم به

٤رئيس الأطباء

٥د. محمود الحاج قاسم، مرجع سابق ص٣٤٤ نقلا عن معالم القربة في أحكام الحسبة، ص ٢٥٥ - ٢٥٦

الخبرة هو الحاج موسى بن محمد الذي وصف حالة الجريح نصير بن نصر الله بن محمد الذي أصيب بضربة سيف في مقدمة دماغه" [1].

وحول المسؤولية الطبية يورد د. العسلي خلاصة وثيقة يعود تاريخها إلى سنة ١١٩٨هـ/١٧٨٣م تبيّن أن رجلاً من عين كارم ادعى على جّراح يهودي يدعى سلمون أنه تسبب في وفاة أخيه بسبب إجراء عملية جراحية له في كيس خصيته بعد أن ضربه بالريشة لإخراج ما بها من المادة، واستدعى القاضي للشهادة جرّاحَيْن ماهرَيْن هما حسن الحلاق وخليل المغربي، وسألهما إن كان ضرب الكيس بالريشة أمراً سليماً من الوجه الجراحي فأخبراه أن الكيس إذا انتفخ بمادة أو ريح فيضرب بالريشة، ورفع القاضي الدعوى إلى مفتي القدس فأفتى بأن الجراح اليهودي لا يضمن ما دام قد أذن له بالعقد والاجرة، إلا إذا كان معتديا وفي النهاية حكم القاضي بأن اليهودي غير ضامن من تصرفه ولا مسؤولية عليه [2].

وبيّن ابن أبي أصيبعة أن زي الأطباء في الدولة الإسلامية كان يختلف عن زي أطباء الفرنجة، ويقول عن الحكيم موفق الدين بن سقلاب النصراني (٥٥٧ – ٦٢٥هـ/١١٦١ – ١٢٢٨م) الذي ولد بالقدس وتعلم فيها الطب عندما كانت بيد الصليبيين (٤٩٢-٥٨٣هـ/١٠٩٩-١١٨٧م) أنه بعد أن فتح صلاح الدين الكرك (٥٨٠هـ/١١٨٤م) : "اتى إلى دمشق الحكيم موفق الدين بن سقلاب النصراني وهو شاب على رأسه كوفية وتخفيفة صغيرة وهو لابس جوخة ملوطة زرقاء زي أطباء الفرنج، وقصد الحكيم موفق الدين بن المطران وصار يخدمه ويتردد إليه، فقال له: هذا الزي الذي أنت عليه ما يمشي له به حال في الطب في هذه ألدولة بين المسلمين، وإنما المصلحة أن تغير زيّك وتلبس عادة الأطباء في بلادنا ثم أخرج له جبّة واسعة عنابية وبقياراً مكملاً وأمره أن يلبسهما" [3].

ويقول د. محمد أحمد سليمان [4]: "إن آداب الطب وأخلاقياته التي لم يبلورها الأطباء المسلمون القدماء في لائحة محددة سببه أنهم كانوا يعيشون في مجتمع إسلامي منظوم بشريعة واضحة وضعت لكل الناس يعملون بها وفق أخلاقيات دقيقة واضحة .. ومتى كان ذلك واضحاً فلا حاجة للأطباء أن يضعوا لأنفسهم قواعد أخلاقية كالتي وضعها المصريون واليونان وتبعهم الأوروبيون والأطباء المحدثون.

١د. كامل العسلي، مقدمة في تاريخ الطب في القدس، مرجع سابق ص١٣٨

٢د. كامل العسلي مرجع سابق ص١٧٩و١٨٠

٣عيون الانباء، ج٣ ص٢٩٠و٢٩١

٤انظر المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢ ص٦٧٢. ود. محمد أحمد سليمان شغل منصب استاذ كرسي الطب الشرعي وآداب مهنة الطب لمدة ٢٠ عاما في جامعة القاهرة وكان امينا للمجلس الأعلى للجامعات المصرية

أما الأطباء المسلمون فإنهم إن أسلموا حقاً فإن إسلامهم يلزمهم بمنهـاج آخـر متكامل يربط كل فرد منهم لا بالمجتمع فحسب بل بالله الذي يعبدون ويلتزمـون بهذا المنهاج طواعية واختياراً في ظاهرهم وباطنهم.

وقد خصص معظم المؤلفين في كتبهم فقرات لخصوا فيها الأخلاق الطبية التـي يجب ممارستها والشروط التي ينبغي أن تتوفر فيمن يرغب في ممارسـة هـذه المهنة النبيلة[1].

وإنه من الطريف أن نجد فقيهاً اندلسياً يخصص كتاباً في آداب الطبابـة وهـو الفقية الاندلسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحاج العبدري المالكي المتـوفى سنة (٧٣٧هـ / ١٣٣٦م). أما كتابه الذي جمع فيه نصائحه ودعوته فهو كتاب "المدخل".

ومما جاء فيه أنه ينبغي للطبيب أن يكون الناس عنده على أصناف ، فصـنف يأخذ منه، وصنف لا يأخذ منه، وصنف إذا وصف لهم شيئا من الأدوية أعطى لهم ما ينفقونه فيه.

والصنف الأول هم الأغنياء، والثاني العلماء والصلحاء المستورون فـي حـال دنياهم فلا يأخذ منهم شيئا إلا أن يكون محتاجاً، والصنف الثالث الفقراء الذين لا يقدرون على كفايتهم في حال الصحة فهؤلاء يعطيهم ثمن ما يصفه لهم إن كان في سعة [2].

وكثيراً ما نجد أطباء اليوم يسلكون مثل المسلك السابق، وخاصة عدم تقاضـي أية أتعاب من الفقراء بل وفي حالة إعسارهم يعطونهم الدواء أو ثمنه، ومثل هذا التصرف له صلة مباشرة بمعنويات المريض وهذا هو العنصر الفعال في تقوية معنويات المريض حتى تكون مصدر إيحاء له بالعافية والشفاء.

وألف اسحق بن علي الرهاوي "كتاب أدب الطبيب" في القرن الثالث الهجـري/ التاسع الميلادي، تحدث فيه عن شرف صناعة الطـب، لأن موضـوعها هـو الإنسان، ومحنة الأطباء (امتحان الأطباء) لأن الغلط فيها أعظـم مـن أغـلاط أصحاب الصنائع الأخر.

كما يتحدث عن أخلاقيات الطبيب وسلوكه وآداب عيـادة (زيـارة) المرضـى ومكانة الأطباء عند الملوك والقادة.

ويقول الرهاوي في كتابه عن سبب تأليفه الكتاب "إن أناساً من الأطباء .. جهلوا أصول صناعة الطب، وفاتهم درك فروعها، وقصّروا عن تأمل الصواب فـي طرقها فخرجوا إلى الحيل والتلبيس حتى أفسدوا محاسنها وأساؤا سمعة اهلها.

١د. نشأت حمارنة، مقدمة حول طب العيون العربي، مقالة في التراث العربي ص ١٧٧

٢محمد الطيب بسيس، قواعد وآداب مزاولة مهنة الطب، المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢ ص٦٢٥

وقد تكلفتُ جمع ما قدرتُ عليه من الآداب التي ينبغي للطبيب أن يـؤدب بهـا نفسه والأخلاق المحمودة التي ينبغي أن يقوم بها طبعه[1].

ويدعو الطبيب إلى الاستماع للأقاويل والألحان التي تعدل الأخلاق ويقـول إن ذلك يكون بالاستماع إلى ما يسر النفوس كأخبار الأفاضيل والمتأهلين، وإستماع علوم العلماء الإلهية منها، أعني الشرعية، والعقليات وأخبار المتـدينين وأهـل الورع والطهارة، لأن في استماع جميع ذلك سرور للنفس الفاضلة[2].

وينصح الطبيب بلبس أحسن الثياب والتطيُّب بالروائح ففي ذلك قوة نفس عاجلة للمريض[3].

وكذلك فإن الطبيب مضطر إلى حضور مجالس الأفاضـل والأدبـاء والأدب.. وينبغي ان يتحفظ في ألفاظه خاصة في مجالس الملوك والرؤساء، فلا يسأل إلا عما يعنيه أمره ولا يجيب إلا عما سئل عنه، وكذلك بأن لا ينظر إلـى حرمـة ليست له بمحرم ، ويجتهد في كتب الصناعة وديوان شريعته، فإن كتب الشرائع تقوم الأخلاق وتبعث على الأعمال المحمودة وكتب صناعته تكسبه علماً بها.

ويجب على الطبيب حراسة سمعه، وذلك بأن لا يسعى إلى محادثة الجهـال ولا إلى الإستماع إلى أقاويل الأشرار، ولا يجادلهم فإن تهيأ له مذاكرة فاضـل وإلا كان الأنس بالوحدة والخلوة بالدرس له أعظم الأنس.

وإذا توجه إلى مرضاه صلى صلاة الصبح وسأل الله تبارك وتعالى ان يـنجح سعيه وأن يشفي المرضى على يديه وخرج بنية صادقة يسأل الله المعونة علـى برئهم[4].

ولا ينبغي للطبيب أن يلتفت إلى قول يسمعه من المريض لا يرضيه، فإن كثيـراً من الأمراض تفسد التخيل والتمييز[5].

ويجب على الطبيب أن يوصي خادم المـريض بكيفيـة خدمتـه، إذ إن بعـض المرضى يلزمهم من يخدمهم لعجزهم عن خدمة نفوسـهم كأصـحاب السـكتة والبرسام ونظائرهم أو لأن المريض طفل لا يعقل أو اعجمي أو اخرس، وأمثال هذه الموانع فلذلك يحتاج الطبيب إلى معرفة حالات هؤلاء ممن يخـدمهم، ولا يتم ذلك إلا بما يوصيهم وينبِّههم عليه الطبيب من تفقد الحالات والعلامات التي يحتاج إليها، فيجب أن يوصي المتولي لخدمته كيـف يصـلح دواءه وغـذاءه ومقدار كل واحد منهما وزمانه[6].

١كتاب أدب الطبيب لإسحق بن علي الرهاوي، تحقيق د. كمال السامرائي ود. داود سلمان علي، ١٩٩٢، دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية" بغداد ص١٦

٢المرجع السابق ص٥٧

٣ص٥٩

٤ص١٠٤

٥الرهاوي مرجع سابق ص١١٠

٦المرجع السابق ص١١٢

ولم ينس الرهاوي ذكر آداب عوّاد المريض، ذلك أن بعض الأمراض ما يذهب معها التمييز كالوسواس والماليخوليا والسكتة، ومن الأمراض أمراض تقلق المريض ولا يمكنه معها كلام الناس لاستحيائها له ولمثل ذلك لا ينبغي أن يُعاد.

وإذا عاد شخص أحد المرضى فينبغي أن تكون عيادته غير طويلة، وينبغي أن لا يخبر المريض بما يغمّه من خبر تجارة خسرت له، ولا يذكر بحضرته ذكر ميت ولا خبر رديء لمريض آخر، ولا أن يستخبر عن مرضه استخبار متقصٍّ، أو يشير عليه بدواء أو غذاء فربما حمل المريض بجهله أو لشدة ما به أن يستعمله فيضرّ به ويفسد عمل الطبيب، وربما كان ذلك سبباً لهلاك المريض[1].

أما المريض فإما أن يوالي الطبيب فيعاونه على برئه وإما أن يوالي المرض فيعينه على نفسه كما يقول ابقراط [2].

ويجب على المريض ألا يجيب عن اسئلة عواده عن كل سؤال يسألونه ولا يشرح حال مرضه إلا لطبيبه، كما أن هناك أمراضاً لا يصلح للمريض فيها استماع الكلام الكثير كالصداع والشقيقة ونظائرها من أمراض الدماغ [3].

ولشرف المهنة (الطب) ترى طاعة الملك لطبيبه ما لا يطيع أبويه ولا أحدا من أهله وحشمه، فقد حكي عن جبرائيل بن بختيشوع طبيب المأمون أنه قال له يوماً :"يا أمير المؤمنين أنا مصلح أدمغة الملوك والقضاة منذ خمسين عاماً فكيف أقاس بغيري! فاستحسن ذلك منه" [4].

ولشرف المهنة وجب على الملك وجميع من لاذ به أن يعرفوا حق الطبيب وقدر صنعته فيجلّونه ويكرمونه ويأنسوا به ولا يدخلوا على قلبه رعباً، ولا يستقبلوا فيه قول واش ولا حاسد، ولا يتّهموه بل يفعل معه كما فعل الإسكندر لما وُجِّهَت إليه أمه تحذر من طبيبه لئلا يسمّه، فدعى بالطبيب عند ورود الكتاب بذلك فقال جئني بشربة لأشربها فلما أحضر له الطبيب الدواء تناول الإسكندر الشربة من طبيبه بيمينه وناوله الكتاب بيساره وقال له: هذه منزلتك عندي وهذه ثقتي بك، فازداد ذلك الطبيب من صرف همته وشغله ليله ونهاره بما يصلح شأنه من حفظ صحته وعلاجه [5].

ويقول الرهاوي إن صناعة الطب لا يصلح أن يعملها كل من التمسها لكن اللائقة بهم في خلقهم وأخلاقهم ويجب أن يكون الملتمس على هذه الصناعة من أولاد أهلها قد عني أبويه بتقويم مزاجه وأخذه بالعادات المحمودة في اصلاح أخلاقه ليكون بذلك معداً للتعليم بأيسر سعي.. فإن المقومين الذين قد راضهم

١المرجع السابق ص١١٤

٢المرجع السابق ص١٣٧

٣المرجع السابق ص١٤٠

٤المرجع السابق، ص١٤٤

٥المرجع السابق، ص١٤٨

آباؤهم من أهل صناعة الطب هم الذين يصلحون لتعلمها لا كل من التمس تعلمها كما قال جالينوس إنه لا يجد كل إنسان يصلح لقبول صناعة الطب لكنه ينبغي أن يكون البدن والنفس ملائمين لقبولهما .

قال جالينوس إن أحد الأسباب التي وضع ابقراط بسببها كتاب الإيمان (ويعرف أيضاً بكتاب العهد) هو امتحان الإنسان المريد تعلم صناعة الطب في جسمه وفي نفسه [1].

ويقول الرهاوي في امتحان الأطباء إن محنة الطبيب واجبة لأسباب أقدمها شرف الموضوع لصناعة الطب وهو الإنسان، فإن الغلط إذا وقع بالإنسان من الطبيب كان أعظم كثيراً من أغلاط أصحاب الصنائع الأخر لأن أغلاطهم لا تبلغ مقدار غلط الطبيب، كما لا يبلغ قدر موضوعاتهم قدر موضوع الطبيب، وهوالإنسان، فلذلك وجب تمييز الأطباء بالمحنة وانتقادهم بالنظر والبحث ليظهر فضل الأفاضل فتسلم اليهم النفوس ويظهر جهل المدعين لها فيحذر على النفوس منهم، ومن الأسباب الموجبة لمحنة الطبيب صعوبة الصناعة وطولها، أما صعوبتها فلكثرة أصولها ولاشتباك أصولها وفروعها، فلذلك إتسعت الاقاويل فيها ووضع أهلها في علمها أصنافاً من الكتب فاستصعب لذلك دركها (ادراكها) وخاصة على أهل الكسل وعلى من قنع منها بالتكسب باسمها [2].

ولذلك فالنظر في أمر الطب واختيار الأطباء واجب على الملوك أولاً ثم على الرؤساء ومن إليهم النظر في مصالح الناس والعلماء وأهل العقول[3].

وبعد ما ذكرناه من المحنة والاختيار فقد كان يحمل لقدماء الأطباء كرسي يسمى "كرسي الحكمة" لا يجلس عليه إلا الطبيب[4].

ولم يكن الرهاوي أول من كتب في موضوع امتحان الطبيب (محنة الطبيب) فقد سبقه يوحنا بن ماسويه الذي ألف كتاباً أسماه (محنة الطبيب) وألف حنين بن اسحق "كتاب في امتحان الأطباء"[5].

وفي آداب مهنة الطب نشير إلى أنه لا يجوز فصل آداب المهنة عن الأخلاقيات العامة التي دعا إليها الإسلام، وإن الالتزام بخلق الإسلام يصبح جزءاً من طبع الطبيب يمارسه بلا تكلف في جهره وعلانيته، يضاف إلى ذلك القواعد الطبية المقررة والجوانب التي تمس عمله كطبيب ومنها:

١المرجع السابق، ص١٦٣

٢المرجع السابق، ص١١٦

٣المرجع السابق، ص١٨٢

٤المرجع السابق، ص١٨٣

٥ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص ص١٣٦و١٦٤

- غض البصر : فلا يجوز أن يكون الترخيص بالاطّلاع على العورات عند الضرورة الطبية مبرراً للتخلي عن الحياء الواجب على كل مسلم، وإن شعور المريض بحياء الطبيب يعطيه ثقة أكثر في طبيبه.

أما المواقف التي تتطلب من الأطباء فحص الجنس الآخر فإنها اختبار للقيم الخلقية والصلابة، ولذا ينصح الطبيب أن يفحص مرضاه من الجنس الآخر بوجود شخص ثالث، طالما كان ذلك ممكناً، ففي ذلك وقاية للطبيب وللمريض، فعندما يفحص الطبيب إمرأة أمام إمرأة أخرى تحضر معها أو أمام الممرضة فإن ذلك يعطيها الثقة ويقلل من حيائها، ويجنبه الخلوة بها والوقوع في الشبهات.

كما لا يجوز أن يكشف من العورة إلا بقدر ما تستدعيه الضرورة الطبية.

كما أن الطبيب بحكم مهنته معرَّض للاطلاع على أسرار المرضى، ويجب عليه حفظ أسرارهم وستر ما ستره الله.

كما يجب على الطبيب أن لا يصف دواءً من المحرمات إلا للضرورة، لأن "الضرورات تبيح المحظورات"فالكحول مثلاً من المحرمات وجاء في الحديث الشريف "إنه ليس بدواء ولكنه داء" وجاء أيضاً "إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم" .

وينبغي للطبيب أن يشيع روح الأمل عند المريض بالشفاء وان "يوهم المريض أبداً بالصحة ويرجِّيه بها، وإن كان غير واثق من ذلك فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس" كما يقول الرازي.

ومن باب إشاعة الأمل عند المريض حثه على الصبر وعدم اليأس، ففي ذلك تكفير لذنوبه، حيث يقول الرسول "ما يصيب المسلم من نَصَب ولا وَصَب ولا هَمّ ولا حَزَن ولا أذى ولا غَمّ حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها خطاياه" وكثيراً ما تساعد صلابة النفس في شفاء المريض. وكثيراً ما سمعنا عن مرضى يئسوا من الشفاء فانتحروا.

ولا يجوز إخبار المريض بخطورة مرضه ولو كان ميئوسا من شفائه، وهذه من الحالات القليلة التي رخَّص فيها الإسلام بإخفاء الحقيقة ، ولكن لا يمنع ذلك الطبيب من أن تتسع دائرة البر وسماحة الصدر وطول الأناة لديه بتطمين أهل المريض بما يخفّف خوفهم عليه وجزعهم من أجله وسؤالهم عنه في غير إخلال بقدسية سر المهنة.

ولا يجوز للطبيب أن ينتقد طبيباً آخر أمام المريض.

واحتراماً لمن سبقوهم كان الأطباء العرب والمسلمون يذكرون اسم "الفاضل" قبل ذكرهم لمشاهير الأطباء كجالينوس وأبقراط [1].

---

١ وأمثلة على ذلك كثيرة ولا تحصى، أنظر ثابت بن قره، الذخيرة في علم الطب، تحقيق د. المصري صبحي، طبعة القاهرة، ١٩٢٨ ص٢٤

وكان المؤلفون من الأطباء العرب يتفهَّمون آراء أساتذتهم السابقين، ويناقشـونها ويحللّونها لكنهم لا يحجمون عن توجيه النقد لها، ويترفعون عـن كـل تجـريح لقدماء المؤلفين، بل ولا يختمون فصلاً يكتبونه إلاّ بعبارة "والله أعلم" وظهـرين كل تواضع أمام صاحب العلم المطلق، ومدركين أن ما نعرفه اليوم قـد يصـبح جزءاً ضئيلاً من معرفة الغد.

لذلك نراهم إذا عثروا على خطأ وقع فيه مؤلف قديم .. فإنهم يبحثون عن عـذر له، فالرازي في رده على جالينوس يُعَنْون كتابه بشـكل يتجلـى فيـه الحـذر والاحترام .. "السكوت على كلام فاضل الأطباء في الكتب التي نُسـبت إليـه"، فالرازي يكاد يقول أن هذه الآراء نُسبت إلى فاضل الأطباء جالينوس.. معتذراً له أن يكون وقع في خطأ[1].

وهناك جوانب أخرى تقع تحت باب "إسلاميات ممارسة المهنة" ومنهـا: بـدء الفحص أو العلاج بذكر اسم الله فذلك أدعى للتوفيق".

وقد يشهد الطبيب بحكم عمله وفاة المريض فعليه وبصفته مسلماً قبل أن يكـون طبيباً أن يلقنه الشهادتين كما يقول رسول الله "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله"[2].

كذلك يجب على الطبيب أن لا يتوانى عن تقديم النصح لمن يحتاجه، وأن يقـدم المشورة لزملائه إذا استشاروه وإعطاء خبرته لهم حيث يقول رسول الله "من دل على خير فله مثل أجر فاعله". "يأتيكم رجال مِنْ قِبَل المشـرق يتعلمـون فـإذا جاؤوكم فاستوصوا بهم خيرا".

كذلك عليه أن يذيع ما يكتشفه من جديد في العلاج تعميما للفائـدة ولا يحتكـر طريقة في العلاج فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول "لا يحتكر إلا خاطىء"[3].

وحول واجب الطبيب في الحرب فقد شرع الإسلام أن "الجريح في حمى جرحه وأن الأسير في حمى أسره" وعلى الطبيب أن يحافظ على مهمته الوحيدة وهـي الدفاع عن الحياة وعلاج المرض أو الإصابة للإنسان بكونه أكرم مخلوقات الله، وبدون أي تمييز بسبب الدين أو العرق أو اللون أو اللغة أو الجنس.

ومهما كان تصرُّف عدو فليس للطبيب المسلم أن يغير أسلوبه فمن الخير للجنس البشري أن تؤدي المهنة الطبية هذا الواجب بنفس الأسلوب على جانبي جبهـة القتال.

---

١ د. نشأت حمارنة، مقدمة حول طب العيون العربي، مقال في مجلة التراث العربي، ص ١٧٨

٢ د. ابراهيم الصياد، نظرة الإسلام للطب، مرجع سابق ص٦٥

٣ المصدر نفسه، مرجع سابق ص٦٥

كما لا يجوز للمهنة الطبية أن تطوع إمكاناتها لتكون في خدمة أي نوع من الأذى أو التدمير أو الحاق الضرر الجسمي أو النفسي بالإنسان أيا كان ومهما كانت الاعتبارات السياسية أو العسكرية وينبغي أن يكون عمل الطبيب هو تقديم العلاج والشفاء للصديق والعدو بنفس المستوى [١].

وفي الحروب التي كانت تقع بين المسلمين وغيرهم أوجب الإسلام عدم مقاتلة الجرحى والمرضى بل أوجب الرأفة بهم وعلاجهم، وفي الحروب الصليبية كانت تصرفات القائد المشهور صلاح الدين الأيوبي خير دليل على ذلك، حيث قام بنفسه بعلاج قائد الصليبيين ريتشارد قلب الأسد.

وكرَّس الإسلام مبدأ عدم التمييز في تقديم الخدمات الطبية والعلاجية بين المتحاربين فدعا إلى رعاية ومعالجة جرحى الأعداء بنفس الروح والاهتمام والإعتناء بجرحى المسلمين [٢].

أما الأسرى الذين كانوا يُقتَّلون ويُعذَّبون أو يُحَّولون إلى عبيد فقد عاملهم الإسلام معاملة حسنة حتى حين كان يقتل الطرف الآخر أسرى المسلمين، كما حدث عندما قتل ريتشارد قلب الاسد ثلاثة آلاف مسلم أسير في بيت المقدس، بعد أن أمَّنهم وكان رد فعل صلاح الدين الايوبي التمسك بأحكام الشريعة الإسلامية فلم يقتل أسيراً بل كان المسلمون يقدمون الأسرى على أنفسهم في الطعام والشراب.

ويقول بهاء الدين بن شداد في كتابه "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" "كان (صلاح الدين الأيوبي) يحسن معاملة الأسرى ويخص البارزين منهم بحسن المعيشة وخلع الثياب عليهم، وعندما أحضر الناس قتلاهم بعد المعركة وكنت حاضراً ذلك المجلس، أكرم المتقدمين منهم، وأخلع على مقدمي عسكر الإفرنسيس فروة خاصة وأمر لكل واحد من الباقين بفروة خرجية لأن البرد كان شديداً".

"ثم استحضر الملك جفري وأخاه والبرنس ارناط وناول الملك جفري شربة من جلاب فشرب منها وكان على أشد حال من العطش" [٣].

ويَحْرُم على الطبيب أن يهدر الحياة ولو بدافع الشفقة فهذا حرام، وجاء في الحديث الشريف "كان فيمن قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحزَّ بها يده فما رقأ الدم حتى مات، فقال الله تعالى : بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة" (رواه البخاري ومسلم) [٤].

١انظر وثيقة الكويت لدستور المهنة الطبية، المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢ ص٦٩٠

٢انظر : الدكتورة ايمانويل ستافراكي، المفهوم الإنساني في القانون الدولي الإسلامي، المجلة الدولية للصليب الاحمر، الطبعة العربية، عدد ١٧، شباط ١٩٩١ جنيف - سويسرا ص٤٠

٣انظر : من ذاكرة التاريخ، منشورات اللجنة الدولية للصليب الاحمر، القاهرة دار الياس العصرية للطباعة والنشر

٤المرجع السابق ص٦٩١

وتنسدل حرمة حياة الإنسان على الحياة الجنينية في رحم الأم.. فلا يجوز للطبيب أن يهدر حياة الجنين إلا عند الضرورة الطبية القصوى التي تعتبرها الشريعة الإسلامية (حفاظاً على حياة الأم لأن حياتها هنا أولى بالرعاية).

أما الإجهاض فهو حرام لا يقره الإسلام، وإسقاط الجنين في الإسلام عليه عقوبة مالية هي "الغرة"، وللجنين حرمته حتى إذا حكم بالإعدام على الحامل أجّل التنفيذ حتى تضع حملها إقراراً بحق الجنين في الحياة حتى ولو كان جنين زنى، وذلك تأكيداً لحقه الأصيل وهو الحق في الحياة.

والطبيب في دفاعه عن الحياة مطالب بأن يعرف حده، فإذا تأكد لديه أن المحال – حسب المعطيات العلمية – السلوك بالمريض إلى الحياة استحالة بيِّنة فإن مما لا طائل وراءه الإغراق في المحافظة على الكيان البنائي للمريض بوسائل الإنعاش الصناعية أو بحفظه مجمداً أو غير ذلك من وسائل ، لأن المطلوب هو بقاء الحياة لا إطالة عملية الموت، ولأن الموت حق ولكن الطبيب هو صاحب الكلمة في إن مريضه مات أو لا يزال حياً، يقدر مسؤولية هذه الكلمة ولا تصدر عنه إلا بعد اليقين العلمي الممكن وفي أمانة كاملة لا تشوبها شائبة، وله أن يستشير إن غُمّ عليه ويستعين بالمتاح له من وسائل العلم [١].

مثل ذلك موت الدماغ والذي يعرف بتوقف جميع وظائف الدماغ ككل توقفاً نهائياً لا عودة عنه .

وأقره مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورته المنعقدة في عمان بتاريخ ١١ – ١٦ تشرين الأول ١٩٨٦م، وقدم هذا البحث الدكتور أشرف الكردي والدكتور حلمي حجازي من الاردن حين كانا يعملان بمدينة الحسين الطبية انذاك.

وفيما يلي نص القرار : إن مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره الثالث بعمان عاصمة المملكة الاردنية الهاشمية من ١١-١٦ تشرين الأول ١٩٨٦م بعد تداوله في سائر النواحي التي أثيرت حول موضوع "أجهزة الانعاش" واستماعه إلى شرح مستفيض من الأطباء المختصين قرَّر ما يلي :

يعتبر شرعاً أن الشخص قد مات وتترتب جميع الأحكام المقررة شرعاً للوفاة عند ذلك إذا تبينت فيه إحدى العلامتين التاليتين:

١) إذا توقف قلبه وتنفسه توقفاً تاماً وحكم الأطباء بأن هذا التوقف لا رجعة فيه.

٢) إذا تعطّلت جميع وظائف دماغه تعطلاً نهائياً، وحكم الأطباء الاختصاصيون الخبراء بأن هذا التعطل لا رجعة فيه وأخذ دماغه في التحلل.

---

١ المرجع السابق ص٦٩٢

وفي هذه الحالة يسوغ رفع أجهزة الإنعاش المركبة على الشخص وإن كان بعض الأعضاء كالقلب مثلاً لا يزال يعمل آليا بفعل الأجهزة المركبة والله أعلم[1].

ومثل هذا القرار يمثل نتائج البحوث والدراسات لعديد من القضايا المعاصرة، وإجابات مجلس المجمع على الأسئلة والاستفسارات التي ترد اليه من دول العالم الإسلامي ومن المنظمات والمؤسسات المختلفة.

وتصدر هذه القرارات بعدة لغات وتضع للمسلمين الحلول النابعة من الشريعة الإسلامية والتي تهدي الناس في أعمالهم وتصرفاتهم إلى سواء السبيل.

---

١ نص القرار منشور في: منظمة المؤتمر الإسلامي، مجمع الفقه الإسلامي، قرارات وتوصيات، مطابع شركة دار العلم للطباعة والنشر، جده - السعودية ١٩٨٥ - ١٩٨٨ ص٣٤

قسَمُ الطبيب المسلم

في عام ١٩٧٧ تبنَّت الجمعية الطبية الإسلامية بأمريكا الشمالية قسم الطبيب المسلم وفيما يلي نصه:

الحمد لله رب العالمين العلي الواحد العليم خالق الكون ومعلم الناس أجمعين له الدوام أبد الآبدين لا نعبد إلا اياه .. إن الشرك لظلم عظيم.

اللهم ارزقني القوة لأكون صادقاً ..أميناً .. متواضعاً مخلصاً .. رحيماً .. وهب لي الشجاعة لأقرّ بذنبي وأصلح خطئي وأعفو عن هفوات غيري .. واعطني الحكمة لأريح غيري وأقدم النصح الداعي للسلام والوئام .. وامنحني الإدراك بأن مهنتي مقدسة .. تمس أعزّ ما وهبته للإنسان وهو العقل والحياة.

واجعلني يا رب جديراً بهذا الموقف المتميز بالشرف والكرامة والتقوى حتى أهب حياتي لخدمة البشر .. فقراء وأغنياء .. حكماء وجهلاء .. مسلمين وغير مسلمين .. بيضاً وملونين.. متحلياً بالصبر والتسامح .. بالفضيلة والوقار والعلم ومراقبة النفس .. واملأ قلبي بالحب والرحمة لعبادك، فهم أعزّ مخلوقاتك .. وها أنذا أقسم باسمك الكريم يا خالق السموات والارض.. أن التزم بما أنزلته على رسولك الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

"أنه من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً.. ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا" [١].

والنص الاصلي للقسم نشر باللغة الانجليزية في:

Oath of the Muslim Physician,Convention
Bulletin of Islamic Medical Association (I.M.A),
October ١٩٧٧

١ القسم ترجمة د. ابراهيم الصياد. انظر : الدستور الإسلامي لآداب مهنة الطب، د. عبد الرحمن شيخ أمين ود. احمد القاضي، المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢ ص٦١٦

وكأنها أدوار تتبادل، فمع بروز النهضة الأوروبية، مر العرب بعصور الظلام كما مرَّت بها أوروبا من قبل.

وفي فترة امتدت حوالي أربعة قرون عانى العرب من إحباطات سياسية وتقهقر في مختلف شؤون الحياة، فمنذ القرن الرابع عشر حتى التاسع عشر عاشت الحضارة العربية في "عصر ظلامها".

ويقول ابن خلدون إن صناعة الطب هي من الصنائع التي لا تستدعيها إلا الحضارة والترف، وهي لهذا العهد (نهاية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، إذ توفي ابن خلدون ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) في المدن الإسلامية كأنها نقصت لوقوف العمران وتناقصه [١].

ويضيف : ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر فهي أم العالم وايوان الإسلام وينبوع العلم والصنائع [٢].

ولابن خلدون نظريته في حدوث الدولة وكيفية طرق الخلل إليها وتجددها، فعندما تهرم الدولة وتدخل في الترف وتظلم الرعية في جباية المال يتجاسر عليها أهل النواحي (الأطراف) وربما تنقسم الدولة إلى عدة دول، كما حدث في دولة بني العباس حين أخذت دولتهم في الهرم وتقلص ظلها عن القاصية. ويضرب ابن خلدون مثلاً على ذلك حين استبد بنوساسان بما وراء النهر وبنوحمدان في الموصل والشام (الدولة الحمدانية) وبنو طولون في مصر [٣].

منذ أن سقطت دولة الخلافة العباسية تحت نفوذ الأتراك، حتى صاروا يعيِّنون الخلفاء ويعزلونهم، فقدت الدولة تأثيرها في ربط العرب تحت سلطة مركزية واحدة، فكان من الطبيعي أن تنمو نزعات إستقلالية في الأقطار الإسلامية التابعة لسلطة الخلافة وتكثر الحركات الإنفصالية، وأدى إهمال الحالة الإقتصادية في الولايات لحساب بغداد إلى ظهور الثورات الاقتصادية والاجتماعية التي هددت سلطة وكيان الدولة العباسية كثورة الزنج وحركة القرامطة التي انتزعت الحجر الأسود من الكعبة سنة ٣٤٧هـ/٩٥٨م وأبقته في حوزتها ثلاثين عاما، وكانت دعوتها هي أصل الحركة الفاطمية التي استقرت في المغرب فيما بعد.

وعلى هذا النحو أخذت سلطة الخلافة العباسية في التفكك وظهرت إمارات مستقلة في خراسان وبخارى ومصر واليمن والموصل وحلب [٤].

---

١ مقدمة ابن خلدون، دار القلم - بيرت ط٤، ١٩٨١، ص٤٩٣

٢ المرجع السابق، ص٥٤٥

٣ مقدمة ابن خلدون ص٢٩٢ - ٢٩٨

٤ د. عبد العظيم رمضان، الصراع بين العرب واوروبا، دار للعارف ١٩٨٣، ص٢٢١ - ٢٢٢

كانت للفرس يد طولى في إقامة وتدعيم وتثبيت سلطان العباسيين الذين قربوهم وولوهم أعلى المناصب وأشركوهم في الحكم حتى أصبح النفوذ الفارسي نفوذاً لا يستهان به إلى حد أن ظهرت "الشعوبية" كحركة صراع في الدولة العباسية بين الفرس والعرب [1].

وكانت الشعوبية "التي تصغّر شأن العرب" من أهم العوامل التي أدت إلى تفكك الدولة العباسية وقيام الدويلات في المناطق البعيدة عن مركز الخلافة حسب نظرية ابن خلدون في اضمحلال الدول.

واتخذت الشعوبية مظاهر شتى، ووجدت في كل علم حتى في الفقه، وألفت الكتب العديدة التي تتحدث عن مثالب العرب لإضعاف العصبية العربية.

كما قام الشيعة بإعلان سخطهم ونقمتهم، بثورات متعددة على العباسيين، كان لها أثرها الكبير في تقويض دولتهم.

كانت سلطة الخليفة في نهايات الدولة العباسية إسمية على الدويلات الشرقية التي تدين له بالولاء شكلاً، ولذلك لم يكن صعباً على جيوش المغول هزيمة هذه الدويلات حتى وصل هولاكو وجيشه همدان سنة ٦٥٥هـ/١٢٥٧م استعداداً لمهاجمة بغداد عاصمة الخلافة العباسية.

وكانت بغداد آنذاك في وضع صعب، فقد عانت من طوفان كبير في العام السابق، أدى إلى غرق الكثير من الأراضي الزراعية وتلف محاصيلها، كما غرق العديد من دور المدينة، فيما كانت الصراعات الداخلية تنخر الدولة من الداخل، ووصل الأمر إلى حد مكاتبة أحد الوزراء (مؤيد الدين بن العلقي) المغول ودعوتهم لغزو بغداد، وبعد أن حاصرها استسلم الخليفة في ٤ صفر ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، واحتل هولاكو بغداد وقتل الخليفه، وبدت وحشية المغول في قتل السكان وتدمير جوانب المدينة الحضارية، فانتهت الخلافة العباسية التي دامت خمسمائة وأربعاً وعشرين سنة هجرية [2].

وعندما غزا التتر بغداد ألقوا بالكتب التي كانت تمتلىء بها المكتبات ودور الخلفاء والأمراء والأغنياء، في دجلة الذي قيل أن مياهه تغير لونها، فانهار العلم العربي الإسلامي بانهيار السلطان السياسي للدولة.

وارتكب تيمورلنك (لنك: كنية تعني الأعرج) (١٣٣٦هـ/١٤٠٤م) المذابح أينما حل، فاستولى على بغداد عام ١٣٩٣م، وسنة ١٤٠١م استولت جيوشه على سوريا وبنى من رؤوس قتلاه تلالاً في حلب، وهدم مدارسها ومساجدها وكذلك فعل بدمشق فحرق المسجد الأموي وكذلك في بغداد وتكريت [3].

---

١ د. مصطفى صادق الرافعي، حضارة العرب، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط٣، ١٩٨١ ص٢٦٧

٢ تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي، د. خليل السامرائي ورفاقه، مديرية دار الكتب - الموصل ١٩٨٨ ص٣٦١-٣٦٣

٣ د. فيليب حتي، تاريخ العرب، مرجع سابق، ص٧٩٣ - ٧٩٤

وفي تونس أدى التناحر بين الأغلبية إلى سقوط دولتهم (عام ٢٩٦هـ/١٠٠٩م) وانتقل هذا التناحر إلى صقلية التي تجزأت بين عدد من الأمراء المستقلين، ومنهم ابن الثمنة الذي طلب تدخل النورمانديين بعد أن هزمه صهره القائد علي بن نعمه صاحب قصر – يانه (Castro Govaumi) وقصر اشتق من Castrum اللاتينية بمعنى معسكر) "فلما رأى ابن الثمنة أن عساكره قد تمزقت أراد الانتصار بالكفار" حسب ما جاء في نهاية الأرب للنويري.

وهكذا ملك ابن الثمنة الجزيرة للنورمانديين وذلك سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م [١].

وللمفارقة فإن دخول الأغالبة المسلمين إلى صقلية تم بطريقة مشابهة عندما استغاث ايوفيميوس Euphemius وهو من أشراف الجزيرة، بزيادة الله – الأمير الثالث للدولة الأغلبية – فنزل المسلمون إلى الجزيرة عام ٢١٢هـ/٨٢٧م [٢].

وبعد فعلة ابن الثمنة أخذ النورمانديون يستولون على مدن صقلية فحاصروا باليرمو التي قاومت خمسة أشهر فسقطت سنة ٤٦٤هـ/١٠٧٢م وبعد أقل من عشرين سنة أصبحت صقلية بيد النورمانديين [٣].

وكان المجتمع الأندلسي يتكون من أخلاط متنافرة من السكان، من عرب وبربر وصقالبة ومولدين، وانتهز بعض الحكام الطامعين بالسلطة هذا التنافر في الاعتماد على تقوية سلطتهم مما أشعل الفتن وهدد الدولة الأموية في الأندلس بالانحلال، حيث تم في هذا الصراع هدم مدينة الزاهرة سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م والتي نشأ فيها الطبيب المشهور الزهراوي [٤].

وفي منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، أخذت تتعقد أشكال الصراع بين المسلمين في إسبانيا والأسبان، وبفعل الدويلات العائلية كانت أحياناً تقام تحالفات مسيحية إسلامية ضد أحلاف مسيحية أو مسيحية إسلامية أخرى، وكان هذا الحال في الجانب الإسباني أيضاً بين الممالك الإسبانية الصغيرة في الشمال التي وصلت حد القتال بين الأخوة.

وبفعل الصراعات والفتن بين الطامعين في الحكم والحقد بين العرب والبربر والاستعانة بملوك الإسبان في الشمال انتهى الأمر إلى سقوط ملك بني أمية في الأندلس عام ٤٢٢هـ/١٠٣٠م بل وإبطال الخلافة ذاتها. وهنا استقل كثير من الأمراء بمدنهم ومقاطعاتهم حتى أصبح في الأندلس أكثر من عشرين أسرة حاكمة، فيما كان الفونس السادس يوحّد تحت إمرته ممالك الشمال الإسبانية معلناً

---

١ أميرتور ريتزيتانو، تاريخ الادب العربي في صقلية، منشورات الجامعة الاردنية. وهي محاضرات ألقاها ريتزتيانو الأستاذ بجامعة بلنيرم – صقلية على طلبة اللغة العربية بكلية الآداب في الجامعة الاردنية ١٩٦٥

٢ المرجع السابق، ص٣٣ – ٣٤

٣ د. عبد العظيم رمضان، الصراع بين العرب واوروبا، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣، ص٢٥٤

٤ المصدر نفسه، مرجع سابق ص٢٦٢ – ٢٦٥

وضع الكنيسة الإسبانية تحت لواء روما، فأصبحت حركة الاسترداد Reconquista جزءاً من الحركة الصليبية، وظهر ذلك جلياً في الحملات الصليبية في الشرق أيضاً [1].

وفي هذه الفترة كانت علامات التقدم الطبي عند العرب والمسلمين تأخذ في التراجع منذ أن دخل الإسبان طليطلة Toledo عام ٤٧٨هـ/١٠٥٨م، ولحقتها قرطبة عام ٦٣٦هـ/١٢٣٦م حتى تم طرد العرب من الجزيرة الإيبيرية مع سيطرة الإسبان على غرناطة عام ١٤٩٢م.

وكانت دار الحكمة أو دار العلم أعظم المؤسسات التي أقامها الفاطميون في مصر عام ١٠٠٥م ووقف الحاكم لها وقفاً خاصاً ينفق ريعه على نسخ المخطوطات وإصلاح الكتب، وتم فيها تدريس الطب بالإضافة لتدريس التعاليم الشيعية والفلك.

وعلى الرغم من أن الجامع الأزهر بُنِي قبلها (عام ٩٧٢م) إلا أن الجامع الأزهر حقق فيما بعد شهرته.

ومع أن بعض الحكام الفاطميين كانوا أهل ثقافة إلا أن الصراعات السياسية والتدهور الإقتصادي الذي حل بمصر بسبب الطاعون والجفاف يعلل قلة الإنتاج الفكري في حكم الفاطميين وخاصة في أواخر عهدهم، وكان من أسباب تدنّي الإنتاج الفكري امتناع العلماء السُنَّة عن الالتحاق ببلاط الخلفاء بسبب صبغة الدولة الشيعية [2].

وعندما غزت جيوش المغول المتوحشة العراق وسوريا وأنزلوا الويلات بها، قام المماليك بصدهم عن مصر، بعد أن نجحوا في تطهير مصر وسوريا من بقايا الصليبيين.

ذلك أن هزيمة جيش التتر في وقعة عين جالوت سنة١٢٦٠م كانت كافية لتأمين سلامة مصر من الدمار الذي حل بسوريا.

وقام الظاهر بيبرس أعظم سلاطين المماليك ١٢٧٧/١٢٦٠م بإقامة عدة منشآت في مصر وسورية ما زالت ظاهرة حتى اليوم تدل على سلطانه ومنها الجامع الكبير في القاهرة والمكتبة الظاهرية في دمشق.

كما قام المنصور قلاوون (١٢٧٩ - ١٢٩٠م) بأعمال جليلة أشهرها المستشفى الذي سميت باسمه في القاهرة (البيمارستان المنصوري) وكان السلطان قلاوون قد مرض في دمشق فأقام في البيمارستان النوري فنذر أن ينشيء مثله في القاهرة إذا تعافى من مرضه وهكذا كان.

وكان للمستشفى المنصوري في القاهرة وقف يدرّ عليه مليون درهم في السنة، وبلغ من تعظيم الناس له أن اصبحت جبته المحفوظة في قبته بعد وفاته مقصد

---

١ د. عبد العظيم رمضان، مرجع سابق، ص٢٧١ - ٢٧٥

٢ د. فيليب حتي، تاريخ العرب، مرجع سابق ص٧١٥

المرضى من النساء العاقرات والأولاد الخرسان يلمسونها مؤملين أن ينالوا الشفاء بمجرد لمسها [1].

وكان عميد هذا المستشفى أبو الحسن علي ابن النفيس الذي ترك لنا صورةً واضحة في كتابه "شرح تشريح القانون" عن الدورة الدموية الصغرى وذلك قبل سرفيتس البرتغالي الذي ينسب إليه اكتشافها بثلاثة قرون.

وما عدا ذلك لا نجد ابتكاراً ذا شأن قام به الأطباء العرب والمسلمون في هذه الفترة.

وتذكاراً لشفائه العجيب من الفالج، نظّم البوصيري (١٢١٣ – ١٢٩٦م) قصيدة "البردة" المشهورة، إذ ألقى النبي صلى الله عليه وسلم عليه بردته في الرؤيا، وقد عارض القصيدة عشرات الشعراء لإثبات مقدرتهم الشعرية وإعجاباً بها، ولا يزال بعض الناس يرددون أبياتها تعاويذ من الشر ويقرأها الدروز إلى هذا اليوم في جنائزهم [2].

وفي عهد الناصر حل "الموت الأسود" – الطاعون – بمصر ولزمها سبع سنوات حتى أدى إلى هروب السلطان وقيل أن ضحايا هذا الطاعون بلغ في القاهرة حوالي ٩٠٠ ألف [3].

وفي نهاية حكم المماليك انتشرت عادات بالية وخرافات قديمة وأنواع السحر، فلم تترك للتقدم العلمي مجالاً للسير.

ومن مساوىء أحد السلاطين، برسباي (١٤٢٢ – ١٤٣٨م) أنه أمر بقطع رأسي طبيبيه حين تعذر عليهما شفاؤه من أحد الأمراض.

وهذا آخر واسمه إينال (١٤٥٣ – ١٤٦٠م) أمّي يجهل القراءة والكتابة "ولعله كان لا يحسن قراءة الفاتحة ولا غيرها من القرآن الكريم" وعلى طول مكثه في السلطنة، فإنه لم يكن يهتدي إلى توقيع اسمه على المراسيم إلا بعد أن يُرْسَم له التوقيع فيعيد هو على ذلك بالقلم. أما يلباي (١٤٦٧م) فلم يكن أمّيّاً وحسب وإنما كان مجنوناً، ثم إن قاتباي (١٤٦٨ – ١٤٩٥م) أمر بقلع عيني الكيماوي علي بن المرشوشي لعجزه عن تحويل خبيث المعادن إلى ذهب [4].

ومما عجل في انهيار سلطة المماليك مشاركة السلاطين الناس في التجارة، واحتكار تجارة سلع معينة لهم بما يضمن الأرباح الفاحشة لهم.

تولى العثمانيون الأتراك السلطة والسلطان في العالم الإسلامي مدة ستة قرون تقريباً (١٣٢٦ – ١٩١٩م) وعلى الرغم من الفتوحات العسكرية التي حققوها والتقدم في بعض العلوم كالعمارة، إلا أن الطب العربي والإسلامي في أثناء

---

١ د. فيليب حتي، تاريخ العرب (مطول)، ص٨٠٢

٢ المصدر نفسه، ص٨١٤

٣ المصدر نفسه، ص٨٠٥

٤ المصدر نفسه، تاريخ العرب (مطول)، ص٨٢٠

الحكم العثماني، لم يتقدم وفي أفضل حالاته حافظ على قوته الدافعة التي حققها في العصر العباسي، ففي القرون الخامس عشر حتى الثامن عشر لم يحدث جديد ولا تجديد ولا إبداع في الطب إلا ما ندر، فقد كان يحكم البلاد العربية إقطاعيون همهم جمع الضرائب للحكومة المركزية بغض النظر عن مقدرة الرعية، واقتصر الطب في القرن الثامن عشر على وجود متطبيين تقليديين اعتمدوا على قراءة الكتب القديمة.

وكانت الإمبراطورية العثمانية عسكرية في جوهرها ولذلك توسعت فيها حدود الدولة الإسلامية، كما كانت ترتكز على الأسرة كأداة أولى لإنجاب الحكام.

وكان اتساع الإمبراطورية أحد عوامل عدم قدرة الدولة المركزية على السيطرة على محيطها بل إن الجزائر وتونس وطرابلس الليبية كانت تابعة إسمياً للباب العالي العثماني، وكانت هذه الدول تسيطر على الحركة البحرية في البحر الابيض المتوسط وتأخذ جزية من السفن التجارية لتأمين مرورها وهكذا كان حال السفن التابعة لهولندا والدنمارك والسويد، بل إن الولايات المتحدة الأمريكية التمست السلامة لسفنها ودفعت الجزية منذ عام ١٧٩٦ وهي ٨٣ ألف ريال سنويا[١].

ومع أن بعض حكام الإمبراطورية العثمانية أوصلوها أوجها، مثل سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦م) إلا أن أكثر سلاطين بني عثمان الذين زادوا عن ستة وثلاثين كانوا يواجهون تحديات كبيرة ليس في التوسع ولكن في الحفاظ على كيان الدولة من الانكماش.

وفي عهد سلمان القانوني وصلت جيوش الدولة العثمانية إلى هنغاريا وحاصرت فيينا، ولقب بالقانوني تقديراً للتشريعات والقوانين التي قرنت باسمه.

ولم ينقض وقتٌ طويل على موت سليمان حتى أخذت الإمبراطورية في طريق الانحدار، ويمكن اعتبار فشل الاستيلاء على فيينا عام ١٦٨٣م بداية الانهيار، فقد أصبح هم الحكام الجدد كيفية الدفاع عن الدولة والاحتفاظ بما فتحوه لا كيف يفتحون بلادا جديدة[٢].

وفي القرن الثامن عشر أخذت فرنسا وإنجلترا وروسيا والنمسا تطلب مناطق نفوذ لها في الدولة العثمانية، غير أن تحاسد هذه القوى أجّل لغير مرة نهاية الدولة العثمانية، وفي عام ١٨٣٠م نزل جنود فرنسيون على شواطىء الجزائر بحجة الانتقام للقنصل الفرنسي الذي أهانه حاكمها، فبدأ الاستعمار الفرنسي للجزائر وبعد خمسين سنة تم احتلال تونس، أما مراكش فلم تخضع للعثمانيين[٣].

دخل العثمانيون بغداد نهاية عام ١٥٣٤م (٣١ كانون الأول) / ٩٤١هـ وذلك في عهد السلطان سليمان القانوني، وشهدت بعض الفترات دخول القوات

---

١ د. فيليب حتي، تاريخ العرب، مرجع سابق، ص٨٠٧

٢ المصدر نفسه، مرجع سابق ص٨٠٧ - ٨١٣

٣المرجع السابق، ص٨١٣ و ٨١٤

الإيرانية الصفوية إلى بغداد (١٦٢٣ – ١٦٣٨م)، وكثرت حركات التمرد حتى أوائل القرن الثامن عشر. وكان كل ذلك سبباً في تردّي الأوضاع الإقتصادية والسياسية وبالتالي انعدام البيئة المؤاتية لإعادة مجد بغداد الطبي والعلمي [١].

وكثيراً ما عمد السلاطين العثمانيون إلى القتل للتخلص من أخوتهم حتى لا ينافسوهم على السلطنة، فالسلطان مراد الثالث أمر بخنق أخوته الخمسة، والسلطان محمد الثالث أمر بقتل ١٩ من أخوته، وسليم الثاني (١٥٦٦ – ١٥٧٤م) اعتلى العرش بعد إقصاء أخوته مع أنهم كانوا أكثر أهلية منه، فقد عُرف عنه أنه كان سِكّيراً منقطعاً إلى الحريم وتاركاً أمور السلطنة لغيره، والسلطان مراد الثالث عرف بالعبث والتسرّي مع النساء فأنجب مائة ولد.

كما تولّى السلطنة عدة أحداث بينهم أحمد الاول (١٦٠٤ – ١٦١٧)، وعثمان الثاني (١٦١٨ – ١٦٢١) ولهما من العمر ١٤ سنة، ومراد الرابع (١٦٢٣ – ١٦٤٠) وعمره ١٢ سنة، ومحمود الرابع (١٦٤٨ – ١٦٨٧) وعمره ٧ سنوات، وحكم هؤلاء تحت أوصياء لعبت النساء في عهدهم دوراً رئيسياً من خلف حجاب [٢].

وفي مصر كان الباشوات نواب السلطان العثماني لا همَّ لهم إلا جباية الضرائب بغض النظر عن قدرة السكان، وتعاقب على مصر خلال المئتين والثمانين سنة في عهد العثمانيين (منذ نهاية القرن الخامس عشر) حوالي مئة من هؤلاء الباشوات.

وفي القرن السابع عشر انتشرت الأوبئة في مصر فقد أهلك وباء ١٦١٩م نحو ثلث مليون من سكان مصر، وأفنى وباء ١٦٤٣ نحو مئتين وثلاثين قرية أصبحت بعده خاوية، فتناقص عدد السكان بحيث أصبح من أواخر القرن الثامن عشر أقل من ثلاثة ملايين بينما كان في عهد الرومان نحو ثمانية ملايين نسمة [٣].

وفي الشام كان متوسط حكم الباشا العثماني سنة، وكان أكثر الموظفين يشترون الوظيفة باعتبارها أداة لإنماء مواردهم وتمجيد أنفسهم، وكان الرعايا أداة لدفع الضرائب والأتاوات [٤].

وطيلة الحكم العثماني وحتى منتصف القرن التاسع عشر كانت الأحوال الصحية في بلاد الشام سيئة، وخاصة في الأرياف والبوادي، وكان يتم علاج الأمراض العقلية بالخرافات والشعوذة والخزعبلات.

ولم يكن سوء الإدارة العثمانية والظلم هو العامل الوحيد للتدهور الاقتصادي، فقد أدى اكتشاف الخط البحري عن طريق رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٧ إلى

١د. جمال مزعل، نظام التعليم في العراق، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٨٩ ص٢٠

٢تاريخ الحضارات العام، بإشراف موريس كروزيه، منشورات عويدات، بيروت – باريس، مجلد٤ ص٥٥٦

٣تاريخ العرب (مطول) د. فيليب حتي، دار الكشاف للنشر ١٩٦٥، ج٢ ط٤ ص٨٤٨

٤تاريخ العرب (مطول) د. فيليب حتي ورفاقه، مرجع سابق، ص٨٥٥

تحول مجرى التجارة العالمية عن الشرق العربي، وقبلها بسنوات (١٤٩٢) انتقل مركز الثقل في الشؤون العالمية غرباً مع اكتشاف العالم الجديد، وفي نفس السنة ١٤٩٢ تم طرد آخر المسلمين من الاندلس (بعد هذا التاريخ بخمسمائة سنة عقد مؤتمر مدريد).

وفي سنة ١٨٦٩ أعيدت المكانة التجارية للمنطقة بعد شق قناة السويس سنة ١٨٦٩.

وانتقد ابن الكتبي (من أطباء بدايات عصر تخلف الحضارة العربية الإسلامية) في كتابه "ما لا يسع الطبيب جهله" بعض أطباء زمانه الجهلاء الذين دأبهم ارتداء الملابس الفاخرة وملازمة الأمراء والنبلاء وحضور الولائم وهم غافلون عن قوانين الصنعة ويجهلون أحكامها ولا يتابعون تطورها بالدرس والملاحظة والالتزام بأعمالهم المهنية حتى أفسدوا شرائعها واستهانوا بقيمها مما حط من كرامة الصناعة وقدرها في عيون الناس[1].

وعندما انقسمت الدولة الإسلامية إلى دويلات وتعرضت للغزو، تم صرف الجهود إلى الدفاع عن الذات وصد الغزاة فتوقفت جهود الإبداع العلمية والطبية وأحيانا عادت للوراء، فإذا حدثت الجوائح والأوبئة واجتمعت إلى الفقر والقحط كان الإنسان وصحته هو الضحية.

في عام ٨٨١هـ/١٤٧٦م أصاب الطاعون مصر.والشام وأفنى خلقاً كثيراً، وفي عام ٨٩٧هـ/١٤٩١م أصاب المنطقة وباء الطاعون مرة أخرى لكن بشكل أشد، فقد استمر أكثر من أربعة أشهر، وبلغ عدد الأموات بالالآف في القاهرة ودمشق وغزة والرملة.

ولمواجهة هذه الظروف والعجز أمام مكافحة الطاعون تم تأليف كتب عن نوعين إحداهما الخاصة بالطب النبوي والأخرى الخاصة بالطاعون.

ومن الكتب التي ألفت في هذه الفترة واختلط فيها الدين بالطب كتاب جلال الدين السيوطي (٨٤٩ – ٩١١هـ/١٤٤٥ – ١٥٠٥م) "مقاولة في الحمى".

كما ألف بدر الدين البدليسي (ت ٩٢٧هـ/١٥٢٠م) كتاباً بعنوان "رسالة في الطاعون وجواز الفرار منه"، وألف ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ – ٨٥٢هـ/١٣٧٢ – ١٤٤٩م) كتاباً بعنوان "بذل الماعون في فضل الطاعون" وذلك سنة ٨٣٣هـ/١٤٢٩م[2].

وعلى الرغم من الانحطاط الفكري والعلمي في أغلب العهد العثماني، وخاصة في بلاد الشام، إلا أنه ظهر عدد من الأطباء المشهورين وحتى عالمات نابغات منهن عائشة الباعونية التي عاشت في الشام وتوفيت في القاهرة سنة ١٥١٦م وفاطمة بنت عبد القادر فريمزان (١٤٧٧ – ١٥٥٨م) التي عاشت في حلب وانتهت إليها الرئاسة العلمية في زمنها.

١د. محمود الحاج قاسم، الطب عند العرب والمسلمين، مرجع سابق ص٣٧٢

٢ د. كامل العسلي، مقدمة في تاريخ الطب في القدس، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٩٤ ص١٣٠-١٤٢

كما برز داود الانطاكي (٩٥٠-١٠٠٨هـ/١٥٤٤-١٥٩٩م) وهو رحّالة ضرير شغف بقراءة كتب الطب والتأليف فيها وأشهر كتبه "تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب" والذي بقي مرجعاً طبياً في بلاد الشام حتى القرن التاسع عشر[١].

وعلى الرغم من شهرة الأنطاكي ومؤلّفه، إلا أنه أورد فيه أشياء في منتهى العجب ولا تليق بالطب أو الصيدلة وربما هي وصفات يتحدث عنها العامة ومنها "شرب مثقال من روث الكلب الأبيض مع ربع مثقال من الكبريت" لمعالجة الجرب، كما حفل الكتاب بالرقي والتعاويذ ومنازل الكواكب.

وفي القرن الثامن عشر عرفت عكا طبيباً ذاع صيته في زمنه هو ابراهيم بن حبيب الصباغ (١١٢٧ - ١١٩٠هـ/١٧١٥ - ١٧٧٦م)، وكان ابراهيم قد تعلم الطب العربي من راهب في أحد الأديرة في الشوير بلبنان، حيث ذهب للدراسة وكان والد إبراهيم وعمه وهما من كسروان بلبنان قد استقرا في عكا سنة ١٧٠٠م.

وأقام إبراهيم في عكا سنوات عديدة يطبِّب حتى اشتهر بالبراعة وحسن المعالجة واختاره الزعيم المحلي ظاهر العمر الزيداني طبيباً خاصاً له، ثم كسب ثقته فأصبح قيِّماً على أمواله، وعندما حوصر ظاهر العمر في عكا وانتهى الأمر بمصرعه. قُبض على إبراهيم الصباغ الذي كان قد أصبح بمثابة خازن لأمواله، واستولت خزينة السلطان على أموال الإثنين، ونقل إبراهيم الصباغ سجيناً إلى الأستانة حيث قتل، أما إبنه نقولا الذي كان يعمل معه في الطب والحكمة فهاجر إلى دمشق[٢].

في تموز ١٧٩٨ هاجم مصر غاز قوي غريب هو نابليون بونابرت، حيث نزل الإسكندرية وادعى نابليون عند نزوله في بيان نشره باللغة العربية أن غرضه من غزو مصر هو إعادة سلطة الباب العالي ومعاقبة المماليك الذين زعم أنهم ليسوا مسلمين صالحين مثله ومثل جماعته الفرنسيين، إلا أن حيلة نابليون لم تنطل طويلا فقد تم تحطيم أسطوله في خليج أبو قير في مطلع شهر آب من السنة نفسها، كما لاقى مصيراً مشابهاً على أسوار عكا ١٧٩٩ وانكسر في وقعة الإسكندرية ١٨٠١ وخرج مع جنوده من مصر.

وكان مع الجيش التركي الذي ساعد في صد نابليون عن أرض مصر ضابط ألباني الأصل اسمه محمد علي وأصبح سيد مصر، الذي قام بخطوات اقتصادية كان لها الشأن الأكبر في نهضة مصر الحديثة[٣].

١د. احمد شوكت الشطي، العرب والطب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٠ ص١٣٣ - ١٣٤

٢د. كامل العسلي، مرجع سابق ص١٦٧ و ١٦٨

٣تاريخ العرب (مطول) د. فيليب حتي ورفاقه، مرجع سابق ص٨٥٠-٨٥٢

أثر الأطباء العرب والمسلمين
على الحضارة الغربية

شارك الأطباء العرب والمسلمون بنصيب وافر في تقدم الطب العالمي كما مر معنا، فقد حافظوا أولاً على التراث الطبي اليوناني ولولاهم لاندثر، ثم درسوا ومَحَصّوا ونقدوا هذا التراث ثم أضافوا له واستبعدوا الغث منه.

كما كان دورهم بارزاً وريادياً في إنشاء المستشفيات وتعميم إقامتها ومجانية الطب.

وكانوا روّاد "الحَجْر الصحي" في وقت كانت فيه الأمراض السارية تحصد الأرواح وتفتك بالآلاف.

كما كانوا أول من أنشأ الصيدلة علماً واستعانوا بالكيمياء والنبات في تطوير وابتكار أدوية لم تكن موجودة من قبل.

وتاريخ الطب العربي تاريخ طبيعي يشبه في جوهره تاريخ النبضات العلمية عامة، سوى أن خطوته كانت أسرع، وكانت كل طبقة من اطبائه تبدأ من حيث انتهى علم من سبقوها وتزيد فيه، والتقدم الطبي العلمي الذي أحرزه العرب والمسلمون واضح وثابت علمياً.

ولولا أعمال العرب لاضطر علماء النهضة الأوروبية أن يبدأوا من حيث بدأ العرب، لا من حيث انتهوا، ولتأخر سير المدنية عدة قرون.

"والأخبار عن تأثير الحضارة الإسلامية في أوروبا في العصور الوسطى في اغلبها افكار عامة لا تكاد تدل على كيان منسق متسلسل ولا تكاد ترسم صورة واضحة متكاملة المعالم، فجاءت وكأنما المقصود منها اظهار الموضوعية والانصاف أو إبراء الذمة العلمية، وان المرء ليدهش حين يتتبع ما تفرق في بطون الكتب فيدرك كثرة المعارف العملية والأدوات والآلات والمواد العلمية التي انتقلت من العرب والمسلمين إلى الأوروبيين، فكانت ركائز الحضارة الإنسانية المعاصرة، ولكنه لا يتوقف عندها ولا توضع في موضعها من التسلسل التاريخي والحضاري والتأثير في غيرها، إلا في النادر .. وأغفِلتْ نسبتها إلى المسلمين الذين لم يجدوا غضاضة في الإعتراف بأنهم أخذوا أصولها من الصينيين والإغريق والهنود، ثم طوروها ونشروها وقدموها إلى غيرهم إسهاما منهم في الحضارة الإنسانية"[1].

---

١ د. ناصر الدين الاسد، ما قبل رحلة كولومبوس (مقدمة في المنهج)، محاضرة في ندوة "التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب" ١٩٩٢، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة "الدورات"، ١٩٩٣ ص٣١٤ - ٣١٥

وفضل العرب والمسلمين على الغرب لم يجيء بشكل واحد، إنما بأشكال متعددة عن طريق الاتصال الفردي والجماعي والحروب والتعلم في مدارس العرب والترجمة وتبني قيم احترام العلم عند العرب والمسملين.

"ان أول موقف حقيقي سليم من واقع تطور علم الطب باعتباره تراثاً مشتركاً للأمم، يتمثل في كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" لابن أبي أصيبعة الذي عاش في القرن السابع الهجري، فهو الذي استعرض وشاهد ماضي الطب من منظور التاريخ العام للبشر، وصرح بأن الطب ميراث منشور لبني آدم وأن لكل قوم نصيباً في هذا الميراث" [1].

وبعد أن اغترف العلماء العرب والمسلمون من معين الثقافات المجاورة، واستوعبوها وهضموها لم يعدموا القدرة على مزجها بثقافتهم وطبعها بطابعهم، ولم يلبث أن بدأ علمهم يشع على غيره، وهكذا يكون تزاوج الحضارات.

والسؤال الذي أثير كثيراً هو : إلى أي حد بلغت إنجازات العرب الطبية المبتكرة ؟

وقد أجاب عن السؤال العديد من الباحثين الغربيين والعرب، فمن الغربيين بل جلهم من انتقص من مساهمات العرب، وبعضهم أشار إليها بضنٍّ عليهم في الثناء، والبقية التزموا بقدر من الموضوعية والنزاهة، ومنهم مونتجمري وات الذي يقول إن العرب لم يكونوا "مجرد نقلةٍ للفكر اليوناني، وانما كانوا حَمَلَةِ للشعلة مبدعين، حافظوا على العلوم التي درسوها، ثم وسعوا آفاقها" [2].

إن أمة فاتحة تملي شروط الصلح على المغلوبين فتطلب إليهم أن يقدموا لها كتب العلم والفلسفة والطب غرامة حربية، كما فعل العرب في صلحهم مع الروم، هذا وحده دليل قاطع على أن العرب كانوا على استعداد لقبول هذه العلوم، وإنهم كانوا على قدر من التقدم الفكري يسمح لهم باستيعابها [3].

---

١ د. فواد سزكين، مكانة العلماء للمسلمين في تاريخ الطب، المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١، ط٢ ص١٣٩.

ود. سزكين تركي الأصل ألماني الجنسية، كان أول مسلم يحصل على جائزة معهد غوته الألماني عام ١٩٨٠

٢ فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمري وات، مرجع سابق ص٦٢

٣ د. محمد كامل حسين، في الطب والأقرباذين، مقال بكتاب أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية، مرجع سابق، ص٢٤٦

طرق التأثير العربي على أوروبا

كما أخذ العرب عن غيرهم من المعارف والعلوم وهضموها، فاضت علومهم على من جاورهم، وجاء جل التأثير الحضاري الإسلامي في أوروبا عقب فتح المسلمين لإسبانيا وصقلية، ففي صيف عام ٧١٠م قامت قوة استطلاعية قوامها ٤٠٠ رجل بالعبور إلى إسبانيا بحيث شهد العام التالي بدء تقدم القوات المسلمة بسهولة حتى تمت السيطرة على المدن الإسبانية الهامة في عام ٧١٥م.

وفي عام ٨٢٧م توجهت أنظار المسلمين إلى صقلية عندما استغاثت بهم إحدى الفئات المتنازعة واحتلوا باليرمو عام ٨٣١م [١].

وأتاحت النزاعات بين أمراء اللومبارديين المتنافسين في إيطاليا فرصة التدخل للعرب، الذين أخذوا يزحفون شمالا حتى روما غير أنهم لم يستولوا عليها، ويبدو أن البابا يوحنا الثامن (٨٧٢ – ٨٨٢م) ظل مدة عامين يدفع الجزية للمسلمين.

وحتى نهاية القرن الحادي عشر بقيت صقلية بأيدي المسلمين، وكانت تنعم بحكم رشيد ورخاء عظيم وتغلغلت جذور الحضارة الإسلامية فيها، وحتى عندما استولى روجر عليها عام ١٠٩١م ، فقد بقيت الجزيرة من وجوه عديدة جزءاً من الحضارة الإسلامية حتى إن مظاهر الحياة لدى حكامها كانت ذات طابع إسلامي أكثر من أن تتخذ الطابع المسيحي [٢].

وحين قام الحكم الإسلامي في إسبانيا وصقلية تبنى سكان هذه البلاد تدريجياً مظاهر الحضارة الإسلامية بصورة طبيعية[٣].

وفي إسبانيا والبرتغال صار شبابهم لا يعرفون غير اللغة العربية، وتسربت العربية إلىالكنائس حتى اضطر أحد القساوسة من أهل إشبيلية لنقل الكتاب المقدس إلىالعربية ليقرأه تلاميذه [٤].

وقد أصبح تأثير العرب والمسلمين على الغرب ممكناً في المقام الأول نتيجة الفتوح العربية في شبه الجزيرة الإيبرية وجنوب إيطاليا.. وترك الوجود العربي في الأندلس علامات لا تمحى على الأرض الإيبرية وعلى الفنون والعلوم واللغات، وبالرغم من أن فترة حكم العرب في صقلية وأجزاء من جنوب إيطاليا كانت قصيرة، فإن هذا التأثير لم يكن في جملته أقل شدة مما كان عليه في شبه الجزيرة الإيبرية ... ولم يتوقف الإتصال مع أوروبا حتى بعد رحليهم

---

١ فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمري وات، ترجمة حسين أحمد أمين، دار الشروق، ط٢ ١٩٨٦، بيروت ص٨-١١

٢ المرجع السابق، ص١٢ – ١٣

٣ مونتغمري وات، مرجع سابق، ص٢٨

٤ د. محمد مرحبا، مرجع سابق ص٢٣٨

عن غرب أوروبا.. وفي الوقت نفسه تمكن المسلمون من الوصول إلى أسوار فيينا من الشرق عن طريق البلقان.

وكثيرا ما كان يظن حتى اليوم أن الحروب الصليبية لعبت دوراً هاماً في العلاقات الثقافية الإسلامية الأوروبية، لكن الحقيقة أن الاتصالات الحاسمة في هذا الشأن تمت في وقت سابق على تلك الحروب في الجزء الغربي من البحر الابيض المتوسط، وحتى مدة التسعين عاماً التي عاشتها مملكة بيت المقدس (١٠٩٦ - ١١٨٧م) كان لها دور ثانوي في هذا المجال [١].

ويقول د. فؤاد سزكين إنه من العجائب التاريخية أن أحد التجار العرب الجزائريين قد لعب دوراً كبيراً في انتقال كتب الطب العربية إلى العالم اللاتيني، وهو المعروف والمسمى بقسطنطين الإفريقي، ولا نعرف عنه ما إذا كان نصرانياً أو أنه تنصر بعد أن ترجم بمساعدة الرهبان ما يقرب من سبعين كتاباً طبياً إلى اللاتينية [٢].

وفي عام ١١٤٠ أصدر ملك صقلية روجر الثاني قانوناً يقضي بامتحان الأطباء قبل إعطائهم الترخيص كما فعل من قبله بزمان طويل الخليفة المقتدر بالله في بغداد [٣].

كما يقضي القانون بمحاسبة الطبيب حساباً عسيراً إذا اتفق مع الصيادلة على ترويج صرف الأدوية، هذا بالإضافة إلى أن يكون الطبيب إبناً شرعياً وأن يكون قد درس سبع سنوات في الطب [٤].

وكما كان بلاط هارون الرشيد والمأمون في بغداد ديواناً للترجمة إلى العربية "كان بلاط الفونسو (حكم ١٢٥٢ - ١٢٨٤م) في طليطله ديواناً للترجمة من العربية إلى اللاتينية والإسبانية" [٥].

وكما قرَّب الخلفاء المسلمون العلماء من غير المسلمين كان مجلس الملك روجار الثاني في باليرمو مؤلفا من مسلمين عرب، وكان الملك نفسه يتكلم ويكتب بالعربية، وأسست في هذه المدينة أكاديمية علمية ضمت من أعضائها الإدريسي [٦].

وكان فردريك ملك صقلية "سيسليا" عربياً في كل شيء خلا النسب، وكان يقرأ ويكتب بالعربية وكانت حياة قصره عربية، وعندما أسس أول جامعة في أوروبا

---

١ تراث الإسلام، شاخت وبوزورث، سلسلة عالم للمعرفة، الكويت، ج٢ ط٢ ١٩٨٨ ص ص٢١٢ - ٢١٣

٢ د. فؤاد سزكين، مكانة العلماء للمسلمين في تاريخ الطب، المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١، ط٢ ص١٤٦

٣ زيغريد هونكه، مرجع سابق ص٣٣١

٤ د. السامرائي، مختصر تاريخ ..، مرجع سابق، ج٢ ص٢١٢ نقلا عن "هارنغتون"

٥ اللباب والقشور، توفيق داود قربان، مكتبة صفدي، ١٩٧٩، ساوباولو-البرازيل، ج١ ص٥٩

٦المرجع السابق ص٦٢

وهي جامعة نابولي سنة ١٢٢٤ كانت الأفواج الأولى من المدرسين فيها عرباً ومسلمين[1].

وقد تربى فردريك وسط عائلات عربية وعمره ست سنوات وكان يتيماً وتعلّم في باليرمو لدى التجار وأئمة المساجد العرب فن المساجلات اللغوية العربية والنقاش العلمي حول الإله والعالم، فأحسن العربية حتى نظم الشعر بها[2].

ومن شدة إعجاب روجر الثاني (١١٣٠ – ١١٥٤م) نقش الشهادتين "لا إله إلا الله محمد رسول الله" مقرونة بالتاريخ الهجري على العملة التي سكها[3].

ويحذو فردريك حذو العرب في تنظيم دراسة الطب والمهنة الطبية كما فعل جده روجر الثاني الذي وضع أول قانون لمهنة الطب[4].

وأنشأ فردريك (١٢١٥ – ١٢٥٠م) علاقات سياسية وتجارية مع سلطان مصر الكامل محمد ابن أخي صلاح الدين الأيوبي، وقد جاءه من سلطان مصر هدايا بينها جمال عربية وزرافة هي أول زرافة جيء بها إلى أوروبا.

وقد أرسل فردريك إلى السلطان الكامل حل مسائل فلكية وفلسفية ورياضية.

واستحضر من سورية رجالاً ماهرين في ترويض البزاة نظراً لاهتمامه بالصيد، حتى أنه نفسه وضع كتاباً في ترويض هذا الطير الجارح مما اعتبر أول مصنف في التاريخ الطبيعي عندهم.

إلا أن أعظم مآثره هي تأسيسه لأول جامعة في أوروبا عام ١٢٢٤م وهي جامعة نابولي والتي أودع فيها مجموعة كبيرة من المخطوطات العربية [5].

وقد كثرت مؤلفات الأطباء العرب والمسلمين في المحافظة على الصحة واتقاء الأمراض مع التركيز على أهمية الغذاء في ذلك، ومع كل الاحتياطات لحفظ الصحة فإذا أصيب المرء بمرض ما ينتقل الطبيب إلى مرحلة أخرى في تطبيق علمه وهو الطب العلاجي.

وقد اهتم الأطباء العرب والمسلمون بتشخيص المرض ومعرفة أعراضه وطرق علاجه، وكان الطبيب يستفسر من مريضه عن مأكله ومشربه ومسكنه وأسرته وحالته وكل ما يتصل بما سمي "الأسباب والعلامات" وكانوا يدوّنون علامات الأمراض ومشاهداتهم بدقة.

وأخذ الأطباء الأوروبيون عن نظرائهم العرب والمسلمين وسائل التشخيص هذه بالإضافة إلى علم البول أوعلم "القارورة" كما سماه الأطباء العرب والذين حذقوا

١المرجع السابق، ص٦٣

٢سيلفستر فوهلر، مقال بعنوان دهشة العالم: القيصر فريدرش الثاني، مجلة ألمانيا، العدد ١ -١٩٩٥/٢ ص٤٠ – ٤١

٣د. سعيد عاشور، الطب الإسلامي في الجامعات الأوروبية في فجر عصر النهضة، أبحاث المؤتمر العالمي الثالث عن الطب الإسلامي، الكويت، ١٩٨٤ ص٨٧

٤زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، مرجع سابق ص٤٤٦

٥د. فيليب حتي، تاريخ العرب، مرجع سابق ص٦٩٧

به فقد كان النظر في القارورة أهم الوسائل التي يبني عليها الطبيب تشخيصه وعلاجه للحالة المرضية، وقد رويت عدة قصص عن مهارة الأطباء في تفسير لون ورائحة بل وطعم البول، كما مرَّ معنا سابقاً.

كما اهتم الطبيب العربي بجس النبض من حيث سرعته وبطئه وعلوه وانخفاضه، وفي مؤلفاتهم وصفوا النبض كأنهم يرسمون تخطيطاً للقلب في العصر الحاضر.

ويعد الرازي أفضل من ضمَّن كتبه وخاصة (الحاوي) بالملاحظات السريرية "الإكلينيكية" والتي جمعها في أثناء مزاولته الطب وعلاج مرضاه، وتبين قراءة "الحاوي" كيف كان الرازي يستقصي أعراض المرض في دقة وصبر، ويحصر الإحتمالات التي تشير إلى المرض، ثم يستبعد منها بعضها حسب خبرته ثم يرجِّح مرضاً بعينه فيقرر الدواء، فيتتبع سير المرض تحت تأثير الدواء.

وعندما كان لا يتأكد من دقة تشخيصه كان لا يجد حرجاً في استشارة غيره من الأطباء، ومر معنا كيف أنه وقف حائراً أمام مرض ما عندما لم يجد طبيباً آخر يؤيده في تحليله أو يخالفه.

كما وضعوا أسس التفريق بين الأمراض المتشابهة، ففرَّق الرازي بين الجُدَري والحَصْبَة، وميَّز ابن سينا بين الالتهاب الرئوي والتهاب السحايا الحاد، وبين المغص المعوي والمغص الكلوي، وبين حصاة المثانة وحصاة الكلية وغير ذلك.

وعرَّف الأطباء العرب الطب بأنه حفظ الصحة ورد المرض عن المريض، أي أن الطب الوقائي عندهم أسبق من الطب العلاجي وأجلّ، وقد شاعت هذه النظرية عندهم.

والاهتمام بالطب الوقائي أصبح معروفاً الآن وتهتم به الأمم المتقدمة، وإن كان العرب أسبق من غيرهم في الاهتمام به، ففي عام ١٨٤٨ فقط اقتنع البرلمان الانجليزي بأن يقرّ قانوناً يكفل المحافظة على صحة الشعب وينظم أول مجلس عام لتحسين موارد الحياة، ويقوم بمشاريع المجاري وتنظيف المدن الكبرى، وفي الولايات المتحدة وافق الكونغرس عام ١٩٠٢ على قانون يحرم غش الأغذية والأدوية[1].

وقد امتد طبهم الوقائي إلى الحديث عن الأمراض المُعْدِية وعن انتقال بعض الأمراض بالهواء والمخالطة، ولا عجب في ذلك فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "اذا وقع الطاعون بأرض فلا تقدموا عليها، وإذا وقع بأرض وانتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه" وقد يفسر هذا الحديث بما يعرف "بالحَجْر الصحي".

وفي كل مرة كان يجتاح الطاعون أوروبا، كانت الكنيسة والأطباء يخفقون في الامتحان، وبعد أن بدأت أوروبا تترجم وتقرأ الطب العربي الذي يتحدث عن الوباء والعدوى التي قد تصيب الإنسان، أصبحت مستعدة لمكافحة المرض

---

١ توفيق الطويل، لقطات علمية من تاريخ الطب العربي، عالم الفكر، ابريل - يونيو ١٩٧٤ مجلد ٥ - عدد١ ـ الكويت ص٢٤٧ - ٢٤٨

وتجنب ويلاته فمنعت السفن التي يشتبه بوجود المرض بها من الإقتـراب مـن الموانيء الأوروبية، وتم الأخذ بفكرة عزل الأشـخاص والمنـاطق الموبـوءة، وأحرقت جميع الأشياء الملوثة بجراثيم المرض، وهكذا أخذت أوروبـا بـالرأي العربي الخاص بطرق مقاومة المرض والحد من انتشار العدوى[1].

كما برع الأطباء العرب والمسلمون في العلاج النفسي فعندما قـدَّموا الأدويـة لبعض المرضى ولم يتم الشفاء احتالوا بكل حيلة لشفائهم، ورويت عدة نـوادر من هذا القبيل، ومنها عندما ساءت نفس زوجة أحد الأمراء وصحتها، وأصيبت بالفالج وهي في ميعة الصبا، فعصى النطق لسانُها وشُلَّت يداها ورجلاها، وبعد أن جرَّب الأطباء طرائقهم ولم تنفع، عرف شيخ الأطبـاء أن مرضـها غيـر عضوي، فطلب من الأمير أن يقوم معاون الطبيب وهو شاب جميل حلو الحديث بأمر العناية بها، وعلى مضض قبل الأمير بذلك، فأخذ المعاون بدلكها بالأدهان دلكاً يدعو لسوء الظن فهالها ما رأت واستجمعت قواها ولطمت الشاب وأخـذت تصيح وتركض هاربة.

ولما شفيت – كما مر معنا – تبيَّن أن الشاب ما هو إلا إبنة الطبيب اسـتخدمها عن قصد لشفائها.

إن النظار إلى المؤلفات الطبية للأطباء العرب والمسلمين يجـد كيـف أنهـم اقتربوا من تحقيق منهج علمي في علمهم، فقد قصروا دراسة الوقـائع الحسـية الجزئية للوصول منها إلى وضع قواعد عامة.

وأول الانجازات الطبية التي حققها الأطباء العرب والمسـلمون عـدم ردهـم المرض إلىالشياطين والأرواح الخبيثة وعدم إرجاع المرض إلى عقاب من الله وتحريم العلاج طبقاً لذلك، كما ظنت الكنيسة في أوروبا في عصورها الوسطى، وعلى ذلك فقد تم استبعاد الخوارق في تفسير الأمراض مما فتح مجالاً للعقـل في التدخل، وتم استبعاد عمل رجال الدين في الطب، بل أن "ابن خلدون":ذهب في القول بأن الطب النبوي هو رأي النبي صلى الله عليه وسلم في شأن دنيوي، ويحتمل الخطأ والصواب، ولكن ذلك لا يمنع من أن يستعمل "على جهة التبرك وصدق العقد الإيماني، فيكون له أثر عظيم النفع".

ويقول المؤرخ الأمريكي المشهور جورج سارتون أنه "عند نهاية القرن الثالـث عشر الميلادي استعدت عقول بعض من أعاظم حكمـاء العـالم النصـراني – ومنهم ألبرت الكبير وروجر باكون وريمون لال – إلـى الاعتـراف بتفـوق الحضارة العربية. ثم بدأ انتقال مركز العلم العالمي إلى الغرب [2].

ويضيف سارتون، وقد لا نؤيده على تحفظه بأنه "ربما كانت مـأثرة المسـلمين الأساسية التي تمخض عنها الجهد في العصور الوسطى هي حضـانة الـروح

١هونكه، دار المعارف..، ص٢١٣

٢جورج سارتون، تاريخ العلم والأنسية الجديدة، مرجع سابق ص١٧٩

التجريبية حتى نهاية القرن الثاني عشر، وأنه بتأثير الكيميائيين من علماء العرب وعلماء البصريات أخذت الروح التجريبية تنشأ ببطء كبير".

ومع ذلك فيقول سارتون "لنذكر دائماً وبكثير من الشكر ما نحن مدينون به للشرق – معنويات الساميين والقاعدة الذهبية (أن تفعل للناس ما تريد أن يفعل الناس لك) وإنه لدَين فادح ولست أعلم لماذا سوف لا نستطيع رده"[1].

١المرجع السابق، ص١٨٢

في المستشفيات:

مر معنا بالتفصيل كيف حرص الخلفاء والأمراء والأغنياء والأطباء على اقامة المستشفيات [1] واستخدامها للعلاج وكمعاهد لتعليم الطب، وكيف انهم ابتنوا مستشفيات خاصة ببعض الأمراض وعرفوا المستشفيات المتنقلة التي ترافق الجيوش أو التي ابتعثوها للأماكن النائية.

كما رأينا أن الإنفاق على هذه المسشتفيات في الغالب يكون من بيت المال أو من الأوقاف التي تحبس لها.

ورأينا أن المستشفيات العربية والإسلامية في العصور الوسطى كانت أشبه بالمستشفيات الحديثة، بل ونستطيع الجرأة في القول ان في تلك المستشفيات امتيازات لا توجد حاليا في أي مستشفى في العالم، ومنها أنه كان يصرف للمريض بعد خروجه من المستشفى مبلغاً من المال لينفق منه على نفسه وعياله أثناء فترة نقاهته، وذلك بعد إعطائه كسوة من الملابس بعد خروجه من المستشفى، أما من كان يتوفى فقد كان يتم صرف مبلغ لتكفينه مع أجرة حافر القبر، وأحياناً صرف مبلغ من المال لعائلته.

وقبل أن تتعرف أوروبا بالطب العربي كان المرضى فيها يُزَجُّون في بيوت مزرية، حيث يعانون الآلآم في انتظار الموت، ولا يجدون فيها من الرعاية سوى بعض العطف من الراهبات، ولم يحرِّك الغرب تفكيره إلا اقتداءً بالعرب عندما تعرف فرسان الحروب الصليبية على المستشفيات في الشرق التي شيدت في وقت مبكر، ذلك أن ألمانيا مثلاً لم تبدأ ببناء مرافق متخصصة تحت إشراف الأطباء سوى عام ١٥١٧ في لايبزيغ، ونفس الحال كان ينطبق على الظروف الصحية والنظافة العامة والحمَّامات التي بُنِيَت على غرار الحمَّامات الساخنة العديدة في المدن العربية.

واقتداءً بالعرب عمدوا في أوروبا إلى معالجة المصابين بالأمراض العقلية ووضعوهم تحت إشراف الأطباء بعدما كانوا في السابق يسجنون مقيدين بالسلاسل في بيوت منعزلة، كما تم لأول مرة في أوروبا عزل المصابين بأمراض معدية عن المرضى الآخرين، بعدما كانوا يوضعون جميعاً في مكان واحد.

ومن المرجح أن تكون خبرات الصليبيين قد أدت في حوالي عام ١٢٠٠ إلى تأسيس أولى المستشفيات التي لا تؤوي غير المرضى، غير أن هذه المستشفيات كانت أدنى مستوى من المستشفيات العربية في أمور مثل تخصيص أجنحة مستقلة للأمراض المُعْدِيَة، وقد كان الأطباء يزورون المرضى في المستشفيات، غير أن أول حالة معروفة لمستشفى بها طبيب مقيم هي مستشفى ستراسبورغ

---

[1] البيمارستانات

وذلك في عام ١٥٠٠م، أما تلقين العلم وتدريب الطلبة في المستشفيات وهو ما جرت عليه عادة العرب فلم تنقلهما أوروبا عنهم حتى حوالي عام ١٥٥٠م [١].

وتأثراً بالعرب بدأت ألمانيا مثلاً ببناء مرافق متخصصة تحت إشراف الأطباء لأول مرة عام ١٥١٧ في لايبزيغ، وابتداءً من ذلك الوقت بدأت في أوروبا معالجة المصابين بالأمراض العقلية ووضعهم تحت إشراف الأطباء بعدما كانوا في السابق يُسجنون مُقيدين بالسلاسل في بيوت المجانين، كما تم عزل المصابين بأمراض مُعْدِيَة عن المرضى الآخرين، وهذا واحد من الإنجازات القيِّمة التي تقدَّم بها الطب العربي على الإغريقي، فقد كانت الأمراض المُعْدِيَة تقضي بين الفترة والاخرى على شعوب بأكملها.

وفي الوقت الذي كانت أوروبا تعتقد أن الأوبئة هي غضب من الله لا دواء لها إلا الصلاة، عرف العرب أن هذه الاوبئة تنتقل بالعدوى، بل أن ابن سينا بعبقريته قال بأن بعض الأمراض تسببها أجسام صغيرة جداً تسبح في الماء والهواء.

وللمقارنة بين مستشفيات أوروبا والمستشفيات العربية نورد وصفاً لمستشفى "اوتيل ديو" في باريس (Hotel Dieu) أكبر مستشفيات أوروبا (١٥٣٦) في ذلك العصر "يحتوي المستشفى ١٢٠٠ سرير وكانت الردهات عفنة كثيرة الرطوبة لا منافذ تهوية فيها، ترى أطفالا بجانب شيوخ، امرأة في المخاض مع طفل في حالة تشنج، البناية حافلة بالحشرات الدنيئة، وهواء الحجرات لا يطاق لفساده حتى إن الخدم والممرضين لم يكونوا يجرؤون على الدخول إلا بعد وضع إسفنجة مبللة بالخل على أنوفهم.. وتترك جثث الموتى ٢٤ ساعة على الأقل قبل رفعها من السرير" [٢].

ولم يكن طالب الطب في أوروبا يعرف التدريب العملي كما كان الأمر لدى العرب، حتى إن المعاهد الطبية العالية كانت معدومة الصلة بالمستشفيات إلى أن عاد الصليبيون من الديار المقدسة فطلبوا من البابا إنشاء مستشفيات على شاكلة المستشفيات التي دهشوا لرؤيتها، ومضى وقت قبل أن تتحقق هذه الأمنية، وكان مستشفى ستراسبورغ أول مستشفى التحق به طبيب رسمي عام ١٥٠٠م، أي بعد ٨٠٠ عام من تأسيس أول مستشفى عربي، وفي عام ١٥١٧ أنشيء مستشفى في مدينة ليبزغ،وفي عام ١٥٣٦ أنشيء مستشفى أوتيل ديو في باريس.

في أواسط القرن السادس عشر الميلادي ألقى طبيب إيطالي من مدينة فيرونا محاضرة طبية بين أسرة المرضى في أحد مستشفيات (بادوا) وكان هذا حدثاً

---

١ مونتجمري وات، مرجع سابق، ص٩٣ ؛ هونكه ، دار المعارف ..، ص٢١٤

٢تراث الإسلام، جمهرة من المستشرقين، دار الطليعة – بيروت ط٣ ١٩٧٨، ملحق للمعرب جرجيس فتح الله ص٥١٤ نقلا عن:

H.W.Haggard,Devils,Drugs & Doctors

وانظر أيضاً د. محمد كامل حسين، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ص٢٥١

عظيماً، ثم حذا حذوه طبيب آخر من مدينة إينجول (Ingol) إلا ان هذين الحدثين ظلا فريدين في نوعهما حتى القرن الثامن عشر حين نقل الطبيب هارمان بورهافه(Hermann Boerhaava) من مدينة لايدن طلبة الطب من الدراسة النظرية الصرفة إلى الدراسة التطبيقية في المستشفيات مما اعتبر خطوة متقدمة في التعليم الطبي[١].

ولا شك أن أهم ما اقتبسه الغرب هو التنظيم الصحي بالمستشفيات العربية الإسلامية وخاصة شكلها المعماري سواء الأقسام المخصصة للمرضى العقليين والنفسيين أو كمؤسسات مستقلة بذاتها لهؤلاء المرضى.

وقد ذكر المؤرخون أن الأخوة سان جان دي ديو بأسبانيا قد أسسوا مستشفى للمختبلين في بلنسيا في القرن الخامس عشر الميلادي استناداً إلى المشافي الأندلسية وخاصة مشفى غرناطة آنذاك. كما شُيِّدت في نفس القرن خمس مستشفيات أخرى لنفس الغرض وعلى نفس النمط العربي بأمر من الملكة ماري دي مديسيس حتى بلغ ترتيبها فرنسا، التي بني فيها سنة ١٦٠١م مستشفى شارنتون المشهور والذي لا يزال إلى يومنا هذا مخصصا للأمراض العقلية.

والمعروف أن الأسدين اللذين يزدان بهما مدخل سرادق الملكة بقصر الحمراء في غرناطة كانا في الأصل في أكبر مستشفى في المدينة نفسها[٢].

وكانت مؤلفات الرازي وابن سينا العربية المترجمة مقررات إلزامية لطلبة كليات الطب في لايبزيغ وتوبنغن وفتنبرغ[٣].

كما تعرض الطب العربي إلى صفات معلّم الطب وطالب الطب ومنها وجوب أن يتحلى الطبيب بحسن الهيئة ونظافة الثياب وطيب الرائحة وان يكون متمسكاً بشريعته واقفاً عند حدود الله تعالى.

وذكروا من صفات متعلم الطب، أن يكون حديث السن جيد الفهم، حسن الحديث، صحيح الرأي مشفقاً على العليل حافظاً للأسرار.

وقد أوجز علي بن رضوان الصفات المرغوبة في الطبيب ومتعلم الطب كما مرّ معنا.

١زيغريد هونكه، مرجع سابق، ص٣١٢

٢د. سليم عمار، طب النفس والأعصاب في المغرب والاندلس، المجلة العربية للطب النفسي بحلده عدد١ ، ١٩٩٤ ص٦٨-٦٩

٣طب الارث العربي، سلفيستر فوهلر، مجلة ألمانيا، العدد ١-٢/ ١٩٩٤

الصيدلة:

أدخل الأطباء العرب والمسلمون الكثير من الأدوية المفردة والمركبة إلى علم الصيدلة وكان أول أقرباذين في العصر العباسي ألفه سابور بن سهل (المتوفى سنة ٢٥٥هـ) وكان المعوّل عليه إلى حين ظهور أقرباذين أمين الدولة ابن التلميذ (المتوفى سنة ٥٦٠هـ) [١]

وفرّق العرب بين الذين يعدّون الدواء وأولئك الذين يأمرون بإعداده، وبتعبير أدق لقد أوجد العرب الصيدلي ومهنة الصيدلة ، فالصيدلي بدراسته والمسؤولية التي يتحملها يمتاز على تاجر الأدوية العادي في العصور الأولى لذلك كانت منزلة الصيدلي منزلة عالية رفيعة [٢].

وللعرب على علم الطب فضل آخر كبير في غاية الاهمية ونعني به استخدام المخدر (المُرَقِّد) في العمليات الجراحية، وأن استعمال الإسفنجة المخدرة فناً عربياً بحتاً لم يعرف قبلهم، وكانت توضع هذه الإسفنجة المبللة بعصير الحشيش والأفيون والزوان وست الحسن (هيوسيامين) عند أنف المريض، فيرقد المريض في نوم عميق يزيل عنه أوجاع العملية الجراحية [٣].

وممن اهتم بأدوية التخدير واستعملها وأطلق عليها اسم "الدواء المُرَقِّد" الحكيم أبو الحسن عيسى بن حكم الدمشقي (١٢٢ - ٢٢٧هـ، ٧٣٩ - ٨٤١م) وقام هو نفسه بتصنيعها وهي حاوية لعدة مواد منها : الأفيون وبزر الخشخاش والخس والكزبرة والزعفران والجندبادستر [٤] وتحتوي الوصفة أيضاً على الشيكران، والخربق الاسود واليبروح [٥].

واستطاع الرازي عن طريق التجارب التي أجراها على الحيوان استكمال استخدام الأفيون والحشيش من الناحية العلاجية وبخاصة في التخدير [٦].

وفي الحملة الصليبية الخامسة عام ١٢١٨م صحب الطبيب الإيطالي الجراح هوغو فرقة بولونية إلى الحرب وحصار دمياط في مصر ومكث في مصر ثلاث سنوات توافرت له فيها عدة مناسبات للتعرف على الأطباء المسلمين وكيف كانوا يعمدون إلى تخدير الجرحى بالحشيش ونبات السيكران وغيره قبل أن يلجأوا إلى المبضع دون أن يشعر الجريح بأي ألم.

١ابن أبي أصيبعة، ج٢ ص١٠٠

٢هونكه، دار المعارف..، ص٢٢٩

٣ زيغريد هونكه، مرجع سابق ص٢٨٠

٤وهو إفرازات زيتية مرة الطعم لحيوان القندس، عرفه الإغريق والعرب واستعملوه في المعالجات

٥د. سامي حمارنه، الطبيب عيسى بن حكم الدمشقي ورسالته الهارونية، بلاد الشام في العصر العباسي، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان ١٩٩٢ ص٥٥٨

٦هونكه، دار المعارف..، ص٢٢٨

وعندما عاد إلى موطنه سلك مسلك العرب في كثير من فنون التداوي فنال شهرة واسعة، وعلّم أبناءه ما قد تعلّمه من العرب. والتخدير بالاستنشاق عرفته أوروبا في القرن التاسع عشر فقط [1].

وفي كتاب القانون لابن سينا نجده يذكر ما لا يقل عن سبعمائة وستين دواء، وقد انتقلت جميعها إلى النباتات والصيدلة الاوروبية، وبعض هذه الأدوية ما زالت محتفظة بأسمائها العربية حتى اليوم مثل الزعفران، خشب الصندل، الكافور، تمر هندي، حشيش ، جوز الطيب [2].

ولم يكتف ابن البيطار (٥٩٤ – ٦٤٦هـ/١١٩٧ – ١٢٤٨م) وهو أكبر عالم نباتي عربي بدراسة مؤلفات نحو مائة وخمسين عالماً سبقوه، بل قام بتجاربه الخاصة على النباتات ورحل من (ملكا) مسقط رأسه وزار مراكش وشمال أفريقيا ومصر وسوريا وآسيا الصغرى، وألف كتابه الجامع لمفردات الأدوية والأغذية وذكر فيه ما صح عنده بالمشاهدة والنظر والخبرة، (وما كان مخالفاً – يقول ابن البيطار – في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية في المنفعة والماهية للصواب والتحقيق أو أن ناقله أو قائله عدلا فيه عن سواء الطريق نبذته ظهرياً وهجرته ملياً.. ولم أحَابِ في ذلك قديماً لسبقه ولا محدثا اعتمد غيري على صدقه).

وقد سمى ابن البيطار كتابه بالجامع لكونه جمع بين الدواء والغذاء، واحتوى على الغرض المقصود مع الإيجاز والاستقصاء [3].

وللعرب فضل آخر على علم الطب، فكان فتحاً مجيداً في عالمه، وهو معالجتهم الأمراض العقلية والعصبية بالأفيون [4].

"إن الأثر المباشر للعرب على أوروبا في الصيدلة ظل طيلة عصري الإنسانية والنهضة، بل ظل تأثيره قائماً حتى القرن التاسع عشر، ففي عام ١٧٥٨ أعيد نشر أجزاء من مفردات ابن البيطار، وفي عام ١٨٣٠ استخدمت مراجع عربية كمصادر أساسية للصيدلة والوصفات العلاجية الأوروبية.

لكن حتى اليوم فكل مستشفى بنظامه وكل معمل كيماوي وكل صيدلية وكل مخزن أدوية انما هو نصب تذكاري للعبقرية العربية، وكل حبة مُسَكَّرة أو مُفَضَّضة [5] إنما هي تذكار صغير مرئي من الطبيبين العربيين العظيمين وأستاذيْ أوروبا ألا وهما الرازي وابن سينا.

١زيغريد هونكه، مرجع سابق ص٣٠٠-٣٠١

٢زيغريد هونكه، شمس الله على الغرب، فضل العرب على أوروبا، ترجمة د. فؤاد حسنين علي، دار المعارف بمصر – القاهرة ١٩٦٩ ص ٢٢١

[3] هونكه، دار المعارف..، ص٢٢٤

٤زيغريد هونكه، مرجع سابق ص٢٨١

٥مغلفة بالفضة أو ما شابه

وهذا ما يعترف به أحد أبناء أوروبا المتنورين وهي المستعربة الألمانية زيغريد هونكه [١].

واهتم الرازي بالكيمياء، مما جعل البعض يعده مؤسس الكيمياء الحديثة في الشرق والغرب، وكان لمعرفته في الكيمياء أثر في طبه، وقد حَضَّر الرازي بعض الأحماض مثل حامض الكبريتيك وسماه زيت الزاج أو الزاج الأخضر، كما حضر الكحول بتقطير مواد نشوية وسكرية متخمرة، وكان يستعمله في الأدوية[٢].

واسترعى فن الكيمياء الذي بدأ أساساً على يد العرب اهتمام كثير من العلماء الأوروبيين فقد كان يراود الكيميائيين العرب باستخدام هذا العلم ليس في تحويل المعادن إلى ذهب فحسب، وإنما وسيلة لإيجاد "إكسير الحياة" الذي اعتقدوا بأنه يشفي الأمراض ويطيل العمر، وفي تجاربهم اكتشفوا عدة مركبات كيميائية ما زالت تستعمل حتى الآن.

وأدرك أهمية المواد الكيميائية في منع الأمراض وعلاجها في القرن السادس عشر الطبيب السويسري باراسيلسوس Paracelsus، حيث ما زالت بعض المواد الكيميائية التي قام بتحضيرها تستعمل في علاج الأمراض حتى الآن.

١هونكه، دار للعارف..، ص٢٣٥،٢٣٤

٢د. عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم، مرجع سابق ص١٧٤

التشريح والجراحة:

لقد برع عدد من الأطباء العرب والمسلمين في الجراحة "والعمل باليد" في أوسع معانيها كالزهراوي، وابن القف الكركي كما مر معنا.

والمعروف أن الجراحة لا تستقيم إلا بمعرفة الطبيب للتشريح، ومع أنه لم يكن من السهل إيجاد جثة بشرية لتشريحها إلا أن الأوصاف التي تحدث بها عدد من الأطباء العرب والمسلمين عن أعضاء الجسم بشكل دقيق لا يدع مجالا للشك في أن بعضهم مارس التشريح على الجثث الإنسانية، أما ندرة الحديث عن ذلك فمردها إلى أنهم مارسوا التشريح بشكل غير علني ،ولهذا نجد مراراً قولهم "والتشريح يكذّب ذلك أو يؤكّد ذلك".

أما تشريح الحيوان وخاصة القردة فقد كان معروفاً كما مر معنا.

وكان يجب على الطبيب الجراح معرفة التشريح وأعضاء الإنسان وما فيه من العضل والعروق والشرايين والأعصاب ليتجنب الجراح ذلك في عمله، وهناك تحذيرات عديدة أوردها الرازي في كتابه "الحاوي" من قطع الأعصاب وقت العمل باليد.

وأكد الزهراوي في بداية كتابه "التصريف لمن عجز عن التأليف" على ضرورة معرفة التشريح لأنه أساس كل جراحة وأن الجهل به يجر إلى نتائج وخيمة.

وتتبين دقة حديثهم عن التشريح في قولهم في الثقوب التي بين الفقرات والتي تخرج منها أعصاب النخاع، فقد شرحوا ذلك شرحاً دقيقاً صحيحاً وكذلك علّمهم بالعصب الحائر Vagus وبفرعه الصاعد الذي يغذي أعضاء الصوت١.

في عصر الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي يروى أسامه بن منقذ في كتابه الاعتبار، قصة تبين عجائب الطب الأوروبي آنذاك ويقول: إن أحد الإفرنج طلب من عمه إرسال طبيب يداوي مرضى من أصحابه، فارسل إليه طبيباً نصرانياً ، فلما غاب عشرة أيام حتى عاد فقلنا له "ما أسرع ما داويت المرضى!" قال أحضروا عندي امرأة قد لحقها "نشاف" بمعنى البله – وحَمَّيْتُ المرأة – أي وصف لها الحِمْيَة، ورطبت مزاجها، فجاءهم طبيب إفرنجي فقال لهم "هذا ما يعرف شيء يداويهم" وأبصر في المرأة وأنا حاضر فقال "هذه امرأة في رأسها شيطان قد عشقها، احلقوا شعرها، فحلقوه وعادت تأكل الثوم والخردل فزاد بها النشاف فقال "الشيطان قد دخل في رأسها، فأخذ الموسى وشق رأسها صليباً – على شكل صليب – وسلخ وسطه حتى ظهر عظم الرأس وحكه بالملح فماتت في وقتها ، فقلت لهم "بقي لكم الي حاجة؟ قالوا : لا . فجئت ٢.

---

١ د. محمد كامل حسين، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ص٤٤

٢ كتاب الاعتبار، لأسامه بن منقذ، حرره فيليب حتي ١٩٣٠ ، الدار المتحدة للنشر، ١٩٨١ بيروت ص١٧٠ – ١٧١

وحتى لا يقال أن اسامه بن منقذ ذم الطب الافرنجي في هذه القصة فقد روى كيف أن طبيبا آخر نجح في علاج ساق ملوثة، ويصف علاجاً لسل الغدد وضعه أحد الافرنج، وهكذا أعطى صورة موضوعية عن نقاط الاختلاف ووجه القوة والضعف في طبهم.

وقد أوصى الزهراوي في كل العمليات الجراحية في النصف السفلي من الإنسان أن يرفع الحوض والأرجل قبل كل شيء وهذه طريقة اقتبسها الغرب مباشرة عنه مع أنها عرفت باسم الجراح الالماني "فريدريك ترندلنبورغ (١٨٤٤ - ١٩٢٤)".

كما أخذ الغرب عنه طريقة ترك فتحة في رباط الجبس في الكسور المفتوحة.

كما يرجع إليه الفضل في كثير مما وصل إليه علم الجراحة فهو السباق إلى مختلف أنواع الخياطات الجراحية مثل المشكولة أو تلك التي تشبه حياكة الفراء ثم "الرفو" وبخاصة فيما يتصل بالعمليات الجراحية التي تجري في البطن، فهو يستخدم إبرتين في خيط واحد هذا فضلاً عن استخدام أمعاء القطط والأوتار في الجراحات الخاصة بالأمعاء ١.

وقد أدى تأثير فن الجراحة العربي المتطور إلى تغيير صورة مهنة الجراحين في أوروبا التي اعتبرت لفترة طويلة مهنة غير شريفة.

وقد كانت الجراحة في أوروبا في العصور الوسطى فرعاً محتقراً من فروع الطب يتجنبه الأطباء، وليس أدل على ذلك من تكوين رابطة موحدة للحلاقين والجراحين في إنجلترا سنة ١٥٤٠ ، ومن خلال هذه الرابطة توصلوا إلى اتفاق يحدد لكل فئة حقوقها وواجباتها بحيث يمتنع الجراحون عن ممارسة الحلاقة ويقتصر الحلاقون على خلع الضروس. ودام هذا الحلف مائتي عام حتى قرر الجراحون الانفصال وتكوين رابطة مستقلة لهم في عام ١٧٤٥ ٢.

وكانت مكانة الجراحين في أوروبا وضيعة، لكن عام ١٦٨٧م أجرى الجراح فيلكس جراحة ناجحة على ناسور لويس الرابع عشر ملك فرنسا، وسُرّ الملك سروراً بالغاً، فأعطى الطبيب ١٥ ألف جنيه ذهبي، وخلع عليه ضيعة في الريف ولقب النبالة، فرفعت هذه الترقية من مكانة الجراحين في فرنسا ٣.

وكان لكتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" لمؤلفه "أبي القاسم الزهراوي" وخاصة المقالة الثلاثين أثر كبير على وضع أسس الجراحة الحديثة في أوروبا،

---

١ هونكه، دار المعارف..، ص١٨٧

٢ د. أحمد مختار منصور، الجراحة عند الزهراوي، أبحاث المؤتمر العالمي الثاني عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨٢ ، العدد الثاني ص٤٥٢

د. أحمد مختار منصور، الجراحة عند الزهراوي، أبحاث المؤتمر العالمي الثاني عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨٢ ، العدد الثاني ص٤٥٢

٣ ول ديورانت، قصة الحضارة، اصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة ١٩٨٠ ج٣٣ - ٣٤ ص٢٢٦

وقد ذكر الجراح الفرنسي المشهور "دي سولياك" (١٣٠٠ - ١٣٦٨م) أكثر من مائتي اقتباس للزهراوي في مؤلفه الأكبر عن الجراحة[١].

ولخص د. لوسيان لوكليرك وهو أحد المتخصصين في دراسة الزهراوي مكانة هذا الطبيب الأندلسي بقوله إنه يعد في تاريخ الطب "أسمى تعبير عن علم الجراحة عند العرب، وهو أكثر المراجع ذكراً عند الجراحين في العصر الوسيط، واحتل الزهراوي في معاهد فرنسا مكانة بين أبقراط وجالينوس فأصبح من أركان هذا الثالوث العلمي" [٢].

ويذكر "شاخت وبوزورث" مثالاً فريداً لتأثير التراث الإسلامي على الغرب، ذلك أن مؤسس علم التشريح الحديث أندرياس فيساليوس نشر عام ١٥٣٨م جداوله التشريحية الستة كدراسة تمهيدية لمؤلفه المعروف باسم "الصنعة" (Fabrica) وقد ورد في النص اللاتيني لهذه الجداول عدد كبير من المصطلحات العربية .. وهكذا حملت جداول فيساليوس التشريحية التراث العربي في الطب إلى مطالع العصور الحديثة [٣].

ولأهمية كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" للزهراوي استمر تأثير هذا الكتاب حتى القرن الثامن عشر في أوروبا وطبعت مقالته الأخيرة في الجراحة عدة مرات وآخرها في أكسفورد عام ١٧٧٨م [٤].

وتقول المستعربة الألمانية زيغريد هونكه إن الجزء الثالث من كتاب التصريف للزهراوي "هو أساس الجراحة الأوروبية الذي رفع من قيمة هذا الفن الشافي الذي كان محتقراً في أوروبا وهو يعتمد على علم التشريح الذي هو فرع من الطب وله نفس الأهمية التي للفروع الأخرى" [٥].

ومن الأمثلة على فتوحات الأطباء العرب والمسلمين أسبقية الرازي إلى استخدام أمعاء الحيوان في خياطة الجروح، واستخدامه "الحجامة في حالات الإصابة بنزف في المخ" [٦] .

أما الزهراوي فقد استخدم الكي في علاج بعض الأمراض العصبية، وسبق إلى ربط الشرايين في الجراحات، ووصف استعداد بعض الأجسام للنزيف وعالجه بالكي [٧].

---

١ د. ماهر عبد القادر، دراسات وشخصيات في تاريخ الطب العربي، دار المعرفة - الاسكندرية، ١٩٩١ ص٣٤١

٢ محمد العربي الخطابي، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، ج١ ص١١٩

٣ تراث الإسلام، شاخت وبوزورث، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ج٢ ط٢ - ١٩٨٨ ص٢٦١

٤ د. فرح الموني، مرجع سابق ص٢٦٧

٥ هونكه، دار المعارف..، ص١٩٥

٦ د. ماهر عبد القادر محمد، دراسات وشخصيات في تاريخ الطب العربي، دار المعرفة - الإسكندرية، ١٩٩١ ص٤٧٠

٧ الطويل، لقطات علمية..، ص٢٧٤

أما ابن سينا فكان أول من ميَّز بين الالتهاب الرئوي والالتهاب السحائي الحـــاد، وبين شلل الوجه الناشيء عن سبب مركزي في الدماغ وما ينشأ منه عن سبب محلي [1].

ويُنقل عن السير وليام أوسلر (Sir William Osler) قوله في كتابـــه تطـــور الطب الحديث : (Evolution of Modern Medicine) "أنه قُدِّرَ لأعمال ابن سينا أن تظل إنجيلا طبياً (في أوروبا) لمدة أطول من أي عمل اخر" [2].

١ المصدر نفسه..، ص٢٧٤

٢ د. أبو الوفا التفتازاني، العلاقة بين الفلسفة والطب عند المسلمين، المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢ ص٧٦

صناعة الورق والطباعة:

أدخل العرب إلى أوروبا عبر صقلية زراعة البَرْدى، فدخلت صناعة الورق إلى أوروبا، علما بأن أول وثيقة أوروبية مكتوبة على ورق البَرْدى هي أمر إداري أصدرته باللغتين العربية واليونانية زوجة روجر الأول عام ١١٠٩م ١.

وقد كانت صناعة الورق من أجَلّ الخدمات التي أسداها الإسلام لأوروبا، ولولاها لما تم اختراع الطباعة ولما تيسر للعلم أن ينتشر في أوروبا ٢.

"وكان المسلمون قد أخذوا صناعة الورق عن جماعة من أسرى الحرب الصينيين في سمرقند، وطلبوا منهم تشييد مصانع للورق ما لبث أن تعددت في العالم الإسلامي، وكانت سبباً في تطوير هذه الصناعة ونشرها، وفي القرن الثاني عشر نقل الحجاج المسيحيون لوحات من الورق من المصانع الإسلامية في الأندلس، وامتدح الإدريسي الورق الذي كان يصنع في ضواحي برشلونه وبلنسية، وفضله على غيره، ولم تبدأ صناعة الورق في أوروبا إلا في عام ١٣٤٠م حين أنشيء أول مصنع له في ايطاليا" ٣.

ويقول سارتون "إن يقظة الغرب الكبرى كانت عندما أعيد استكشاف الطباعة"٤.

هكذا نرى أن الطب الإسلامي لم يكن مجرد ثلاجة أودع فيها التراث الإغريقي اليوناني إلى أن تلقنته العقول النيرة أبان النهضة الأوروبية، كما زعم البعض أن العرب والمسلمين لم يضيفوا إضافات مميزة للطب الإغريقي اليوناني.

إن تشويه صورة الإسلام والمسلمين وانكار جهودهم ومشاركتهم الحضارية وجحودها استمر قروناً طويلة ولم يبدأ تصحيح الصورة إلا "خلال النصف الثاني من القرن الماضي" ٥.

وفي القرن السابع عشر دبَّ في الطب الغربي فجأةً شعور غريب بالخجل من تقليده الطب العربي، فكانت البداية بإحراق كتب ابن سينا وجالينوس علناً في ساحة السوق بمدينة بازل (Basel) السويسرية وهذه الحادثة التي قام بها باراسلزوس (Paracelsus) كانت رمزاً للتفكير الجديد في أوروبا ٦.

---

١ د. فيليب حتي، تاريخ العرب، مرجع سابق ص٦٩٣

٢ المصدر نفسه، مرجع سابق ص٦٤٧

٣ د. ناصر الدين الاسد، ما قبل رحلة كولومبوس..، مرجع سابق، ص٣١٨ ؛ زيغريد هونكه، شمس العرب..، مرجع سابق ص٤٣-٤٧

٤ جورج سارتون، تاريخ العلم والانسية الجديدة، مرجع سابق ص ١٨٢

د د. ناصر الدين الأسد، ما قبل رحلة كولومبوس..، مرجع سابق، ص٣٢٠ - ٣٢١

٦ زيغريد هونكه، مرجع سابق ص٣١٥

الترجمة من العربية إلى اللاتينية:

كانت مدرسة ساليرنو الطبية في جنوب إيطاليا أول مدرسة طبية في أوروبا، وهي في الأصل دير أسس في بداية القرن التاسع الميلادي، كان فيه رهبان يسعفون المرضى مقتدين براهب يدعى ديزيره والذي ألف كتاباً أسماه "المعجزات الطبية للقديس بنوا" وشهرة هذا الدير شاعت؛ لأن ديزيره اصبح فيما بعد رئيسا للكنيسة تحت اسم البابا فيكتور الثامن.

وفي سنة ١٠٧٧م وصل إلى بلدة ساليرنو الراهب قسطنطين الإفريقي[١] ودرس الطب في مصر وسورية والهند وقيل في بغداد أيضاً. وترجم هذا عدة كتب طبية عن العربية وأصبح معلما في ساليرنو [٢].

وتشير بعض المصادر إلى أن كتاب الطبيب علي بن العباس "كامل الصناعة" كان أول كتاب عربي ترجم إلى اللاتينية وترجمه قسطنطين الإفريقي [٣].

وفي الحرب التي سميت حرب الاسترداد Reconquista نجح الإسبان في طرد العرب من طليطلة عام (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) فأخذ ملوك قشتالة يعملون على نقل وترجمة كتب الثقافة العربية الإسلامية فظهرت في طليطلة Toledo مدرسة المترجمين: "Colegio de Traductores Toledanus"

وكانت طليطلة آنذاك موئلا للعلم، حيث كانت مكتباتها تعج بآلاف المجلدات التي نقلت إليها من المشرق. وفي مورثيا Morcia (سماها العرب مرسية) أنشىء معهد للدراسات العليا، ثم نقل إلى اشبيلية Sevilla وانتدب فيه اساتذة من المسلمين لتدريس الطب والعلوم [٤].

وتدفق سيل الترجمة تدفقاً متواصلاً لم يكن بوسع أحد أن يمنعه، وانطلق من إسبانيا وصقلية وشمالي إيطاليا فتم ترجمة كتاب الكليات لابن رشد تحت اسم Colliget وطبع مرتين في البندقية عام ١٤٨٢ وفي ستراسبورغ عام ١٥٣٣م، بل أن ابن رشد Averroes اشتهر فيلسوفا أيضاً في أوروبا وتشيع له عدد من الفلاسفة أصبحوا يسمون "الرشديين".

كما تم ترجمة كتاب التيسير لابن زهر الذي أسموه Avenzoar [٥].

---

١ وسمي بالإفريقي لأنه من مواليد تونس التي كانت تدعى إفريقيا

٢ د. عبدالرحيم حجازي، الطب الإسلامي عامل اساسي في خروج أوروبا من عصر الظلام، المؤتمر العالمي الاول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢ ص١١١

٣ د. عمر فروخ ورفاقه، تاريخ العلوم عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٠ ص١٧٠

٤ د. محمد مرحبا، الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت ط٣ ١٩٨١ ص٢٤٠

٥ زيغريد هونكه، مرجع سابق ص٣٠٣-٣٠٤

ومن صقلية جاءت ترجمة أضخم كتاب للرازي "الحاوي"عام ١٢٧٩م ، وذلك من قِبَل الطبيب فرج بن سالم بأمر من شارل الأول، وترجم تحت اسم " Liber Dictus El Havi" ، كما ترجم ثانية في البندقية عام ١٤٥٢ تحت عنوان "Continens Rasis" ثم اخذ يطبع هذا الكتاب وما إن جاء عام ١٥٤٢م حتى كانت توجد منه خمس طبعات، عدا أجزاء كثيرة طبعت منفصلة.

كما ترجم كتاب المنصوري للرازي عدة مرات للاتينية وجاءت طبعته الأولى عام ١٤٨١ بعنوان "Liber ad Almansorem" كما ترجمت عدة كتب أخرى للرازي ومقالات مختارة.

ولا شك أن هذه الكتب العربية التي ترجمت إلى اللاتينية غدت في متناول العلماء والطلبة في مختلف جامعات أوروبا في فرنسا وإسبانيا وإيطاليا وألمانيا، وأصبح العلم العربي معيار العلم المطلق.

كما لعب الرهبان في الأديرة بدور كبير في ترجمة الكتب الطبية من العربية إلى اللاتينية بالإضافة لاهتمام بعضهم بمداواة ومواساة المرضى، وإن كان الدواء الأساسي كان هو التوبة.

وفي القرن الثاني عشر بدأت محاولات من الأساتذة والطلبة لتنظيم شؤون التعليم وأخذ اعتراف من السلطات الدينية والمدنية في ذلك فتم تأسيس جمعيات (Associations) عرفت بالجامعات في اللاتينية بـ Universitas . وكانت هذه الجامعات أشبه ما تكون بنقابة للتجار أو النقابات التي تنظم العاملين في كل مهنة والتي عرفت مبكراً في الحضارة الإسلامية ١.

ويقول سارتون إنه "نتيجة لجهود المترجمين كانت زبدة المعرفة الإغريقية العربية مع نهاية القرن الثاني عشر الميلادي في متناول قراء اللاتينية.

وبين منتصف القرن الثالث عشر ونهايته "لم يبق من آثار العرب العلمية الهامة ما ليس في متناول قراء اللاتينية منقولا إلى لغتهم" ٢.

وفي إسبانيا امتدت التأثيرات الطبية والعلمية إلى أوروبا شمالاً فقطعت جبال البرنيه ثم صارت متعرجة إلى ثنايا جبال الألب فألمانيا وأوروبا الوسطى، ثم أنها عبرت الخليج ووصلت إنجلترا ٣.

لا أدل على عمق تأثير الطب الإسلامي على الطب في أوروبا من المرسوم الذي أصدره البابا كلمنت الخامس سنة ١٣٠٩م يشترط فيه لمن يسمح له

---

١ Bryce Lyon & assoc., A History of the Western World, Chicago, ١٩٧٤, Vol.١ Rand mcnally & company .PP ٢٥٦-٢٦٦

٢ جورج سارتون، تاريخ العلم والانسية الجديدة، ترجمة اسماعيل مظهر، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦١ ص١٧٤ "الانسية : هي للمذهب الإنساني في الفلسفة وهي صرخة احتجاج على كل ضرب من ضروب الفكر والحياة يؤدي إلى التضحية بالإنسان (انظر زكي نجيب محمود، ثقافتنا في مواجهة العصر، دار الشروق القاهرة ١٩٨٢ ط٣ ص٢١٨

٣ فيليب حتي، تاريخ العرب، مرجع سابق، ص٦٧٤

بمزاولة مهنة الطب أن يؤدي إمتحاناً في كتب معينة على رأسها مؤلفات ابن سينا والرازي وحنين بن اسحق.

كما حدد المرسوم لطالب الطب في جامعة مونبلييه عدة كتب يدرسها منها كتاب الحميات لحنين بن اسحق ودفع مضار الاغذية ليوحنا بن ماسويه، وفي سنة١٣٤٠ حددت مقررات كلية الطب بنفس الجامعة وكان من بينها القانون لابن سينا١.

وفي مدرسة مونبليية الطبية ومن سنة ١٤٨٩ إلى ١٥٠٠ كانت كتب ابن سينا تحتل الصدارة في التدريس حتى إنه في سنة ١٤٩٠ كانت كتبه تشكل المادة الوحيدة للدراسة٢.

ويذهب أحد العاملين بالدراسات الاحصائية إلى أن عدد الاشارات في المؤلفات الأوروبية القديمة المعتمدة إلى مراجعها، يدل دلالة قاطعة على أن التأثير العربي كان أقوى بكثير من التأثير اليوناني، ففي مؤلفات "بيراري دا جرادو" ٣ ذكر ابن سينا أكثر من ثلاثة آلاف مرة وذكر كل من الرازي وجالينوس ألف مرة في حين لم يذكر بُقراط غير مائة مرة.

وخلاصة القول؛ هي أن الطب الأوروبي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر كان مجرد امتداد للطب العربي ٤.

وقد ظلت أوروبا معتمدة على الطب العربي حتى القرنين الخامس عشر والسادس عشر، ففي عام ١٤٧٣ بدىء بطبع كتاب "القانون في الطب" لابن سينا وطبع ثلاث مرات قبل طبع أول كتاب لجالينوس، وبحلول ١٥٠٠ كان قد صدرت من "القانون في الطب" ست عشرة طبعة ٥.

وكانت جامعة فيينا حتى عام ١٥٢٠ وفرانكفورت حتى عام ١٥٨٨ تستعملان كتاب القانون لابن سينا وكتاب المنصوري للرازي في مقرر دراسة الطب ٦.

وبعد سقوط الدولة الإسلامية في إسبانيا، جمع فيليب الثاني (١٥٥٦ – ١٥٩٨م) الكتب من مخازن الكتب العربية في البلاد، وأصبحت هذه الكتب نواة لمكتبة الاسكوريال الموجودة في مدريد حتى الآن ٧.

---

١ د. سعيد عاشور، الطب الإسلامي في الجامعات الأوروبية في فجر عصر النهضة، مرجع سابق ص٩٥

٢ د. عبدالرحيم حجازي، الطب الإسلامي عامل اساسي في خروج أوروبا من عصر الظلام، المؤتمر العالمي الاول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢ ص١١٣

٣ وهو أستاذ في بافيا وأول من طبع كتاباً طبياً من تأليفه

٤ مونتجمري وات، مرجع سابق ص٩٣-٩٤

٥ فضل الإسلام على الحضارة الغربية، مونتجمري وات، مرجع سابق ص٩٣

٦ د. محمد كامل حسين، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ص٢٥١

٧ د. فيليب حتي، تاريخ العرب، مرجع سابق ص٦٤٨

وفي أواخر القرن السابع عشر حدث أن هرب الشريف زيدان سلطان مــراكش من عاصمته فارسل خزانة كتبه في سفينة، ولكن الربان أبى أن يوصل الكتــب إلى الميناء المقصود لأنه لم يأخذ أجرته سلفا فاتجه بالسفينة نحو مرسيليا فوقعت في أيدي قراصنه إسبانيين وانتقلت هذه الكتب أخيراً إلى فيليب الثالــث فــأمر بايداعها في مكتبة الاسكوريال وبهذا أصبحت هذه المكتبة من أغنــى المكتبــات بالمخطوطات العربية ١.

١ المرجع السابق، ص٦٤٨

خلاصة

رأينا كم كان تأثير العرب على الغرب في العلوم الطبية، فعلى مدى عدد من القرون كانت اللغة العربية هي اللغة العالمية للعلوم وكان يتعيَّن على كل راغب في دراسة الطب حتى القرن السادس والسابع عشر أن يتقن اللغة العربية ومن عام ٨٥٠ الى ١٣٥٠ ميلادي كان هنالك أكثر من أربعة آلاف كتاب طبي مكتوب باللغة العربية خاصة وكان الطلبة في تلك الحقبة من الزمن يتوافدون إلى بغداد ودمشق ومصر والأندلس لدراسة الطب.

كان تأثير العرب واضحاً على الغرب في المجالات التالية :

١) الترجمة عن كل الحضارات السابقة للحضارة العربية، مثل حضارة البابليين والمصريين واليونانيين والهنود والفرس.

٢) صقل تلك العلوم وتطويرها وتنقيحها.

٣) تأليف الكتب المتعددة في علوم الطب والصيدلة.

٤) العرب أول من أدخل الرسومات التوضيحية والشكل الجدولي على تدريس الطب.

٥) كما كانوا أول من كتب الطب شعراً من أجل سهولة الحفظ عند طلبة كلية الطب.

٦) قد أنشأوا المستشفيات التي كانت تسمَّى بالبيمارستان ونظام الإقامة عند الأطباء وربط تلك المستشفيات بكليات الطب ونظام الامتحانات ومنع الأطباء غير الكفؤين أو غير الحائزين على تصريح بالعمل من ممارسة الطب.

٧) كان لهم دور كبير في المبادىء الأخلاقية والتي اعتمدت :

أ) تعاليم أبقراط

ب) القيم والمبادئ المسيحية

ت) القيم والمبادىء الإسلامية

٨) كان للعرب دور كبير وأثر واضح في دراسة علم التشريح والفلسفة والتشخيص والعلاج وظهرت التخصصات المختلفة في الطب ووصفوا الكثير من العمليات الجراحية، وكان لهم دور كبير في اكتشاف الآلات التي تستعمل في الجراحة وفي اكتشاف الخيوط الجراحية.

٩) كما كان لهم دور كبير في اكتشاف التخدير والتعقيم بواسطة الكحول.

كل ذلك أخذ منه الغرب الكثير وبنى عليه نهضته الحديثة التي جاءت بعد جمود العصور الوسطى، وانطلقت مع مطلع القرن السابع عشر لتواصل حتى أيامنا هذه.

نهضة العلوم العصبية في أوروبا:

بدأت نهضة العلوم العصبية في أوروبا وبالتحديد في النمسا وألمانيا في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر وبدأت على شكل مراكز للعلوم العصبية وبدأ التنسيق بين هذه المراكز في هذه العلوم.

ولقد انتشرت هذه النهضة في بقية أنحاء أوروبا ولا سيما فرنسا وإسبانيا، وفي القرن الثامن عشر أخذت طريقها إلى بريطانيا، وأسس المستشفى الوطني للعلوم العصبية، وأصبح فيما بعد مركزاً مهماً وكعبة لأطباء العلوم العصبية في العالم، ومن ثم انتقلت هذه النهضة إلى أمريكا، وفي الخمسينات والستينات من هذا القرن تم إنشاء المراكز الطبية للعلوم العصبية في اليابان وآسيا.

ولقد بُنِيَتْ هذه المراكز على أساس المعرفة والخبرات السابقة والتنسيق فيما بينها، وكان هدفها خدمة المرضى والتدريب والتدريس ليس للأطباء فقط، وإنما لكل من يعمل في هذا الحقل، واهتمت المراكز بالبحوث الطبية ونقلها إلى العالم وفتح أبوابها لمن يرغب في التعلم.

ونتيجة لذلك ظهر هذا التقدم العلمي الهائل في الغرب، بالإضافة إلى تقدم التقنية العالية في جميع مجالات العلوم العصبية، وكذلك تم إنشاء مراكز متخصصة بالعلوم مثل مراكز "للصرع والجلطات الدماغية وأمراض الأعصاب المحيطية وأمراض العضلات والجراحات العصبية الخاصة وغيرها".

المؤسف أنه وبعد أن بلغ العرب والمسلمون هذا المستوى الإبداعي في زمن مبكر من عمر الحضارة الإنسانية أصيبوا بحالة من الجمود والتراجع والتخلف عن ركب التطور في هذا المضمار، فمنذ ذلك الوقت الذي أسميناه بالعصر الذهبي .. ونحن كعرب ومسلمين نأخذ دور التابع دون منهجية راسخة، لتطور الغرب. ولست هنا في معرض التوسع في شرح الدوافع العديدة لهذا الجمود والتخلف والذي لم يقتصر على مجال الطب وحده، وإنما على جميع مجالات الحياة الأخرى.

إن العودة إلى الماضي والنظر إليه بتمحيص علمي هي مرحلة جديدة في الفكر الإنساني، بعد مرحلة الترفع والتعالي الناجمة عن الغرور بسبب الاكتشافات الرائعة الهائلة التي تتم سنوياً.

وهناك فائدة عظيمة للقيام بمثل هذه الأبحاث والاستيحاء من الماضي وابتكار طرق جديدة في التشخيص والعلاج، والاستفادة من التقدم العلمي الحديث في كل ذلك، وخاصة في دراسة الأدوية المستخلصة من الأعشاب والنباتات الطبية، فقد تكون فيها فتوحات طبية مستقبلية.

إن دراسة الماضي هي خطوة أساسية لإعادة اكتشاف التراث العربي والإسلامي ، ليس في الطب والعلوم فقط، وإنما في كل مجالات الحياة، وإن إحياء التراث هو انعكاس لروح الوعي والانفتاح، فالتراث هو بمثابة الجذور والمعاصرة هي الأغصان والثمار.

وبعيداً عن التنظير التبريري Rationalization والظاهرة الاعتذارية Apologetics القائمَيْن على مبدأ إرجاع المنجزات الأوروبية إلى جذور عربية وإسلامية، فإن ما يحدث الآن من تقدم في الغرب هو أشبه ما يكون بموجة "هيلينية" جديدة سبق للحضارة العربية والإسلامية أن استوعبتها وهضمتها وأضافت إليها في عملية تراكمية Accumulative Process .

غير أن هذه النظرة المتفائلة يجب أن لا تحجب عنا الرؤيا، فهذه الموجة لا تأتي باختيار حر، وبقرار من الخليفة باستقدام كتب الإغريق وإنشاء دور لترجمتها، بل تأتي بضغوطات سياسية واقتصادية وقيم إجتماعية تجعل من الصعب البدء كما بدأ أجدادنا الذين أخذوا عن الإغريق في البداية الطب وباقي العلوم وابتعدوا عن الإنسانيات، ولم يضطروا للخلط بين الجانبين [١].

وأحب أن أذكر هنا أن هذه التجربة قد مرَّت على غيرنا من الشعوب فخرجوا منها بنجاحات باهرة، وأخصّ بالذكر اليابان وألمانيا وعدداً غير قليل من شعوب شرق آسيا.

وكما أحب أن أذكر أن العقل العربي قد أثبت عطاءه وفعاليته وجدارته في مجال العلوم العصبية في العصر الحديث، والمؤسف أن جميع الأعمال التي قام بها أطباء وعلماء عرب اعتمدت في أغلبيتها على المبادرات الفردية في داخل الوطن العربي وخارجه.

ولكني أجتهد بمحاولة تلمُّس الطريق الصحيح الفعَّال الذي من شأنه تطوير وضعنا على هذا الصعيد أو تقليص الفجوة الفاصلة بيننا وبين الغرب على الصعيد الطبي وخاصة في مجال العلوم العصبية.

ومن أجل ترسيخ أسس التبادل الحضاري بيننا وبين العالم المتقدم في مجال العلوم العصبية يتعيَّن علينا أن نعمل على تحقيق الأمور التالية:

أولاً : أن تقوم الدول أو المؤسسات المعنية بوضع سياسات وخطط علمية وعصرية لتأهيل الكفاءات البشرية في مجال العلوم العصبية بالإكثار من إيفاد الدارسين في بعثات إلى الخارج وبتأسيس مراكز متخصصّة في البلدان العربية، وإيجاد السبل الكفيلة بتنمية الكفاءات والتفاعل بين هذه المراكز ومثيلاتها في العالم.

ثانياً : أن تقوم المؤسسات المعنية في بلادنا بتوفير الوسائل الفعالة وتعميم أحدث ما وصلت إليه العلوم العصبية سواءً على الصعيد النظري كالاكتشافات الحديثة أو العمل على توفير التقنيات الحديثة والمتطورة في هذا المجال.

ثالثاً : تشجيع الأطباء العرب على الاشتراك النشط والمواظب والفعّال في الجمعيات واللجان المتخصصة في العلوم العصبية المنتشرة في العالم، وكذلك الجمعيات الأكثر تخصصاً مثل جمعيات الصداع والجلطات الدماغية وغيرها من التخصصات الحيوية والهامة في هذا المجال.

---

١ د. محمد جابر الأنصاري، تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي، سلسلة عالم الفكر، الكويت ١٩٨٠، رقم ٣٥، ص٩و ١٠

رابعاً : تشجيع إقامة حلقات بحث طبـي وعلمـي وورشـات عمـل ومـؤتمرات متخصصة مشتركة بين أطبائنا والأطباء البارزين من الخارج.
خامساً : إيجاد السبل العملية للإفادة من المبدعين العرب العاملين في المؤسسـات الطبية العالمية وتعميم نشر هذه المجلات على العاملين فـي المؤسسـات الطبيـة العالمية الكبرى وكذلك الإستفادة من الأساتذة المميزين في الجامعات الغربية.
سابعاً : التوسع في استخدام الكمبيوتر للتعرف على أحدث ما توصّلت إليه العلـوم العصبية من خلال الموسوعات العلمية المخزونة فيه والاستفادة من نتائج الأبحـاث العالمية في هذا المجال.
ثامناً : الدخول إلى عالم الطب الاتصالي بين الدول العربية من جهة وبين المراكز المتقدمة في العالم في استخدام الأقمار الصناعية من خلال الاتصالات التلفونيـة أو الفضائية أو شبكة الإنترنت، كما هي الحال في بعض الدول العربية، حيث تـؤدي هذه العلاقة إلى تبادل تعليمي وتقني يعود بالفائدة بالدرجة الأولى علـى المـريض وكذلك على الطاقم الطبي.
إن مقترحاتي هذه، وهي بديهية وفي غاية البساطة، لا تعني أن مجـال الاتصـال والتفاعل مع الغرب مغلق أو غير مطروق من قبلنا ، بل على العكس فهنالك جهود مؤثرة في هذا المجال يبذلها زملاء لنا في أمـاكن عديـدة مـن عالمنـا العربـي والإسلامي ، كما أن هناك مؤسسات وجدت بالفعل لمـد الجسـور مـع التطـور الحضاري العالمي في هذا المجال، وأن هذه المؤسسات قد قامت بمجهودات جديـة وحققت إنجازات لا يستهان بها.
غير أننا بحاجة إلى ما هو أكثر اتساعاً وأكثر رسوخاً وجدوى، إننا بحاجـة إلـى تطوير جهد الفرد وتنظيم مبادرات المؤسسات المختصة والافادة من إمكانيات دولنا على هذا الصعيد كي لا تكون الصلة بالتطور الحضـاري العـالمي مرتجلـة أو رهينة إبداع فردي.
إننا بحاجة إلى المؤسسات المتعاونة على نطاق الوطن العربي كله وبحاجة إلـى النظم والصيغ التي تتكامل من خلال جهود الأفراد والمؤسسات لتبلغ مستوًا مستقراً متطوراً يصلح لأن نبني عليه تطلعاتنا للحاضر والمستقبل.

مسرد بكلمات الأدوية المفردة والمركبة

الأدوية المفردة :

أبازير : التوابل ذات البذور كالكمون والكزبرة وغيرها

أترج : تفاح يماني أو ليمون بلدي. وبالمصطلح العلمي Citrus Medica.

أثـل : شجر طويل مستقيم يعمر، جيد الخشب، كثير الأغصان والورق طويل ودقيق يشبه الطرفاء يستعمل حبه في المعالجة كما له زهور معروفة ، حاليا تشتهر به دولة الامارات العربية المتحدة.

أرسطولوخيا: هو الزراوند الطويل بالسيريانية (أي مبرىء المفاصل) واشتق هذا الاسم من لفظ أرسطو وهو الفاضل، ولوخيا، وهي المرأة النفساء، والمراد الدواء الفاضل بالمنفعة للنفساء.

وذكر بعضهم أنه يقصد به اللوف المرقط، وإلى وقت قريب كان يطبخ للنساء المرضعات.

أفاويه: التوابل التي هي أثمار (كالهيل) وأزهار (كالقرنفل) وجذور (كالكركم) وغيره. وكانت تستعمل كأدوية أو كعطور بعد خلطها.

إكليل الملك: وهو النفل وغصن البان والحندقوق البستاني، نبات يستعمل طبيا قابضاً ومنبهاً ومحللاً ومقوياً للأعضاء، والبستاني منه يؤكل، أما البرّي فترعاه الماشية وورقه يشبه ورق السفرجل وزهره تحوي مادة عطرية حلوة المذاق تقطر، والبذور تستعمل كعلاج أيضاً مطبوخاً أو معجوناً.

ألأملج (أو الامليليج) : علاج هندي استعمل داخلياً وخارجياً في المداواة بكثرة. ويؤخذ من شجرة تكثر في الهند، يستعمل ثمرها كمركبات هاضمة علاجية.

إهليلَج: شجر ينبت في الهند وأفغانستان والصين ثمره على هيئة حب الصنوبر الكبار، وهو أصناف؛ حسب منبته أصفر وأسود، ويستعمل في الأدوية والمعجونات ويوصف مع إبليلج.

البليلج: علاج هندي اشتهر قديماً لعلاج الجهاز الهضمي.

جعدة: نبات مر الطعم، استعمل كعلاج للمعدة وسمي الحشيشة المقدسة.

حب الملوك (او السلاطين) : زيت مسهل سريع المفعول وسُمِّي الخروع الصيني.

حُمَّاض (أو حُمَّيْض): نبات عشبي طعمه حامض له خاصية مبردة.

حَنْظَل: نبات عشبي معمر، ينبت في الاراضي الجافة والصحراوية، ثمره كروي الشكل أصفر اللون، ولب الثمر شديد المرارة، وسمي العلقم Colocynth وهو مسهل وبذوره تعصر للحصول على زيوت منها.

خربق: نبات من الفصيلة الزنبقية، وأصل الكلمة سرياني وهو نبات عشبي سام وله عدة أنواع.

خَشْخاش: نبات معروف منذ القدم، بتشريط ثماره تسيل عصارة لبنيــة تجــف، وهي الأفيون، وسمي قديماً (أبو النوم) ، له آثار مخدرة واستعمل قديما لتخفيــف الألم وفي العمليات الجراحية كمخدر.

خيارشنبر: وهو خروب هندي، نبات شجري جميل المنظر يشبه الجوز وثمــره حلو حامض مسهل لذا سمي PURGING CASSIA غالباً ينبت برياً وليناً، أزهاره صغيرة متدلية والثمار قرنية والبزور حمراء تستحلب للعلاج.

دارصيني: وهو شجر القرفة، أصله من الهند وربما من الصــين وسـيريلانكا، يحتوي على زيوت طيارة.

راتنج: اسم فارسي أطلق قديما على صمغ الصنوبر خاصة، ثم أصـبح يُطلــق على كل عصارة صمغية، ثم جاء العرب فعرفوه بأنه علك، فقالوا علك الــبطم والعلك الروحي وغيره.

راوَنْد: نبات عشبي حشيشي معمر جذوره كبيرة الحجم خشبية صفراء اللــون، طعمها مر مُغَثٍّ وله خاصية مسهلة.

زَنْجَبيل: نبات عشبي معمر طعمه حرِّيف كطعم الفلفل ورائحته عطريه استعمل في العلاج وفي تعطير الأطعمة وعمل المربيات.

سَقَمُونيا: نبات معمر جذوره لحمية غليظة، يشبه الجزر، اســتعملت عصــارة جذوره في العلاج، وتستخرج العصارة بإحداث قطع مائل في الجذر لتسيل منــه العصارة وتترك لتتكثف.

السيكران: نبات سام؛ استعمل مع أخلاط أخرى كدواء مخدر في العمليات الجراحية، كما استخدم كمسكن مزيل للألم والمغص.

الشوكران: نبات سام استخدم للقتل، وقيل أيضاً الشيكران أو السيكران.

شونيز: ومن أسمائه الحبَّة السوداء أو حبة البركة NIGELLA ثماره الناضجة ذات خمسة جوانب تنتهي بخمسة قرون، كل قرن منها يحتوي على بذور سوداء في داخله ممتدة بصفين على طول القرن، استعمل كمادة علاجية.

شيلم :عرفه الأطباء باسم الزؤان. وهو نبات جميل يرتفع إلى ثلاثة أقدام وينبت عادة بين الحنطه، أزهاره سنبلية تنتج حباً صغيراً، طعمه يميل إلــى المــرارة. واستعمل قديما مع نباتات أخرى كدواء مخفِّف للألم أو كمخدر فــي العمليــات الجراحية.

شياف: قطعة من مركب دوائي دهني لين، منها ما يستعمل كمــرهم للعــين أو تحاميل شرجية.

الصُّموغ: قصدوا بها النباتات التي تخرج فضل الرطوبات مــن الغــذاء الممــد للشجرة، مثل الكافور والعلك والكندر والصبر والحلتيت والانزوت وغيرها.

صَنْدَل: نوع من الشجر يشبه الجوز، من خشبه يصنع الأثاث والتحف، ورائحــة خشبه عطرية استخلصت منه العطور.

ويعتقد ان كلمة صيدلي مشتقة من صندلاني وهو العشاب أو صاحب الدكان الذي كان يبيع عطر الصندلي، وتغلب رائحته على دكاكين العطارين فسموا الواحــد منهم صندلاني ثم حرفت الكلمة إلى صيدلاني.

غار: شجرة دائمة الخضرة جميلة المنظر، كان اليونانيون يجلونها ويعتنون بها وبزراعتها في حدائقهم حتى وصل بهم الأمر إلى أن يصنعوا من أغصانها الطرية عقوداً وأكاليل يتوجون بها شجعانهم وأبطالهم المنتصرين، وبقيت هذه العادة، وعنهم أخذتها شعوب أخرى كثيرة حتى القرون المتأخرة، وقد اقتبس العرب عنهم جملة (مكللاً بأكاليل الغار) لوصفهم من جاء منتصراً.

وهي شجرة ضخمة يصل ارتفاعها إلى خمسة أمتار تنبت في منطقة البحر الأبيض المتوسط، أوراقها سهمية حادة معرجة الحافات لماعة، إذا فركت باليد فاحت منها رائحة عطرية فلفلية، وثمارها بحجم الكرز، لحمية القوام تحتوي على زيت عطري طيار، يعتصر ويصنع منه صابون فاخر هو صابون الغار أو (صابون ركي) كما يسميه أهل بغداد، واسم الغار العلمي Nobilis Linn Laurus

فاوانيا: نبات ينبت في غابات أوروبا. جذوره غليظة مستطيلة متفرعة تكون بشكل حزمة مصفرة ملساء من الخارج وبيضاء لحمية من الباطن، رائحتها قوية، وطعمها مُغَثٌّ كريه، وهي المستعملة في العلاج. أزهاره بنفسجية.

وهناك اعتقاد لدى النساء بأن النبات يفيد كثيراً في دفع الحسد وإبطال السحر ودفع الشر.

فربيون: وقد اختلفت أسماؤه في بعض الكتب الطبية، منها فربيون وأفريبون وفرابيون وبيرييبون، في العراق فربيونه، وفي مصر التاكوت وفي بلاد الشام اللوبانة المغربية.هو صمغ تنتجه شجرة شائكة تكثر في بلاد المغرب وخاصة في منطقة مراكش حيث تشق أغصان الشجرة فتسيل منها عصارة صمغية راتنجية تشبه الحليب، لا تلبث أن تجف وتتجمد بعد ملامستها للهواء.

وتتصف بأنها قوية لها تأثير مهيِّج وكاو على الأنسجة الحية التي تقع عليها إذا كانت سائلة حديثة، أما إذا جفت فإن قوتها تضعف تدريجيا وتأثيرها يخف.

قِثَّاء الحمار: ويسمى خيار بَرِّي، وهو نبات بَرِّي جذره معمر لكن ساقه وأوراقه تنبت سنوياً، ساق النبات زاحفة، وأوراقه لحمية سميكة قلبية الشكل، وثمرته متطاولة تشبه القثاء أو الخيار ولكن على سطحها نتوآت غير شائكة، طعمها غير مقبول ورائحتها ضعيفة، ومع ذلك فإن الحمير تستيغ أكلها حتى إنها إذا كانت منكبة على طعامها وأحست بوجود النبات عافت طعامها وهرعت إليه. وتمتاز الثمرة بأن في قاعدتها ثقب تقذف منه بذورها إلى مسافات بعيدة وربما تصيب المتواجدين بقربها، ويعلل النباتيون أمر ذلك بأن في باطن الثمرة عصارة كثيرة كثيفة، فإذا نضجت الثمرة حدث توتر في جدرانها وهذه تضغط بشدة على العصارة فتخرج مندفعة من الثقب وتدفع معها البذور بقوة.

قسط: إسم سرياني لنبات عراقي الاصل، عرفه ديسقوريدس خلال مرافقته للإسكندر الأكبر في غزوه لأرض بلاد الرافدين وعرف فوائده فاستعمله، وهو نبات جذره زاحف لونه سنجابي مغبر من الظاهر وابيض مصفر من الباطن، يخرج منه عدة سيقان ورقية تعلو إلى أربعة أقدام.وقد اعتبرت العرب نبات القسط من الأدوية الجليلة منذ القديم، وقد روى البخاري (رضي الله عنه) حديثاً

عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) أنه قال "إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط". وعن زيد بن الأرقم أن النبي عليه الصلاة والسلام قال "تداووا من ذات الجنب بالقسط والزيت".

قنطوريون: إسم يطلق على أحد صنفين من النبات أحدهما هو القنطوريون الكبير، والآخر هو القنطوريون الصغير، وكل منهما من فصيلة تختلف عن الفصيلة الأخرى، فالقنطوريون الكبير موطنه جبال الألب وهو نبات معمر جذره لحمي كالجزر رائحته عطرية، طعمه مر مع حلاوة وحرافة قليلة يستعمل في العلاج، والقنطوريون الصغير: ينمو في مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط، أوراقه وثمره الذي يشبه حبوب الحنطة يستعملان في العلاج.

قيْصوم: نبات معروف في البوادي القريبة في المنطقة، رائحته عطرية لا يزال يغلي البعض أوراقه ويُشْرَب نقيعها بارداً وفي البادية يمضغون أوراقه وورق الشيح.

كافور: زيت يستخلص من جذر وساق شجرة معمرة ضخمة تدعى شجرة الكافور تنبت في بلاد الصين واليابان وبعض جزر جنوب آسيا، حيث يحدثون شقوقاً في ساق الشجرة فيسيل منها زيت عديم اللون ذو رائحة نفاذة، ما إن يلامس الهواء حتى يجمد بشكل قطع شفافة كالثلج ذات ملمس دهني، سهلة الكسر فيها بعض اللزوجة رائحتها عطرية شديدة وطعمها حرِّيف لاذع.

كراوية: إسم عربي لنبات يعرف بالفارسية باسم القرنباذ أو القرنفار، لا يزيد ارتفاعه على قدمين، جذره لحمي متطاول ذو رائحة قوية، أوراقه كبيرة عريضة، أزهاره بيضاء مجتمعة في قمة الفروع تخلّف ثماراً بيضاوية منضغطة الجانبين شديدة العطر فيها بذور صغيرة أشد عطراً تستعمل لتعطير الأطعمة.

كهربا: إسم فارسي لنوع من الصموغ الثمينة، ومعناه رافع التبن، وذلك بسبب القوة الجاذبة التي يحدثها دلك قطعة منه بقطعة من القماش مما يمكنها من جذب التبن إذا قرب منها.

كَهْرَمان : تفرز الصمغ شجرة تدعى الدوم واجودها ما نبت في سواحل بحر البلطيق والصمغ نفسه يسيل تلقائياً من جذع الشجرة وأغصانها الكبيرة، ويكون بلون أصفر خفيف شفاف ثم لا يلبث أن يتغير إلى أصفر محمر أو مائل إلى السواد، وذلك بعد يجف ويتصلب، وهو الصمغ الوحيد الذي يمكن صقله وتلميعه ويتخذ منه أجمل أنواع الحلي.

اللبان: شجر صمغي تشتهر سلطنة عمان بزراعته حالياً، يستعمل صمغه حتى الآن مثل البخور، واستعمله المصريون القدماء في تحنيط موتاهم، عرفه اليونان باسم "ليبانو" وسمي أحيانا الكندر، ويمضغه البعض كالعلكة .

لفاح: نبات يقطيني وهو اليبروح بالسريانية، وتفاح الجن أو تفاح المجانين، وهو أصفر اللون طيب الرائحة، وأصل الاسم العلمي MANDRAGORA معروف من قديم الزمان وكان يستعمل علاجاً مخدراً، وذلك يغلي جذور هذا النبات في النبيذ إلى أن يتبخر ثلثه، وجذور هذا النبات تشبه شكل شخصين متعانقين، ولذلك كثرت حوله تأثيراته الظنون خاصة عند العامة.

مصطكي : اسم لصمغ يوناني تفرزه شجرة من أنواع البطميات سماه العرب علك الروم. يجنى الصمغ في أشهر الصيف حيث يحدثون شقوقاً صغيرة في جذع الشجرة ليسيل الصمغ بشكل قطرات دمعية متعاقبة تتجمد بعد ملامستها الهواء ثم تسقط بشكل حبوب واحدة بعد الأخرى، ويكون لونها عسلياً وطعمها راتنجياً عذباً إذا علكت.

يتوعات : (ج يتوع) وهو لفظ سرياني معرب وهو كل نبات له لبن يسيل إذا قطع (كورق التين)

الأدوية المركبة:

أيارج: كلمة فارسية معناها دواء مركّب مسّهل، وأصله هندي، وقد يسمى الأيارج باسم المادة الرئيسية التي تكون فيه، فيقال: أرياج فيقرأ مثلا ومعنى كلمة فيقرا (المر) ، ويكنى بها الصبر ويتصف به. فيكون اسم الدواء (الدواء المر الذي فيه مادة الصبر) وهذا هو أشهر الأدوية المسهلة التي استعملها القدماء وهو مركب من الصبر والأفاويه العطرة، واللحلاح والفلفل والنرد والقرفة والزعفران والمر، معجون بالعسل.

استعمل قديماً كدواء مسهل ومطمث.

ترياق (أو درياق) : علاج للسموم. مشتق من كلمة تيريون اليونانية وهي اسم لما ينهش من الحيوان كالأفاعي ونحوها.

جُلاَّب : شراب من الماء مضاف إليه ماء الورد والسكر. وأصل الكلمة فارسي **كل آب** : (كل – ورد) ، (وآب – ماء).

جوارشن : وأصل الكلمة جوارش. وهو اسم اعجمي معناه الهاضم، ولكن الكلمة عُربت، ولفظها العرب جوارشا ثم أصبحت جوارشن، ثم اطلقوها على خلط مركب من مجموعة مفردات دوائية تكون على هيئة شراب مكثف أو بشكل معجون أو أقراص مجفّفة مختلفة الأحجام والأوزان، وقد استعمل لشتى الأغراض بالنسبة لمفرداته فمنه المسهّل والقابض والهاضم وقد تفنَّن الأطباء القدماء وأصبح لكل منهم تراكيبه وأوزانه ونسبه الخاصة التي تدخل في تركيب الجوارشن، وذلك حسب اجتهاده في العلاج، وقد سمى تركيبه باسم خاص لتفريقه عن غيره.

السعوطات: أدوية تستنشق بواسطة الأنف.

سفوف : (سفوفات) كل دواء مسحوق يؤخذ عن طريق الفم غير معجون.

السكنجبين: الكلمة من أصل فارسي وهي مستحضر طبي كان يصنع من الخل والعسل مع الماء.

السحايا: أغلفة الدماغ باليونانية Phrenitis وأبقاها حنين بن اسحاق قرانيطس، وابن سينا استعمل لفظ فرانيطس أو السرسام.

الشمومات: هي الأدوية التي يتصاعد بخارها فيشمها المريض.

شياف (او الشيافات): مستحضرات صيدلانية استعملت كمسوغات لعلاج العين كالمراهم.

فرزجة: دواء نسائي لإسقاط الجنين، وقد دعا بُقراط في عهده ومن جاء بعده إلى عدم إعطاء هذا الدواء للنساء لمساعدتهن في اسقاط الحمل.

المُرْقِد: دواء كالبنج كان العرب يستعملونه قبل استئصال عضو متعفن أو قبل إجراء بط أو شق في العضو المريض، وذلك ليفقد العليل الحس؛ وقد ورد ذكر المرقد في بعض المراجع.

مرهم جالينوس: يتركب من شمع وزفت وعلك البطم وراتينج وفربيون وقليل من الزيت بمقادير معلومة، يغلى ثم يترك حتى يجمد، ويستعمل لعلاج جراح العصب.

المَرُوخات: المراهم.

النُّطولات: علاجات لتحليل وتليين الوجع بسكب أو دهن الرأس وغيره من الاعضاء بالتسخين والتبريد وتمسيدها بالأدهان.

مسرد بالأمراض وعلاماتها وأعراضه

آفة : هي فساد عضو في الجسم إذا اصابته عاهة، إيفَ الشيء: أصابته آفة (Lesion).
آكلة : حكة شديدة.
والآكلة، أو الأكال: الجرب، وعند عامة الناس : هي كل آفة تؤدي إلى تآكل الجلد كالقرحة الكبيرة المتقيحة وسرطان الجلد وغيره.
إبلپبسيا: لفظ يوناني معناه داء الصرع Epilepsy
اختلاج : ارتعاش جزء من جلد البدن، من خلج واختلج: إذا جلبه عن موضعه وانتزعه. وطبياً سببه اضطراب عصبي ارتجاجي يعرض للبدن مع الانفعال.
استسقاء : هذا اللفظ يوقعه الأطباء على علة ينتفخ بها البدن كله ويترهل ويخصُّونه (بالاستسقاء) اللحمي Abdominale Tumeur ، أو ينتفخ بها البدن وحده ويسمونه – إن كان عن ماء – بالزقي Hydropisie ، وإن كان عن ريح بالطبلي، وفي هذا اللفظ تحريف عن وضعه في اللغة، يقال استسقى بطنه إذا امتلأ ماء، ولم يسمع في غيره.
اصطكاك : اضطراب الأشياء حتى يضرب بعضها بعضاً، وغالبا ما أطلق هذا اللفظ على اصطكاك الاسنان كعلامة مرضية.
أمُ الصِّبْيَان: نوع من أنواع الصرع يصيب الأطفال.
الامتلاء: قصدوا به ارتفاع ضغط الدم. ونصحوا بالفصد في علاجه.
الأمراض الطارئة: أي الخارجة عن البدن بسبب خارجي كحر الشمس وبرد الشتاء.
الأمراض الوافدة : كالوباء.
انسداد : اعتقد الأطباء القدامى أن الأعصاب هي كالأنابيب المجوَّفة وأنه يحدث بها انسداد Obstruction مما يسبِّب الأمراض العصبية.
البُحْرَان : وهو يوم المناجزة وذروة المرض Crisis يصحبه تعرق وحُمَّى، ويراد به في الطب، اليوم الذي تكون فيه المناجزة بين المرض وطبيعة المريض، وأصل التسمية يونانية: وهي يوم المناجزة بين المتصارعين، واليوم **الباحوري** : هو اليوم الذي تقع فيه المناجزة.
برسام: معربة من الإغريق عبر الفارسية وهي علة ذات الجنب (الصدر) وهي التهاب الغشاء المحيط بالرئة Pleura ويلحقه اختلاط الذهن. بر بالفارسية هو الصدر، والسام هو الورم (الالتهاب).
المُبَرْسَم : المصاب بالبرسام.
والبرسام هو أحد نوعين من ذات الجنب أحدهما جاف يدعى البرسام والآخر ذات الجنب الانصبابية Pleurisy ويحدث غالباً بعد البرسام إن لم يشف ويزول في حينه حيث يتكون سائل مصلي بين ورقتي غشاء الجنب فتنقلب ذات الجنب الجافة إلى الانصبابية، وتختلف كمية السائل من عدة غرامات إلى لتر أو لترين

أو أكثر حسب شدة الالتهاب، ويتصف المرض بحمى عالية وضيق النفس وسعال جاف.

وربما حدثت ذات الجنب الانصبابية في سياق بعض الأمراض الانتانية كالحمى التيفوئيدية والروماتيزم وغيره، وربما ارتشح بعض الدم إلى السائل المصلي، ويسمى المرض حينذاك ذات الجنب النزفية.

البُهْر: ضيق النَفَس.

البَيْضَة (داء) : الصداع المشتمل على جميع الرأس وخاصة لمن لا يحتمل الأصوات الشديدة والضوء الساطع، ويبدو أنها سميت بالبيضة تشبيها لبيضة الحديد (الخوذة) التي كان يستعملها المحاربون القدماء على رؤوسهم.

تَفَرُّق الاتصال : يقال لكل قرحة أو جرح أو كسر عظم قد يفرق اتصاله ويقال له أيضاً انحلال الفرد.

تَهَوُّع: حركة المعدة للقيء وتكلف القيء واستثارته.

حديث النفس: هو كل ما يحدِّث به الإنسان نفسه من خير وشر، وخص الأطباء به التحدث بالرديء الموحش للنفس الذي يكون في ابتداء الماليخوليا تخصيصاً متعارفاً عندهم.

حُمَّى: حرارة تعم جميع البدن ظاهراً وباطناً، ومنها الحمى الحادة: وهي سريعة القتل أو الإقلاع، وحمى دقّ : وهي الحمى التي يدق ويذبل معها البدن. وحمى **الرِّبْع**: وهي السوداوية تدوم يوماً وتترك يومين. وحمى غِبّ : وهي الصفراوية وتدوم يوماً ويوماً لا. ومُحْرِقَة: وهي صفراوية لا تفتر، ومُطْبِقَة: وهي الدموية. وحُمَّى يوم : وهي تدوم لمدة يوم على الغالب.

الحَيَّات : قصد القدماء بذلك في الطب "الديدان"في المعدة والأمعاء.

حَيَّاتُ البطن : قصدوا بها الطفيليات المرعوفة "الإسكاريس" Ascaris وهي دودة يتراوح طولها بين ٢٠-٣٠سم، ويمكن مشاهدتها بالعين المجرَّدة في براز المصاب، ولونها عادة أبيض أو وردي، وهي تنتقل عن طريق تلوث الماء أو الطعام الذي يحتوي على بيوض الأسكاريس.

خَدَر: خدر العضو إذا ذهب حس لمسه مع عسر حركة في العضو أو في البدن كله .Numbness

خُمار: (صداع) حالة تعرض لشارب الخمر، ويصيبه صُداع يسمى صداع الخمار.

خنازير: أورام تحدث في الرقبة على الأغلب وفي غيرها. وعند الأطباء : هي العقد اللمفاوية Lymph nodes scrofula الملتهبة المتضخمة، وتكون بحجم ثمرة المشمش أو أصغر قليلاً، منها ما يقع في الرقبة تحت زاويتي الفكين السفلين، وهذه تتضخم نتيجة لالتهاب اللوزتين عادة أو الأذنين أو الأسنان وغيرها، ومنها ما يقع تحت الإبطين، ومنها يقع في الحالبين، وجميعها تتضخم نتيجة لالتهابات تحدث في المناطق المجاورة.

خَوَانِق: (جمع خانقة) : وهي ورم يكون في الحلق يخنق وربما قتل، والخوانيق: لفظ اطلقه القدماء على التهابات الحنك واللوزتين واللهاة وما يحيط بفوهة البلعوم Anginas.

وأنواع الخُنَاقات عديدة: منها الخُنَاقات البسيطة، وأشهرها (الخُنَاق النزلي) وهو التهاب الغشائي المخاطي البسيط ويبدو بلونه الأحمر، وإذا تكون راسب أبـيض على الغشاء نفسه دعي (الخُنَاق اللبي)، أما إذا تقيحت اللوزة المجاورة أصْبَحَتْ مقراً لخراجة حقيقية، ودعي الالتهاب حينذاك (الخناق الفلغموني) وجميـع هـذه الالتهابات تبتدىء بحمى وصداع ودعث عام وبصعوبة البلـع وانتفـاخ العقـد اللمفاوية.

وهناك الخناق الجرثومي ويدعى (الخناق الديفتريائي) أو الديفتريا.

دَاءُ الكَلْب : Rabies مرضٌ مُعْدٍ ينتقل إلى الإنسان نتيجة عضة كلب مصاب، حيث تنتقل الفيروسات الموجودة في لعابه إلى الجرح العميق الذي تحدثها أنيابه في جسم الإنسان، وبواسطة الدم تنتقل الفيروسات حتـى تصـل إلـى الجملـة العصبية فتستقر فيها، وبعد دور حضانة بين ٢٠-٦٠ يوماً تظهر آثار المرض على الإنسان حيث تبدأ بحمى واضطرابات نفسية وأرق وضجر وتململ مستمر وخدر ونمل في ناحية العضة وغير ذلك.

دُبَيْلَة: الدَّبْلَة والدُّبَيْلَة داء يجتمع في الجوف، هذا فـي اللغـة، وأمـا الأطبـاء فيخصون بالدُّبَيْلَة الخراج البارد المادة حيث كان من البدن.

درور العروق : هو امتلاؤها من الدم.

دُوَار : هو أن يحس الإنسن كأن الأرض تدور به وترتفع من جهة وتنخفض من أخرى، وربما سقط للجهة التي يراها تنخفض. Vertigo.

الدودة الشريطية: Taenia سماها الرازي وغيره "الديدان العراض".

وهي أنواع عديدة تمتاز جميعها برأسها الصغير المربع الزوايا المزوَّد بمحـاجم ومراشف، وبعنقها الرقيق العريض، وبجسمها المقسم إلى عقد كثيرة وكل عقـدة منها يمكن أن تنفصل عن جسم الدودة مكونة دودة كاملة فيما بعد، وأهم أنـواع **الديدان الشريطية:** هي (الدودة الوحيدة)" وتكثر عادة في أمعاء غير المسـلمين ممن يأكلون لحم الخنزير، والشريطية العزلاء أو المنجعة وسماه أطباء العـرب (حب القرع) وتكثر فيمن يأكلون لحم البقر نيئا (في لبنان يأكلون الكبـة النيـة) والشريطية محرشفة الغشاء وغيرها.

ديابيطس : من الاغريقية وهو داء السكري. Diabetes Mellitus

الرعشة: TREMBLEMENT علة عصبية تحدث لعجـز القـوة المحركـة فتخلط حركات إرادية مع اضطرارية تعترية.

النار الفارسية: HERPES ZOSTER داء جلدي المظهر يتسبب في الغالب عن نشاط بعض أنواع الفيروسات الكامنة والموجودة في جسم الإنسـان وذلـك حين تضعف مقاومته فتؤثر على بعض الشـعب العصـبية، كـالفروع الثلاثـة للعصب الخامس، وفروع العصب السابع، وشعب العمود الفقري (وهـذه أكثـر المناطق إصابة) حيث يمتد الداء فيها من العمود الفقـري فالخاصّـرة وحتـى

منتصف البطن، ويتمثل بظهور بقع تشبه بقع القوباء لا تلبث أن تتكاثر فتتوسع وتسبب نوعاً من الوخزات شديدة الألم داخل الجسم مما يتوهم الشخص معها أن الداء قد امتد إلى داخل الأحشاء الداخلية، ثم شعور باحتراق الجلد حرقاً ربما كان أشد من حرق النار ومصحوب بألم لا يطيقه أعتى الرجال.

زئبر : أو زؤبر أو زوبر : ما يظهر من درز الثوب إذا تقادم عهده، ولفظ الزئبر كان علامة تدل على أمراض عقلية عند قدامى الأطباء.

سُبَات : هو أن يكون الإنسان كالنائم ملقى، يقال عنه: سُبِت فهو مسبوت على ما لم يُسَمّ فاعله، وحكى الجوهري : سُبِتَ الرجل (بضم الباء) على البناء للفاعل فيقال على هذا : أسْبَتَه غيره فهو مُسْبَت، وأكثر ما يصرفه الأطباء على هذه اللغة COMA

سرسام : كلمة فارسية؛ سر – رأس ، سام – ورم وهو التهاب السحايا Inflamation of meninges، أو ورم من حجاب أو أغشية الدماغ يحدث عنه حمى واختلاط في الذهن.

سَدَر: السدر: الدوار يعرض لراكب البحر. وسدر سدرا : تحير بصره من شدة الحر، والسادر في غيه: التائه الذي لا يعي نتاج أفعاله. Sea Sickness .

سَكْتَة: Apoplexie انطباق بطون الدماغ وامتناع الحس والحركة دفعة ويتبع ذلك غطيط وزبد وموت في أكثر الأحوال.

سَهك: رائحة منتنة، خص به رائحة اللحم الفاسد.

شقيقة : الصداع النصفي، وسماه العرب الشقيقة لأنه يصيب أحد شِقَّيْ الرأس. Migraine

الصداع : وجع الرأس، سماه العرب هكذا لأن المصاب به يحس وكأن رأسه **يصدع**: أي يفلق إلى قطعتين Headache.

الصرع: باليونانية القديمة اسموه Epilepsy أي الداء المقدس مع أن معناه "أخذ الحواس" وكان الأطباء قديما يعتبرونه مرضاً سحرياً سببه الأرواح الشريرة حتى جاء أبُقراط فرفض ذلك ونفى القداسة عن هذا المرض.

وقد أسماه العرب هكذا لأنه يطرح صاحبه أرضاً أي يصرعه.

والصرع مرض عصبي يتصف بنوبات اختلاجية يفقد المريض خلالها إدراكه ويغيب عن الوعي، إذ يصرخ ثم يهوي على الأرض، فيتصلب بدنه ويتشنج ويزرق وجهه وربما يعض لسانه، ثم يتهيج ويخرج زبد من فمه، بعد ذلك يدخل في دور النوم العميق المصحوب بشخير، وبعد فترة قصيرة تزول الحالة فيصحو من غير أن يتذكر أي شيء مما جرى له.

الغطيط : غط النائم : نخر وتردد نفسه صاعداً إلى حلقه حتى يسمعه من حوله.

فالج : Memiplegia هو استرخاء جانب من البدن بكليته – إن قيل مطلقاً، فإن كان ببعض أعضائه قيل فالج عضو كذا – مقيداً – وهو غياب الحركة جزئياً أو كلياً من أحد شِقَّيْ البدن. ويدعى الشلل النصفي (ويشمل الطرف العلوي والطرف السفلي) وربما يتبع ذلك اللسان أيضاً. ويحدث الفالج نتيجة انسداد في أحد شرايين الدماغ أو نزف في أحد هذه الشرايين.

فلغموني : ورم حار كائن في الدماغ مع ألم في الرأس بسبب تورم في الدماغ. ومن علاماته في الطب القديم الغثيان والقيء واحمرار الوجه وانتفاخــه ترافقــه حمى حادة.

الفُوَاق : ترجيع الشهقة العالية وتسميها العامة الحازوقة Hiccup,Hiccough

القولَنج : مرض معوي مؤلم ناتج عن التهاب القولون، وهو لفظ مُعَرَّب أطلقــه الأطباء القدماء على التهاب القولون الحاد أو المغص المعوي، ثــم عــمَّ لاســم فأصبح يُطلق على كلِّ ألم ممغص شديد يحس به الإنسان، سواء أكان ناتجا عن التهاب الزائدة الدودية أو المصران الأعور أو التهاب الكلية الحاد أو غير ذلك، فكل هذه كانت لديهم (قولنج) وما كان القدماء يفرقون بينها، ومن يقرأ كتبهم يجد أنهم في كل مرة يصفون أعراض القولنج ومصدره بشكل يغاير المرة الاخرى.

كُزَاز:Tetanus وهو مرض معروف عند قدامى الأطباء وينــتج عــن تلــوث الجروح. تسببه جراثيم تدعى (عصيات نيكولاير) تصادف في تــراب الأمــاكن القذرة كالمزابل والاصطبلات وغيرها، حيث تدخل جسم الانسان عــن طريــق جرح يسببه جسم معدني مُلوَّث غالباً. ويتصف المرض بتقلص عضــلي شــديد وتَقفُّع يبدأ عادة من عضلات الفكين حيث تنطبق الأسنان بشدة مما يصعب معها فتح الفم، وتسمى هذه الحالة (الضَّزَز)، ثم يمتد التقفع إلى عضــلات الأطــراف والجذع فيتقوس الظهر ويبدو الشخص مرتكزاً على رأسه وعلى عقــب قدميــه فقط، كما ترتفع الحرارة وتبقى مرتفعة حتى يموت الشخص إذا أهمل علاجه.

كوما: أو قوما Coma السبات السهري.

لَقْوَة: Paralaysis Hemifacial وهي حالة مرضية تغيب فيها الحركــة مــن جميع عضلات جانب واحد من جانبي الوجه، حيث يغذيها العصــب الــوجهي، فترتخي هذه العضلات وينسحب ملتقى الشفتين من الجانب الآخر السليم، فيصبح الوجه باتجاه مائل، كما أن الخد المرتخي في الجانب المشلول يندفع عند الزفير ويصبح من العسير جداً على المصاب إذا حاول الصفير، كما أن العــين تبقــى مفتوحة في الجانب المشلول. (شلل العصب السابع القحفي).

الماليخوليا أو المالينخوليا: Melancholia الوسواس، مرض عقلــي يميــل المصاب به إلى الخوف بدون سبب ويصيبه فساد في الفكر وسوء الظنون.

من أعراضه الكآبة وتغلُّب الغم والحزن، والميل إلى التشاؤم، وإن المصاب يكون ساهماً واجماً منعزلاً يقوم بحركات (أحيانا) غير طبيعية ويتكلم مع نفسه أو مــع غيره كلاماً غير مترابط وغير معقول مما يدل على عدم السيطرة على تفكيره، وفي رأي القدماء أن الداء ينشأ من تغلب أحد أخــلاط الجســم وهــو الخلــط السوداوي وزيادته في الدم وذلك لعجز الطحال عن امتصاصه.

المانيا: Mania العقل وقد قصدوا به الجنون (السبعي) .

المَصْرُوْد : المصاب بنوبة برد شديدة.

وثء: Violent twisting توجع العصب عن ضربه. والوثء هــو اتجــاع المفصل لتمدد رباطاته من غير خلع ولا زوال وهو أيضاً الوصم الذي يكون في العظم من غير أن ينكسر، وأكثر ما يوقعه الأطباء على الأول.

ودعاه بعض الأطباء "الوثي" كالرازي.
وطبياً يطلق على الآفة الحادثة بعقب حركة عنيفة لأحد المفاصل (المرفق، المعصم، الركبة، عنق القدم، وخاصة الأصابع) والتي تسبب رضاً في أربطة المفصل، وتتمثل الآفة بألم شديد يزداد شدة بعد بضع ساعات كما يشتد أكثر حين حركة المفصل أو بالجس، وقد يصاحب ذلك انتفاخ مشوب باحمرار أو أزرقاق المفصل من غير أن يحدث أي خلل بالمفصل نفسه.
ورم : هو الغِلَظ الخارج عن الطبع لمادة تتخلل العضو متفرقة فيه فإذا اجتمعت في تجويف واحد فهو الخراج، هذا اصطلاح الأطباء، وأما العرب فسموا كل ذلك ورماً وخراجاً على الترادف من غير تفريق. كذلك سموا الالتهاب ورماً.

دليل كلمات التشريح الطبية

أخدعان : عرقان في جانبي العنق يكتنفان نقرة القفا. وأحدهما أخدع.
أسيلم : عرق، وهو شعبة من الباسليق يفصد بين الخنصر والبنصر على ظهر الكف.
أعور : :يقصد المعاء الأعور Cecum وسمي بالأعور لأن له فوهة واحدة فقط، وهو معاء قصير – وفي الحقيقة هو القطعة الأولى من الأمعاء الغليظة – طوله ستة سنتمترات، وفوهته تقع تحت السطح المعترض المماس للحافة السفلية للفوهة التي تشرك المعاء الدقيق بالمعاء الغليظ.
وتحت هذه الفوهة وعلى مسافة ٢-٣سم تقع استطالة أعورية أنبوبية طولها ٧-٨سم تدعى الزائدة الدودية Appendix وهذه تمثل القطعة الانتهائية الضامرة للأعور الابتدائي.
وكثير من الناس يتوهمون أن الزائدة الدودية هي نفسها المصران الأعور، والعكس بالعكس.
أكحل: وريد في وسط الذراع. Radial كان يتم فصده لعلاج بعض الأمراض. وهناك الأوردة الكعبرية بالجمع وهي المصاحبة للشريان الكعبري وهناك الوريد الكعبري المنسوب لسومرينغ وأسمه العلمي القيفال الإضافي Accessory cephalic.
الأمُّ الجافية: Dura Mater or Pachymeninx وهي أحد غشاءي الدماغ، أحدهما الجافية والآخر الأمُّ الرقيقة pia mater.
الأمُّ الرقيقة: pia mater وهي أحد غشاءي الدماغ إحداهما الرقيقة والأخرى تسمى الأم الجافية The Dura Mater.
أنثيان: خصيتا الإنسان، وتطلق الكلمة على أذنيه أيضاً، فيقال : ضربه تحت أنثييه.
إنسي: العمود الفقري يقسم جسم الإنسان وأعضاءه إلى شقين، أيمن وأيسر، وإن كل جهة من العضو قريبة من العمود الفقري هي إنسية والبعيدة عنه هي وحشية.
الأنهاء : جمع النهى وهو الموضع الذي له حاجز ينهي الماء أن يفيض منه. والمراد طبياً تجمعات الأعصاب القريبة.
أوداج: ومفردها وداج. وعلمياً هو الوريد الوداجي Jugular Vein وموقعه في طرف الرقبة أعلى الكتف.
والأوداج سريعة التأثر بالحالة النفسية للشخص حيث أنها تمتلىء وتنتفخ بسرعة حين الغضب الشديد.
باسليق: وهو العرق الذي كانوا يفصدونه كعلاج في بعض الأمراض، وهو المسمى حالياً الوريد القاعدي. Basilic Vein.

البلغم: أحد الأخلاط الأربعة حسب النظرية الطبية اليونانية Phlegm.
خرز الظهر: فقاره. أحداها فقرة وشبهت بالخرزة لانثقابها من الوسط.
دَرْز (جمع دُرُوْز) : وهي مفاصل عظام الرأس Sutures
الدَّرْزُ اللامي: Lamboid suture .
ديافراغما: Diaphragm هو حجاب الصدر الذي يفصل بينه وبين المعدة وغيرها مما هو أسفل، وسماه بذلك افلاطون يعني به : عين الذهن، واعتقد أطباء اليونان أنه متى عرض فيه عارض أصيب المريض بهذيان حتى جاء جالينوس فأبى ذلك .
رباطات: Tendons أعصاب لا حسَّ لها ولا حركة، تنبت من أطراف العظام أو وسطه لربط العضل بالعظم.
سناسن: ومفردها سنسن أو سنسنة، وهي حرف فقار الظهر، وقد أوقع البعض الكلمة على مجموع فقار الظهر ثم حُرِّفَتْ إلى سلسلة الظهر.
الشريان السباتي: Carotid Artery معناه باللغة اليونانية "شريان النوم" وكان الأشوريون يقومون بالضغط على الشريانين السباتيين الموجودين بالرقبة لتعطيل الدورة الدموية للمخ مما يؤدي إلى حدوث الإغماء، وإبطال الشعور بالألم عند المريض عند إجراء التدخلات الجراحية.
شؤون (ج شأن) : مفاصل القحف المنشارية.
صافن: وريد ضخم في باطن الساق ويمتد من الوريد الفخذي وهو اسم عربي استعمله الأجانب ودعوه Saphen وجمعه صفون وصوافن. وكثيراً ما كان يُفصَد إخراج الدم منه.
القحف : عظام الجمجمة SKULL
قيفال: Cephalic vein العرق الذي تسميه العامة عرق الرأس. وموضعه من الذراع الجهة التي إلى خارج والعرق الباسليق من الذراع إلى داخل والأكحل في الوسط.
اللَّحْيُ: الفك. اللَّحْيُ الاعلى : الفك العلوي، والسفلي: الفك السفلي Jaw.
مُشاش: لغة: هي الأرض اللينة، ومنها اشتق اسم المشاشة، والمشاشة : رأس العظم اللين، وهو اسفنجي القوام فيه خلايا كثيرة هي أساس نمو العظم وتطاوله.

الكلمات الطبية/ العلاجية

البَزْل: عند الأطباء هو الشق على الاستسقاء الزقي، وذلك بان ينقر الصفاق تحت السرة بقدر ثلاثة أصابع وينقر تحت المراق بيسير ويخرج الماء الأصفر منهما بأنبوبة.
تَرْبَنَة: عملية جراحية تقتضي ثقب الجمجمة ومارسها المصريون قديما وما زالت تمارس حتى اليوم.
تعريق: تَكَلُف إخراج العرق كتدفئة المريض أكثر من اللازم، حيث كان يعتقد أن تَعَرُق المريض علامة على الشفاء.
تمشية: كناية عن فعل الدواء المسهل.
حجامة: من أشهر العلاجات عند اليونان والعرب، وهي عملية إسالة الدم من جسم المريض من أماكن معينة، بضربة مشرط، ثم توضع كأس بها نار لتمتص الدم من الجسم.
علق: دودة صغيرة لا يزيد طول أكبرها على سنتمترين تعيش في المياه العذبة في البرك والغدران والشواطىء الضحلة للجداول والانهار وفي الطين الرطب القريب من مصادر المياه خاصة، لونها زيتي مخططة بستة خطوط طولية، وبطنها مرقطة بنقط سوداء، وفمها بشكل محجمة ماصة تمتص به غذاءها وتتعلق بواسطته، وإذا ما تعلقت بجسم إنسان أو حيوان أخذت تمتص دمه وتختزنه في معدتها، وبذلك يتمدد جسمها ويتضخم حتى يبلغ عدة أضعاف حجمها الاصلي. وبعد أن تمتلىء معدتها تماماً تباشر بهضم ما امتصته، لذلك استغل القدماء هذه الميزة فأخذوا يستعملون العلق لمص الدم المحتقن أو قيح القروح من جسم الانسان، وذلك بأن يأخذوا العلقة الفارغة تماماً ثم يضعونها على الموضع الذي يريدون علاجه فتباشر العلقة بمص المنطقة حتى تمتلىء تماماً فتسقط لحالها أو بعد سحبها، ثم يمسكها القائم على أمرها بين سبابته وإبهامه، ويعصر جسمها فتقيىء ما امتصته حتى تعود إلى حالتها الاولى ثم يلقي بها في قنينة فيها ماء، لإستعمالها ثانية وهكذا.
القصْد: Blood letting= phlebotomy شَقُّ العِرق، لاستفراغ زيادة الخلط لا سيما في الدم، من أماكن مختلفة من الجسم، وكان أحد أهم الوسائل اليونانية والعربية في علاج كثير من الأمراض.
النَّفْض: طريقة علاجية شعبية، توضع فيها قطعة قماش على الرأس وفوقها رباط ثم يؤخذ بشد ونفض أطراف القماش بشكل متتال.

الكلمات الطبية / الفلسفية

أخلاط: حسب الطب اليوناني هي سوائل الجسم وهي مكونة من : الدم والـبلغم والمِرّة الصفراء والمِرّة السوداء. وإذا كانت هذه الأخلاط معتدلة تحفظ الصحة، وإذا اختل توازنها بالزيادة أو النقصان حدثت الأمراض.

أراييح : جمع أرياح وهي جمع ريح وهي لغة بن أسد. وغيرهم قال في جمـع **ريح** : أرواح وأراويح.

الاسطقسات: كلمة يونانية تعني عند القدماء العناصر الأربعة الماء والهواء والنار والأرض، وأسطقس : هو اصل الشيء.

جَوْهَر: أصل الشيء وحقيقته المؤتلفة من المادة والصورة وأرادوا بـه طبـائع الاشياء مثل حرارة الفلفل، وبرد الأفيون والخشخاش.

حَدْس: القياس والتقدير.

طبيعة: الطبيعة التي تأتي في كتب الأطباء إنما يعنون بها القوة المدبِّرة التي تدبِّر أبداننا والتي بها يكون هضم الطعام في المعدة وخروج ما يخرج من البدن مـن الثفل والبول والعرق، وهي التي تقسم الدم في العروق وتصيره جوّالاً في جميع البدن، وهي التي تنضج الأورام وتشفي من الأسقام وتديم حفظ الصحة.

مزاج :Mood هو استعداد جسمي عقلي خاص كان الأقدمون يعتقدون بأنه ينشأ عن تغلب العناصر الأربعة، ومن ثم كانوا يقولون بأربعة أمزجة هي الصفراوي والسوداوي والدموي والبلغمي.

كلمات عامة مختلفة

أبْزَن: كلمة معربة. وجمعها أبازن. وهو حوض من المعدن أو نحوه يغتسل به. ومثله يعرف اليوم باسم (بانيو)

أقراباذين: من الإغريقية استعملت في السريانية وهو دستور الأدوية لا سيما الأدوية المركبة والمستحضرات الصيدلانية كالأشربة والمربيات والأدهان والمراهم.

إكسير: مادة زعم الكيمايون أنها تحوّل المعادن الرخيصة كالرصاص إلى ذهب.

باه : (Libido) لذة الجماع، ويقال الباء والباءة أو القدرة على النكاح .

بيمارستان : أو مارستان، كلمة فارسية معناها المستشفى ثم اخذت تطلق على مستشفى الأمراض العقلية والنفسية.

التمائم : أحجار طبيعية اعتقد القدماء أن لها قوة في الشفاء كانوا يعلقونها في العنق أو تحت الابط أو تحت الرأس عند النوم.

الجاثليق : لفظ يوناني Catholicos ومعناه "العمومي" أو متقدم الأساقفة والمراد به الرئيس الديني الأعلى عند الكلدان النساطرة في أيام الملوك الساسانيين والخلفاء العباسيين، وجمعه جثالقة ويقابله وقتنا الحاضر لبطريرك.

الحمآت : جمع حمأة وهي الطين الاسود المتغير، والمقصود هنا برك المياه المعدنية حيث تكثر المعادن.

الزنجار: الصدأ والمقصود به لونه الأخضر أو الأحمر.

الشمَّاس : هو خادم المعبد العابد في الصلاة وهي لفظة سريانية الأصل.

الطَّبُّ: طَبّ في لغة العرب: داوى وتأنى وتطلف وفي لسان العرب لابن منظور فمن معاني الطب: السحر والطاب: الساحر يستخدم طبه في الشفاء، والطّبُّ : العالم بالطب الحاذق في عمله.

كُنَّاش: هي كتب وصحف تحوي دراسات ومقالات طبية أو علاجية كما يسميها أهل بغداد، تعتبر مراجع لمفردات الأدوية ووصف الداء والدواء، والجمع كُنَّاشات وكَنانيش والأصل سرياني.

النساطرة: فرقة من النصارى من أتباع نسطور وقد كان بطريركاً على القسطنطينية سنة ٤٢٨م، وكانت له آراء حول طبيعة شخصية المسيح وعدم تقديس الصور والأيقونات مما اعتبره رجال الكنيسة خروجاً عما هو ثابت لديهم وعقد مجمع ديني في افسس حَرّم نسطور وتعليمه وأنزله عن كرسيه البطريركي، وتم الفتك باتباعه فمات نسطور في صحراء ليبيا نحو سنة ٤٤٠م

لكن آراءه انتشرت كثيراً بين نصارى المشرق، ونبع في النساطرة عـدد مـن الأطباء والمترجمين [1].

ولاء: تتابع الشيء (كثيراً ما يرد في كتب الطب قولهم: يفعل كذا على الولاء أي على التتابع).

ينبوع الشيء: أصله المنبعث منه. ينبوع : أصله منبعث الماء ويستعار لغيره.

الباحوري : هو اليوم الذي تقع فيه المناجزة.

---

١ د. ابراهيم السامرائي، دراسات في اللغتين السريانية والعربية، مكتبة المحتسب عمان ودار الجليل بيروت ١٩٨٥ ص١٩١؛ دي لاسي أوليري، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى الغول، منشورات وزارة الثقافة ١٩٩٠ ص١٤٨

مراجع ومصادر مختارة

ابن القف الكركي، العمدة في صناعة الجراحة، تحقيق د. سامي حمارنه، منشورات الجامعة الاردنية – عمان ١٩٩٤ ، جـ١

ابن القف الكركي، جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض، تحقيق د. **سامي حمارنه**، منشورات الجامعة الاردنية ١٩٨٩

ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣

ابن خلدون، المقدمة، دار القلم، بيروت ط٥، ١٩٨١

ابن أبي أصيبعة، موفق الدين، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت، ٣ اجزاء

ابن هشام، سيرة النبي، مكتبة دار التراث، القاهرة

علي بن رضوان ، كتاب الكفاية في الطب، تحقيق د. سليمان قطاية ١٩٨٠

الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، دار القلم، بيروت ١٩٨١

ابن سينا (أبو علي الحسين بن علي)، القانون في الطب، تحقيق سعيد اللحام، دار الفكر – بيروت ١٩٩٤

ابن سينا، الرسالة الألواحية، تحقيق وتعليق د. محمد سويسي، الدار العربية للكتاب

ابن سينا، الارجوزة في الطب، مصادر ودراسات في تاريخ الطب العربي –٥– منشورات جامعة حلب والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

ابن النديم، الفهرست، تحقيق رضا – تجدد، طهران ١٩٧١

ابن زهر، أبو مروان عبد الملك، التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق د. ميشيل **خوري**، دار الفكر – دمشق ١٩٨٣

د. ابتسام الدلال، مراجعة لبحوث د. كمال السامرائي حول الطب الجراحي قبل الإسلام، مجلة جمعية أطباء البحرين، عدد ١ آب ١٩٨٩ وعدد ٢ كانون الاول ١٩٨٩

د. ابراهيم السامرائي، دراسات في اللغتين السريانية والعربية، دار المحتسب – عمان ١٩٨٥

ابراهيم بن مراد، بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٩٩١

د. آمنة مراد، لمحات من تاريخ الطب القديم، مكتبة النصر الحديثة، القاهرة

د. أنور أبو سويلم، النار في الشعر الجاهلي، بحث بمجلة "دراسات" الجامعة الاردنية، العدد ٨، ١٩٨٨

أبوبكر الرازي وأثره في الطب، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، مطبعة العمال المركزية – بغداد ١٩٨٨

أبو محمد جعفر الحسين، مصارع العشاق، دار صادر – بيروت ١٩٥٨ مجلد٢

أبو الفرج علي بن الحسين بن هنـدو، مفتاح الطب ومنهاج الطلاب، تحقيـق د. محققي، منشورات مؤسسة مطالعات إسلامي، طهران ١٣٦٨ مالي
د. **أحمد القاضي**، ما هو الطب الإسلامي، المؤتمر العـالمي الأول عـن الطـب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ طـ٢
د. **أحمد شوكت الشطي**، العرب والطب، منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٠
د. **أحمد فؤاد باشا**، التراث العلمي للحضارة الإسلامية، دار المعارف ١٩٨٤ ط٢
أسامة بن منقذ، كتاب الاعتبار، حرره فيليب حتي ١٩٣٠، الدار المتحدة للنشر – بيروت ١٩٨١
د. **أكرم منيب الدجاني**، المشافي والتمريض في التراث الطبي الإسلامي، الموسم الثقافي الخامس لمجمع اللغة العربية الاردني، ١٩٨٧
د. **بول غليونجي وزينب الدواخلي**، الحضارة الطبية فـي مصـر القديمـة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥
برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسـلام، دار الفـارابي بيـروت جـ٢ ١٩٨٩
برنال، جون ديزموند، العلم في التاريخ، المؤسسة العربية للدراسـات والنشـر، بيروت ١٩٨٠
د. **التجاني الماحي**، مقدمة في تاريخ الطب العربي، الخرطوم ١٩٥٩
ثابت بن قرة، كتاب الذخيرة في علم الطب، المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩٢٨
تراث الإسلام، جمهرة من المستشرقين، باشراف سير توماس آرنولد، دار الطليعة – بيروت ط٣ ، ١٩٧٨
توفيق قربان، اللباب والقشور، مطبعة صفدي، ساوباولو – البرازيل ١٩٧٩
توفيق الطويل، لقطات علمية من تاريخ الطب العربي، مجلة عالم الفكر، مجلد ٥ عدد١ ابريل – يونيو ١٩٧٤ الكويت
الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، كتاب البخلاء، دار الكتب العلمية – بيـروت ١٩٨٨
د. **جمال مزعل**، نظام التعليم في العراق، مديرية دار الكتب للطباعـة والنشـر، الموصل ١٩٨٩
د. **جورج حداد**، المدخل إلى تاريخ الحضارة، مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٨
جورج سارتون، تاريخ العلم، دار المعارف، القاهرة
جورج سارتون، تاريخ العلم والأنسية الجديدة، ترجمـة اسـماعيل مظهـر، دار النهضة العربية – القاهرة ١٩٦١
د. **الأب جورج شحاته قنواتي**، تاريخ الصيدلة والعقاقير، دار المعارف بمصر.
الأب د. جورج قنـواتي، المسيحية والحضارة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
حنين بن اسحق، المسائل في الطب للمتعلمين، تحقيق د. محمد أبو ريان ورفاقه، دار الجامعات المصرية ١٩٧٨
د. **حسن أبو غزالة**، جالينوس أشهر أطباء التاريخ، مقال بمجلة العربـي، العـدد ٣٤٨ نوفمبر ١٩٨٧

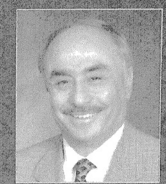
د. حسين شودري، فضائل الطب الإسلامي، المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢
د. خوسيه أزكريدو ورفاقه، فضل الجراح الاندلسي المسلم أبو القاسم الزهراوي على جراحة الأعصاب، المؤتمر العالمي الاول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢
دي لاسي أوليري، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى الغول، منشورات وزارة الثقافة عمان ١٩٩٠
الرازي، محمد بن زكريا، الحاوي في الطب، دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن – الهند
الرازي، المنصوري في الطب، شرح وتحقيق د. حازم البكري الصديقي، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت ١٩٨٧ ط١
الرهاوي، إسحق بن علي، كتاب أدب الطبيب، تحقيق د. كمال السامرائي ود. **داود علي**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٢
رنيه تاتون، تاريخ العلوم العام، مجلد ١، ترجمة علي مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
الزهراوي، أبو القاسم، التصريف لمن عجز عن التأليف، نسخة مصورة عن مخطوطة بشير آغا ٥٠٢ مكتبة السليمانية في استانبول – منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية – يصدرها فؤاد سزكين في اطار جامعة فرانكفورت المانيا ١٩٨٦
زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، دار الآفاق الجديدة – بيروت ١٩٨١ ط٦
د. زكي نجيب محمود، ثقافتنا في مواجهة العصر، دار الشروق – القاهرة ١٩٨٢ ط٣
د. سالم نجم، تجربة كلية طب الازهر في تعريب العلوم الصحية، الموسم الثقافي السابع لمجمع اللغة العربية الاردني ١٩٨٩
د. سامي حمارنه، تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين، المجلد الاول، منشورات جامعة اليرموك ١٩٨٦
د. سامي حمارنه، الصناعة الطبية في العصر الإسلامي الذهبي، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد العاشر العدد الثاني آب – ايلول ١٩٨٩
د. سامي حمارنه، الطبيب الرائد يحيى بن ماسويه، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، جـ٤ مجلد ٦٩ تشرين الاول ١٩٩٤
د. سامي حمارنه، الطبيب عيسى بن الحكم الدمشقي ورسالته الهارونية، بلاد الشام في العصر العباسي، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان ١٩٩٢
د. سامي حمارنه، بين العبادي والرازي، الموسم الثقافي الثالث، مجمع اللغة العربية الاردني ١٩٨٥
د. سليمان قطايه، كتاب القانون لابن سينا، مجلة عالم الفكر مجلد ٧ عدد٢ ، يوليو – سبتمبر ١٩٧٦ الكويت

د. **سليمان قطايه**، الطب العربي، مجلة عالم الفكر، مجلـد ١٠ عـدد٢ الكويـت ١٩٧٩
سلوى الطاهر، بدايات الكتابة عند العرب، المؤسسة العربية للدراسـات والنشـر ١٩٩٥
سلفتسر فوهلر، دهشة العالم : القيصر فريدريش الثاني، مجلة المانيا العـدد ١- ١٩٩٥/٢
د. **سعاد حسين**، ممرضة الإسلام الاولى، المؤتمر العـالمي الاول عـن الطـب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢
شاخت وبوزورث، تراث الإسلام، عالم المعرفة، ج٢ ط٢، ١٩٨٨ الكويت
د. **شادية حافظ**، السريان وتاريخ الطب، نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٩٣
د. **شوقي ضيف**، الشعر والغناء في المدينة ومكة، دار المعارف، القاهرة ط٤
د. **شوكت الشطي**، اللبّ في الإسلام والطبّ، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٠
صيانت الله الطبيب، كتاب القانون لابن سينا (ومقارنتـه بالحـاوي فـي الطـب للرازي) مقال بمجلة ثقافة الهند المجلد ٤١ العدد١، ١٩٩٠ نيودلهي
الطبري، أبو الحسن علي بن سهل ربن، فردوس الحكمة، تحقيق د. محمد زبيـر الصديقي، مطبعة آفتاب، برلين ١٩٢٨
د. **طارق الزبيدي**، التراث العلمي العربي الطبي، بغداد
د. طه شبيب، الطب البيطري عند العرب، دار الجاحظ، بغداد ١٩٨٠
طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، القسم الأول ط ٢
د. **عامر النجار**، في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، دار المعـارف، القـاهرة ١٩٨٧ ط٢
د. **عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد**، المستشفيات الإسلامية، دار الضياء للنشر والتوزيع - عمان ١٩٨٧
د. **عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد**، من رواد الطب عند المسلمين والعـرب، مكتبة الاقصى - عمان ١٩٩٤
د. **علي كمال**، حالات الصرع، المؤسسة العربية للدراسـات والنشـر، بيـروت ١٩٩٤
د. **علي وافي**، فقه اللغة، دار نهضة مصر - القاهرة ١٩٤٥
د. **عبدالقادر عبدالجبار**، جراحة الجمجمة والدماغ عند الأطباء العرب، المـؤتمر العالمي الاول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢
د. **عبد العزيز اللبدي**، حول الجراحة عند العرب، مجلة بلسم آذار ١٩٩٢ العـدد ٢٨ قبرص
عبد العزيز بن عبد الله، الطب والأطباء بالمغرب، المطبعة الاقتصادية، الربـاط ١٩٦٠
د. **عبد العظيم رمضان**، الصراع بين العرب وأوروبا، دار المعـارف، القـاهرة ١٩٨٣
عبد الحميد العلوجي، تاريخ الطب العراقي، مطبعة اسعد، بغداد ١٩٦٧
د. **عبد الحليم منتصر**، تاريخ العلم، دار المعارف، ط٤ ١٩٧١

د. عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٠
د. فاضل السباعي، مناقشة ابن أبي أصيبعة في مقولته عمن دفع ابن زهر لتأليفه كتاب التيسير، المجلة العربية للثقافة، السنة الرابعة العدد ٧ ايلول ١٩٨٤
د. فيليب حتي، تاريخ العرب، دار غندور، بيروت ط٥ ١٩٧٤
د. فيليب حتي، تاريخ العرب (مطول)، دار الكشاف للنشر ١٩٦٥ ط٤ ج٢
القلقشندي، صبح الاعشى، دار الفكر – بيروت ١٩٨٧ ج١١
كارل بروكلمان، تاريخ آداب العرب، دار المعارف القاهرة ط٥
د. كامل العسلي، مقدمة في تاريخ الطب في القدس، منشورات الجامعة الاردنية ١٩٩٤
د. كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، دار النضال، بيروت ١٩٩٠
د. كمال السامرائي، تعليم الطب في العصور الإسلامية، المؤتمر العالمي الاول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢
القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، اخبار العلماء بأخبار الحكماء، مطبعة الخانجي – القاهرة.
د. قدري طوقان، العلوم عند العرب والمسلمين، مطابع المكتب الإسلامي، عمان ١٩٦٧
الأب لويس شيخو، علماء النصرانية في الإسلام، المكتبة البوليسية – جونية لبنان ١٩٨٣
د. البير اسكندر، دراسة تحليلية لمؤلفات الرازي وابن سينا، المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢
د. مانفريد اولمان، الطب الإسلامي، ترجمة د. يوسف الكيلاني
د. ماهر عبد القادر، دراسات وشخصيات في تاريخ الطب العربي، دار المعرفة – الاسكندرية ١٩٩١
د. محمد رجائي، صفحات من تاريخ الطب، الزهراء للاعلام العربي، القاهرة ١٩٨٨
د. محمد جابر الأنصاري، تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي، سلسلة عالم الفكر رقم ٣٥ ، الكويت ١٩٨٠
د. محمد كامل حسين، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب.
د. محمد كامل حسين، في الطب والأقرباذين، أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧
د. محمد الهوني، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، الدار الجماهيرية للنشر بمصراته – ليبيا، ١٩٨٦
محمد العربي الخطابي، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٨
د. محمد عماد فضلي، محاضرة بعنوان "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" آذار ١٩٩٥ (غير منشورة)
الحكيم محمد سعيد ود. سعديه راشدة، ابن سينا : فيلسوف وعالم، المؤتمر العالمي الاول عن الطب الإسلامي، الكويت ١٩٨١ ط٢

د. محمد بسيوني، الفراعنة والطب الحديث، دار المعارف
د. محمد عبد الرحمن مرحبا، الجامع في تاريخ العلوم عند العـرب، منشـورات عويدات، بيروت ط٢ ١٩٨٨
د. محمد مرحبا، الموجز في تاريخ العلوم عند العـرب، دار الكتـاب اللبنـاني، بيروت ١٩٨١ ط٣
د. محمد السمري، التخدير في التاريخ، مقال بمجلة العربي، عـدد ٤٠٢ مـايو ١٩٩٢
د. محمود الحاج قاسم محمد، الطب عند العرب والمسلمين، الدار السعودية للنشر ١٩٨٧
د. محمود ديات، الطب والأطباء في مختلف العصور الإسلامية، مكتبة الانجلـو المصرية – القاهرة
د. منصف المرزوقي، الطب الإسلامي وجالينوس، المؤتمر العـالمي الاول عـن الطب الإسلامي ، الكويت ١٩٨١
مونتجمري وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، دار الشروق ١٩٨٦ ط٢
المجوسي، علي بن العباس، كامل الصناعة الطبية، معهد تاريخ العلوم العربيـة والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت – ألمانيا
د. ناصر الدين الاسد، مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة ط٥ ١٩٧٨
د. ناصر الدين الأسد، ما قبل رحلة كولومبوس (مقدمة في المنهج) محاضرة في ندوة التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب ١٩٩٢، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الدراسات ١٩٩٣
د. نشأت حمارنة، مقدمة حول طب العيون العربي، مقال في مجلة التراث العربي
د. ناجي مدرسي، المفهوم الإسلامي للشفاء ، المؤتمر العالمي الاول عن الطـب الإسلامي، الكويت، ١٩٨١ ط٢
وول ديورانت، قصة الحضارة ، ج٢
د. يوليوس جيار، الطب والتحنيط في عهد الفراعنه
د. يوسف غوانمه، الحياة العلمية في بلاد الشام، مجلة آفاق الإسلام، الدار المتحدة للنشر، عمان العدد٢ حزيران ١٩٩٣
د. يحيى جبر، الأجرام السماوية– دراسة في الموروث اللغوي، مقال بمجلة مجمع اللغة العربية الاردني، العدد ٤٧ كانون ثاني – حزيران ١٩٨٥

Encyclopedia Britanica, Vol.١،١٩٧٥
The Genius of Arab Civilization,٢end edition
MIT Press ١٩٨٨



الأستاذ الدكتور أشرف الكردي

- عضو وزميل في الكلية الملكية لأطباء الباطنية في لندن وجلاسكو، عضو في الكلية الأمريكية للأعصاب وزميل الجمعية البريطانية لأطباء الأعصاب.
- من مؤسسي الجمعية الأردنية لأطباء العلوم العصبية وكان أول رئيس لـها عام 1983
- رئيس اتحاد الأطباء العرب للعلوم العصبية 1984-1991
- من مؤسسي الاتحاد العربي لأطباء العلوم العصبية عام 1975
- ممثل الأردن في اتحاد الأطباء العرب للعلوم العصبية والاتحاد العالمي للعلوم العصبية
- حصل على شهادة تقدير من جلالة الملك حسين (طيب الله ثراه) على دراساته في التصلب اللويحي المتعدد 1979
- نائب رئيس الاتحاد العالمي للعلوم العصبية 1989- 1997
- حائز على شهادات تقدير من الاتحاد العالمي للعلوم العصبية عام 1989، 1997،1993، 2001
- عضو المجلس الصحي العالي من عام 1997- 2002
- حصل على الكثير من الأوسمة الأردنية والعربية
- عضو في هيئة التحرير لعدد من المجلات العلمية للأمراض العصبية في الأردن والبلاد العربية والدولية
- رئيس الجمعية العربية لأطباء مرض باركنسون والحركات اللاإرادية وعضو في اللجنة العالمية
- كتب أكثر من خمسين بحثا في العلوم العصبية، نشر معظمها في المجلات الطبية العربية والدولية
- عضو في لجنة الصداع العالمية، كما ترجم كتاب تصنيف الصداع العالمي للغة العربية مع الدكتور سامي خوري
- كتب عدة فصول في الكتب الطبية العالمية عن الأمراض العصبية
- كتاب عن مرض الباركنسون - الجديد في علاجه الطبعة الأولى (2000) ، الطبعة الثانية (2002)
- عضو في العديد من اللجان العلمية في الاتحاد العالمي لأطباء العلوم العصبية ومنها رئيسا للجنة القوانين والأنظمة
- عضو في لجنة العلاقات العامة والعلاقات مع منظمة الصحة العالمية
- عضو في كثير من اللجان العلمية للعلوم العصبية في أوروبا وبريطانيا وأمريكا"
- عضو مجلس الأعيان الأردني 1993- 1997
- وزير للصحة والرعاية الصحية في الأردن 1997 - 1998

